

# عبد الله مكيون العجمي

بين الصحافة والأدب



د. عبد العزيز عرف

د. محمد عبد المنعم فخاخي

# عبد السلام محيى العجما

بين الصحافة والأدب

د. محمد عبد النعم ففاجى د. عبد العزيز امرن

مكتبة الأجلو المصرىة  
١٦٥ شارع محمد فرىم القاهرا



## تقديم

### بقلم الكاتب الكبير : جلال الدين الجاهلي

الشخصيات الصحفية ليست كلها في مرتبة واحدة عند الجمهور ، بعضها يظهر ، ويكتب ، ويقرأ له القراء ، ولكن لا تلبث أن تختفي باختفاء انتاجها ، ولا يذكره الناس الا اذا ارتبط اسمه بواقعة ما ، ثم ينطوي بعد ذلك في عالم النسيان .

والبعض لتليل يظهر ، ويكتب ، ويقرأ له القراء بشغف ومتابعة نادرة ، ومع هذا فان ذكره لا تختفي ، واذا توفى عن الكتابة ، أو دخل السجن ، أو احيل بينه وبين قرائه ، أو انتقل الى رحمة الله متمما كان قد أدى واجبه العام .

ومن هؤلاء . . . أو على رأس هؤلاء « عباس محمود العقاد » ولعل أهم الاميزات التي حققت لعباس محمزد العقاد هذه الميزة على غيره من الكتاب الصحفيين تمسكه بكرامته ، وبرايه ، وباحساسه بأن الحاجة الى لقمة العيش لاتعني أن يدوس هذه الكرامة ، وأن يبذل رأيه كما يبذل الفرد العادي حذاءه .

ومن هذا الواقع القوي . . . بدأ العقاد دائما « كالعلاق » أو « كالجليل » الذي نتسح من قمنه أضواء القوة والحق والكرامة في كل الظروف والأوقات والأزمات .

عرف العقاد الحياة بمرها وحلوها . . . بل أنه عاش حياته كلها على مزيج المر والحلو من هذه الحياة . . . ولهذا نجح في أن يظل دائما الرجل الذي يواجه العواصف أيا كانت ، ولا يطاقء لها رأسه ، أو أن يسمح للعاصفة بأن تمر دون مواجهة ، فاما أن تهزمه أو أن يهزمها . . . ولقد كان رصيد حسابه من هذه المعارك كلها في جانبه دون أن يتطلع مرة واحدة الى الجانب المادي البحت في هذا الرصيد أو أن يتساءل : « كم أملك ؟ . . . وهل أستطيع أن أعيش « بما أملك » ؟ »

ولهذا عاش العقاد متواضعا ، ومات في تواضع . يسير على قدميه ويركب الترو من صاحبة مصر الجديدة ، اما الى مقر عمله - اذا كان يعمل في احدى الصحف ، أو الى واحدة من مكاتب القاهرة ليجمع منها أحدث ما وصل اليها من الكتب في كل فرع من فروع العلوم والأدب والاجتماع والسياسة .

وكانت له في صباح يوم الجمعة من كل أسبوع ندوة في منزله المتواضع  
بضاحية مصر الجديدة يجلس اليه فيها مجموعات من الشباب والشيوخ  
يستمعون اليه ويناقشونه في الآراء المختلفة ، ولم يكن يتردد - قط - في أن  
يقول رأيه صريحا واضحا محددًا ، لأنه كان يعتبر نفسه - وبحق - صاحب  
رسالة ٠٠ وصاحب الرسالة يسقط عنه حقه في التثبير بهذه الرسالة اذا  
فقد شجاعته أو لم يقل رأيه صريحا واضحا لا لبس فيه ولا ابهام .

وكان العقاد يعتبر نفسه - مع تواضعه « كبيرا » ٠٠ وكان يصير على  
أن يضع تحت عنوان مقاله : « بقلم الكاتب ( الكبير ) عباس محمود  
العقاد » ٠٠ وأعترف أنني كنت أظهر دهشتي من هذا الاصرار من جانبه ،  
ومع هذا فإنه وضح لي ، مع مرور الزمن ، وازدياد معرفتي بصلافة الرجل  
وقوته أنه كان محققا في هذا الاصرار ، بل لقد ذهبت الي أبعد من هذا ،  
فازددت ايمانا واعتقادا بأن العقاد لا يستحق أن يتهمسك فقط بكلمة « الكبير »  
بل انه كان جديرا بأن يقال أنه « الكاتب الأكبر » .

ذلك لأن هذا الرجل لم يكن هو الكاتب الوحيد في الصحف ، بل انه  
عاش في زمن تعدد فيه الكتاب وكثروا ٠٠ ومعظمهم كان على مستوى كبير  
من العلم والثقافة . ولكن العقاد تميز عنهم بالشجاعة والاصرار على  
الدفاع عن رأيه وضرب الحزبية بحذائه ، اذا ما لعبت هذه الحزبية بما  
اعتادت أن تتنادى به أو خرجت على مبادئها الأصلية .

لم يكن العقاد في يوم ما من أصحاب « السواء المزوج » أو « السواء  
المتعدد الاتجاهات » بل كان ولاؤه واحدا للرأى الذى آمن بأنه يخدم به وطنه  
وشعبه .

وقد يفهم من هذا أن العقاد كان متكبرا ومتعاليا ٠٠ ربما كان الأمر  
كذلك ، ولكن هل يعاب على العقاد ذلك ، وهو يرى نفسه فعلا يؤدي  
واجبه بصورة تكاد أن تصل الى مرتبة السمو والكمال ؟

ومع هذا فأسأرح فأقول : ان صورة العقاد الظاهرية كانت تبدو فعلا  
متعالية أو متكبرة ، ولكنه كان يحمل داخل نفسه صورة العالم المتواضع  
البسيط الذى ينبع من صميم صعيد مصر ، وعلم نفسه بنفسه ، ثم ارتفع  
بعلمه الى مرتبة « العظماء » لا في مصر وحدها ، بل في كافة أنحاء العالم  
العربى ، ثم عرفه العالم الخارجى بما يفتخ ويتكلم .

ألم يكن العقاد بشرا ؟ وهل يستطيع بشر واحد أن يرى نتائج ما تحقق  
على يديه في كافة مجالات المعرفة ، وأن يرى الاقبال يزداد على مدرسته

« الخاصة » ٠٠ ولا يحس بفخر واعتزاز ، فسرته قلة من الناس بأنه : « تكبير » ٠٠

ولقد سرني أن أجد الزميل الدكتور عبد العزيز شرف مؤلف الجانب الصحفي في هذا الكتاب يبذل هذا الجهد الكبير في متابعة بعض المعارك الصحفية التي خاضها العقاد في حياته ٠٠ ولذا أحسست وأنا أقرأ هذه الصفحات ٠٠ التي عشت معظمها مع العقاد : أن المؤلف حرص الحرص كله على أن ينقل إلى قراء الجيل الذي لم يسعده أن يعيش في « عصر العقاد » - صورة لما كانت عليه مقدره وعظمة كتاب هذا العصر ، ٠٠

ولعل نراء هذا الجيل يتسألون بعد أن يقرأوا هذا الكتاب : أليس ممكنا أن تتكرر الصورة ، وأن يكون منا في الحاضر والمستقبل مثل العقاد أو في القليل من قد يكون على مستوى العقاد من العلم والتدرة ٠٠ والشجاعة

« جلال الدين الحماصي »

مارس ١٩٦٤

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

**الباب الأول**  
**العقد والصحافة**

## الفصل الأول

### صورة الصحافة في مطلع القرن العشرين

#### حديث عن العصر

مرت حياة العقاد الصحفية بثلاثة أدوار ، يتميز كل دور منها بطابع خاص وتفرّد مميّز . وقد رأينا أن تسير دراستنا لحياة العقاد الصحفية وفق هذا التقسيم حتى تتفق الدراسة ومجرى هذه الحياة الصحفية التي عاشها العقاد وعاشها بقلمه وفكره لمدة تزيد على نصف قرن بكثير .

أما المرحلة الأولى من مراحل الحياة الصحفية للعقاد فهي تبدأ من سنة ١٩٠٧ حتى ١٩١٤ ، ويمكننا أن نوسع هذه الفترة قليلاً فنقول : أنها بدأت من بداية حياته الصحفية حتى الحرب العالمية الأولى .

والمرحلة الثانية تبدأ مع ثورة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٦ ، وتبدأ المرحلة الثالثة من هذه السنة ١٩٣٦ حتى وفاته في مارس ١٩٦٤ .

وتتنسم المرحلة الأولى بما يمكن أن نسميه ظاهرة « الصراع » في كل نواحي الحياة المصرية ، وينعكس هذا الصراع بوضوح على مرآة الصحافة ، على اعتبار بدايته وهو أن الصحافة مرآة عصرها وزمانها .

■ فالاحتلال البريطاني يجثم على قلب مصر :

ويصدر صحيفة يومية يسميها « المقطم » ويتتقى شابين سوريين ليتوما بإصدارهما هما يعقوب صروف وفارس نمير ، بالاشتراك مع شاعرين مكاريوس وذلك في أوائل عام ١٨٨٩ م .

وكانت هذه الصحيفة لساناً إنجليزيّاً صرفاً يقف في وجه كل دعوة وطنية ، وما أيسر عندها أن تصف الوطنيين بـ « الخونة » وعلى هذا القياس يمكن رد جميع مواقف هذه الصحيفة من الحركات الوطنية في هذه المرحلة ، وطوال المدة التي صدرت فيها . فقد بدأت حياتها بمهاجمة العربيين ، وقد مزق موقفها من حوادث دنشواي القنصاع الشفاف عن وجهها فهي ترى أن في هذا الحادث التاريخي « عارا ارتكبه رعاع من أسفل طبقة من طبقاتها » ولا خلاف في أن أهل دنشواي قد ارتكبوا ذنباً يجبل عنها كل شرقي وتاباها نفس كل مصري وهي ضربهم الضباط بالعصى والطوب حتى جرحوهم وقتلوا واحدا منهم « (١) ، ولم تال التطم جهداً في الرد على كل ما يكتب عن بريطانيا والذم عن مصالحها في مصر .

(١) التطم : عدد ١٩ يونيو ١٩٠٦ .

والتوقع ان الصلة التي تربط المنظم بسلطات الاحتلال . لم تكن خافية على احد ، ولذلك كانت الجهات الحكومية تؤترها على غيرها من الصحف . ويبلغ الأمر بهذه الصحيفة انها كانت تنشر أحيانا بعض الأحكام في القضايا الوطنية قبل النطق بها بعدة أيام .

والصحف التي عاصرت المنظم لم تتجاهل هذه الصلة بين المنظم وسلطات الاحتلال ، فتصفتها جريدة « الشعب » لامين الرافعي وهي جريدة وطنية بانها « سياسية انجليزية صرفة ، تكتب بحروف عربية ، بلغت بها ثقة الاحتلال حدا متناهيا واصحاب المنظم اغنى الصحف مالا وأكثرهم اطمينا . ورغم ان الصحافة في مصر مجلبة خسارة فانهم جمعوا بها ثروة يعجز عن جمعها أكثر ارباب المشروعات . وهم اندر للصحفيين في الضغط على عواطفهم ودمس اطعان واكبرها افعاما بالسوموم في قالب نصيحة مرفقة » (١) .

وتشارك المنظم في الدفاع عن الاحتلال جريدة « الوطن » التي استقبلت الاحتلال بحماس شديد ، وحملت على تسيادة الثورة العرابية في شتماته يشوبها نبي غير قليل من التعصب الديني (٢) .

وتد وصفتها جريدة « الشعب » الوطنية كذلك ، بانها « سياسية احتلالية أكثر من المنظم ، حتى ان محررها كان يدعو الانجليز الى ضم مصر الى المستعمرات الانجليزية ورضع الراية عليها . ولا يخلو عدد من اعدادها من لطعن في الوطنيين والمسلمين وإيلام عواطفهم ، وهو اول من أحدث الشقاق بين المسلمين والاقباط » (٣) .

وكما رحبت بالاحتلال البريطاني وعزيمة العرابيين . علقت للحمايه البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ ، وهي تحمد الله « لأننا خلصنا من نهوسات الفتية الذين كانوا يطلون على انفسهم اسم « الحزب الوطني » والوطن بري منهم ، أولئك الذين كانوا يدعون في الظاهر بانهم يريدون استقلال مصر عن كل سيادة . وفي الباطن يعملون لتسليم مصر للأتراك غنيمه باردة . واذا كان المصريون قد جنسوا كل هذه الثمرات الطيبة والانجليز محتلون احتلالا مهددا بالانقضاء فكلم ينتظرون من آيات السعادة والانجليز ياتون هنا الى الأبد » (٤) .

(١) الشعب : عدد ٨ مايو ١٩١٢ .

(٢) راجع : د . أحمد حسين الصاوي : معالم تاريخ الصحافة المصرية .. محاضرات بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣ .

(٣) الشعب : عدد ٨ مايو ١٩١٢ .

وكان من أسس سياسة الاحتلال التي خطتها دوفرين وطبقها كرومر ترك شيء من الحرية بالنسبة للصحف - تنفيذا عما قد يعين تحريرها من آراء أو ملاحظات قد تفيد منها سلطات الاحتلال ٠٠ مع اغفال قانون المطبوعات ، وكان كرومر يؤمن بأن الصحف المصرية مهما تقلت فإن تستطيع أن تغير من الأمر الواقع شيئاً ٠٠ ثم أن الحكومة شديدة التيقظ لكل ما تنشره الصحف ، وجيش الاحتلال في نظره كفيلاً بحماية السلطة الاستعمارية من أي تطرف تد تدفع إليه الصحافة(١) .

وما لبث الوطنيون أثر صدور المظلم أن أحسوا بأن شمة فراغا في الحقل الصحفي يجب أن يملأ ، حتى يمكن مواجهة هذا الاستعمار الصحفي للبلاد الذي عبر بوضوح عن مطامع الاحتلال البريطاني ، ولذلك انتفضوا على إصدار صحيفة تكون لسانا لهم ، ومن ثم ظهرت صحيفة « المؤيد » اليومية في نهاية عام ١٨٨٩ ، وهو نفس العام الذي ولد فيه عباس العقاد لأبوين مصريين بمدينة أسوان .

ويمكن القول ان طرقي الصراع في هذه الفترة هما الاحتلال البريطاني بصحفه من جهة ، ومن جهة أخرى الكفاح الوطني للشعب المصري ، الذي ما لبث أن تمخض عن تيارات ثلاث . تشكل أطراف الحركة الوطنية التي نهضت في مواجهة الاحتلال البريطاني والفسوذ الأجنبي .

وكانت صحيفة « المؤيد » ممثلة للتيار الأول من هذه التيارات الوطنية الثلاثة ، وما لبثت معالم هذا التيار أن تحددت واتسمت بسمات مميزة له عن غيره ولعل أهمها وبميزه تاييده للخديو عباس حلمي الثاني في الحل الأول وهذا ما حدا بالقائلين الي القول بأن الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد كان « نصفه للأمبر ونصفه للجماهير » .

والشيخ علي يوسف استطاع بذكائه وموهبته ودماء الصحفي الفطري فيه وتفكير الشيوخ ، أن يكسف المحافظين - ان صحت هذه التسمية - من المصريين والأترك في « المؤيد » .

وقد استلمت الشيخ علي يوسف أنظار عبيد من مفكري الغرب فطلي الرغم من نشأته الأزهرية فانهم يشهدون له بالتفوق الصحفي الذي يقتضى مواهب عديدة لا تتوقع الا في أمثال السيد علي يوسف .

(١) د. احمد حسين لصاوي : معالم تاريخ الصحافة المصرية .

انظر كذلك : د. خليل صايات : الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم الطبيعة الثانية ص ٩٥ وما بعدها .

« كان السيد على يوسف صحفياً ماهراً له دهاء ومكر أحياناً ولمد رفح المؤيد إلى مكان الصدارة في العالم العربي ، فحاط الخديو عباس هذه الصحيفة برعايته وشملها بحمايته وأصبح السيد على يوسف يسير في ركاب الخديو حيث سار وأخلص له إخلاصاً يفتق الخلاص مصطفى كامل لهذا الجالس على العرش . وقد وجه السيد على يوسف سياسة المؤيد وجهة خاصة ، فجعله يوماً للدعوة إلى الرأي الحانظ ، وكان في نظر خصوصه - على الأقل - يهيج كواهن التصب الديني » . وكذب الخديو عباس عنه في مذكراته يصور علاقته بجريدة المؤيد : « كنت أود أن يكون لي صحيفه تادرة على أن تثير الشعب المصري وتقوده شيئاً فشيئاً إلى ادراك أكثر وضوحاً لكلمة الوطن وواجبات المواطن فدعوت كاتباً من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه - هو الشيخ على يوسف ، وكان خارجاً من الجامعة الأزهرية وكان قد لفت إليه الأنظار - ان لم يكن باتساع أفقه الفكري فبحماسة في المناقشة وبعمقته الحقيقية في الجدل . وبقدرة المعرفة في هضم المسائل وخاصة إذا ذكرنا أنه لم يكن يتكلم إلا العربية ، ولم يدرس إلا في الجوامع » .

وهذا التيار المثالي للخديو لم يواكب التجمع الوطني الذي كان في كل يوم جديد يزداد قوة ، فمصطفى كامل يخطب في أوروبا ويندد بالاحتلال في كتاباته وخطبه ، وكانت حاجة الجماهير ملحة إلى صحيفه من لسان جديد فأصدر مصطفى كامل جريدة « اللواء » في أول عام ١٩٠٠ ، وكان الاعداد لها ضخماً من حيث المال والادارة والتحرير حتى تتمكن من مناقشة الصحف الأخرى .

وتمثل « اللواء » التيار الثاني من تيارات الحركة الوطنية ، وقد قامت بدورها في نشر الوعي الوطني ومحاربة الاحتلال والدعوة إلى حياة دستورية سليمة ، وقد كتب مصطفى كامل في افتتاحية العدد الأول محمداً اتجاه اللواء فيبين أن هدفها هو « خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها والسعي وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى . والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة » .

وهذا التيار الوطني ، انتزعت وطنيته بعاطفة اسلامية ، فوثف إلى جانب الخلافة العثمانية ، وأيد استمرار مصر بهما روحياً . وقد أكد

مصطفى كامل هذا الاتجاه عندما قال . « حضا ان سياسة التقرب من الدولة  
العليا لأحكام السياسات وأرشدتها » (١) .

ويرى الدكتور أحمد حسين الصاوي ان هذا الاتجاه من « اللسواء »  
والحركة السياسية التي تعبر عنها راجع الى ان مفهوم الوطنية المصرية في  
ذلك الوقت لم يكن قد خلس تماما من فكرة التمييز الروحية لخليفة المسلمين  
والى ان مصطفى كامل كان يحتاج الى تأييد الباب العالي في كفاحه ضد  
الاستعمار البريطاني وهو ما افتقرت اليه الثورة العربية ٠٠ وعلى أي حال  
فقد خلصت كتابات مصطفى كامل الوطنية في اللسواء تبيل وقاته من شأنية  
الاتجاه نحو الباب العالي ٠٠ وبرزت وطنيته مصرية خالصة تستهدف  
تحرير البلاد من الاحتلال البريطاني والسيادة العثمانية معا ، ويمثل  
توقيع الاتفاق الودي بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩٠٤ نقطة تحول خطيرة  
في اتجاهات الصحافة ٠٠ فقد توطد مركز الإنجليز في البلاد ، واشتد ضغطهم  
على الحريات ، ومن ثم ازدادت لهجة « المؤيد » هودا ولبنا وفترت حماسة  
غيرها من الصحف الوطنية بينما عللت « المقطم » والتزمت « الأهرام »  
السلبية ٠٠ أما اللسواء فسرعان ما أفاققت من الصدمة بعد أن كشفت فرنسا  
عن نفسها وأعلن فيها مصطفى كامل ان الدول الأوروبية كلها سواء وان  
المصريين يجب ان يعتمدوا على أنفسهم في الكفاح الوطني ٠٠ وتؤكد هذا  
الاتجاه من « اللسواء » بفقر العلاقة بينها وبين الخديو بعد أن تخاذل  
أمام الضغط البريطاني وبذلك ازدادت اللسواء قسوة وشعبية وأصبحت أولى  
الصحف الوطنية المكافحة ، غير أن « اللسواء » مع تخلصها من فكرة التماس  
تأييد فرنسا ومن صلتها بصاحب العرس ظلت متمسكة بفكرة الخلافة  
الإسلامية وارتباط مصر بها ، حتى تبيل وقاته مصطفى كامل ٠٠ ثم بدا  
من كتاباته الأخيرة تخليه الى حد كبير عن هذه الفكرة واتجاه دعوته نحو  
تخليص البلاد من الاحتلال البريطاني والسيادة العثمانية معا .

وتتمخض الحركة الوطنية عن تيارها الثالث ، وهو التيار الداعي لأن  
تكون « مصر للمصريين » والذي تزعمه أحمد لطفى اللسيدي ، ومثلته جريدة  
« الجريدة » التي صدرت عام ١٩٠٧ .

وقد اختطت الجريدة لنفسها تيارا متميزا مختلفا تمام الاختلاف عن  
التيارين الأولين ، فكانت دعوتهما للتوحيمة انصرية الخالصة باعتبارها هدف  
الاستقلال الصحيح ، دعوة جديدة تتميز بطابع فكري .  
والى جانب ذلك أخذت الجريدة بالذهب « الليبرالي » الذي يدعو الى

(١) عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل ص ٢٥٠ ط ٢ القاهرة .

زيادة نصيب الأفراد من الحرية وتحديد تدخل الحكومة في مختلف القطاعات حتى تعتمد الأمة أن تعتمد على نفسها بدلا من الاعتماد على الحكومة في كل أمورها . . . ومن هنا نادت بحرية التعليم والمرأة والصحافة والقضاء، وما إلى ذلك .

ويربط الأستاذ رجاء النقاش بين هذا التيار وبين الفايين في إنجلترا لا من ناحية الأهداف والمبادئ، ولكن من ناحية الأسلوب ، ذلك لأن الخلاف كان كبيرا بين الفايين وبين تيار لطفى السيد وحزب الأمة الذي ينتمى إليه ، بل ويعتبر زعيمه الروحي ومفكره الأكبر ، فالفاييون اشتراكيون بمعنى من معاني الاشتراكية ، ولطفى السيد مع أعضاء حزب الأمة لم يتحدثوا عن الاشتراكية بأي معنى من المعاني ، بل كان مطالبهم الأساسي هو تحرير مصر سياسيا من السيطرة الإنجليزية ، ولكن الانقسام الأساسي بينهم وبين الفايين هو الاعتدال والتدرج (١) .

وتنفرد « الجريدة » بدعوتها الوطنية لأن تكون « مصر للمصريين » ومعارضتها لفكرة الجامعة الإسلامية التي تزعم وتنادى بربط مصر بتركيا وهي الفكرة التي كانت تؤمن « المؤيد » بها واختلطت النزعة العثمانية بوطنية « اللواء » التي حشد ما . . . وبذلك كانت الجريدة تمثل تيارا جديدا يمكن أن نطلق عليه « التيار المصري » بلا تحفظ ، لأنه يتخلص من الارتباط بجانب معين أو التماس التأييد من أية قوة داخلية أو خارجية .  
ونصل من هذا الحديث إلى أن الصحافة مثلت للتيارات المتصارعة تمثيلا صادقا فرائنا كيف أن التيار المعادي للإنجليز مثلته « اللواء » وبرز على قمته مصطفى كامل ، والتيار المؤيد للخديو مثلته « المؤيد » وصاحبها السيد على يوسف ، والتيار الداعي إلى أن « تكون مصر للمصريين » مثلته « الجريدة » ومحررها لطفى السيد .

وتستلقت النظر في هذه الفترة ظاهرة عربية فريدة في نوعها . . . فمن المؤلف لدينا اليوم أن تنشأ الأحزاب أو ثم تنبت أركانها ، وبعد ذلك تتخذ من الصحافة وسيلة لنشر مبادئها والدفاع عنها وفق مخططات مرسومة لا تحيد عنها . . . هذا هو الأمر الطبيعي في نشوء الأحزاب ، لكن نشأة الأحزاب في مصر شذت عن نشأتها في غير مصر ، فنشأت الأحزاب في أحضان الصحافة . وكانت الصحافة هي الأم ، فصدرت « اللواء » في سنة ١٩٠٠ م وما لبثت أن نشأت في أحضانها « الحزب الوطني » ، وقبل اللواء صدرت « المؤيد » سنة ١٨٨٩ ، وما لبث أن تكون حولها حزب « الإصلاح على المبادئ الدستورية » وفي سنة ١٩٠٧ صدرت « الجريدة » ثم احتضنت « حزب الأمة » .

(١) رجاء النقاش : مقال بمجلة الكاتب - نوفمبر ١٩٦٤ .

والتأمل في هذه الفترة يدرك مدى ما بلغته الدعوة التلمية في مصر من نسوة تصل إلى حد احتضانها الأحزاب ٠٠ هذا من جهة ٠٠ ومن جهة أخرى كان هناك لون آخر من الصراع جعل العصر أشبه ما يكون ببرج بابل على حد تشبيه العقاد .

وتبرز حركة الإصلاح الديني التي قام بها الإمام محمد عبده بعد أن يئس من السياسة أشد مزيمة العربيين ، وبعد أن هاجر أستاذه جمال الدين الأفغاني من مصر مخلفاً فيها بثوره التي ما لبثت وترعرعت في كل ميادين الإصلاح - السياسي والديني والفكري .

وكان محور حركة الإصلاح الديني عند الأستاذ الإمام هو إزالة التناقض الشكلى ، الذي روج له أصحاب المصلحة من وراء ذلك ، بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية .

وكانت آراء الأستاذ الإمام متحررة إلى حد كبير من قيود التقليد والجمود ، وقد ساهم بقسط كبير في الدعوة لتحرير المرأة وتعليمها ، وقد بلخ بأعدائه الإدماء إلى حد القول بأنه هو الذى ألف كتابي قاسم أمين المعروفين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وأنه تخفى تحت اسم قاسم أمين حرصاً على مركزه الديني .

\* \* \*

ووسط هذا الصراع نجد عباس العقاد يبدأ حياته مستقلاً عن الأحزاب « كنت من فريق الشباب القلائل الذين نشروا من الأحزاب منذ اللحظة الأولى فلم يكن لي حزب أتعصب له وانتمى إليه ، ولم تكن لي صحيفة اتسع لسياسيتها ومنهجها في كتابتها ، ولكنى كنت أفضل « الجريدة » في جانب الثقافة ، وأفضل « اللواء » في شدته على الاحتلال والوزارة ، وأتقراً « المؤيد » لثقلاته الشرقية والإسلامية واعتقد أن الخطة المثلى هي خطة « مصر للمصريين » تميزاً لها من خطة للمحافظة على السيادة العثمانية وكان بعضهم يترخص في تسمية هذه الخطة وأصحابها باسم « حزب الفتى » لأن الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله ، كان أشهر المعروفين بذلك الرأي في تلك الفترة وهو في ذلك سعد زغلول وأحمد لطفي السيد(١) .

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٢٧ .

والوقوف الذي اتخذته عباس العقاد من هذه التيارات المتصارعة يستند على أساس تقوى من شخصية عباس العقاد ، وتفضيله لاتجاه على آخر انمسا يرجع الى مكونات هذه الشخصية ، واذا نظرنا الى موقفه لزاء « اللواء » وصاحبها وحزبه الوطني الذي اجتذب اليه معظم الشبان المصريين ، نجد في نفس عباس العقاد الشباب المتطلع الى الاشتغال بالصحافة ، بقايا من حداث لم يستطع نسيانه يجعله لا يميل الى مصطفى كامل .. ذلك ان مصطفى كامل اصططب معه الكاتبة الفرنسية « مدام جولبييت آدم » وكاتبة انجليزية من حزب الأحرار تدعى « مسز بيونج » لزيارة أسوان ، وكان ناظر المدرسة التي يعمل فيها عباس العقاد مدرسا ، يرأسل « اللواء » فما لبث أن دعا مصطفى كامل الى زيارة مدرسته ومعه رفيقته .. ودخل غرفة السنة الرابعة وفيها درس اللغة العربية فجلس مكان التلميذ الذي كان يكتب على اللوحة وأولى عليه هذا البيت لأبي العلاء ليعره ويشرح معناه :

والمرء مالم تفد نفعاً أقامته

غيم حمى الشمس لم يعطر ولم يسر

وترجم مصطفى كامل هذا البيت الى اللغة الفرنسية في طلانة وثقة ، وناقش التلميذ في شرح معناه فتعلم التلميذ ولم يجب بطائل فأسمعه العقاد معتذرا له بأن الغيم الذي لا يعطر في أسوان ولا يسير نعمة محبوبة ، وأن الغيم المطر وغير المطر عندنا قليل !  
ولاح لي أن « الباشا » لم يسترح لهذا التقييد ، ولم يتقبل منه الإشارة الى خطئه في اختياره ! وأن لم يكن في الأمر غير فكاعة ثلاثي فيها التخطئة والتصويب ..(١)٠٠

كان لهذا الحادث أثر وى اثر فيما بعد في تكوين صورة لمصطفى كامل في ذهن العقاد .. لقد أيقظ هذا الحادث البسيط في محتواه كوامن التحدى لدى الشباب الباحث عن المثل الذي ينسدهم للزعيم ، والذي يتفق معه في تكوينه الفكرى والعقلى .

■ صورة مصطفى كامل التي بقيت في خلدى مدى الحياة هي الصورة التي أنطبقت فيه من أثر هذه الرؤية الأولى ..

■ حركاته كلها كانت تتم على احساسه بدقة تكوينه ، يبدو ذلك من

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٤ .

شموخه وزهوّه كما يبدو من طول طربوشه وارتفاع كميّه ، ومن سقرة  
« البنجور » التي كانت لا تلائم سنه وهو دون الثلاثين ..

وهذا البيت من قصيدة أبي العلاء - ليس فيه تعريض بالأجسام  
التي تسد عين الشمس فتحجب الضياء ، ولا تجرود بقطرة من الماء ؟

وربما شملت ذمة تكوينه بسمت الوتر ، فلم تسمح له بجسارة  
روح الفكاهة ولا سيما الفكاهة على حسابها ، والفكاهة التي فيها تخطفة  
لاختباره (١) .

والزعم الذي ينشده عباس العقاد هو « المصري » في طباعه وأفكاره ،  
وأهم ما يميز المصري هذه الروح الفكاهية التي أفقدها عند مصطفى كامل  
لجديته وأخذ الأمور مأخذ الجد ، وعزوفه عن روح الفكاهة بصورة مطلقة  
وهذه الروح التي تميز المصري لم يفقدها العقاد عند سعد زغلول مثلا  
وكانت سمة من سمات مصريته ، والتي تربطه بالمصريين تماما .

« وليست اللبساة وبراعة الحديث ولطف النادرة وحسن المؤانسة  
بالخصال الاستغرية في أمة قديمة الحضارة عميقة الآداب منصرفة في أكثر  
الاحيان إلى السلم والمعيشة الوادعة ، وأخلق بهذه الخصال وحدها أن  
تكون بنوعا فياضا للثبته والبقاء التعبير في الجد والهزل على السواء ،  
فأذا اضيفت إليها عبر الأيام ونفاض التاريخ وأطوار الحوادث المتعاقبة  
ففي ذلك مدد للفكاهة لا يفضب وانغراء بالترويح عن النفس لا يزال يهديها  
إلى التبسيط والمزاج .

لذلك كن المصري مزاجا بحكم لباقتة الاستفادة من قدم الحضارة ،  
ومزاجا بحكم الحوادث التي تلجته إلى التخفيف وقلة الاكتراث ، ومزاجه  
في جميع الأحوال متنسم بالصيغة المصرية ، مطبوع بطابع انطيمه وتاريخه ،  
بحيث يتم على خصائصه الفكرية والنفسية ويميزه نمطا وحده قليل  
النظائر بين أنماط الفكاهة والتثبته » .. نقول أن الزعيم الذي ينشده  
العقاد هو ذلك المصري الذي يتمتع بطبيعة مصرية فهو مناضل وجياش  
الطبيعة على مقربة من الأيدان الذي يدعوه إلى النضال ، وهو - لأنه حي  
جياش الطبيعة - حسن المودة والأنس بالناس والارتياح إلى المعاشرة ،  
والزعم الذي يحبه العقاد هو ذلك الذي يكون في مجالسه الخاصة من أندر

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٥ .

الناس على مؤنسة الجلوس، بأحدث الشائيق والفكامة الحاضرة والحدب المطبوع (١) .

مذه الشخصية « المصرية » التي يجدها المقاد ، لم يجدها لدى مصطفى كامل ، وإنما وجدها فيما بعد لدى سعد زغلول الذي تمتع بمميزات الشخصية المصرية فكاهته حاضرة على الندية يستعين بها على لطف مؤاخذة أورد مكيدة أو الزام حجة أو صرف خادقة مؤلمة بكلمه مضحكة ، فهي تشاره بلسم جراح وتشاره عدة كساح ، وهي مؤنة تصلح حينها لساجلة الأصدقاء كما تصلح حينها لتناجزة الأعداء (٢) .

وسنرى أن عباس العقاد يسير في تيار الأستاذ الإمام محمد عبده وتلاميذه من بعده ومنهم سعد زغلول لأنهم بحثوا عن الشخصية المصرية ووجدوها وسط التيارات المتصارعة التي كادت الشخصية المصرية فيها أن تتلاشى . فمصطفى كامل لا يرى غضاضة في ارتباط مصر بالدولة العثمانية ، وتلاميذ الشيخ بيرون أن استقلال مصر عن كل ارتباط من تسانه أن يقيدتها هو الهدف المتسود من وراء كفاحهم ونضالهم الفكري والسياسي .

لم أشارك في الحزب ( الوطني ) بعد اعلان تأليفه كما اشترك فيه زملاؤنا الصحفيون ٥٥ ولا يخطر لي الآن ، ولم يخطر لي قبل الآن ان تلك الصورة التي ارتسمت في ذهني من لقاء مصطفى كامل للمرة الأولى هي التي أخترتني عن طلب الاشتراك في حزبه ، فلم يزل مصطفى كامل أحب الجماهير أيضا في حومة القضية الوطنية بين أصحاب الصحف وأعلام القضية المصرية يومذاك ، وكنت أتشبع له اذا نشبت المعركة بينه وبين خصومه . . . وفي الممارك التلمية كنت أجد نفسي الى جانبا مصطفى كامل ، كلما نشبت الخصومة الحامية بينه وبين علي يوسف - صاحب المؤيد - وبعد أن عرفت من حقائق الدعوة الوطنية وحقيقة نفسي ما لم أكن أعرف ، استطع أن أقول أن اختلاف الطبيعة البعيد تد رسم امامي مشالا للامامة المذهبية غير هذا المثال ، فان مصطفى كامل كان من أصحاب الطبيعة الخطابية التسعورية وكانت الطبيعة الأدبية والفكرية أشرب الى وأدعى بالانتجاع ، فضلا عن نفور أصيل عندي من التقييد بالحزبية في الرأي أيا كان مقصدها في السياسة أو الأدب أو الثقافة على الاجمال (٣) .

(١) عباس محمود العقاد : نفس الرجوع ص ٥٥٠ .

(٢) عباس محمود العقاد : الرجوع السابق ص ٥٥٠ .

(٣) عباس محمود العقاد : سعد زغلول ص ٣٠ .

والخلاف الطبيعية هو الذى جعل لى سببلا فى المسائل القومية غير  
السبيل اتي كان يختارها مصطفى كامل فى كثير من مواقفه العامة .. فلم  
يعجبنى موقف المصرى المتوسل أمام تمثال فرنسا يناجئها وينادئها :

يا فرنسا يا من رفعت البليبا  
عن شعوب تهزها ذكرك  
انتذى مصر ان مصر بسوء  
وارضى النيل من مساوى الهلاك

« ولم يكن أب فرنسا ، ولا ما اطلعنا عليه من تاريخ ثورتها ، داعيا  
عندنا للثقة بنجبتها واستعدادها لانقاذ مصر أو سواها ، ولم تكن طبيعى  
التي تأبى طلب المعونة من القاديين عليها كما تأبى طلبها من العاجزين  
عنها مما يقطنى بإمكان التمويل فى قضية الاستقلال على معونة دولة قط ،  
من الدول الكبار أو الصغار(١) »

ولهذا أيضا لم يعجبنى تطبيق الاستقلال المصرى بالسيادة العثمانية ،  
لأننا على عطفنا الدائم على الدولة العثمانية فى مكافحتها للتعصب الأوربى  
لم تكن نفهم أن هذا المطف ينتهى بجهدنا الى الرضا باستقلال تشرف  
عليه سيادة دولة أخرى ، وقد كان مصطفى كامل يمزج كثيرا بين المصرية  
والعثمانية حتى فى أحاديثه الخاصة .. كما قال فى جوابه لسؤال الجنرال  
« بارنج » شقيق لورد كرومر : هل أنت مصرى أو عثمانى ؟ فكان جوابه ا  
مصرى عثمانى ، وعجب الجنرال بارنج فعاد يسأله : وكيف تجتمع  
الجنسيتان ؟

قال مصطفى : ليس فى الأمر جنسيتان ، بل فى الحقيقة جنسية واحدة ،  
لأن مصر بلد تابع للدولة العلية ، والتابع لا يختلف عن المتبوع فى شئ من  
أحكامه(٢) .

وكان المقاد ينشد من ثورة مصر أن تبدل النظم الاجتماعية أو  
السياسية .. وهذا ما يأخذ على ثورة مصطفى كامل فى أنها تنحصر فى  
الثورة على الاحتلال فلم يكن فى نزعات نفسه ، ولو تيسر ضعيف من

(١) عباس محمود المقاد : رجال عرفتهم ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) عباس محمود المقاد : المرجع السابق ص ٤٨ وما بعدها .

الثورة على المساوي، الخديوية، ولم يختلف في كثير ولا تليل عن ابننا. عصره في تعظيم الألقاب الرسمية واعتبارها « انعامات » مشرفة لمن يتلقاها (١).

ولله من المفيد في هذا الصدد أن نذكر أن وطنية مصطفى كامل كانت وطنية عاطفية فكان خطيبا قنبل أن يكون مفكرا ، أو بمعنى آخر كانت عقلية ثورية تقترب من عقلية الأستاذ الامام عقلية تطويرية لا ثورية ، وهو ما يمكن تسوله بالنسبة لعقلية عباس العقاد ، فهي عقلية تطويرية بمفهوم هذه الكلمة الواسع .

وعندما فكر عباس العقاد في أي طريق يختار كان يدرك أن الزعامة السياسية لا تخلو من أخطاء في الحياة العامة أو الخاصة وربما كانت زعامة مصطفى كامل أمثل الزعامات خطأ في أوائل دعوتها !

يقول العقاد : « لست أذكر أنني تبينت هذه الأخطاء أو تبينت غيرها من الأخطاء السياسية بحشا وتفكيرا وامعانا في تحقيق المطالب الوطنية وتحقيق أساليب العمل لها والوصول إليها .. فان هذا البحث جهد لا يطيقه عقل صبي في الخامسة عشرة أو شباب فيما دون العشرين وهي سنن يوم عملت في الصحافة اليومية ، فلا أذكر - اذن - أنني أحججت عن الاشتراك في حزب مصطفى كامل بعد البحث المنفصل والموازنة الواضحة بين مقاصد الزعامات السياسية وطرائق الزعماء في ذلك الحين ، ولكن الذي أذكره جيدا أنني كنت أقرأ مقالات مصطفى كامل وأسمع خطبه فأحمد له غيرته وأعجب بصدقته في جهاده ، ولكنني أراني أمام منهج من الكتابة والقول غير المنهج الذي اتلفى منه رسالة الفكر والعاطفة وتستجيب اليها بديهتي المتطلعة الى الوعي والمعرفة فان ذلك الأسلوب « الخطابى الشورى » الذى كان له أبلغ الأثر في جمهور مصطفى كامل لم يكن هو ذلك الأسلوب المختار الذى عهدته فيما أعلمت عليه من كلام مقروء أو كلام مسموع .

ولعل شهر الأمثلة للأسلوب « الخطابى الثورى » اذى كان ذريعة للتأثير الكبرى في خطب مصطفى كامل توله في خطبة زيزينيا الكبرى وهي اقوى خطبه وآخرها قبل وفاته اذ يقول :

« بلادى .. بلادى .. لك حبي وموآدى ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فأنت أنت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصرر .. »  
ويعقب العقاد على هذه الخطبة قائلا :

« فان هذا الإطناب وما شابهه لا يعطيني ما أتطلبه من الانتعاع ولا

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٤٨ .

من العبارة الأدبية عن المواطن ، وإنما هو أنسبه بحضات النفر تنكسر على وتيرة واحدة لتحفظ بأعصاب السامعين في طبقة مشحونة من الانفعال والتنبية ، سواء كان هذا الانفعال للوطنية أو لغربا من العقائد الشعورية (١)»

ونخلص من ذلك الى ان مصطفي كامل - كما يقول العقاد بحق - كان نعم الزعيم على منهجه وسجيته ، ولكن زعامته كانت تتسع في عصره - وبعد عصره - لزعماء آخرين على مناهجهم وسجاياهم ، لان الوطنية المصرية كانت تشمل مصطفي كامل بكل ما احتواه من غيرة وحماسة ، ولكنه رحمه الله لم يكن يستوعب الوطنية المصرية بكل ما تحتويه أو ينبغي أن تحتويه (٢)

ويجد العقاد ما يفتقده في الحزب الوطني ، لدى تيار « مصر للمصريين » الذي ارتفع مناديه به صوت لطفي السيد في حزب الأمة ، مع خيرة من تلاميذ الأستاذ الامام .

وفي الواقع لقد كانت « الجريدة » مدرسة فكرية استقامت على مذهب ودعوة واسلوب ، وقد جذبت اليها كثيرا من الرواد الذين اعتنقوا مذهبها ودعوتها واسلوبها كما التفت حولها ونشأ في رحابها كثير من الشباب النسابه من الجنسين وكانوا موضع رعاية وعناية رئيس تحريرها أحمد لطفي السيد فكان من اهتمامهم بهم أن أفسح لهم مجال الكتابة على صفحات الجريدة ، كما تعهد أساليبهم ومعارفهم بالمثل والتهديب وترأثهم بالتوجيه والارشاد ، بل بلغ به هذا الاهتمام أن كان يستقدم لهم خيرة المحاضرين في مختلف العلوم فيحاضرونهم في دار الجريدة .

وقد فتحت صفحات « الجريدة » للكتابة الأدبية بأقلام ناشئة الجيل الحديث ، وكانت تفسح في صفحاتها الأولى - الى جانب المقال الافتتاحي - موضعا لقصيدة عاطفية أو مقال طريف من مقالات الوصف والنقد اللغوي ، وترددت على صفحاتها أسماء محمد حسين هيكل وطه حسين ومحمد السباعي وعبد الرحمن شكرى وإبراهيم عبد القادر المرنى والغاياتي وسلامة موسى ومحمد توفيق دياب وعباس العقاد .

وكان عباس العقاد يرسل مقالاته أو مقطوعاته الشعورية بالبريد فتنتشر

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٥٠ .

(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٥١ .

بعد يوم أو يوهين من وصولها ، ويذكر العقاد ، انه قدر لاحدى مقالاته انها لا تحل عند قلم التحرير محل الترحاب اذا وصلت اليه محسولة من مدير التحرير ، فتعمد أن يسلمها الي المدير بدا بيد ، ولم يجد صعوبة في لقائه عندما تصد الي مكتبه علي غير ميعاد . . . وكانت مقاله نقدا للكتاب الأستاذ محمد لطفى جمعة عن « كلمات نابليون » . . . وكان الأستاذ جمعة قد نقل بعض هذه الكلمات كما ترجمها العقاد بحروفها ولم يشر الي هذه الترجمة ، كما ذكر العقاد ، ولما نيه الي ذلك في تعليقه علي كتاب الأستاذ محمد لطفى جمعة تذكر انه صديق لاكثر المحررين « بالجريدة » . . . فكان ذلك من دواعي التذكير لدى العقاد في لقائه لطفى السيد لتسليمه المقالة ، ولا رضاء فضول الشباب برؤية ذلك « الفيلسوف » الكبير الذي كان الشباب ينزاون له ولا يرونه .

ويذكر العقاد أن مدير الجريدة استقبله استقبال الرعاية والترحاب ثم تصفح المقالة علي عجل وامر بارسالها الي المطبعة علي الاثر ، وهو يقول ميتسما : الا تخاف من نابليون يا ابني ؟؟ . . .

قال العقاد وهو : يعلم ان كلمة الديمقراطية من أحب الكلمات الي لطفى السيد واكثرها ترددا علي لسانه وقلبه : « الحمد لله علي نعمة الديمقراطية (١) ! ! . . .

والواقع ان هذا التيسار كان اقرب ما يكون الي العقاد ، لما يتسم به من طابع فكري وعلمي ، وهذا الطابع يتفق مع تكوين العقاد الفكري والثقافي وبديهيته المتطلعة الي الوعي والمعرفة .

ولكن هل انتمى العقاد الي تيار حزب الأمة وجريدة الجريدة ؟ ؟ .  
الواقع أن العقاد لم ينتم الي هذا الحزب كما لم ينتم الي اي حزب آخر من الأحزاب الثلاثة .

ويرجع ذلك الي تكوين العقاد الاجتماعي قبل كل شيء ، وتكوين حزب الأمة الاجتماعي الذي ضم بين اعضائه ابناء المائلات وفضة كبيرة من السروات واصحاب الجاه والثراء في البلاد ، وكانت الصلة الجامعة بينهم كافة أنهم من « غير الرضى » عنهم في قصر الأمير (٢) . ولذلك فقد كان العقاد كواحد من ابناء الطبقة الوسطى الصغيرة في تكوين المجتمع المصري ، يحس بأن أعضاء هذا الحزب بعيدون عن الشعب الحقيقي تماما .

(١) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ص ٢٢٧ .

(٢) عباس محمود العقاد : الرجوع السابق ص ٢٢٦ .

ونرجح أن الموقف الذي اتخذته العتاد من التيارات المتصارعة كان متفقا تماما مع شخصيته ومتسقا مع تفكيره ، وكان لايد من البحث عن طريق جديد ينسقه العتاد وسط هذه التيارات العنيفة التي كان وجودها مجتمعة ضرورة انقضتها الحركة الوطنية في ذلك الوقت .

### خلفية الصورة

إذا كان لاختلاف الأيديولوجيات اثرها العميق في توجيهه الجريده من الجرائد نسان هناك جانباً لا ينبغي اغفاله له اعتمق الاثر في خط سير الصحيفه ، ونعنى به القومات المادية التي تعتمد عليها الصحيفه في القيام بتكاليفها ، فسان الصحيفه التي ينفق عليها حزب ذو برنامج معلوم غير الصحفه التي تنفق عليها شركة تجارية ، وغير الصحيفه التي تقوم على التوزيع او تقوم على الاعلانات او تقوم على الاشتراكات السنوية والدورية ، ويمثل هذا الجانب ما يمكن أن نسميه « خلفية الصورة » .

وإذا كنا في الفصل السابق قد حاولنا رسم القومات السياسية التي تمثل الملامح الرئيسية للعصر ، فاننا نجد في خلفية الصورة ظلال أشخاص « كالوكلاء » مثلاً لهم دورهم في حياة الصحيفه من الصحف ، بينما المحررون ذوو الأضلام هم الشخصيات ذوات السمات المحددة .

ولقد كتب العتاد فصلاً عن « الصحافة قبل خمسين سنة » في مذكراته ، عالج فيه الصحافة من بابها الخلفي ، والواقع أن هذه الزاوية ما كان للمؤرخ الذي لم يعاصرها أن ينفذ إليها .

ولقد كانت الصحافة في هذه الفترة - كما يجب استاذنا الدكتور عبد اللطيف حمزة - أن يسميها « في عهد البداوة » فلقد كان يكفي لرجل من رجال الصحافة العربية في القرن الماضي - كاديب اسحق - أن يقول أنه يريد أن يصدر صحيفه وأن يصدر بالفعل هذه الصحيفه وليس معه أن ذلك أكثر من عشرين فرنكاً(١) .

كما كان يكفي لرجل كالسيد عبد الله النديم أن يحصل على أمر من نظارة الداخلية بأصدار مجلة أو جريدة حتى يصدرها في اليوم التالي وليس في جيبه الا بضع جندييات هي جزء من تكاليف الورق والطباعة (٢) .

(١) د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة ط ١ ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع السابق .

ويحدثنا التاريخ عن السيد على يوسف انه اصدر صحيفة المؤيد اليومية وهي الصحيفة التي لعبت دوراً كبيراً في حياة مصر السياسية والاجتماعية واستمرت تلعب هذا الدور الخطير زهاء خمس وعشرين سنة كاملة - ولم يكن عند السيد على يوسف من المال كثير ولا قليل فافترض من صديق له هو الشيخ احمد ماضي - مائة جنيه اصدر بها الجريدة . ثم اختلف الرجلان بعد ذلك . وكادت المؤيد ان تتوقف عن الصدور لولا ان قيض الله اذ ذلك رجلاً عظيماً من رجالات مصر هو « سعد زغلول » فامد صاحب المؤيد ببعض المال الذي سدد به دين صديقه الشيخ احمد ماضي . وبالجهد الباقي من هذا المال الطليل استمر في اصدار الجريدة (١) .

ومن المعروف ان موارد الصحيفة تتكون من خمسة مصادر رئيسية ، منها ثلاثة مشروعة واثنان غير مشروعين .

فاما المصادر المشروعة فهي :

- ١ - التوزيع والاشتراكات .
- ٢ - الاعلانات .
- ٣ - عطيات الطباعة التجارية لحساب آخرين .

وأما المصدران غير المشروعين فهما :

- ١ - المساعدات المالية من الدول الأجنبية ، التي تستغل الصحيفة لأغراض الدعاية لها .
- ٢ - الرشوة سواء من الداخل أو الخارج ، من الحكومات أو الهيئات الاعلية والأفراد(١) .

وفي الواقع لقد كانت الصحافة في عهد بدايتها قليلة التكاليف والمطالب ، ولكن هذه المطالب مهما كانت قليلة ، فان الموارد التي كانت تعتمد عليها الصحيفة من الصحف كالاشتراكات وثمان النسخ الموزعة وأجور الاعلانات ، وهي موارد مشروعة . هذه الموارد لم تكن تكفي لاتفاق على الصحيفة الى امد طويل ، ولكنها مع ذلك لم تكن خالية من عنباتها وموانعها ولا من جرائر الخلل الدائم في وسائلها ومواعيدها . فلم يكن للصحيفة المنتظمة بد من مورد آخر غير الاشتراكات وغير البيع وغير الاعلانات ، وهو كذلك مورد

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٢ .

(٢) د- حسن بن عبد التاجر . ادارة الصحف ص ٤٧ .

مضطرب معرض بطبيعته للفوضى وتبدل الأحوال ويعنى به مورد « إعلانات السرية » من أصحاب الدعايات ، ومعظمها دعايات تصدر من قصور الملوك والأمراء أو من دواوين وزارات الخارجية والسفارات (١) .

ويعتبر التوزيع في حقيقة الأمر المصدر الأساسي لإيرادات الصحف ، والصحيفة تطبع أولا قبل كل شيء ليشتريها القراء ويحفوا ثمنها نقدا ، سواء عن طريق الاشتراكات التي تدفع مقدما أو عن طريق البيع بالنسخة واستلام الثمن في الحال (٢) .

وكانت الاشتراكات لصحفية قبل خمسين سنة - من الموارد الثابتة المنتظمة بالقياس إلى موارد الصحف في العصر الحاضر لأن الصحف في العصر الحاضر تعتمد على البيع في الأقاليم ولا تعمل كثيرا على الاشتراكات ولم تكن وسائل البيع في الأقاليم ميسورة للصحف اليومية فضلا عن الأسبوعية أو الشهرية إلى زمن قريب (٢) .

ويقول العقاد ان الاشتراكات كانت خليفة ان تمد الصحف بمورد نافع لو حلت من موانعها وعثراتها ولكنها كانت في الواقع مولودة بموانعها وعثراتها .

وكانت الاشتراكات تعكس ظاهرة اجتماعية ، فأعيان الريف يجنون أن يشتركوا في الصحف اليومية لأنها مظهر من مظاهر الوجاعة و « الأمية » في القرية أو البلدة الصغيرة ولم يكن بالتليل بين مظاهر الوجاعة اليومية ان يحضر ساعي البريد إلى الدار يوميا ليديق الباب على مسمع من الجيران وينادي بصوت مسموع يشبه صوت النادى باسم « المحكمة » في ساحة القضاء :

- « بوســــطة » ! !

فاذا بالحي كله يترقب « سماعا » جديدا بعد هذا النداء ، يحيط بانحاء الأرض والسماء ويتحدث عن المسكوف و « الانجلطرا » وملك « فرنسا » أو الجمهور كما كانوا يسمعون عنه منذ أيام حملة نابليون ، ويتخللها بالأسطورة الطريقة التي تسمى بالترنسفال وبينها وبين السودان الوفاء الأميال ، وياله من « واقع » وراء الخيال ! !

(١) عباس محمود العقاد : حياة قائم ص ٧٤ وما بعدها .

(٢) د. حسنين عبد القادر : نفس المرجع ص ٤٨ .

والم يمكن الوجبة الريفية يماطل الصحفية بقيمة الاشتراك حبا في المطال .  
نلم يكن يبخل بئمن هذا المظهر ولكنه وجود به عن طيب خاطر لو وجد  
امامه من يقيضه لحساب الصحفية وابن عزا الذي يقيضه لحساب الصحفية  
ويؤديه بالامانة والوقاس (١) ؟ ..

ولقد كانت الصحف ننشر بين اونه واخرى ، حبرا مكررا عن الوكيل  
« فلان » اذى العى نوكيله واصبح غير معتمد في تحصيل الاشتراكات ..  
وكانت هذه الصحف ننشر قبل ذلك اعلانا موجها الى وكيلها في عدا الاقليم  
او ذلك تتنبهه الى موعد اسداد وتلوح له بالتهديد والانداز .. وتد ينفذ  
التهديد مسرة ولا ينفذ مرات ، ولكنه يعاد تم يعاد ويتجدد مع الوكيل  
الجديد مرة ومع الوكيل القديم تارات ولا تستغنى الصحفية عن مراجعه  
الوكيل لتقديم لعله الوكلاء المتخصصين لهذه الصناعة او المدرجين عليها في  
معاملة الصحف والمشاركين والوظفين وانفراد « الجمهور الصحفي » على  
التعميم . ويذكر العقاد ان الوكيل كانت له فنون في معاملة الموظفين واغرائهم  
بالثناء او تهديدهم بالانتقار والانتقار ولا غنى له عن هذه الفنون لانه حان  
يستعين على الدوام بالموظف الكبير والموظف الصغير في تحصيل « حق »  
الصحفية و « حقه » هو في سوقه السوداء من وراء الستار ..

والواقع ان الصحف كانت مضطرة على مضمض ان تقبل الوكيل في تحصيل  
الاشتراكات ولا حيلة في قبوله على معاملاته ، لان معاملات الصحف لم تكن  
في ذلك العهد قد ثبتت ذلك الثبات الذي يسمح « بتكوين » طائفة من الاعوان  
المدرجين ينتظرون لها ويثابرون عليها ، فسادا نجح من الوكلاء واحد من  
عشرات فانما ينجح بعد ابتلاء الصحفية بخسائر عوا العشرات ، على  
دفعيات ! ..

ويذكر العقاد ان الوكيل على عيبه هذا - لا يستطيع ان يعمل في بلاد  
يجعلها ولا يقيم بين ظهرانيها .. فلا بد له من موطن في اقليم يعرفه ، ولا  
يتسع هذا الاقليم الجديد لاكثر من مئتي مشترك على اكبر تقدير .

ولا يصل الى خزنة الصحفية الا القليل .. جسد القليل ، من بعد المطال  
والعمولة والسوق السوداء ! ..

وكل صحفية احتاجت الى هذا القليل ، فقد كان عليها ان تقبل وسائله  
وتتجرع غصصه وتغضى عما عمله من عيوبه ومحظوراته .. ويذكر العقاد

(١) عباس محمود العقاد : حياة علم ص ٧٥ .

مذها ان الصحفية تنشر كل ما يصل اليها من رسائل الوكيل او من مدانحه  
واماجيه في الواجه لانها « عدة العمل » التي يعمل بها ، ولا عمل له  
بغيرها ، بين « عيان و موظفين ٠٠ فمن تصدى لتحصيل الاشتراكات -  
وتحصيل غيرها في السوق السوداء - فلا أمل له في محصول ينفعه وينفع  
انصيفه بغير تخويف واعراء ، ولا ضمير بالتخويف والاعراء في سبيل  
الخدمه العامه والصلحه القوميه ولكنه لضير دل انصير على الوكيل « الريب »  
الذي يستطيع ان يجمع انسات من نذعه هنا وادويه عناك ثم يتركها  
ليجمع نعتسرت وما دون العشرات(١) .

ويذكر العقاد صحافه تخصصت في « الهجاء الاجتماعى » واصحاب  
عذه الصحافه كانوا يقومون « بتحصيل ضريبه الوجاعه والهيبه » في المجتمع  
الصرى اذ ذاك .

وكان « احمد فؤاد » صاحب صحيفه الصاعقه اشهر الصحفيين من  
ابناء جيله في تمثيل ذلك الدور الذي عرفناه في صحافتنا بعد ظهور الصحف  
السياره عندها وانتشارها في اواسط القرن التاسع عشر ٠٠ ويرى العقاد  
ان « فؤاد الصاعقه » كان ممثلا في المجتمع المصرى لدور واحد على صورتين :  
صورة تظهر في محيط الادب الشعبى وهى صورة « الادبائى » المتجول بين  
بين بلاد البريف والحضر ٠٠

وصورة « مفصحة » من هذا الادبائى وهى صورة الأديب « الريب »  
المحتال لعيشه في لغة المقامات ، واسم « ابو زيد السروجى » في مقامات  
الحريرى عنوان عليه (٢) .

والصورة التى يرسمها العقاد لوكيل الصحيفه ليست تاتمة الى هذا  
الحد ، فهو يذكر ايضا انه رأى في ذلك العهد أناسا عملوا في وكالة الصحف  
يدينون انفسهم بنزاعه القاضى وأمانة الطبيب ، ويشغلون بهذه الصناعة  
لأنها ( حوايه ) تسلا الفراغ بالرحلات والمنايات في غير عنف ولا اضطراب  
ولكنهم تسخوذ القاعدة الذى ييمت فيها التناؤل كلما اطبقت علينا ظلمات  
السؤم والقنوط ٠٠ اما القاعدة المطردة يومئذ فقد كانت صفحه من صفحات  
الصحافه الحالكه في تطورهما الأخير ، كما يقول العقاد ، وكانت « تصنيفه »  
الوكلاء الصحفيين في القرن العشرين تدل على المورد الذى تتسرب منه  
اشتراكات الأتالميم فهى « تصنيفه » يتلانى فيها الكاتب العمومى المتجول

(١) عباس محمود العقاد : حياة قلم ص ٧٤ .

(٢) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم ٢٦٤ .

وقسارى: الأعراس والمآتم وماذون الشرع المفصول . وصاحب الصناعات  
التي لا تحصى ٠٠ لانه « متشرد » عام يشتغل بجميع الصناعات (١) ٠٠!

#### التوزيع :

واما من حيث التوزيع فكانت النسخ توزع عن طريق المتعهدين الذين  
يشتمون النسخ على الصبية من باعة هذه الصحف في الطرقات العامة .  
ويذكر العقاد في مذكراته عن الصحافة من ٥٠ سنة ان التوزيع بأيدي الباعة  
كان موردا للصحف اليومية اعم من مورد الاشتراكات وأيسر منه في مناعب  
التحصيل . ولكنه لو اجتمع برمته من جميع الصحف الكبرى التي كانت  
تصدر في القاهرة قبل خمسين سنة ، لما كان فيه الكفاية لاصدار صحيفة  
يومية واحدة في هذه الأيام .

ويذكر العقاد ان أربعة أشخاص النسخ المعدة للبيع كانت توزع في  
القاهرة وضواحيها ٠٠ ولولا أن الاسكندرية كانت مستعدة بموزعيها المشتغلين  
ببيع الصحف الأجنبية لما تاتي تدير مسألة التوزيع فيها ٠٠

وفي الحديث عن التوزيع يصور العقاد شخصية « المعلم عكريشة »  
وهي وان كانت تكمن اليوم كظل خافت في خلفية الصورة الى جانب صور  
« الوكيل » وغيرهما من الشخصيات التي تمثل دور الظلال في تاريخ الصحافة  
المصرية . كانت في وقتها تتربع في مقدمة الصورة .

يقول العقاد أن المعلم عكريشة كان يجلس الى ناحية الكتب وفي يده  
الجوزة التي لا تفارقه ، وأذناه الى الكاتب الذي يسأل « أولا فأول » عن  
عدد الوارد من كل صحيفة ، الى أن يتم الوارد من جميع الصحف اليومية  
ثم تبدأ عملية التفريق على المساعدين من المتعهدين مانصاف المتعهدين فالباعة  
المتفرقين ولا يكلفك الأمر أكثر من جولة سريعة بالنظر في هذه الزاوية الضيقة  
لتحصر كل ما صدر من صحف مصر الكبرى في ذلك النهار : المؤيد واللواء ،  
والأهرام ، والمطعم ، والوطن ، ومصر ، والظاهر ، والراوى ، والجوانب  
المصرية ، والمحروسة في بعض الأحيان .

وكأنت هذه الصحف تصدر معا في وقت واحد بين الساعة الثانية  
والساعة الثالثة في المساء ، ويحملها عمال عكريشة أو عمال الصحف  
من مطابعها الى الزاوية المعروفة فلا تلبث « عملية » النقل والصف والتفريق  
أكثر من ساعة واحدة بنصف حملتها ٠٠ وما كانت صحف القاهرة الكبرى

(١) عباس محمود العقاد : حياة نظم ص ٧٤ وما بعدها .

تحتاج الى مكان للتوزيع اوسع من « زاوية عكريشة » على جانب من  
رصيف المحكمة المختلطة بجوار العتبة الخضراء ..

ولم تكن « زاوية عكريشة » هذه مكتبا ولا شبيه مكتب ، ولكنها  
كانت منضدة من مفاصد الكتبة الموميين على ذلك الرصيف .. وكان المعلم  
« عكريشة » متمعد بيع الصحف جميعا يستعيرها في مبدأ الأمر من كاتبها  
الذي يستغنى عنها بعد الظهور - اى بعد الفراغ من كتابة المرائض للمحكمة  
وكتابة الرسائل لصندوق البريد - ثم بدا له ان يشتريها وكاتبها جملة  
واحدة ، لتساع دائرة العمل وزيادة الاقبال على الصحف اليومية بعد قيام  
الأحزاب السياسية - على أثر قضية دنشواى ..

ثم يخلو الرصيف الا من المعلم عكريشة وكاتبه ومنضدته وقلمه الذى  
يحملة وراء اذنه الى ان يودعه مكانه في الدواة النحاسية الصفراء .. ومتى  
خلا الرصيف هناك لم يبق مكان في القاهرة خلوا من صبي من صبيان

المعلم الكبير ، تكاد تحسبهم اسرع من الترام لانهم يصلون حيث لا يصل  
الترام ، وتكاد تختلط أصواتهم بأصوات بائعى الخضر والفاكية ، ومنها  
النداء على « الوطن ومصر العسال » (١) !

ولم يكن توزيع الصحف في ذلك الوقت يزيد على خمسة آلاف للصحيفة  
الواحدة ، لأنه الحد الأقصى الذى تنلغه طاقة المكنتات الطباعية ، قبل وصول  
مكنتات البخار والكهرباء ، وان كانت جريدة « المؤيد » سبقت في استخدام  
ماكينة الروتاتيف ، وقد ارتفع رقم توزيعها عن الصحف الأخرى الى حد  
كبير ، ويذكر مؤرخوا الصحافة في مصر (٢) ان عدد نساء الصحف قد بلغ  
في الوقت الحاضر أضعاف اضعاف ما كان عليه في أواخر القرن الماضى .  
وكان هذا نتيجة طبيعية للعوامل الآتية التى خلقت وعيا قوميا جديدا في  
الشعب :

**أولا :** زيادة عدد السكان وتضاعفهم فقد قفز عددهم من ٩ مليون  
نسمة تقريبا في سنة ١٨٩٧ الى ما يزيد على ١٩ مليون نسمة سنة ١٩٤٧  
وهو الآن يربو على ٤٧ مليون نسمة . ويعنى أن عدد السكان قد بلغ  
نحو خمسة أمثال ما كان عليه في مطلع القرن العشرين .

(١) عباس محمود العقاد : المرجع السابق .

(٢) راجع د . حسين عبد النادر : إدارة الصحف ص ١٥٦ .

**ثانياً : النهضة التعليمية في مصر خصوصاً بعد دستور ( سنة ١٩٢٢ )**  
والتعليم الإلزامي للجنسين وانشاء الجامعات المصرية وفتح أبوابها للجنسين  
والتوسع في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والفنى مما جعله بالمجان ،  
ومكافحة الأمية بين أفراد الشعب من الذكور والإناث ، وانشاء ادارات  
للتقافة الجماهيرية التى تنشر الثقافة بين الكبار اللذين بالقراءة والكتابة ،  
مع الزيادة الهائلة في عدد المدارس الحرة الابتدائية والثانوية واعانة الحكومة  
لها ، وتكفل الدولة بدفع مرتبات مدرسيها .

**ثالثاً : تضاعف عدد موظفي الحكومة والهيئات الشبيهة بالحكومة**  
والشركات والمصارف للتوسع في الأعمال العمرانية . وتحسين مرتباتهم في  
السنوات الأخيرة مجاورة لروح العدالة الاجتماعية ، التى تسود هذا العصر .

**رابعاً : النهضة الاقتصادية في مصر وزيادة الدخل القومى وتحول البلاد**  
تدريجياً نحو الصناعة بجانب الزراعة . والزيادة المطردة في عدد العمال  
والصناع . . . ومعروف أن المجتمع الصناعى يكون عادة أكثر حيوية واهتماماً  
بالمسائل العامة والحياة الثقافية من المجتمع الزراعى ، وذلك بحكم ارتفاع  
مستوى المعيشة نسبياً بين الصناع . ومعنى هذا أن التطور الصناعى في  
مصر جلبت فئحة جديدة من تراء الصحف لم تعهدهما الصحافة المصرية من  
قبل .

**خامساً : دخول المرأة المصرية ميدان العمل بجانب الرجل ومساهمتها**  
في النهضة السياسية والاجتماعية والثقافية . وقد بدأ هذا على نطاق ضيق  
بعد الحرب العالمية الأولى . ثم اخذ يتزايد بالتدريج بين الحريين  
العالميتين . وتضاعف بعد الحرب العالمية الثانية . فهؤلاء النساء يكون  
تسماً لا بأس به من قراء الصحف(١) .

#### **الإعلانات :**

مما لا شك فيه أن الصحافة الحديثة أصبحت تعتمد على « الاعلان »  
اعتماداً كلياً ، فأصبح الاعلان يتشكل ٦٠٪ من دخل الصحافة وأموالها وأما  
الـ ٤٠٪ الباقية فمن طريق التوزيع والاشتراكات . . . ولذلك فالصحيفة لا  
تستطيع أن تنسقط الاعلانات من حسابها ثم تطمح في البقاء واستيفاء أبواب  
الأخبار والتعليقات ، ولكن الصحيفة في عهد البداوة كانت تستطيع - كما

(١) د- حسنين عبد القادر : المرجع السابق ص ١٥٧ .

يقول المقاد - بلا تردد أن تسقط اعلاناتها من عدما الأول ثم لا تفقد شيئاً يعونها أسبوعاً عن الصدور .

ويرجع ذلك في نظر المقاد ، الى وجود عائقين طبيعيين لظهور « الاعلان الصحفى » الى سنوات قليلة مضت ، لعلها هي السنوات التى ظهرت فيها أول شركة للاعلان الصحفى في هذه البلاد . وهذان العائقان الطبيعيين هما التقاليد الموروثة والأمية معا .

كان من التقاليد الموروثة أن يشتري الانسان لوازمه ( المهمة ) من حيث اشتراها أبوه وجده . . .

وكان الريفى ينزل القاهرة لشراء لوازم الفرح ، أو لوازم البناء والأثاث فيذهب الى أمكنة معروفة بأسمائها لا تتغير من جيل الى جيل . وكلهم يعرف عناوين مذكور والموردى والجمال والحصانى ومخازن الحدائد والأخشاب في ناحية التلمسة وسوق السلاح ، ولا نظن أن متجراً من متاجر القاهرة المشهورة نشر اعلاناً واحداً ليكسب به « زبوناً » لم يكن يعرفه قبل ذلك الاعلان(١) . . .

أما المتاجر الصغيرة التى تباع فيها لوازم البيوت اليومية ، فقد كانت معروفة في أحيائها وقراها بغير حاجة الى اعلان مكتوب .

لهذا بقيت اعلانات الصحف سنوات عدة وهى مقصورة على اعلانات البيوع التضامنية اعلانات الوفيات أو اعلانات « ختمى فقد منى وليست على ديون ولم أوقع على سندات أو كمبيالات .

ويقول المقاد أن « اعلانات ( الأختام ) وحدها عنوان صادق لنصيب الصحف من قراء الاعلانات . . . لأنها عنوان للأمية التى تعجز عن كتابة الأسماء ومع هذه الأمية لا اعلان ، ولا شراء للاعلان ! . . .

والاعلانات كمورد من موارد الصحيفة مورد مشروع ، ولكن الحكومات المسابقة في مصر حولتها من مورد مشروع الى مورد غير مشروع ، ويذكر

(١) عباس محمود المقاد : نفس المرجع .

الاستاذ سلامة موسى أن الاعلانات كانت توزع على الصحف المصرية لا لانتفاع  
بانتشارها حتى تصل الى المحتاجين اليها فيعرف منها المقاول مثلا  
أخبار المزايدة أو المناقصة أو نحو ذلك . وانما كانت توزع « بالمحاياة »  
الصريحة بحيث تعود عدية أو رشوة من أحد الوزراء لأحد الصحفيين  
نحسب .

أما خدمة الدولة في مصالحها المالية فلا شأن لها أي شأن في نظر  
الوزير . بل كانت هناك مجالات اسبوعية لا يتكلف إصدار العدد منها  
خصمين قرشاً يحمل من الاعلانات الحكومية ما كانت تبلغ قيمته عشرين  
جنيهاً أو أكثر . وبعض الجرائد ، في بعض الأحيان ، يزيد ثمن الورق الذي  
تطبع به على ثمنه وهو جريدة مطبوعة . بل يزيد أضعافاً في بعض الأحيان .  
وانما يحصل أصحاب الجريدة على الربح من الأجرور العالية للاعلانات (١) .

وقد ذكرنا مصدرين غير مشروعين من موارد الصحيفة ، وهما المساعدات  
المالية من الدول الأجنبية التي تستغل الصحيفة لأغراض الدعاية لها ، والرشوة  
سواء من الداخل أو الخارج ، من الحكومات أو الهيئات الأعلى والأفراد .  
ويذكر العقاد في مذكراته أن مصاريف الصحف كانت على التحقيق أكبر من  
موادها التي تدل عليها حساب البيع والإشتراكات والإعلان . . . ولولا أنها  
أعتمدت في وقت من الأوقات على مورد « الاعلانات السرية » لما طال بها  
الأجل شهوراً ، فضلاً عن سنوات . وقد يتضح مبلغ الحاجة الى هذه  
الاعانة اذا علمت أن شركات البرق - كشركة روتوماغاس - كانت تتلقى  
اعانة رسمية من الحكومة المصرية ، وأن مطبوعات السفارات كانت تحال  
علانية الى بعض الصحف لطبعها ، مع وجود المطبعة الأميرية . ولم تكن  
مصادر الاعانة مجهولة بين العاملين في الصحافة والسياسة ، وإن لم تبلغ  
من الصراحة في زمن من الأزمان مبلغ الاعتراف المكتوب .

وربما انقسمت هذه المصادر في جملتها الى مصدرين اثنين على شيء  
من الدوام والانتظام وهما القصور الملكية ودواوين السفارات ووزارات  
الخارجية ، وقصر « يلز » في الاستانة كان مصدر القسط الأوفر من اعانات  
الصحافة والصحفيين المتطوعين . . . وقصر « عابدين » بمصر كان المصدر  
الأخر الذي يتأنسه يوماً بيوماً ويعمل معه يدا بيد في عامة الأيام . . .

(١) سلامة موسى : الصحافة حرفة ورسالة ، ص ٢٨ .

ويضيف العقاد الى ذلك أن نجل عباس المشهور كان يرسل يده عن  
التبرع بالمال من خزائنه الخاصة فكان يجبل أعوانه من الصحفيين تارة الى  
ديوان الأوصاف وتارة الى ديوان الرتب والنياشين(١) .

ويعد ٠٠ هذه صفحة مطوية من تاريخ الصحافة المصرية ساعدنا العقاد  
في الاطلاع عليها بما كتبه في مذكراته ، وكشفه للصحافة في بدء تطورها من  
الباب الخلفي ، رأينا أن نغرد لها هذا المكان لندري بعد ذلك ، كيف اندفع  
العقاد بكل ثقله الى احتراف الصحافة وهي المهنة المزدهرة ، وهل هيبت  
به صناعة الصحافة ، أم أن عباس العقاد وهو الذي ارتفع بصناعة الصحافة .

ونقول ان الصحافة كانت مهنة « مزدهرة » لأنها غير الصحافة التي  
نعرفها اليوم ، ويكفي أن نذكر هنا عدة أمثلة نبين كيف كانت هذه المهنة  
« مزدهرة » تماما كمهنة « الحمامة » التي لم تكن بالمهنة الشريفة التي نعرفها  
اليوم ، وإنما كانت صناعة وضيعة مبتذلة يشتغل بها من لا يحسب  
( المرافعة ) الا مجالاً للذيذة وطول اللسان ، ومن لا يحسب الفجاح في  
القضايا الا ضرباً من الاحتيال و ( السطارة ) يغش به القاضى ويغش به  
الوكيل ، ويعتمد فيه على الكذب والمراوغة والاختلاس ، ولم تكن المحامى منزلة  
في نظر النضا ، ولا في نظر العلية ولا السواد(٢) .

يذكر المفكر المصرى الكبير سلامة موسى الذى عمل بالصحافة في الفترة  
التي عمل بها العقاد ، أنه في سنة ١٩٢٣ احتج الى أن يستأجر مسكناً  
بالقاهرة ، وتصد اليه وعينه وارفضاه بأجرة شهرية قدرها سبعة جنيهات ،  
وشرع في كتابة عقد الايجار . وماهو أن فهمت مالكة المسكن أنه صحفى  
حتى انتفضت من مقدمها وهي تقول : « جرنالجي » ويدفع مئتين سبعة  
جنيهات في الشهر ؟ ورفضت التوقيع على العقد . ولم تجد معها المناقشة  
والشرح . يقول سلامة موسى : « وخرجت وأنا أتحشر في ثوب الخيبة » (٣) .

والواقع أن هذه الحادثة توضح بجلاء مدى نظرة المجتمع لمهنة  
« الصحفى » ، ولم يكن احتراف الصحافة أمراً مقبولاً مستمافاً عند الناس  
فقد كانوا يطلقون على الصحفى اسم « الجرنالجي » وهو الاسم الذى كان  
يطلقه السادة الأتراك على أصحاب هذه المهنة . وانتقلت عدوى الحط من  
تد هذه المهنة وعدم الاعتراف بها كمهنة شريفة الى المصريين .

(١) عباس محمود العقاد : نفس المرجع ص ٧٦ وما بعدها .

(٢) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة ونحبة ، ص ٧١ .

(٣) سلامة موسى : الصحافة حرفه ورسالة ، ص ١٧ .

وكان « الصحفي » كـ « المحامي » يأنف كل رجل « مستور » الحالة من معاملته فضلا عن مزاملته ومصاهرته .. وإذا نظرنا لمغزى قضية زواج الشيخ على يوسف صاحب أكبر جريدة في الشرق الإسلامي ونقصد بها « المؤيد » وتتلخص هذه القضية في أن الشيخ على يوسف تزوج من بنت الشيخ السادات على غير علم . وقدم السيد السادات بلاغا إلى النيابة يتهم فيه الشيخ على يوسف بأنه غرر بابنته .. وبحثت النيابة الموضوع فوجدت أن السيدة صفية قد بلغت سن الرشد فمن حقا شرعا ان تزوج نفسها .. وقد حضر الشران عدد كبير من أقارب العروس ، فليست هناك أية شبهة يمكن ان يستنتج منها أن الشيخ قد غرر بالسيدة صفية .. وحفظت النيابة البلاغ ..

ورفع السيد السادات دعوى عليه يطلب الغاء الزواج استنادا الى ان التشريعة تشترط لصحة الزواج وجود تكافؤ بين الزوجين .. وقال السيد السادات أنه يطعن في كفاءة على يوسف لابنته من ناحيتين : النسب .. والحرفة ! .. فالشيخ على يوسف من ناحية النسب لا ينتسب الى نسب رفيع كالمسادات ، وهو من ناحية الحرفة يحترف « مهنة الجرائد » التي هي كما قال في صحيفة دعواه - « أحقر الحرف .. وعار وشار عليه ! (1) » وحكمت المحكمة الشرعية بالغاء الزواج على هذا الأساس أي أن الصحافة مهنة غير شريفة ، ومحترفها لا يليق بمصاهرة أسرة شريفة .

وأنظر الى محامي المسادات يتسارن بين موكله المحترم الذي يعيش على املاك واسعة تركها له آباؤه الأماجد ( وهذه الفاظ المحامي ) ، وبين الشيخ على يوسف الذي يضطر الى العمل لكسب رزقه . ويحترف مهنة حقيرة هي الصحافة !! ..

ثم أفتى المحامي بأن « حرفة الصحافة في ذاتها دينية ويحرمها الدين الاسلامي ! ، وماذا ؟ ، لأنها تقوم على الجاسوسية والاشاعة وكشف الأسرار وهذا منهي عنه شرعا ! »

وفحوى هذه القصة أن المجتمع المصري في مطلع هذا القرن كان ينظر الى حرفة الصحافة على أنها حرفة مزارة في حد ذاتها .. وان قضية زواج الشيخ على يوسف تبين أن الشراء لا يفي عنه تهمة احتراف الصحافة ، لكي تنتقيه الأوساط الشريفة .

(1) راجع قضية زواج الشيخ على يوسف بالتفصيل في كتاب الأستاذ أحمد بهاء الدين أيام لها تاريخ ، .

ولقد كان للحكومة الاستعمارية الاستبدادية أثرها في تكوين هذه الفكرة لدى المجتمع المصري ، فهي كما يقول سلامة موسى ، كانت تطارد الصحافة باعتبار أنها تحمل راية النقد لإدارة يجب أن تبقى مستقلة عن أعين الجمهور ، وكانت أيضا تدعو إلى جلاء الإنجليز المحتلين لبلادنا ، ثم كان تأخر التعليم وتحديد عدد المدارس الحكومية يعمم الأمية أو يكاد بين طبقات الشعب فكان جمهور القراء صغيرا لا يذو جريدة يومية أو أسبوعية كثيرة النفقات فكانت أجور الصحفيين ، تبعاً لذلك ، منخفضة .  
ولذلك كانت جرائدنا على الدوام في إفلاس بين التعطيل والغرابة وحبس الحريين والمخبرين ، ولم تكن في حالتها هذه تنتج للصحفي أن يتربى التربية الصحفية ، وتند مات للسوء ، ومات بعده المؤيد ، ثم الدستور ، ثم الجريدة ، وهذا غير عشرات الجلات .. وأصبح الاعتقاد العام أن الصحافة مهنة خطيرة تؤدي إلى الحبس كما هي مهنة الفيلسوف أو المؤسكين على الإفلاس . ولذلك لم يكن يفيل عليها الأكفاء الذين يجدون عملا آخر يتبع لهم الطمانينة والكسب(١) .

بل وأكثر من ذلك - يقول سلامة موسى ، كثيرا ما كنا نجد الشبان يلجأون إلى الصحافة كما لو كانت مغيرا يهربون منه إلى وظيفة حكومية . وكثيرا ما حدث هذا . فإن المحرر أو المخبر بانهالاته بالوظائف كان يجد الفرصة لأن يتب من الصحافة إلى الوظيفة . ويترك الصحافة في غير أسف(٢) .

رضى عباس العقاد أن ينتهي إلى طائفة مزدارة ، وهو يعلم أن « الكرامة الشخصية » كافية وحدها لتكريم صاحبها « على الرغم من ضعف الصناعة التي ينتهي إليها وتضيوع الحرف باحتقارها بين عليا الناس وسوادهم » رضى العقاد أن يحترف الصحافة لأنه آمن « أن ألف دجال باسم الطرق الصوفية لا يمسحون من الضمائر قداسة الدين ، وأن ألف دجال باسم الصحافة لا يمسحون قداسة الكلمة » الحجة بين أناس يحتاجون إلى الكلمة حاجتهم إلى العمل في ساعة اليقظة من سباتهم الطويل ..

وعلى غير عادة الشبان - في ذلك الوقت - لم يتخذ عباس العقاد من الصحافة مغيرا إلى وظيفة حكومية ، وإنما هجر وظيفة الحكومة ليحترف الصحافة وكان بذلك أول موظف مصري - فيما نرى - يستقيل من وظيفة حكومية بمحض اختياره « يوم كانت الاستقالة من الوظيفة والانتحار في طبقة واحدة من الغرابة وخطل الرأي عند الأكثرين ، بل ربما كانت حوادث الاستقالة أندر من حوادث الانتحار » .

(١) سلامة موسى : الصحافة حرمة ورسالة ص ١٩ .  
(٢) المرجع السابق .

وعباس العقاد لم يولد في أسرة غنية توفروا أقل ضرورات الحياة أو أبسطها وقد اضطر إلى قطع التعليم - كما نعلم من سريرة حياته - للعمل بجنهيات تلبية في وظيفة حكومية متواضعة . يقول العقاد في مذكراته أنه تلقى خبر قبوله في الوظيفة الأولى التي أكرمه الظروف على طلبها « كأنه تلقى خبر الحكم بالسجن أو الأسر أو العبودية » .

وفي المقال الذي نشره في « الجريدة » (١) قبل استقالته يصف « الوظيفة » بأنها رق القرن العشرين . . . وقد استغرق هذا المقال نصف العمود الأول والثاني من الصفحة الثانية بالجريدة - وتلمح في هذا المقال تحدى العقاد للظروف التي تضطره وإمتهاله إلى أن « يلزموا أنفسهم وهم مطلق الحرية اطاعة رئيس متصرف ، أو محاسبة رقيب متصرف ، في عمل لا ينسبطوا لاتجاهه انبساط الزارع لحصاده ، والتاجر لاقتصاده » ويمضي العقاد في هذا المقال بروح ساخرة يصف هذا السرقة الجديد للإنسان :

« كذلك يصبح الشباب إذ تدور عليه دوائر الحكومة في سلسلة عمل : تتغير الطيبة من جذب إلى خصب ومن غيظ إلى فيض ، وهو لا يدرك طعم التجدد ولا يبصر إلا أوراقا تذهب وتمسود ، وانادات تصدر وترد على صوره واحدة وبكيفية متجانسة لا يدرى معها كيف يصرف ما أودع الله في عقله من بعد نظر ودقة فهم . . . فهو إذا أسرع في الكتابة فالمطبعة تنفقه في الاسراع ، أو استوعب كلام رئيسة فالحاكي بيده في اتقان السماع . أو لازم المواعيد فالساعة أدق منه في حفظ المواعيد ، أو انتقاد الأوامر فالآلات أمثل للطاعة وأميل للانقياد ، ولا يكاد يعمل بنفسه لنفسه إلا تحت ستار الليل حيث يبتاع لفحة يتيم بها أوده ، أو ملبسا يستتر به جسده ، وحيث يسلم نفسه لسultan النوم يخرج بها من عالم مجبول بالأذى إلى لحظة هي أسعد أوقاته ، والذ ما يجد في حياته » . ويستمر في وصف حالة الموظف فيقول : « حسبه من دهره أنه يكبح شهرا ليقفات أسبوعا ، وينفق قوته ليتصور جوعا ، عدا عجره ويجره ، ولا يروك منه بزة لو فحست غزلها لوجدتها منسوجة من عزوقه ، مصبوغة بدم كبده » .

« وكأنه يشعر بأن حياته ليست له وأنها وديعة عنده لرؤسائه فهو لا يأسف على ماضيها ويستعجل آتيها ، يذهب الساعات تلو الساعات ليذهب النهار فترات من تعب ، ويقضى اليوم عتب اليوم حتى يأتي يوم الجمعة فيتنفس قليلا من كربته ويعود الأسبوع بعد الأسبوع إلى أن ينتهي

(١) نشر هذا المقال بعنوان « الاستخدام » - أو رق القرن العشرين « بجريدة » الجريدة « العدد ٨٤ - ١٧ يونيو ١٩٠٧ م - السنة الأولى .

الشهر فيسر بالنظر الى مرتبه . ويلتهم الشهر وراء الشهر طمعاً في علاوة  
تأتيه آخر العام ، ويتناول السنة في ذيل السنة حتى يستحق المكافأة أو  
الماش . وهو بين الموت والحياة لا يملك من نهار عمره ما يجلو به تلك  
الصفحة السوداء ، وبينما هو على هذه الحال من اليأس اذا بالتاجر يدعو  
الله أن ينشب الحروب بين يوشع والمعمريين كل مساء ، والصانع يتعنى  
لو يقص جناح الزمن فلا يطير به ولا يجعل باطفاً لهبه ومع ما عرف  
عن الاستخدام من عبثه بالواجب وذمها به بالمارف ترى أن فريقاً من الشبان  
ينضجون عقولهم لتطرح على هذه المادة فلا يستلم احدهم شهادته باليمين  
حتى يسلمها باليسار . ولا يتكامل نفسه بعد مواصلة الدرس والذاكرة الا  
عند أبواب المصالح يفتش الجرائد وينتسب الاعلانات عن مقعد خال بين  
مقاعدنا الي أن يعثر به فيحسب انه أدرك ما تمنى » .

ويستقيل العقاد من الوظيفة الحكومية ليحترف الصحافة ، يترك  
خدمة الميرى « ليحترف المهنة الزدرة ، فاذا أردنا أن نعرف كيف تكون  
« الكرامة الشخصية » والكبرياء العظيم وشدة التمسك بالأهداف والمبادئ،  
كافية لتكريم صاحبها على الرغم من ضعة الصناعة التي ينتهي اليها  
وشيوع المعرف باحتكارها بين علية الناس وموادم ، فعباس العقاد في  
مهنة الصحافة هو المثل البارز لتلك الكرامة الشخصية وشدة التمسك  
بالأهداف والمبادئ، « فقتاوم الطغيان وتصدى لأخطر رجال في البلاد وحارب  
الفساد الذي استشرى في انشاء حكم الأحزاب والملوك . واصبح عباس العقاد  
بشهادة سعد زغلول « الأديب الفحل ، صاحب السلم الجبار . ما قرأت  
له بحثاً أو رسالة في جريدة أو مجلة الا أعجبت به غاية الاعجاب . وهو  
لا يمالج موضوعاً الا أحاط به جملة وتفصيلاً احاطة لا تترك بعداً زيادة  
لمستزيد .

.

.

.

•

.

•

.

.

•  
•

## الفصل الثاني

المعاد يحترف الصحافة

•  
•

•  
•  
•



## میلاد صحنی

- ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد -

لقد مسّت هذه العبارة شُغاف الفتى الأسواني الذي يجلس في حجره  
الدرس بين أقرانه من الصغار ، عندما قالها ذلك الشيخ المجدد في صمت  
السالم التنبئيء اللائق مما يشول . . . بطق الأستاذ الإمام محمد عبده بهذه  
العبارة ولم ينس أن يطلق « بعد » بضم الدال غير واقف على السكون  
على حد قول القائلين : سكن تسلّم .

وكانت أسوان قبيلة العظماء من جميع الأرجاء في موسم الشتاء ، وانتفق  
أن تسام الأستاذ الإمام بزيارة المدرسة التي التحق بها عباس العقاد تلميذاً  
صغيراً ، وكان من عادة أستاذ الانشاء بالمدرسة أن يعرض كراسات عباس  
العقاد التي يكتب فيها موضوعات الانشاء على كبار الزوار . وأثنى الأستاذ  
الإمام على التلميذ الصغير وتنبأ له الشدوة التي صدقت .

وكانت موضوعات الانشاء تختار عادة من موازنات بين الفصول كالصيف  
والشتاء ، أو بين بعض المعادن كالذهب والحديد ، وكان العقاد يقف دائماً  
مع أضعف الطرفين في الموازنة ، ليظهر قدرته العقلية في إعلاء الطرف الضعيف  
ببراهينه المنقعة ، وهي قدرة نلمسها في كل كتاباته من بعد . وأصبحت تلازمه  
في كل ما يكتب . وكان موضوع الدرس يوم أن زار الأستاذ الإمام مدرسة  
أسوان « الحرب والسلام » فكان من الطبيعي أن يختار العقاد جانب  
« الحرب » وعجب الأستاذ الإمام حين رآه يفضل الحرب محتجاً بأنها  
مجال لظهور التضحية والبطولة وأنها تقوم بتنقية المجتمع من عناصره  
الضعيفة . وهنا سأل الأستاذ الإمام : كيف تفضل الحرب ؟ وأخذ يوضح  
له أضرارها ، وشرح العقاد وجهة نظره فسر الأستاذ الإمام ونظر نظره  
الواقفة ، وربت على كتف الغلام : « ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد » .

ولهذه العبارة سحرها الخاص في نفس عباس العقاد ، ليس لما  
تحمل في طياتها من تشجيع فحسب ، ولكن لأن تأملها ممن يثق العقاد بهم  
ويعتز برأيهم ، فالأستاذ الإمام عند العقاد هو أعظم رجل ظهر في مصر  
وما جاورها من خمسة قرون ، وقد أطلع العقاد على معظم ما كتب الأستاذ  
الإمام في شؤون الدين والدنيا ، ويذكر أنه أعجب بخلفه فوق أعجابه بطله

« فان الاقتداء بخلقه نافع لكل انسان كأننا ما كان مذهبه في دراسته والتفكير . ولكن العلوم والمعارف تتعدد بين فريق من الناس فلا ينقطع المرء الا بين يمانته في معارفه وعلومه » .

لذلك كله كان لعبارة الأستاذ الامام سحرها في نفس الفتى الاسواني الصغير ووجدت لها مؤازرا من مواتاة الطبع والرغبة الكاملة في الطوية من أيام الطفولة لأن العقاد عرف انه يجب الكتابة ويرغب فيها قبل العاشرة ، ولم ينقطع عن هذا الشعور بعد ذلك الى أن عمل بها واتخذها عملا دائما مدى الحياة .

لقد كانت الظروف المحيطة بالعقاد في طفولته مشجعة له . فوالده يتقرأ كتب الفرائض والمبادئ وبعض كتب التاريخ والسيرة النبوية وتراجم الأولياء والصالحين ، وكان والده من أنصار الحركة العربية . ولذلك يحتفظ بمجموعة كبيرة من أعداد « الأستاذ » وغيره من مجلات عبد الله النديم ، ومعه مجموعة قليلة من « ابو نضارة » و « العروة الوثقى » ونشرات الثورة التي كانت توزع في الخفاء .

وكانت مجلة « الأستاذ » للنديم تحظى لدى العقاد يومذاك بمكان الصدارة . وكانت حاسته الصحفية تجذبه الى العناوين في صحف النديم ، واعتبره العقاد « أستاذ زمانه » بل لعله استاذ من أساتذة العناوين في كل زمانه » .

من عناوينه عنوان : « كان يكون ، للترجمة » ، وعنوان « التنكيك والتبكيك » لاسم صحيفة ، وعنوان : « المسامر » لكتاب مجاء ، وعناوين أخرى بهذه البراعة لعشرات من الفصول والأخبار .

ويذكر العقاد ان هذه العناوين البارعة لفتته فقرأ كل ما وجده من صحف النديم ، ووجد نفسه ذات يوم يقطع الورق قطعاً على قدر الجملة ويعمد الي مكان العنوان منها فيكتبه بخطه متافقا ويمارض عنوان « الأستاذ » بعنوان « التلميذ » وانتجها بمقال عنوانه « لو كنا مثلكم لما فعلنا فعلكم » معارضة لسال النديم المشهور « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » موجها الخطاب الى الأوربيين .

يقول العقاد في حياة قلم « اننى منذ بلغت سن الطفولة وفهمت شيئا يسمى المستقبل لم أعرف لى املا في الحياة غير صناعة القلم ، ولم تكن أمامي صورة لصناعة القلم في أول الأمر غير صناعة الصحافة » .

ويذكر العقاد انه تناول في مقاله فقرات التديم واحدة واحدة ، وغوى ما يدل عليه العنوان ، أننا نحن الشرقيين لو كنا مثلكم - أيها الغربيون - فاتحين منتصرين لنا فعلنا فعلكم من نهب الأموال واستباحة الحقوق وانفراء الأكاذيب والتلطل بالواعد ، ولكننا لسنا مثلكم ولا نريد أن نعمل فعلكم ، وسترون فعلنا عما قريب(١) .

وقد أصدر العقاد من صحيفته المخطوطة « التلميذ » بضعة اعداد ، كان قراؤها لا يتعدون زملاء في المدرسة وأساترته المشجعين أو المتحدين المتكهنين ، « ولم يكن لها من استترك غير تعب النسخ إن يراعا مستحقة لهذا الفن . . . » .

وفي السادسة عشرة من عمر العقاد كان قد عمل في وظيفة حكومية وكان عليه أن ينتظر سنتين قبل التثبيت ، لأن الوظائف الدائمة لا تثبت قبل الثامنة عشرة ! وقد عرفنا - رأي العقاد في الوظيفة الحكومية ونعته لها بأنها رق القرون العشرين . . . يذكر لنا العقاد أنه قد خطر له ذات مرة قبل أن يستقبل أن يتوفر على اصدار صحيفة أسبوعية باسم « رجح الصدى » ليبيع نفسه من انتظار التثبيت في الوظيفة . واتخذ مستشاره لهذا العمل « كتيبيا » بحى الأزهر كان يشترى منه الكتب الأدبية بأرخص الأثمان ، وقال له «الكتبي الناصح :

- إياك أن تفعلها وتترك خدمة « الميرى » من أجل هذه الصناعة الملعونة ! وفي الفصل السابق رأينا كيف كانت هذه المهنة مزدراء ، وفي هذا المشهد شهد العقاد بعينه أنها في الحق صناعة ملعونة كما قال الكتبي ، وكانت على الأمل ملعونة . . . إلى ذلك الحين !

فقد كانت على مقربة من المكتبة مطبعة صغيرة وتضع فيها صحيفة أو اثنتان من الصحف الأسبوعية ، ويصف فيها « مدير الصحيفة » ينتظر الوكيل الذي أرسله إلى المشتركين للتصحيح وسداد حق الطبعة من محصول الاشتراكات .

وحضر الوكيل . . . وهو كما يصفه العقاد ، مخلوق أشعث أغبر ليس على بدنه كسوة من قطعة واحدة ، ولحيته مرسله بغير تصد منه ، لأنها معلقة على ترش واحد يؤديه للحلاق ، ولا سبيل إليه .  
وبادره المدير سائلا :

(١) العقاد : حياة قلم ص ٢٧ .

– ماذا صنعت ؟ ..

فأخرج له ايصالا معادا من أحد المشتركين ، وقال له :  
– ان صاحب هذا الايصال قد أنبأني أنه سدد الاشتراك لك تبيل  
الآن وعنده ايصال بالمسداد .

قال المدير :

– وأين الايصال الآخر ؟ ..

قال الوكيل :

– قطعته الرجل ورماه في خلقتي !

فانتجهر المدير وهم بضربه ، وقال له :

– مستحيل !! ان هذا الرجل ممن يخافون الكتابة عنهم خوفا البرد ،  
ومسألة بنته أو اخته معروفة بخشي منها الفضيحة .. فلا تتل لي أنه  
قطع الايصال ورماه في خلقتك الشريفة .. بل قل أنك قبضت الاشتراك  
وسكرت به كعادتك .

وينتهي هذا المشهد بخنافة بين « الوكيل » و « مدير الصحيفة » ويردد  
عباس العقاد لنفسه قول الكتبي الناصح :

– انها صناعة ملونة وايم الله !

يقول العقاد ، أن هذه المناظر المخجلة حثرت في نظره طائفة من المتطللين  
على الصحافة ، ولكنها لم تحقر صناعة الصحافة ، ولا نزلت باعلامها النابيين  
الى منزلة اولئك المتطللين ، « ولست اعتقد أنني كنت مطبقا أن احتقر  
هذه الصناعة من أجل ذلك المنظر المخجل ، ولو كنت من المستخفين بها ،  
والزاهدين فيها .. لأن قسوة الدعوة التظلمية في تلك الفترة قد بلغت في القاهرة  
مبلغا لا يدانيه ما بلغته في عاصمة من عواصم المشرق والمغرب (١) » .

« منظر الحساب بين مدير الصحيفة الاسبوعية ووكيلها قد يصح أن  
يثنيني عن طبع العدد الأول من صحيفتي الطوبوية وأن يضعف أمل في  
تحصيل تكاليفها بعد عدد أو عديدين .. »

« ولكن هل تراه يذعنني عن هذه القسوة الهائلة أو أنا أحسها من حولى  
كالعوامة الدوية في لجة البحر السوار بالأمواج والرياح ؟ .. »

(١) العقاد : حياة تلم ص ٥٧ .

بعد هذا بدأ العقاد حياته الصحفية « مصاحفاً » يكتب للصحافة من « منازلهم » فكتب إلى « الجريدة » أحرقها لطفى السيد ، وقد أشرنا إلى انتقال الأول الذي نشرته له الجريدة عن « الاستخدام أو رق القرن العشرين » ، وكتب قبلها إلى صحيفة « الظاهر » التي كان يصدرها محمد أبو شادي المحامى ، وكتب كذلك إلى صحيفتي « المؤيد » و « اللواء » .

وأخيراً يجد العقاد أنسب مكان له ، وهو العمل في جريدة « الدستور » التي أصدرها محمد فريد وحدى ، وهي أول جريدة يومية عمل العقاد في تحريرها .

وكان في إمكانه أن يعمل في تحرير « اللواء » أو في قلم الترجمة باللواء على الأصح . . لأنه علم أنهم يطالبون مترجمين يعرفون الإنجليزية أو الفرنسية بعد تفكيرهم في انشاء « الاستندارد » و « ليتدنار » . . وكان العقاد يجيد الإنجليزية ، ويذكر العقاد أنه لما علم أن « اللواء » يطلب مترجمين يعرفون الإنجليزية خطر له أن يستقيل من وظيفته وأن يرشح نفسه للعمل فيه . . ولكن العقاد تردد ، وفضل ترك هذه « الفرصة » وانتظار فرصة غيرها لسبب (١) :

أولهما : أنه إذا أقدم على مجر الوظيفة الحكومية مفضلاً عليها الصحافة فليكن ذلك ليكتب لا ليترجم ، « فاني أحببت الصحافة ، لا لأنها مورد رزق أفضل من موارد الوظائف الحكومية ، ولكنني أحببتها لأنها مجال للكتابة أو صناعة القلم بغير وساطة من صناعة النقل أو الترجمة ! » . .

والسبب الثاني : شخصية مصطفى كامل رحمه الله ، وقد بينا في الفصل الأول مدى الاختلاف بين شخصية مصطفى كامل وشخصية العقاد ، أضف إلى ذلك المصادمة الأولى التي نمت بينهما لم تشجع العقاد على مزاملته في عمل دائم ، وصورته لي رجلاً معتدا بذاته ، ضيق الحظيرة ، لا يسمح حتى للكاهنة أو « اللغافية » أن تفتح عليه باباً لتصيح قولة قالها أو رأينا ارتآه . .

وعلى الرغم من أن « الدستور » كانت تعد « اللسان الثاني » للحزب الوطني بعد « اللواء » لسانه الأول . إلا أن صاحبها امتاز بحرية عقلية واسعة وكان من رأيه عند تأليف الحزب الوطني أن يكون تبليغ تاليهه والاحتجاج على الاحتلال عاماً غير مقصور على الدولة البريطانية فلم يقبل

(١) العقاد : حياة قلب ص ٦٤ .

مصطفى كامل اقتراحه ، وظل فريد وجدى يؤكد رايه في « الدستور » حتى  
أصابها الضعف بسبب معارضتها لمصطفى كامل ..

#### في « الدستور »

صدر العدد الأول من جريدة « الدستور » اليومية في يوم السبت ١٦  
نوفمبر ١٩٠٧ لتكون اللسان الثاني للحزب الوطني بعد اللواء ، وصاحب  
« الدستور » هو المالم الاسلامي المعروف محمد فريد وجدى الذى كتب  
كتابات ضافية يرد بها على كتاب الغرب وفلاسفته المنكرين لحقوق المسلمين  
وفضائل الاسلام ، وكانت له شهرة بالاطلاع على ثقافة الدين وثقافة العصر  
الحديث .

ويوم صدور « الدستور » استقبلتها الصحف المصرية على اختلاف  
اتجاهاتها ، استقبالا يشوبه شيء غير قليل من الاحترام .

فكتبت « اللواء(١) » تقول :

« ظهرت أمس هذه الصحيفة الجديدة لصاحبها حضرة الكاتب المعمرانى  
المجيد محمد بك فريد وجدى - وهى تتناهى في حلل الآداب مرتدية بذلك  
الثوب التشيب من ملوء الآراء ومقانة التراكيب وكل مصرى بل وشرقى لايسعه  
الا أن يعترف معنا لحضرة صاحبها البليغ بذلك القدر المعلى في سمو  
الأفكار ونسوة المعارضة وسعة الاطلاع - فلا غرو وبعد ذلك أن قوبل  
الدستور بلهفة عظيمة وشوق زائد من أول يوم من حياته الصحافية ، ( هكذا  
يجد كل مخلص لامته صادق في خدمتها ما تفر به عينه ويشرح له فؤاده ) .  
فألصحافة المصرية الوطنية قد تعزز جانبها بدخول هذا العضو النافع في  
هيئتها الصالحة ، وقد تصدر المحدث الأول من الدستور مقالة شائعة  
جمعت من الآراء صائبها ومن الأبحاث الاجتماعية أرقاما فخلت الأحوال  
المصرية تحليلا دقيقا بالبرهان الدامغ والحجة القوية مما لم يترك مجالاً  
لمضلل منافع أو أنقادا لموه مكابر » . وقد أنتظت اللواء بعض الفقرات من  
مقالات الدستور ونوهت بها ، وكتبت تحت عنوان ( سرور الأمة بجريدة  
الدستور ) مما ينم عن مدى تقبل الرأي العام لها ونشرت بعض الرسائل التى  
بعث بها القراء يشيدون بالدستور .

(١) ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ .

وكتبت « المؤيد (١) » تقول :

ظهر العدد الأول من جريدة الدستور لحضرة مثنىها الفاضل محمد فريد أفندي وحدى صاحب مجلة ( الحياة ) وصاحب الباحت الشهيرة في الأديان والعمران وهو من أكثر الشبان المتعلمين كتابة في المواضيع المختلفة أنشأ حضرته جريدة سياسية يومية صدر العدد الأول منها أمس وقد تسال في مقدمته مايلي :

« أما بعد فنحن بإصدارنا لهذه الجريدة لا نرى أن في الصحافة العربية فراغا جئنا لنسد في ذلك غمضا لحق من تقدمنا من العاملين بل نقول أنا نزيد في صوت الدفاع عن حقوق مصر صوتا جديدا لا يختلف في النغمة عن سائر الأصوات المخلصة الا في أنه سيتعطر بعقوة من السلم الاجتماعي ، فما الدستور والحالة هذه الا محاميا جديدا انتدبته الأمة باتقبالها على اعداها للمرافعة في قضية مصر بأسلوب علمي ليصبح صوت الدفاع حاصلا على كل ما يجعله محترما مسموعا » .

واستقبلت « الجريدة » (٢) صحيفة الدستور بقولها :

« بزغ أمس في عالم الصحافة نجم جديد نرجو أن ينير ناحية من انحاء ما نحن فيه من ظلمات الآراء . . . نعلم به جريدة الدستور التي يقوم بإدارة سياستها حضرة الكاتب الفاضل محمد أفندي فريد وحدى . ظهر عددها الأول مصدرا بمقالة صافية بأن منها رأى حضرة الكاتب في الحال الاجتماعية والسياسية لمصر . وحصل فيها لأول يوم من ظهوره على آراء المعتدلين فسفحتها بأدلة كادلة اللوا ، فلا مندوحة لقرظ « الدستور » من أن يقول بأنه من اللوا بمنزلة « النير » من « المؤيد » . . . ولقد تمت تخطيطه للجرائد الأخرى على أنه لم يأت لينسأ بخطة جديدة من اصلاح ذات البين وتقتصر مسافة الخلف بينها أو رتق فرجة المعاكسة والكابرة في غير مصلحة بل جاء على العكس من ذلك يزيد في تطيور التفريق نغمة وينصح لتسيخ حزب الأمة أن يستعصموا بأراء بينهم وأخفادهم من الشبيبة ويطلب بجمع الأمة إلى زعامة سعاده مصطفى كامل باشا بحجة أن الجرائد الأجنبية قد ألفت إليه مقاليد تلك الزعامة » .

وانا لتحيي « الدستور » بتحية أحسن من تحيته ايماننا ونرحب بتقومه ترحيب من يعلم أن الجرائد مهما كانت خطتها السياسية فأنها الوسائل

(١) ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ .

(٢) العدد ٢١٢ . ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ .

الأولى لتتويج الانهزام وحل نيرود الأملار ومسلم رقى الأمم . ونرجو  
للدستور أن يبارك الله عليه ويقرن خدمته بنفع الأمة ويحله من الثقة  
والانتشار ما يرجوه هو لنفسه » .

وموقف الصحف الثلاث من « الدستور » يبين لنا عندما نتساءل عن  
اختيار اسم الصحيفة « كان » اسم ( الدستور ) يغضب نصر ( بلذ )  
ويغضب نصر « عابدين » ، ويفضب نصر « الدوبارة » . . .

وكان الحزب الوطنى يطلب الدستور ولكنه يتحرج من الدعوة العامة  
إليه ، لأنه ينكر مقاصد المطلبين به من رساياا الدولة العثمانية ، ويشفق  
من غضب السلطان عبد الحميد .

وقد كتبت الصحيفة « اللواء » عن المطلبين بالدستور في تركيا ، قبل  
إعلانه هناك بيوم واحد ، فقالت أنهم قوم يمسحون في الخيال . . .

« وكان الخديو يحرض على طلب الدستور سرا كلما أراد بالتحريض  
عليه إحراج الإنجليز والحد من سلطة المندوب البريطانى والمستشارين ،  
ولكنه كان يرفض الإصغاء الى هذا الطلب كلما ثاب الى شيء من الوفاق  
بينه وبين المحتلين . . . ولهذا كان حزب الناصر يسمى نفسه « حزب الإصلاح  
على المبادئ الدستورية » . . . ولا يخفى الفارق بين الدستور وإصلاح  
اندواوين على مبادئ الدستور ! » .

وكان حزب « الأمة » كما يدل عليه اسمه يعارض الحكم المطلق  
للعرش في مصر وللمعرش في عاصمة الدولة العثمانية ، وكان ينادى بالاستقلال  
التسام فيهدده المؤيد بحكم القانون لأن السيادة العثمانية مقررة فيه ، ولكن  
حزب الأمة على مناداته بحصر الحقوق كلها في الأمة لم يخل من انطاب  
مخلصين كانوا يحسبون المفطرة في الحكم النيابى خطرا حقيقيا بالحزب  
والاجتتاب (١) . . .

واختيار اسم الدستور اسم « يدل على كثير » اذا ما راينا موقف  
التيارات المختلفة التي كانت توجه السياسة المصرية . ادركنا ان هذه  
الصحيفة كانت صاحبة رسالة دل عليها الاسم ودلت عليها خطتها  
السياسية .

والواقع ان الدستور لم تكن لساننا بيناويا للحزب لوطنى كما وصفتها  
الجريدة ، ذلك ان صاحب الدستور فريد وجدى كان رجلا صاحب « مبدأ »  
لا يتحرف عنه قيد شعرة . وهو الجهر بالرأى ولو خالف القوة والكثرة

(١) المقاد : حياة قلم ص ٦٨ .

وخالف احب الناس اليه ، وقد كان من رايه عند تأليف الحزب الوطني أن يكون تبايع تأليفه والاحتجاج على الاحتلال عاما غير مقصور على الدولة البريطانية فلم يتقبل مصطفى كامل مقترحه ولم يسكت فريد وحدى عن تأييد رايه ، فانصرف تراء اللواء عن قراءة الدستور ولم يكن للدستور تراء من الشيع السياسية الأخرى ، فكسدت الصحيفة وعجزت عن النهوض بتكاليها ولم يتقبل صاحبها أن يعرض الخسارة بالعمونة المعروضة عليه من الجهات السياسية التي لا يوافقها .

والذي يؤرخ لصحيفة من الصحف لا يمكن أن يفعل تاريخ مقوماتها المادية التي تعتمد عليها في القيام بتكاليها ، فان الصحيفة التي يتفق عليها حزب ذو برنامج معلوم كالجريدة ، واللواء ، غير الصحيفة التي تتفق عليها شركة تجارية ، وغير التي تقوم على التوزيع أو تقسوم على الاعلانات ، والاتراكات السنوية والدورية .

يذكر العقاد ان صاحب « الدستور » لم يكن على شهرته بالنظريات ، مجردا من الدراية الحسنة في تنظيم الاعمال ، فاخترع طريقة الاشتراك الشهري بالادونات مع خصم رسوم البريد من بعض هذه الادونات ، وافادت هذه الطريقة تليلا ولكنها كانت ، على احسنها ، فائدة تأجيل للتقضاء الختوم (١) .

وكسدت سوق الصحيفة بعد الخلاف بين الدستور واللواء ، فقصرت الادارة عدد المطبوع من النسخ على الطلب اليومي ، ولم يزل هذا الطلب اليومي يتناقص من اسبوع الى اسبوع .

ومن لطائف الأستاذ فريد وحدى - وكان يمزح أحيانا ولا يتول الا صدقا - ان موظف الادارة فاتحه في نقص اجور الاعلان فقال متعلما : الا تحمد الله لاننا لا نغرم حتى الآن اعلانات في الصحف عن ظهور الدستور (٢) ؟ ! .

أما الاعلانات السرية - فيذكر العقاد ان الدستور كان خليقا أن يجمع منها الكثير لولا ان الأستاذ فريد وحدى رحمه الله كان بحسب أنه يسخر اصحاب الدعايات لرسائله الدينية ولا يفهم أنهم يسخرونه لدعايتهم السياسية . . . وقد يصل الأمر الى تبرعات الأفراد ، فلا يتأثر منها الرجل ما يزيد على قيمة الاشتراك المكتوبة على الصحيفة . . . وحدث من ذلك أن

(١) الامتداد : حياة قلم ص ٨٥ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٥ .

السيد توفيق البكري اراد ان يعرب للصحيفة عن شكره بوقتها منه امام الخديو في ( زفة المحمل ) وحضور الطرق الصوفية فيها ، فارسل الى الامتاز فريد وجدى بمبلغ من المال كانت الصحيفة في اشد الحاجة اليه . فلم يتيسر منه « فريد وجدى » غير قيمة الاشتراك لعام واحد ، ثم رد اليه البقية قبل ان ينتصف النهار (١) .

ومن العونات التي عرضت عليه في اخرج ايام الازمة معونه كبيرة من جماعة « تركيا الفتاة » يدلونها للامستور مساهمة ليكون لسانا عربييا لحركتهم الدستورية ، ولكن على شريطة واحدة : وهي ان يرفع من صدر الصحيفة كلمة « لسان حال الجامعة الاسلامية » . . . فرفض الرجل هذه المعونة ورفض ان يجعل صحيفته لسانا للحزب الا بشرطه التي يرتضيها . ولو وافق الحزب على بنائها للجامعة الاسلامية (٢) .

وفي الوقت الذي كانت هذه العونات تعرض عليه من سنى الجوانب ومنها جانب الحاشية الخديوية - كان فريد وجدى يتحامل على نفسه وعلى التثليل من موارد مؤلفاته ليتفق عليها بعد تصغير صفحاتها واختصار عدادها ، فلما استند كل ما قدر على انفاقته في هذا السبيل أعلن تعطيلها وهو مدين لتاجر الورق وموظفى التحرير والادارة بمقدار غير يسير . . . فأبى عليه نزاهة النفس ان يؤخر مليما واحدا لصاحب دين (٣) .

هذا هو فريد وجدى صاحب « المبدأ » وهذه صحيفته « الدستور » التي كان لها من اسمها صدق جديدا في الحياة المصرية . . .

\* \* \*

أعلن فريد وجدى عن عزمه على اصدار « الدستور » صحيفة يومية ، ويطلب مخاطبته في شئون الصحيفة ، ومنها شأن التحرير ، وذلك عام ١٩٠٧ م في الوقت الذي أزمع فيه عباس العقاد الاستقالة من وظيفته الحكومية ليحترف الصحافة . وعندما قرأ اعلان فريد وجدى فضله عن العمل في ظم الترجمة باللواء وكانت حجتة في ذلك انه اذا اقدم على مجر الوظيفة الحكومية منفصلا عليها الصحافة فليكن ذلك ليكتب لا ليترجم ، وكان اعلان فريد وجدى عن صحيفته التي ينوي اصدارها بمثل « الفرصة » التي كان ينتظرها العقاد ليعمل بالصحافة كاتبا لا مترجما . يحدثنا العقاد انه فور

(١) العقاد : رجال عرفتهم ص ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ .

(٣) العقاد : رجال عرفتهم ص ١٦١ .

قراءة هذا الاعلان ، كتب الى فريد وجدي يخبره بأنه يرشح نفسه للعمل في الصحافة لأول مرة . . . ووصله الرد منه بعد يوم او يومين يسأله ان يلغاه بدار مطبعة الواعظ لصاحبها المعروف - يومئذ - محمود سلامة ، ويذكر العقاد انه كان يقرأ مقالاته النقدية ، وبعجبه منه ما يعجبه من مدرستنا كلها : وهي مدرسة عبد الله النديم وأحمد سمير . وكان العقاد يعرف مكان مطبعة الواعظ لأنه فكر زمنا في اصدار صحيفة على مثالها وفي مثل حجمها ، فهل ان يستقبل من وظيفته الحكومية .

ويحدثنا العقاد عن لقائه بفريد وجدي بأنه لما ذهب الى الموعد بالتحقيقه اخرج فريد وجدي الساعة من جيبه ونظر فيها ، وسكت هنيهة ثم سأل عما أطلع عليه من مؤلفاته التي أنشأها اليها العقاد في خطابه اليه ، ثم اختار صحيفة من الصحف التي كانت على مكتب صاحب الواعظ وقال له : هل قرأت هذا ؟ فنظر العقاد في الصحيفة فعلم انه يشير الى مقال عن رحلة لكاتب المثال في العاصمة الفرنسية ، كان العقاد قد أطلع عليه قبل ذلك . نرد الصحيفة اليه وهو يقول : انني لم أذهب الى باريس ولكن موضع المصحح عندي ان الكاتب لم يطرق منها غير الحي اللاتيني ولم يمر في الحي اللاتيني غير معارض الخلاعة والمجون ، فهل هذى هي باريس ؟

« فضحك فريد وجدي ضحكة تنم على كل ما في طوية نفسه من براءة طيبة كبراء الطفولة » وقال : هذه هي باريس كلها اذا كانت القاهرة هي ما تراه الساعة . . . هل لك في رحلة تصيرة نقضى بها رياضة اليوم ؟

وسار العقاد معه حيث سار ، وقال له في صراحة لا تكلف فيها ، انه عرض عليه مقال الصحيفة عن رحلة باريس امتحانا لرايه بعد ان اغناه أسلوب خطبه عن امتحانه في الكتابة ، وبعد ان اغناه حضور العقاد الى الموعد - بالتحقيقه عن امتحان نظامي في العمل . . . فللعقاد ان يعتبر نفسه محررا بصحيفة الدستور منذ تلك اللحظة . . . ومضى فريد وجدي يسهب في بيان مقصده من انشاء الصحيفة وبيان خطتها في السياسة الوطنية (١) .

وبدا العقاد عمله الصحفي الأول في هذه الصحيفة ، ويمكن القول ان العقاد كان نصف ميثة التحرير برمتها ، اذ لم يكن في تسليم التحرير غير كاتبين اثنين ، أحدهما عباس العقاد والآخر صاحب الصحيفة .

(١) العقاد : رجال عرفتهم ص ١٦٦ .

وتد تطوع في تحرير صحيفة الدستور « احمد وجدى » شقيق فريد  
وجدى صاحب الصحيفة ، ويتسول عنه العقاد انه ذلك « المحرر المنطوع  
الدائم » وكان هذا المحرر المنطوع يكاد ينهض يعمل الترجمة الفرنسية  
وحده ، ويكتب الى جانيها التعليقات وحواسي الأخبار والتفردات . .

وكان زملاء « احمد وجدى » ينطوعون معه بالكتابة والترجمة من  
حين الى حين ، ولكنهم اضربوا جميعا بعد الخلاف الذى حدث بين فريد  
وجدى ومصطفى كامل . .

وكانت هيئة التحرير في الدستور تتكون من صاحب الصحيفة وعباس  
العقاد كما سبق ، وكانا يعملان في التحرير والترجمة والتصحيح وتهذيب  
الرسائل والأخبار . . وكان فريد وجدى « تلميذا ما يبرح داره » فكان العقاد  
ينسب عنه في أعمال الصحيفة الخارجية ، ومنها الحصول على الأخبار  
وعلى الأحاديث وبينها أول حديث للوزراء المصريين ، كما سياتى الحديث  
عنه فيما بعد . .

وبالنسبة للأخبار ، فقد كان لها مكتب يديوان الداخلية في ذلك العهد،  
ترسل اليه النشرات من جميع الدواوين ، ومعظمها عن التعيينات والتفقات  
وصرف الأموال في المشروعات العامة . . ولم تكن هناك « حاجة بالمخبرين  
الى استطلاع النيات والتقاط الأسرار » فان السياسة الكبرى كانت في علم  
الندوب البريطانى ومستشاره ومفتنبيه ، وليس لأحد من الصحفيين صلة  
بهؤلاء غير اصحاب « القلم » ، وبعضهم وكلاء الصحف الأوروبية ، وصلاتهم  
جميعا لا تفيدهم شيئا من أسرار السياسة العليا ، ولا تعلمهم على خبر  
من اخبار الميزانية قبل أوانه . . (١) .

والواقع أن جريدة القلم كانت تحظى بمساعدة الاحتلال التى وصلت  
الى حد تزويدها بالأحكام القضائية لتنشرها قبل النطق بها . .

وكانت الصحف الوطنية محرومة من هذه الأخبار ، الا أنه يجدر ان  
نفوه هنا بتضية التلغرافيات « التى حوكم فيها الشيخ على يوسف وكان  
بذلك أول صحفى يحاكم في قضية صحفية هامة . . ونحوى هذه القضية أن  
« المؤيد » بالرغم من تضيق الاحتلال على الصحف الوطنية استطاعت  
أن تنشر البرقيات السرية التى كان اللورد كينسز قائد الجيش المصرى في  
ذلك الوقت يبعث بها الى وزير الحربى المصرى عن حالة الجيش المصرى في

(١) العقاد : حياة تلم ص ٧٠ .

السودان .. وكانت آخرها برقية لكشستر ان الوباء يفتك بالجنود المصريين  
هناك .. وكان لنشر البرقية دوى كبير ، وحسبكم الشيخ على يوسف  
بمسبب هذه القضية وبرى ومعه « توفيق كيرلس » الموظف الذى اتهم  
باعطاء المؤيد هذه البرقيات (١) ..

وبيين لناه ن هذه القضية ان المخبر البارح ليل كالمخبر العاجز كما  
يقول العقاد على حد سواء (٢) .. فكون المؤيد تستطيع ان تحصل على  
عذه البرقيات وتنشرها على الرغم من سرقتها يبين كيف ان الصحفى البارح  
يستطيع ان يحصل على ادق الاخبار وأغلبها في السرية ايا كانت الظروف ..  
بيد ان الطائفة التى أشار اليها العقاد من المخبرين التى كانت تتسامح  
« الادارة » على تكاليف الهمة وتوهم وكلاء الحسابات فيها أنها تحصل على  
اخبار النقل والتعيين والاعتمادات المالية من قصاصات « السودات » في  
سلاسل المكاتب الهمة ، هذه الطائفة لا يمكن ان تكون اكثر حسنا من أولئك  
« الدجالين » باسم الطرق الصوفية وهو عجز منهم لا تدانيه براعة في  
الشعوذة ..

ويذكر العقاد لنا أنه كان يذهب الى مكتب الاخبار بجديوان الوزراء  
فىرى هناك على التناوب عشرين أو ثلاثين صحفيا من مندوبى الصحف  
العربية .. وليس من هؤلاء جميعا واحد فرد يذكر اليوم أو يعرفه السامعون  
إذا ذكر ، وقد تعجب اليوم اذا علمنا أن عباس العقاد في نظرهم جميعا  
فضولى متطفل على الصناعة ، وقد سمع العقاد احدهم يتكلم عن عمر منصور  
منسحب المؤيد ، وعبد المؤمن منسحب الاحرام ، وسامى تضرى منسحب  
القطم ، وجورج طنوس منسحب الوطن .. فإذا هو يشيح العقاد بالاشارة  
الساخرة وهو يسبب الزمن لأنه قضى عليه بالعمل في الصحافة مع امثاله .

وكان العقاد يتنازل من « الدستور » مرتباً قدره ستة جنيهات ، ولم  
يكن يزيد على مرتبه في الوظيفة الحكومية بأكثر من جنيه واحد .. فلم  
تكن زيادة المرتب احدى الغريبات له على ترك الوظائف الحكومية للاشتغال  
بالصحافة ، لأن المرتبين متقاربين مع الفارق في الضمان والترقية ومستقبل  
المعاش (٣) .

(١) راجع ، الدكتور عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية في مصر ( الجزء الرابع ) .

(٢) العقاد : حياة تلم ص ٧٠ .

(٣) العقاد : حياة تلم ص ٧١ .

والواقع أن العقاد بدأ عمله في الصحافة راغباً فيه مقبلاً عليه بحماس الشباب .. ووجد من اللحظة الأولى أنه يريد أن يفرغ فيه جيعة المعرفة التي حصلها من مطالعته الصحفية ، ومن مطالعته في الكتب وفي الحياة .

ونلقى بنظرة سريعة على عناوين المقالات التي كتبها العقاد في معظم أعداد الدستور فنجد أن « المقالات الأدبية » كانت تحتل المكانة الأولى ثم تليه المقالة على الإجمال في مختلف الشؤون ..

فهو يكتب عن المعري « الشاعر الفيلسوف (١) » ثم يتابع الحديث عن « الشاعر الفيلسوف (٢) » أيضاً بعد أسبوع من نشر المقال الأول ، ويكتب عن « ابن الرومي » (٣) بعد عشرين من حديثه عن أبي العلاء .. ويكتب بعنوان « صريح الغواني مسلم بن الوليد الانتصاري (٤) » مقالاً يتناول فيه أدب هذا الشاعر وتحليل شعره ..

ولم يكن يمر أسبوع حتى يكتب العقاد « مقالة أدبية » يفرغ فيها جميعاً المعرفة التي حصلها من قراءته ، ولكن هذه المعرفة التي تناولت مختلف الشؤون كان لها صدامها في موضوع المقالات التي كتبها العقاد في مختلف الشؤون .. وفي العدد الثاني من الدستور احتل مقاله جزءاً كبيراً من الصفحة الأولى ، عنوان هذا المقال :

« مقارنة بين الاستعمار الإسلامي والاستعمار الأوربي والانجليزي في مصر » (٥)

كتب في هذا المقال يقول :

« بين حوادث التاريخ حادثتان منشأيتان شبه التوائم في الملامح والشعائر ولدتا في مصر وأولاهما تكبر الثانية بثلاثة عشر قرناً ومما فتح العرب واحتلال الانجليز .

« وعن غريب التوافق بين هاتين الحادثتين أن النسبة بين الحاكم والحكوم والغالب والمغلوب واحدة فيهما فوحدة الدين واختلافه وتبرم الرعية

- (١) جريدة الدستور : العدد ١٠ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٠٧ .
- (٢) جريدة الدستور : العدد ٢ - ١٥ ديسمبر ١٩٠٧ .
- (٣) جريدة الدستور : العدد ١٧ - ٤ ديسمبر ١٩٠٧ .
- (٤) جريدة الدستور : العدد ٢٣ - ١١ ديسمبر ١٩٠٧ .
- (٥) جريدة الدستور : العدد ٢ - ١٧ نوفمبر ١٩٠٧ .

من الرواعي والتفاق 'الامراء' مع المالك كل ذلك كان على كنيسته متضاربه في  
الفتح والاحتلال ' دخل العرب وكان عليها اذ ذلك رجل يوناني الذمعة  
يدعى يوحنا بن ترقب واستنهر باسم اتوقس ، كان هذا الولى في طلبه  
المساخطين على الروم الذين اكوا على مصر في ذلك العصر وساموا اهلها  
وهم على دينهم سوء العذاب حتى اخرجوهم الى مخابرة العرب في فتح مصر  
وانقاذها من عسف شركائهم في المتيدة ووعودهم المساعده عليهم عند الحاجة  
اليها فتحصن اتوقس في حصن بابليون بنية تسليمه للمرب عند اول  
صدمة ..

« وهكذا فعل الانجليز ، انسحبوا الى جوف البلاد من ثغر الاسكندريه  
بنا، على دعوة خديوي مسلم استنجر بهم من مسلمين ثائرين جاثرين  
فاستتب الامر وجاسوا خلال الليل ثم مارسوا الشعب فما رضوه ، وساسوه  
فلم يرضوه واستعانوا بوسطاء السوء فزالوا الهوة اتساعا ومدوا في حيل  
العراية باعا هذا خلافا لما ادى اليه حكم الاولين فانهم ما احتاجوا يوما  
الى وسيط يجر عظمهم او الى سليف يرعب الناس بباسهم وتسدتهم بل  
ملكوا البلاد وارتبطوا بالثلوب واستحوذوا على العقول وبلغ من تعلق  
المصريين بهم ان اعتنق غالبهم الدين الاسلامى حبا في الثائمين به واعجابا  
ببسالتهم وكرم اخلاقتهم »

فما الذى ميز ( هيئة نظرية سانجة ) على امة في ابان صولتها وحين  
مدنيتها . اما المصريون فلم يتغيروا حتى يقال ان مصدر هذا الخلاف منهم  
فهم على ما عدهم منيس ، وعرفهم رمسيس ، وخبرهم امنحت ، وراهم  
كرومر ، سلبو القلب ، طيبو الحبيزة شريفو الاحساس ، وان تغيروا  
وضربت عليهم الذلة والمسكنة من تعدد الاحكام وتجدد الحكام كما يزعم  
الانجليز كان الشتموازم من الذلة اعجب وعدم رضائهم عن المهانة ابعسد  
واغرب فلابد ان يكون الاختلاف من قبل الحاكمين لا من قبل المحكومين وقد  
ساق الينسا التاريخ فيما ساق حوادث نستخلص منها اسباب ذلك الوغام  
وعذا الشفاق .

فاولئك دخلوا مصر يمتون الى اهلها بحيل الترابية وامامهم هذه الوصاة  
الجليلة :

- ستفتح لكم مصر فاستوهوا بائباطها خيرا فان لكم فيهم نمسا  
وصهرا - ويديه ان من يعتقد في انسان انه نسيبه وصهره تاتى عليه  
نفسه اسائه فضلا عن ظلمه ولذلك جروا مهم جسرى القريب مع القريب  
والنسيب مع النسيب والتفتوا الى من نديمهم عن سواء السبيل فلم يحتدوا

عليه ولكنهم وضعوا في مكان الخندق قول الكتاب العزيز - ولا يجز منكم  
شئان قوم أن لا تعذبوا اعدوا هو أقرب التقوى - أما هؤلاء فانكروا علينا  
أن نجتمعنا بهم صلة الإنسانية وراونا نألف من معاملتهم فأوتروا حيل الغناد  
وجاهروا أمام العالم باننا أن لم نكنتم انفاستنا ونحبس نبض تلوبنا اخذوا  
على انواعنا ولم يابهوا لنداننا مهما اشتد الألم الناشئ عنه هذا النداء ..

اولئك وصلت بهم ساحتهم الى أن يرى أميرهم حمامة بريئة تبيض  
وتفرخ في سرادقه فيتركه لها لكيلا يزعمها على أفراخها .

وعؤلاء يدمرون أبراج الحمام انداجن فيطقتون عليه الخردق والرصاص  
ويتلفون الزارع ويجرحون النساء فإذا قننه اليهم أهل البلد وأخذوا يدفعون  
عن انفسهم اكبروا منهم دفاعهم عن انفس شروما من خالقتها ولم تعد  
لأصحابها والحقوم بحمامهم المقتول وزرعهم المذرو في الرياح . اولئك  
يفزع ابن أميرهم رجلا من السوتة فيؤذبه الخليفة أسد التنقيب ويجيبه  
بهذه الكلمة الفارصة : بيم استنيدتم الناس وقد ولتتم امهاتهم أحرارا ..

وعؤلاء يجلد موظفهم رجلانا ويبعثون بسرقتنا فلا ينهرون ولا يزجرون  
بل يتأدون الى حيث يسخرون ويزجرون . اولئك يضطرون الى بناء مسجد  
تحبى فيه شعائر دينهم وليس من حائل بينهم وبين ما يريدون الا إساءة  
عجوز مسيحية لا حول لها ولا قوة فيؤثرون إقامة العدل على بناء المساجد ..

وعؤلاء يأخذون من مال الامة المصرية - وهي في أشد الحاجة الى الدرهم  
والدينار - نحو نصف مليون جنيه ليشيدوا بها ثكنات تؤوى جيش الاحتلال  
وهو في غنى عنها بما لديه من المنازل التي لا ينقصها شيء من المتانة  
والاستعداد .

أن بعض هذا مما يحفظ للتسلوب ويؤخر الصدور وإذا كان المصلحون  
يتوقعون غير ما رأوا من هذا الشعب فما لحظه شعيبا لا تنتج فيه الوسائل  
ولا ينجح فيه عمل العامل وما أجدهم بالتحول عنه الى شعب أوفق للإصلاح  
منه .

ع . م . العقاد  
احد محرري الدستور

وفي العدد الثالث من الدستور يكتب بعنوان :

« الاستقلال سهل المنال » (١)

(١) جريدة « الدستور » العدد ٣ - ١٨ نوفمبر ١٩٠٧ ( السنة الأولى ) .

وإذا احتل هذا المثال جزء بارزا من الصفحة الأولى ، ونسبه بهاجم لاحتلال ويبرز اتجاهات الرأي العام ويكشف الأسباب الحقيقية التي من أجلها يتمسك الاحتلال ، لتجليزى بمصر . وفي هذا المثال السياسي يظهر اثر ثقافة العناد الواسعة فيه والميل الى الاستدلال المنطقي . وظهر سخصيته فيما يكتب ، وهو ما نلمسه كذلك في افعال السابق ومدى تعمقه في فكرة التي يناقشها .

وهذا هو نص المقال الثانى الذى ينضح منه ميل العقاد الدائم الى الاستدلال المنطقي في كتاباته :

« ليس بين الامه وبين الاستقلال الا خطوة واحدة تخطوها هي انتقالها من دور الاستكانة والاذعان للحكم الاجنبى الى دور الاحساس بانها اهل للاستقلال فان مجرد احساسها هذا يوقف المتطع اليها على مصدر الحياة فيها ويحله على ان يدنجنها نفسا شريفة لا تتل في شيء عن نفوس الامم المستقلة ، ولامه التي تقض على نفسها بنفسها بانها غير كفء لهذه النعمة هي امة ميتة ولكن يحل اكلها .

نعم يحل اكلها ويسهل مضمها لان اعترافها هذا هو اعتراف بقصورها وعجزها عن تولي امورها واجتراء اموالها عليها على الوجه المناسب لها وما اسرع الاجنبى الى امة هذا شأنها وهو يتحين الفرص لاصطياد الامم الابهية التي لا تسلم في كيانها واستقلالها هذا التسليم فيسعى اليها منتحلا اضعف الحجج واوهى الاسباب فينتفض على مواردنا ويستأثر بالنفع دونها ويتركها تتضور جوعا وامل تلك الامة الذين يتظاهرون بالاعتق والرزانة يصيحون من ورائه : استنفذ ما تستنفذ من الاموال ، واستبعد من تستبعد من الرجال . فاننا راضون بهذا الحال ، لاننا امة لا تستحق الاستقلال هؤلاء يجسبون ان اجنبى يصفق لهم طربا اذا سمع منهم هذا القول وانه يحفل باراء من لا يحفلون بالشعور الوطنى ويعدونه خيالات اذهان والاعيب صبيان ويهينى لهم الوهم انهم بذلك يتسامحون في بعض حقوقهم - والتسامح كرم .

قد يكون ذلك صحيحا اذا كان التسامح من فرد لفرد فيما يزيد عن حاجته وبالنسبة للامم تهاون وضعف ، فان حق الامة حق شائع بين افرادها واذا كان تمت تسامح فمن الامة للامة ولا تكون الامة في غنى عن شيء من خيراتنا ابدا بالغة ما بلغت من الغنى ووفرة الخيرات .

كذلك ليس لاحد مهما كان عالما او سريا ان يسلم في حقوق امته بالثيابة عنها لانه ليس اكثر من فرد على اى حال .

مديت مصر بالاختلال وبأنه ما مفيت به و نسي الوجود عليها .  
السؤال :

أمه ضاع استقلالها وانحل كيانها ماذا يكون امر ابنائها والى من غاية تتجه طلبهم ؟

فاختلفوا في الجواب وما كان منظورا ان يختلفوا في ظمان نوعه نبريه ماء ومريض تساورته الادواء فتلطف على الشفاء وطريح في غيبابه اوجب يتطلع الى واسع النضاء وتضاربت اراؤهم فمن مائل نحن نرضى بالاختلال مادام القوم لا يتعرضون لنا في مالكوها ومشروينا وما دعما نبيع ونشترى ونزرع ونحصد بلا رقيب ولا ممانع وسنظل صامتين ساكتين الى ان يقضى الله امرا كان مضمولا .

ومن قائل يقول اننا لا نفهم معنى لحرية الافراد مع استبعاد الشعب بأسره الا التفرير بالمقول وما هذه الحرية الا اجبولة يقصد بها سسوق المصريين الى الاندفاع مع تيار المدنية الفاسدة حتى تطمس بصائرهم وتخفي حقوقهم في لذاتهم اكثر مما يقصد بها تهذيبهم لحكم انفسهم بانفسهم وما دعما منتادين للغير في أمس ما يتعلتن بحياتنا فلن يكون هذا الغير اعرف منا بنتائصنا ولن يكون احرص منا على قضاء حاجاتنا واسعاد حائنا وسنعرض شكواتنا على الله فلا تفعل عنها عين التي تراقب حركات هذا العالم وسكناته .

ويأتى بعد هذا وذاك صائح من وراء الأفق فيناديهم على رسلكم ايها المتناظرون قد توفقت الى ما لم تتوقفوا اليه من كل هذا الجدال واعتدبت بالاختيار الى ما لم تعرفوه بالنظر والاعتبار .

« اضعوا للمحتلين واستخذوا لهم ودعهم يهرون على رقابكم واستعملوا هذه الحرية التي وهبوا لكم وسيلة لاجالتهم وسنتر عيوبهم وانتم ترون بعد ذلك كيف يبتسم لكم الوزير ويبيش في وجوعكم المستشار وما ضركم لو اصلحتهم الصياح الذي لا يجديكم نفعا واعتديتم بانعامكم وهي تسرح وتفرح في ظل حكومة تنمهدا بما يشوى بنيتها ويقوم صحتها وتتكفل لها بالرعى الجميم والماء العذب الفرات وهي في ذلك على احسن ما يكون من النعيم والسعادة لا تبالى ما تقدم لها العالف مصرى او انجليزى » .

« هذا ما انتهى اليه الخلاف بين المتنازعين في تضيية مصر بحق أو بغير حق . والذي لا ريب فيه ان الفريق الاول يظهر غير ما يضرر سعيا وراء ما رآه

معلوم له وان الثالث ماجور لا يهيمه من مصر الا منزل ياوييه ومليس يكسوه ولغمسة تقيته اذ ليس في العالم قسوة تحيد بالانسان عن هذا الشعور القمص ، لا قسوة المال وناهيك به من قسوة تؤثر على قوى النفوس لصغيرة والضمائر الميتة . .

اما الثاني فهو يترجم عن الشعور العام نفلا عن الصورة المطبوعة في مؤاده ذلك الشعور الذي لا تصوره كلفة ولا يدخله رياء ولا يجوز أن يقاوم لانه بمثابة وحى الهى لابن آدم يلهمه بأنه حر كالمسيطرين عليه ومعنى اراد الله لامة بأن تستقل أحياء في نفوس انبائها هذا الشعور فاندفعت في سبيله الى مريض الاستقلال ومحط الآمال .

هـ هذه إنجلترا ترى المانيا تعبى الجيوش وتبنى البوارج وهي حرة نهما تفعل فيسوءها ذلك منها ويشدد الخلاف بينهما الى حد لا تؤثر فيه زيارات الملك وتودد الوزراء - لا لشيء اعترفته المانيا ضد استقلالها بل لتوقمها ذلك منها بعد قرن أو قرنين ، هذا الشعور نفسه الذى يعيق الانجليز ويتهدم على كل من يتعرض لاستقلالهم ولو في الخيال هو الذى يتجسم في نفوس المصريين فيحزنهم انهم يموتون في كنف دولة اجنبية ثم يذهبون فلا يدقون طعم الاستقلال في نفوسهم والانجليز ينقسمون على هذا الشعور لانهم يريدون تنقيبة الامة من الزعانف والاشواك التى تتقف في حلقهم وتحول دون ازدهانها .

دخل علينا القوم من باب وصدعوا آذاننا بالنتائج والاسباب . .  
قالوا نحن مصلحون علم نصدتهم لاننا رأيناهم لا يحظون بضيقنا بل هم يتأعون الغلال من الخارج ايام كانت محاصيل مصر مطروحة على الأرض لا تجد من يشتريها ، ويقتلون معاهد التعليم في وجوه الفسراء (اصحاب الجلابيب الزرقاء) واذا ناداهم متالم عاندوه وشاكسوه وما سمعنا من قبل أن طبيبيا حقد على مريضه لانه يفضعه بتوجهه وتارعه ، وان امة هذا مبلغ اعتبارها للحق وانبأها عليه هي امة أحوج للاصلاح من كل امة غيرها .

\* \* \*

هـ ووخز الحق بعضهم فجاهروا بأنهم انما يحتلون مصر لحفظ طريق الهند التى يخافون عليها من عدوان الروسيا ولكنهم ان وجدوا ما يقولونه اصغر فلان وجدوا ما يقولونه للهند ، وقد تذبعت في هذه الأيام وعلا صوتها يطلب الاستقلال فخرجت من كونها صيدا يخاف عليه أسد من دب ، وظهرت لكل من يراها شيلا يشدد ليسترد عريقه .

ومب قولهم صحبها فهل قضى على مصر ان تظل مستعمدة حتى تتحول  
الهند عن موضعها الجغرافي فتكون بعيدة عن متناول اعداء الانجليز ! ..  
وهل اتيح لاجلنا ان ننصب من اقدم شركا لابتاع الأمم ويعتبر  
تضاؤلا هذا كالتضاء البرم ! ..

لنترك أولئك يختلفون في النتائج ومؤلا، يختلفون في «اسبابولنبرمن  
لجميع أننا شعب حي لا ينسام حتى يشعر بالشعوب متيقظة حوله وان  
قال قائل ان سالككم تسوى بجنوده وحصونه واساطيله أجنهه ان القسوة  
أخط ما يتدرع به الانسان وانه لم يقض على الضعيف بالحرمان من حقه  
والامم التي كانت عامة ملأى الشعور كانت كالأقنية المأى بالهوا، تقسام  
ضغط الجوا باجمعه .

« ع . م - العقاد »

وتتاجمت المقالات التي كتبها العقاد في الدستور ، وهي من حيث  
الموضوع كما سبق القول لم تتناول غير القليل من موضوعات النقد الاجتماعي  
او موضوعات المقالة الوصفية والمقالة العاطفية ، ولعل تعليق ذلك ان العقاد  
كان مع اشتغاله بالكتابة مشغولا بنظم الشعر في موضوعاته ، وهو اولى  
بالوصف العاطفي من المقالات (١) .

وقد ألفى العقاد الصحافة المصرية قائمة على فن المقالة منذ انشائها  
فيل الثورة العربية ، وكانت « الجريدة » قد سبقت « الدستور » في تاريخ  
الصحور ، وكان من كتابها المتقدمين « محمد السباعي » تلميذ « لى هنت »  
الرائد الانجليزي في فن المقالة على أسلوب المقالة الانجليزية فكان رائد هذا  
الن في تحرير الصحف غير مدافع ، وكان له فيه ابداع يعرفه كتابه الذي  
سماه « بالصور » وأراد أن يعارض به مقالاته الترسيم والتخطيط المعروفة  
باسم « الاسكتش » في أدب الغرب الحديث ، ومن ثم فان العقاد لم يحاول  
في كتابة مقالاته جديدا غير تقريب الموضوعات من الدراسة النقدية .

وكان أدب المقالة في تلك الأونة يستوعب مطالعته الحديثة او يكاد ..  
ذا أنه كان يجهن القراءة في كارفيل ، وهو من مدرسة ماکولي ومدرسة هازلت  
ولى هنت وزميله ارنولد وغيرهم من أئمة فن المقالة في القرن التاسع  
عشر .. وكان بعض هذه المقالات مما ينشر في المجالات الضافية ، ولا ينشر  
في الصحف اليومية ، لأنها قد تمتد حتى تبلغ في المجلة ثلاثين أو أربعين  
صفحة ، وبعضها مما يصلح للنشر في الصحافة الاسبوعية كما يصلح للنشر

(١) آخر ساعة للعدد الصادر يوم ١٨/٩/١٩٥٧ .

الصحافة اليومية ، ومن هذه المقالات كان العقاد يترجم ما يصلح للنشر ويكتب في التراجم (١) ومسائل النقد والتعليق .

ويمكن القول ان « المقالة الأدبية » كانت تحتل المرتبة الأولى في كتابات العقاد في المستور ثم تليها المقالة على الإجمال في مختلف الشؤون . وذلك من حيث الموضوع بيد اننا نستطيع ان نقول ان مقالات العقاد التي تناولت الشؤون المختلفة واتسمت بالطابع السياسي ، أقرب الي « المقال الافتتاحي » في ادب المقالة الصحفية .

ذلك ان المقال الافتتاحي هو المقال الرئيسي في الصحيفة ، وله فن خاص به من حيث الصياغة : وأساس هذا الفن هو الشرح والتفسير ، والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً ، والعاطفية حيناً آخر للوصول الى غاية واحدة فقط ، هي اقناع القارئ . (٢)

ويعتمد نجاح المقال الافتتاحي الى حد كبير على اختيار الموضوع . ويساعد الكاتب على ذلك أن يضع نفسه مكان القارئ ، ليحس باحساسه ويشعر بحاجته النفسية .

معنى ذلك ان المقال الافتتاحي ليس الغرض الاول من اغراضه الاعلام ، ولا ينبغي له أن يهدف الى السبق الصحفي من هذه الناحية ، انما الغرض الاصل للمقال الافتتاحي هو الرأي . وكثيراً ما يكون هذا الرأي تعليقاً على أحداث الأخبار او الحوادث الجارية . ومن ثم نرى كاتب هذه المادة الصحفية سريعاً في تفكيره ، سريعاً في تعبيره عن رأي الصحيفة في هذا الحدث او ذلك ، ولذا يجب عليه دائماً ان يكون واسع الاطلاع قادراً على ربط الحاضر بالماضي ، متصلاً على الدوام بشئتي الصحف التي تصدر في بلده وفي خارج بلده ، حتى يقف على افكار هذه الصحف والدوريات كما يقف الناقد على أحدث الآراء في النقد (٣) .

وقد حفلت مقالات العقاد في هذه الفترة بهذه الخصائص مجتمعة في وقت كانت المقالة الافتتاحية تحتل الصفحة الأولى . وكانت المقالة الرئيسية

(١) كتب العقاد تحت مقالات في المستور تحت عنوان « فارس شعرها أو شعراؤها » .

(٢) الدكتور عبد الطيف حمزة : المدخل في فن التحرير للصحفي ص ٢١٨ .

(٣) المرجع السابق .

في هذه الفترة طويلة مسرقة في الطول ، حتى لقد بلغت في بعض الأحيان نحواً من أربعة آلاف كلمة (١) . وكثيراً ما كانت تذيل بتوقيع الكاتب .

وكان العقاد يوقع مقالاته في « الدستور » على الطريقة التي كان يوقع بها كتاب المجلات الأجنبية ، وكان توقيعه باللقب والحرفين الأولين من الاسمين : « ع . م . العقاد » ومثل هذا التوقيع كان مثاراً لأسئلة الزملاء الهازلين في بلد « التفشى » والقافية . . . فسرعان ما ظهر له مقالان أو ثلاثة حتى دفعوا الحرفين في اسم واحد ، وراحوا يتحدثون عن مقالاته « عم العقاد » ! « وماذا قال عمك ؟ » . « وماذا تقول يا عم ؟ » . « ولكننا يا عمنا بما نراه . . . ونسى على ذلك بقية القافية في مختلف الأوضاع والفسادات . . . »

وبأي العناد أن يرجع العقاد عن « عم العقاد » . . . أو لعله لم يكن عناداً محضاً ولا صبراً على السخرية بغير مبالاة ، فليس من الكسب الرخيص للكاتب الفاضل أن يذكر وأن يكون في توقيعه اغراء بذكره . . . وإما السخرية فهي شهرة نابية في جميع الاسماع ولكنها تهون اذا أصابت الفطاحل النابهين كما تصيب الفانسئين المبتدئين . . .

وهكذا مضى « عم العقاد » يكتب بهذا التوقيع من العدد الاول الى العدد الأخير (٢) ! . . . وقد كان هذا التوقيع اثراً من آثار مطالعات العقاد في الصحف الأجنبية ، من حيث الشكل والجوهر . . .

وقد تميزت مقالات العقاد بأهم خصيصة للمقال الافتتاحي أو الرئيسي وهي خصيصة الانتعاج عن طريق الشواهد والأمثلة المشتقة من الأحداث التي جرت في الماضي ، والتجارب الإنسانية التي اختزنها العقاد في ذاكرته إما بطريق الممارسة ، وإما بطريق الاطلاع . ولهذه الشواهد حيز كبير من المقال الافتتاحي بصفة عامة ، وهو مجال واسع يتجارى فيه كتاب الصحف ، ويظهر فيه علمهم واطلاعهم ، وتوفهم على التاريخ العام والتاريخ الخاص ، وقد برزت هذه الشواهد في مقالات العقاد مبرزة حصيلة اطلاعه في الحياة وفي التاريخ .

(١) انظر مقالاً للسيد علي يوسف بعنوان ( حفلة الوداع ) . وخطبته للورد كرومر . ( جريدة المؤيد - العدد ٥١٥٧ بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٠٧ ) - راجع : المدخل في : التحرير الصحفي ص ٢٢٠ .  
(٢) العقاد : حياة فلم ص ٩٢ .

وفي المثال الأول الذي أوردها يقارن العقاد بين الفتح الإسلامي .  
والاستعمار الأوربي والإنجليز في مصر ، ويعتمد على إيراد الشواهد المستقاة  
من التاريخ القديم والحديث على السواء ، بل انه يقارن هذه الشواهد بالشواهد  
فيكون الانتاج بالنتيجة دون الإفصاح بها . وفي المثال الثاني الذي أوردها  
كذلك وهو بعنوان ( الاستقلال سهل المثال ) ينتصح اعتماد العقاد على هذه  
الشواهد والأهمللة المشتقة من الاحداث في الماضي والحاضر ، شأنه شأن كتاب  
المقالة الافتتاحية في الصحافة الانجليزية آنذاك كما تعلم منهم . .

ومن مقالات العقاد في صحيفة الدستور يمكننا ان نلمس فيه الصفات  
التي يتطلبها علماء الصحافة في كتاب المقال الافتتاحي ( ١ ) :

اولا - يمكن القول ان العقاد كان يتمتع بحاسة صحفية دقيقة يذوق  
بها الاحداث الجارية في محيطه ، والاحداث الجارية خارج هذا المحيط .

والدارس للمصر الذي نشأ فيه العقاد يرى انه كان عصرا مزيجاً  
مضطرباً بين عصريين ذهب أحدهما ولم يخلفه العصر القادم على رأي  
واضح مقوم بين كل فئة من الناسئين وما يوافقها وتوافقته من التفكير  
الحديث .

ويصف العقاد هذا العصر بأنه كان « برج بابل » يبنى ويهدم بناؤه  
بين عام وعام ، فلم تتمتع فيه العقول بعد بمحنة المحن في العصر الحديث.  
محنة تكوين الرأي جماعات وجماعات فلا ينطوي الشباب في جماعة صاخبة  
حتى يحرم القدرة على تقدمها ونقد سواها فهو من جماعته ينطوي فيها  
يقبل خطأها كما يقبل صوابها ، وهو مع الجماعات الاخرى يرفض صوابها  
كما يرفض خطأها ، وانه لخاسر مزلزل في كلتا الحالتين ( ١ ) .

ذلك ان الجامعة الاسلامية - كما يقول العقاد في وصفه لهذه الفترة -  
كانت على مذاهب . والجهاد الوطني على مذاهب ، والتجديد الفكري على  
مذاهب ، ولا نرى امامنا مذهباً واحداً في قضائية من تضايانا الكثرى  
وكلهما مشكلات . .

فالجامعة الاسلامية مدرستان : مدرسة جمال الدين ومدرسة الدعوة  
الرسميين : مدرسة جمال الدين تعنى بالجامعة الاسلامية أن تكون جامعة

(١) راجع المذلل في فن التحرير الصحفي ص ٢٢٤ .

(٢) راجع آخر ساعة يوم ٢١ من أغسطس - العدد ١١٩١ .

شعوب متيقظة مسئولة عن شؤونها مرعية الحقوق مع ملوكها وامرائها .  
فضلا عن حقوقها مع الطامعين المترصين بها . ومدرسة الدعاة الرسميين  
تعمل للملوك والأمراء وتزويد من الجامعة الاسلامية أن تكون وحدة سياسية  
بزعامه هذا الخليفة أو ذلك من ملوك المسلمين وإعلام صوتا في مصر من  
كان يعمل لخليفة بني عثمان (١) . .

ومدرسة الجهاد الوطني على هذه الحال :

مدعب يعتمد على مفاوضات الدول وحقوقه السياسية الشرعية . ومدعب  
يستصعب هذا الرأي ، ويحسب العمل فيه من ضياع الوقت على غير جدوى ،  
وبخاصة في أمر التعديل على السيادة العثمانية . لأن حقوق هذه السيادة  
لم تكن عصمة للمعتد عليها ، بل كان مجرد الانتماء إلى الرجل المريض  
صاحب التركة المنتظرة . كما كانت الدولة العثمانية تسمى في ذلك الحين -  
دريعة إلى ضياع البلاد في معركة النزاع على التركة أو في مساومات التقسيم  
والتفريق (٢) .

نقول ان العقاد حين اشتغاله « بالسنور » وعمله بها كان قد وصل  
إلى قرار واضح من هذه القضايا ، وهو تأكيد الحاسة الصحفية الدقيقة  
التي ساعدته كل المساعدة في الوصول إلى كل قرار اتخذه من هذه القضايا .

وهذا القرار الواضح يتمثل - كما يقول العقاد - « في ان الجامعة  
الاسلامية عنده هي جامعة جمال الدين ، او جامعة شعوب متيقظة متعاونة  
لا جامعة ملوك وعروش تساق لخدمة هذا الخليفة او تخليف ذلك السلطان .

« الدولة التركية نتمنى بقاءها وصلاحتها ، وكنتنا لا نتمنى سيادتها ولا  
نستمتع لمن يحاربها باسم الشورى او النعمة على الاستبداد » .

« الدول الاجنبية لا نتمنى ان لم نتمنى أنفسنا ، وسياسة مصر  
للمصريين » هي أقوم سياسة يتبعها المصريون ويهتدون بهديها فيما لهم  
من حق وعليهم من واجب . . الحزب الوطني حزب مخلص مجتهد ، ولكنسه  
مفرط في تجاهله « بلذ » و « عابدين » ، مقصر في مساعيه نحو « مصر  
للمصريين » (٣) .

(١) الرجوع السابق .

(٢) نفس المرجع .

(٣) راجع حياة تلم ص ٤٦ (العقاد) .

ومنذ كتب العقاد في صحيفة الدستور لم تخرج كتابته عن هذا النطاق في تفضية من هذه القضايا ٠٠ إذ أنه لم يمدح الخليفة و عبد الحميد ، الا في مناسبة واحدة وهي اعلان الدستور ، ويومئذ كتب أبياتا يهنته بها ويسجل تاريخ السنة بحساب الحروف الابدجية فكان التاريخ هذه الشطرة: ( قد انشأ الدستور عبد الحميد ) . ومجموع حروفها بحساب الجمل ( ١٣٢٦ ) وهي السنة الهجرية التي اعلن فيها الدستور ، ولما توفي مصطفى كامل شيعته صحيفة الدستور - وهي صحيفة من صحف الحزب الوطني - برشا، ابلغ من رثاء صحيفة اللواء ، ولكن العقاد أحجم عن رثائه برثاء خلو من النشد وأحجم في ذلك التمام من نقد سياسته قبل الاسنانة وقيل الخديو وقيل السيادة العثمانية ، ويذكر العقاد أنه كاشف الأستاذ فريد وجدي بجرجه وخرج صحيفته وهي لسان الجامعة الاسلامية الاولى ولسان الحزب الوطني الثاني بعد اللواء ، فقال له رحمه الله انه يفهم هذا الحرج وانه يقوم عنه بما يتحاشاه ، أثار العقاد الصمت على الرثاء: على ثناء، بغير نقد ، و نقد محتفظ ، متحرج ، بين مضطرب الآراء (١) ٠٠

وإذا كان علماء الصحافة يتطلعون في المقال الانتقائي خصيصا الثبات على سياسة واحدة هي سياسة الصحفية ، فان سياسة صحيفة الدستور عندما كانت تصطبغ مع برنامج العقاد السياسي الصحفي في مشكلات هذه الحقبة وأزماتها جميعا ، لم يكن العقاد يعيا بما يصيبه من جراء تنفيذ هذا البرنامج السياسي في مشكلات هذه الحقبة وازماتها جميعا ، على الرغم من أنه لم يتعد العشرين من عمره بعد ، ومع ذلك استطاع ان يسلك سبيله بين تلك النقائص والشبهات دون ان يروض نفسه على استقامة القصد الي الحقيقة واستقلال الرأي بين شتى الدوافع والمغريات مستفيدا من ظروف الآونة التي نشأ فيها وظروف البلد الذي نشأ فيه (٢) .

ثانيا - يمكن القول ان العقاد كان يتمتع بحماسة تاريخية كذلك استطاع عن طريقها ربط الحاضر بالماضي وبها يستطيع الصحفي - كما نعلم ان يتمكن باستقبال ، وليس يخفى أن التاريخ عنصر هام من عناصر ثقافة الصحفي (٣) .

(١) راجع حياة تلم ص ٤٨ ( العقاد ) .

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٣) راجع المحل في فن التحرير الصحفي ص ٢٢٥ .

وفي المؤلفين اللذين اوردهما يمكن ان يلحق القارى، اثر هذه الحاسة في كتابات العقاد الاولى ففى المقال الاول يشارن بين الفتح الاسلامى والاستعمار الأوربى والانجليزى في مصر مقارنة تعتمد على التاريخ اعتمادا يكاد يكون كليسا ، لكن هذا الاعتماد على التاريخ يقوم على فهم روح التاريخ الفهم الذى ساعده على ربط تاريخ قديم بتاريخ حديث استطاع من خلاله الإفصاح عن مساوى الاستعمار البريطانى لمصر وكشف نواياها السيئة التى يخفيها وراء ستر كثيفة من التضليل وتلب الحقائق .

ويمكننا ان نلمس هذه الحاسة التاريخية في معظم مقالات العقاد الاولى وهي خصيصا لازمت كتاباته من بعد ، من هذه المقالات « المنذبة » (١) الحاضرة « و » هل تبطل الحرب (٢) ، و « مصرى اذا تمسلم (٣) ، و « الاستعمار » سياسة الاستعمار أشهر من أن تذكر (٤) ، و « الاعتصاب - هو أثر من آثار المنذبة الحاضرة (٥) » و « تفاضل الافراد ، وتأثير ذلك في الحكومات (٦) » وغير ذلك من مقالاته في هذه الفترة .

هذه الحاسة التاريخية ساعدت العقاد على أن يفكر في الحكم وشكله في مصر والشرق العربى ، إذ يرى العقاد ان شكل الحكومة لم يكتسب شيئا من تعديلاته والوارثه في الشرق كله ، لا قديما كما كان يقع مرارا في روما واليونان ، ولا حديثا كما وقع في فرنسا وانجلترا من التجارب المتتامة وراء تكوين الحكومة الصالحة ذلك على الرغم من أن الارتباك والضعف اللذين كانا يثير لهما الى قلب الحكومات قد نزل اضعافه بالشرقيين (٧) ولكن مع هذا القرى اليسير . وربما كان الجمود على شكل واحد من اشكاله ناشئا من انطباع الشرقيين على فلة الاهتمام بالعموميات لتمهيد الوسائل الخصوصية، فاذا استولى أحدهم على الملك استنتر له الأمر وانقاد له الجميع ، وكثيرا ما يتفق ان خادما من خدم البلاط ببسط نفوذه في الملكة فيغضب الملك لنفسه ، ويبقى الحاكم المتصرف الى أن يرحضه عن مكانه مفتصب آخر يأنس من نفسه الصولة والنفوذ ، والنسب بجمزل عن هذه الانقلابات يمسلمون بها ولا يشتركون فيها (٨) .

(١) جريدة الدستور ( العدد ٨ - ٢٤ نوفمبر ١٩٠٧ ) .

(٢) « » ( العدد ٩ - ٢٥ نوفمبر ١٩٠٧ ) .

(٣) « » ( العدد ١٣ - ٢٧ نوفمبر ١٩٠٧ ) .

(٤) « » ( العدد ١٣ - ٣٠ نوفمبر ١٩٠٧ ) .

(٥) « » ( العدد ١٤ - ١ نوفمبر ١٩٠٧ ) .

(٦) « » ( العدد ١٦ - ٢٠ نوفمبر ١٩٠٧ ) .

(٧) (٨) راجع خلاصة اليومية للمضاد ص ٦١٥ - ومن المعروف ان هذا الكتاب اول كتاب أخرجه العقاد في الفترة التى تعرض لها .

ومن استلهاهم الحاسة التاريخية خلص العقاد الى ان حكومة الشرق لا ترتكز على الشعب فلا تتحول باختلاف مصالحه ، ولا الشعب يعتمد على اختلاف ميثاقها فقد انشأت نفسها بقسوة مشاعرها ولم ينشئها الشعب كما هو شأن الحكومات في الغرب ، وتشد شحت أزرها في كثير من المواقف بالسلطة الدينية التي رأت من مصلحتها أن تتبادل وإياها المعاصرة والتناصر فجمدت جمود عقائد الأديان في وهم الانسان (١) .

واستلهاهم التاريخ ساعد العقاد في تحليل انعزال المصريين عن ميدان السياسة آنذاك بان المصري منهم لا يربطه بالمجتمع أو يربطه بالامسة والحياة القومية النظام السياسي أو الراسيم الحكومية فقدر ما يربطه بذلك المجتمع انتظام العادات والعلاقات منذ أجيال مديدة على نظام الأسر والبيوت . فلم تكن الحكومة في تلك الأمان الطويلة لتمتزج بنفسه قط امتزاج الألفة والطواعية والماملة المشكورة . بل ربما كان صدوره عن الحكومة مما ضاعف اعتماده على الأسرة وحصر عواطفه الانسانية في علاقاته البيئية ، لأنها ملجأ خفيض ومهرب أمين من القسوة والمظالم (٢) .

ولم يفهم من هذا - كما يقول العقاد - أن المصري ضعيف الاعتماد بالسياسة أو أنه ينصرف عن تتبعها واستطلاع أخبارها وما جرياتها . أو أنه قليل البصر بمدخلها ومخارجها . فان الواقع قد كان على خلاف ذلك بل على نقيضه في عصور كثيرة ، والمشهور عن المصريين أنهم من أشد الأمم شغفا بأحداثيت الدول وعناية بالاستطلاع أحوال الحكومات ، وقد يسرى بينهم شعور ملهم بجائز الأعراس الخفية واتجاه الخير واتجاه الشر في الخصومات السياسية لما تماقت عليهم من التجارب وتوالى على اسماعهم من احاديث الصاعدين والهايطين والقبليين والحدريين ، فإذا قيل أنهم اجتماعيون من قبل الأسرة وليسوا اجتماعيين من قبل الحكومة فليس معنى ذلك أنهم لا يشتغلون بالسياسة ولا يابهنون لحديثها ، وإنما معناه أن اشتغالهم بها في العصور القديمة لم يكن يتعدى جانب التحري والاستطلاع الى جانب الخلق والتكوين (٣) .

ومن هنا يحدد العقاد الباعث على انقياد المصري للسياسة اذ يتمثل في أنه ينقاد لأن الطاعة أشبه بنظام الأسرة من جهة ، ولأن أزمة الركود الطويلة من جهة أخرى ليس من شأنها ان تبعث روح الابتداء والاقتحام ،

(١) راجع العقاد / سعد زغلول سيرة وتحية ص ٢٥ - ٢٧ .

(٢)،(٣) راجع العقاد : سعد زغلول ص ٢٥ - ٢٧ .

فالبناء في الصفوف ليس عنده من اعتساف الطريق ، وهو حتى في ثورته يريد أن يرى الصفوف حوله ولا يريد أن يعتسف الطريق وحده ، وتلما غلبت فيه نزعة الابتداء والانتحام بقلمة الحرية والاستقلال . قلت فيه عادة الانتقياد الاجتماعي أو قل الغفور من المخاطرة والافتراء (١) .

وعد اكتسب العقاد من حاسته التاريخية ما يمكن أن يسمى « عاطفة الانصاف » ، يقول العقاد عن نفسه : « ولست أجد في نفسي باعثاً قويا للكتابة عن العظماء الذين اتفتحت لهم الفرصة والعظمة معا . فاستحقوا المجد الذي نالوه » .

ولكنه يشي من المبالغة العاطفية . أو مبالغة الظروف ، ومناسبات الأحداث ، ولهذا أفضل الكتابة عن عبقرية خالد على الكتابة عن عبقرية صلاح الدين ، لأن انصاف صلاح الدين لا يحتاج إلى مزيد » .

ويقول العقاد : « . . لم أشعر بتعظيم إنسان لأنه صاحب مال ، ولم أشعر قط بصغرى إلى جانب كبير من الكبراء جاها أو ثراء . بل شعرت كثيراً بصغرهم ، ولو كانوا بأصحاب الفتوحات » .

« وأنا اعتقد أن نابليون مهرج إلى جانب العالم باسستور ، والإسكندر المقدوني بهلوان إلى جانب ارشميدس ، وإن البطل الذي يخوض الحرب ليقاتل إنه دوح الأمم وفتح البلدان بهلوان » .

ثالثاً - استطاع العقاد من سن مبكرة أن يحصل ثقافة عريضة ، كانت تيجو في بعض مواضعها عميقة ، ومما لا شك فيه أن هذه الثقافة - التي يعتبر التاريخ جزءاً واحداً منها - تمكن الصحفي البارح أن يقف على المعلومات التي تمكنه من الحكم الصائب والنظر الصادق ، والتوجيه السليم .

وفي المقالات الخمس التي كتبها متتابعة عن « الحكم العرفي » حكومة السودان « (٢) وكذلك مقال « ثورة البرهان » (٣) « يظهر أثر الثقافة الشاملة في تناوله لجوانب الموضوع وفي منطوقية الأسلوب التي تجعل لكلامه قيمة ترقح بكثير عن القيمة الانشائية التي لا تتطلبها هذه المرحلة » .

(١) نشرت هذه المقالات في « الدستور » من عدد ١٨ ديسمبر ١٩٠٧ حتى عدد ٢٥ ديسمبر من نفس السنة .

(٢) جريدة « الدستور » العدد ٢٨ يوم ١٧ ديسمبر ١٩٠٧ .

(٣) راجع الدكتور عبد اللطيف حمزة : الدخول في فن التحرير ص ٢٢٦ وما بعدها .

وصفوة القول ان هذه الخصائص التي توفرت لدى عباس العقاد ككاتب مقال افتتاحي في أول عمل صحفي له ، تجعلنا نقول انه كان كاتباً ممتازاً في هذا اللون من ألوان التحرير ، اذا علمنا ان هذه الخصائص هي الخصائص المثالية التي ينبغي توفرها في كاتب المقال الافتتاحي .

وإذا كان علماء الصحافة يرون ان كاتب المقال الافتتاحي يجب ان يراعى تماما مصلحة الصحيفة التي يكتب فيها - فاذا أنسى من نفسه انه عاجز عن مراعاة هذه السياسة ، او حدث ان تمارض ضميره مع مصلحة الصحيفة ، فخير له ان يستقيل فوراً من عمله الصحفي بوصفه كاتباً للمقال الرئيسي . وهذا معنى قولهم : انه ينبغي لهذا الكاتب ان ي تصور الدوائر الثلاث في ذهنه دائماً ، وهي : دائرة السياسة العامة للجريدة ، والدائرة (العامة) لكاتب المقال الافتتاحي ، ودائرة اهتمام القراء (١) .

فاننا نجد ان فريد وجدي صاحب « الدستور » كان شديد الإيمان على منهج قريب من مناهج الرسميين ، وكان متشبهاً بدعوته التي تمثل سياسة الصحيفة الا ان عباس العقاد كان يخالفه فيها ويرى انها تعمل لنفسها ويعمل لها الزمن أضغاث ما يعمل المتكلمون لها من دعواتها المخلصين وغير المخلصين على السواء .

ولم يحاول فريد وجدي قط ان يفرض على العقاد رأياً في قضية من قضاياها بغير الاتماع أو السكوت (٢) .

وعلى الرغم من ان العقاد كان موضع تقدير فريد وجدي ، الا انه ترك الصحيفة نظراً لأنه أراد ان يرثى مصطفى كامل بعد وفاته رثاء لا يخلو من النقد لسياسته تجاه الأستاتة وتجاه الخديو وتبيل السيادة العثمانية ، وكاشف العقاد فريد وجدي بجرجه وخرج صحيفته وهي لسان الجامعة الاسلامية الأولى ولسان الحزب الوطني الثاني بعد اللواء ، فقال له فريد وجدي انه يفهم هذا الحرج وأنه يقوم عنه بما يتحاشاه فأثر الصمت عن اللواء بغير نقد أو نقد متحفظ ، متحرج بين مضطرب الآراء (٣) .

ومنا حدثت التظليمة الموقوتة بين العقاد و « الدستور » ، التي استمرت بضعة أشهر لا يكتب فيها ولا يكتب اليها ، ولكنه كتب اليها مقاله الوحيد

(١) راجع الدكتور عبد اللطيف حمزة : المخل في فن التحرير ص ٢٢٦ وما بعدها .  
(٢) آخر ساعة للعدد الصادر يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٧ .  
(٣) العقاد : حياة قلم ص ٤٦ - ٤٧ .

من الخارج يوم اعلن الدستور في ايران ، وقال فيه مهنتا للنساء الصغير ، لو كنت في فرنسا لكان مصيرك كمصير الصبي ابن لويس السادس عشر . ولكنك تحمد الله لانك في بلد سلامي وتحمد لشعبك - ولا ريب - جميل هذا الصنيع .

ولكن العقاد عاد بعد ذلك الى العمل في « الدستور » واستمر حتى آخر عدد صدر من الدستور ، وفي هذه الاثناء كانت مخالفه للعقاد لسعيد وجرى اكثر من موافقته له في القضايا الفكرية والسياسية ، ومع ذلك فان سعيد وجرى لم يغير كلمة واحدة كتبها العقاد لمخالفته لرايه ولو كان الخلاف على مسألة من مسائل الاصول (١) .

واشهر ما كان من ذلك حول موقف الحزب الوطني من سعد زغلول ، فلم يمنع ذلك العقاد ان ينشر في الدستور ما يخالف هذا الموقف ، وان يحدث سعد زغلول حديثا ينفي كل ما يعزوه اليه كتاب اللواء . . .

وعلى الرغم من ان سعيد وجرى كان يتيح للعقاد فرصة التعبير عن رايه مهما كان مخالفا لرايه ، الا ان العقاد تميز بحرصه على سياسة الصحيفه ، ومن موافقه التي تستحق التسجيل انه - كتب مقالا مطولا استغرق الصفحة الاولى من صحيفه « الاخبار » التي كان يصدرها الشيخ يوسف الخازن ويجريها توفيق حبيب . ونحوى هذا المقال ان الملك لا يحتاجون الى القسم لانهم يثبتون نياتهم بالاعمال لا بالأقوال .

وتتضح اعمية هذا المقال اذا علمنا ان سياسة الوفاق يومئذ كانت في عنفوانها وكان مدار هذه السياسة على التعاون بين السلطة الفعلية سلطة الاحتلال وبين السلطة الشرعية سلطة الامر . . . وقامت السياسة فعلا - بعد عزل اللورد كرومر - على اطلاق يد الخديوي في مسائل الحكم التي تخصه ، ومنها مسألة الازهر والاقواف ومسألة الرتب والنياشين .

وفي هذه الفترة تدهر الخديوي للحركة الوطنية ، ودار ظهره لطلاب الدستور ، وعمل جهده على استئصال نهضة الاصلاح في الازهر بعد وفاة الأستاذ الامام وأعلن عداه لدرسة القضاء الشرعي وكاد يقضى عليها . . .

وثارت الثائرة على الخديوي من داخل الازهر وخارجه ، فتكلم مرة عن نهضة الاصلاح الأزهرى وأقسم انه يغار على الاصلاح غيرة أصدق من دعوى الدعين للغيرة عليه . . .

(١) رجال عزنتهم : ص ١٥٧ ومابعدها - المرجع السابق كذلك ص ٦٥ - ٦٦ .

وكان مقال العقاد ردا جريئا على هذا السلوك الخديوي « ان الملوك  
لا يحتاجون الى القسم لانهم يثبتون نياتهم بالاعمال لا بالاقوال ! » .

وكان في وسع العقاد ان يكتب هذا المقال في صحيفة الدستور بدلا من  
« الاخبار » لكن مراعاة العقاد لسياسة صحيفته جعلته لا يجرها في مسأله  
ترتيب بالازهر والاصلاح الديني . وقد كانت لصاحبها في العالم الاسلامي  
مكانة تشبه مكانة الانتداب الدينيين (١) .

ولما ظهر المقال في صحيفة الاخبار يتوقع ( ع . الاسواني ) نقلت له  
الحاشية الخديوية ، وظنوا انه من ابناء بعض الشايخ الازهريين . فاكبروا  
هذا « التمرد » من معقل الخديو الامين في ايامه ، فاستدعت النيابة صاحب  
الاخبار وسألته عن اسم صاحب المقال ، فأذن العقاد له ان يطلعهم عليه ،  
ولعلمهم اطمأنوا الى هذه النتيجة بعد ان علموا ببرائة الشايخ من الشبهة ،  
فانطوت المسألة ووقفت عند هذا الحد ، اشغافنا من آثارة القضية الازهرية  
في اطوار التحقيق والمحاكمة والدفاع وتعليقات الصحف واحاديث  
التحدثين (٢) .

خلاصة القول ان عباس العقاد بدأ حياته الصحفية كاتب مقال افتتاحي  
من الطراز الأول متمنعا بخصائص كاتب المقال الافتتاحي جملة ، في وقت  
كانت الصحافة في مصر صحافة رأى شعلى عنابة تامة للمقال الافتتاحي بنوع  
خاص . وكان كتاب هذا المقال نوابغ مصر من امثال لطفي السيد ومصطفى  
كامل وعلى يوسف .

ومعه هي بداية الطريق الطويل في الصحافة . . . وهي بداية تقترب  
من قمة النهاية عند كتاب كثيرين .

(١) راجع حياة قلم ص ٩٦ ( العقاد ) .

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ .

## بين التقليد والتجديد

ذكرنا ان العقاد لم يحاول في كتابة مقالاته جديدا ، غير تضريب الموضوعات من الدراسة النقدية ، ولم بطرق غير التليل من موضوعات النقد الاجتماعى أو موضوعات المقالة الوصفية والمقالة العاطفية ، لأنه كان ايمان اشتغاله بالكتابة في صحيفة الدستور مشغولا بنظم الشعر من موضوعاته ، وهو اولى بالوصف الماطفى من المقالات . ولم يحاول العقاد ان يجدد في فن المقال لأنه نشأ والصحافة المصرية قائمة على فن المقالة الادبية منذ انشائها قبل الثورة العربية ، وكان من كتابها المتقدمين « محمد السباعى » تلميذ « لى هنت » في فن المقالة ، على أسلوب المدرسة الانجليزية ، فكان رائد هذا الفن في تحرير الصحف غير مدافع .

ويمكن القول ان فن المقالة كان مكتملا على يد محمد السباعى واضرابه من الكتاب ، ولا يستطيع العقاد التجديد فيه لصلامة المتقدمين عليه فيه ، بيد ان المتقدمين على العقاد في الصحافة لم يفتقروا عليه جميع الأبواب ، فبقى له في الصحافة المصرية باب واحد يستطيع باقتحامه أن يفتح صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية ، لأنه كان اول السابقتين اليه . . . وذلك هو باب الأحاديث مع الوزراء والساسة . . . فلا نعلم أن أحد من الصحفيين المصريين سبق العقاد الى اجراء حديث عام مع وزير مصرى أو رئيس شرقى يسمع له قول في السياسة .

ولعل هذا التأخير من الصحفيين المصريين في اقتحام باب الأحاديث مع الوزراء يرجع الى أن الوزير المصرى ابان عهد الاحتلال قبل حدوث دنشواى وتقيام الأحزاب ، لم يكن يملك من أعمال وزارته غير التوقيع والسكوت ، لهو اللغو بعينه ، فلا حرج على الصحفيين المصريين اذا تجنبوه . . . وقد تجنبوه معنورين حتى خطر للعقاد أن يفتحم هذا الباب الأول مرة ، فكان اقتحامه اياه في الحق عنوانا لصفحة جديدة في تاريخ الوطنية المصرية ، ولم يكن مجرد سبق في الصحافة يتكرر كل يوم .

وأجرى الحديث الأول مع سعد زغلول في وزارة المعارف (١) ، وأجرى غيره من الأحاديث مع الغازى أحمد مختار « توميسير » الدولة العثمانية (٢) . كما كانوا يسمونه زمانه . . . وكان على ضآلة نفوذه في مركزه شخصية من أقوى الشخصيات العسكرية والسياسية التى عاشت في ذلك الزمان .

(١) نشر هذا الحديث في صحيفة « الدستور » العدد ١٥٩ السنة الأولى ٢٢ مايو ١٩٠٨ .  
(٢) نشر الحديث في صحيفة الدستور العدد ١٤٣ السنة الأولى ٣ مايو ١٩٠٨ .

وكان العقاد يعلم أن حديثاً يتطرق إلى نظام الجيش في عهد الاحتلال ،  
ويفوه به أكبر القادة العثمانيين في مركزه الرسمي بالديار المصرية - لن يخلو  
من ضربة تنقض مضاجع المحتلين ٠٠ ولقد كان ما قدر العقاد ، فان الرجل  
خبطها خبطة عنيفة ، وقال للعقاد لا سألته عن العدوان على المحل المصري  
في جزيرة العرب : أن الخذب ذنب للنظام لا ذنب للأمن في الجزيرة العربية ،  
وإنه كان يستطيع ان يفتح الجزيرة كلها بفرقة كالفرة التي تحرس المحل  
في كل عام !

« ان كلمة دون هذه الكلمة في الساس بنظام الاحتلال العسكري قد  
أوشكت ان تطيح بعرش عباس الثاني ، وتد حركت الدولة البريطانية  
بحدافها لتهدده وارغامه على الاعتذار ٠٠ فكيف تزامم يصبرون على تلك  
الضربة من قائد عسكري كيمثل الدولة العثمانية ؟ ٠٠ الا أنهم مكروا ولم  
يجهروا ، وبدأت بينهم وبين القائد الكبير أزمة متوترة متواترة ٠٠ نصرم  
فيها عليه سمسرة الخذلان في الاستقامة ، فكان الغازي مختار خاتم  
« للتومسييرين » في هذه الديار (١) »

والواقع أن فن الحديث الصحفي الذي كان العقاد أول من مارسه من  
الصحفيين المصريين في مطلع هذا القرن ليس من ابتكارات القرن العشرين  
كما يذهب إلى ذلك الكثيرون ٠٠ فمن تاريخ الصحافة الإنجليزية نعلم أن  
الصحفي الإنجليزي المشهور « ديفسو » استطاع في القرن الثامن عشر أن  
يحصل على حديث صحفي من قاطع طريق اسمه : « جاك شبرد » وكان هذا  
قبيل تنفيذ الحكم عليه بالاعدام شنقا ببضع دقائق .

بل ان ( ولزلي ) يذهب إلى ان حوار افلاطون يعتبر نوعا من الأحاديث .  
ذلك أن الأمثلة التي وجهت إلى سقراط حيناً ، والى غيره من أصحاب افلاطون  
وتلاميذه حيناً آخر كانت تحمل في طياتها صفات الحديث الصحفي ، ومثل

(١) حياة نغم - راجع صفحات ٩٤ - ٩٥ - وان كان المقاد ينكر أن الحديث الأول مع  
سعد زغلول لكننا عندما تصفحنا أعداد صحيفة الدستور وجدنا الحديث الأول مع  
مختار باشا الغازي ويؤكد ذلك التاريخ الذي صدرت فيه الصحيفة ، إذ أن هذا  
الحديث نشر في ٣ مايو - لكن حديثه مع سعد زغلول نشر في ٢٢ مايو ٠٠ رعى ذلك  
نرجح أن أول حديث أجراه العقاد هو حديثه مع مختار باشا الغازي - ويكتسب  
حديثه مع سعد زغلول صفة الأولوية إذا علمنا أن سعد زغلول هو أول وزير مصري  
يتحدث للصحف .

كثير في اخبار الأدب العربى فى قصور الخلفاء والامراء ، حيث كان الحوار  
بدور بينهم فى مسائل شتى وموضوعات متباينة (١) .

والحديث الذى أجراه العقاد مع الوزير المصرى سعد زغول ، كان يحتق  
وظيفة من أهم وظائف الحديث الصحفى بمعناه الحديث ، وهى وظيفة  
عرض وجهات النظر ومحاورة الشائعات .

ذلك أن سعد زغول حين قبل وزارة المعارف وجدها فرصة سانحة  
لاصلاح التعليم ، ولكن المعارضين لسعد بعد ولايته الوزارة وجدوا لهم  
سببا كان يتضى عليه برفض الوزارة فيما زعموا ، وقالوا انه تخلى عن  
اتهام الجامعة المصرية حيا للوظيفة ، وان تخليه عنها كان وشيكا ان يميث  
الفكرة فى مهدها ، واولغوا فى الظن حتى الشاسعوا ان الانجليز وسعد  
تواطوا على افعال « المشروع » وصرى الانتظار عنه ، ولم يتورعوا من دعوة  
الناس الى مقاطعة اللجنة القائمة به والكف عن التبرع للجامعة المنشودة ،  
واتخذوا من تبرع الحكومة لها بالمال حجة يستدلون بها على وجوب مقاطعتها،  
ولم يشاسوا ان يعتبروا هذا التبرع أول خدمة نافعة خدم بها سعد مشروع  
الجامعة وهو وزير المعارف ، ولعله لم يكن مستظيحا أن يخدمها هذه الخدمة  
أو غيرها لو لم يقبل لوزارة .

ولما كثرت الشائعات حول هذه الفرية تمعد العقاد أن يسأل سعد زغول  
عنها ليستمع للناس جوابه فيها ، وبذلك كان هذا الحديث يؤدي أهم وظيفة  
من وظائف الحديث الصحفى .

وعذا هو نص الحديث الذى أجراه العقاد مع سعد زغول :

« حوارات وأخبار »

حديث مع ناظر المعارف

رأى سعد باشا فى الجامعة

التعليم واللغة العربية

لأحد محررى الدستور

(١) عباس محمود العقاد : سعد زغول سيرة وتحية ص ١٠٢ وما بعدها .

## التعليم واللغة العربية

« مسألة التعليم الآن هي المسألة التي شغلت الأذهان وافاضت الجرائد في فحصها وتعليقها من جميع وجوهها . وفي الحقيقة انها المسألة التي يجب على كل ذي بصير ان يضرب فيها بسهم وينتقب عما يفتح مغلقها ويزيل عقباتها مع الاخلاص العامل الذي لا هم له الا ثرقية بلاده وخدمة وطنه بكل ما في وسعه .

فاذا بحث فيها فانما يبحث عن كل ما يستحق البحث في مصر وعلى قدر اخلاص الباحثين او خبث نيتهم تكون النتيجة حسنة او سيئة على هذه البلاد التي نفتخر باننا ابناءؤها وباننا دون غيرنا المسؤولون امام الله وامام ضمائرنا عما يسعدها او يشقيها ، فكل زلة يأتيتها الباحث في هذا الموضوع تبعده عن الف حقيقة ممترة وتدنيه من عاتبه وخيمة عليه بصفته مصرياً يسوءه ما يسوء البلاد التي ينتسب اليها .

ولقد تضاربت الآراء في أمر التعليم فذهب الناس مشرقين ومغربين فمنهم من يهم الكمية ومن خاض في بحر الظلمات واصبحوا يتسألون عن تلك الضجة القائمة حول التعليم ومبلغها من الصدق والاخلاص لان عليها يتوقف مستقبل ابناءهم وذويهم فانما بهم يستترشدون ولا يرشون .

لذلك اردت ان ارجع الى رجل اعتقد فيه الصدق والغيرة على مصلحة هذا البلد وان في قوله خير حاسم لهذا النزاع الذي استتار شرره واستفحل ضرره - ذلك الرجل هو سعد زغلول باشا ناظر المعارف الحالي - نكتبت اليه استاذته في مقابلة صحافية فاذن وحدد ذلك الساعة العاشرة من صباح أمس - يوم الخميس (١) - وقد كان فاجلت عليه وهو مكب على عمله وبعد ان استقر بي المكان بدأت الحديث كما يأتي :

قلت :

- ان بعض الجرائد اشارت الي ان نظارة المعارف طلبت من المالية زيادة ميزانية هذا العام فابت عليها ذلك واحتجت بتلة المال عندها فهل عذرا صحيح ؟

(١) أي يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٨ .

تسال :

- نعم هو صحيح وقد كانت نتيجة حجة نظارة المالية في ذلك مقبولة لان ما لديها كان حقيقة لا يفي بما يطلب منها .  
قلت :

- وما هو رأيكم في عرض لوائح التعليم على مجلس الشورى تبيل  
تقريرها .

تسال :

- ان هذه المسألة قد عرضتها علينا الحكومة ونحن نخصمها الان  
ونعد الجواب عليها ولكن لم يتقرر شئ من ذلك رسميا حتى الان .

قلت :

- حادثت بعض نظار المدارس الابتدائية فاذا هم يتخذون تسهيل  
الامتحانات في اللغة العربية دليلا على ميل النظارة الى اعمالها والاشتغال  
بغيرها من المواد الاخرى . . . وقد سمعت مثل هذا من غير واحد منهم  
مرأيت انهم يكادون يجمعون على هذا القول وفي ذلك ما يدعوهم الى اعمالها  
حقيقة جريا على ما يظنونه رغبة نظارة المعارف فهل تجدون في سهولة  
الامتحانات ما يحلهم على هذا الظن ؟

تسال :

- ارى ان كل عمل في هذا العالم لا يخلو من ينتقده ويستنتج منه  
معنى غير معناه الحقيقي ولقد كان الامتحان في اول الامر على شئ من الصعوبة  
فما سلمت نظارة المعارف ممن يرميها بانها تعتمد اسقاط النابحين من  
التلامذة . فلما توخت تسهيله تام بعضهم يتهمها بانها أرادت صرف  
التلامذة عن الاشتغال باللغة العربية الى غيرها من العلوم . وهو امر  
غريب يحار بازالته من يريد التوفيق بين اميال الجميع وعندى ان الانفصل  
نبيذ هذه الاقاول والاشتغال بما يفيد الفائدة المطلوبة وأن في اعتصام  
نظارة المعارف بأمر اللغة المرعبة ولفت نظر المتشدين والمعلمين الى  
وجوب التحقيق فيها ما يغنيها عن تطلب الاستحيل والجمع بين التقيضين :

تكلف ما تكلف به الآن أن تقوم بواجبها المناط بها ثم لا يعنينا بعد ذلك ما يقول الناس عليها .

قلت :

- كان بعض وجهاء الصعيد قد طلبوا من الحكومة إنشاء مدرسة ثانوية في اسيوط لتكفي أبناءهم مشتقة السفر الى العاصمة في طلب العلم فهل في نية النظارة إنشاء هذه المدرسة ؟

قال :

- ان النظارة تعود لو أمكنها اجابة وجهاء الصعيد الى مطالبهم ولكنها تجد امامها صعوبات تحول دون ما تريد فان المال لديها قليل والرجال أقل الا اذا أتت بهم من الخارج وهو ما تتحاشاه الان بقدر ما في استطاعتها ومما يؤسف له انها لم تجد من المصريين من يدرس مادتين في السنة الاولى من القسم التجيزي الا بعد جهد جهيد .

فاذا ذلت هذه الصعوبات هان عليها تنفيذ كثير من المشروعات التي يحول دون تنفيذها قلة المال والرجال .

قلت :

- الا يسمح - سعادة الناظر ببيان الخطة التي وضعها لتسير عليها نظارة المعارف فيما يختص باللغة العربية ؟

قال :

- ان خطتي لم تتغير وان تتغير وقد قلت في مذكرة المعارف التي رددت بها على الجمعية العمومية في هذا الشأن أن من أعظم امانى تعليم المواد المختلفة في المدارس المتنوعة باللغة العربية وقد اهتمت بهذا الأمر من يوم اسناد نظارة المعارف الى عهدتى وبحثت فيه بحثاً دقيقاً فنتبين لى أن هنا صعوبات تحول دون تحقيق هذه الأمنية في الحال واشرت الى بعض هذه الصعوبات في الخطبة التي تشرفت بالقائها على الجمعية العمومية ويسرنى أن حضرات اعضائها قد تدرروا هذا الصعوبات حتى تدرها فعدلوا عن اقتراحهم بأن تقرر ان يكون التعليم في المدارس باللغة العربية تدريجيا لا ان يحمل جميعه مرة واحدة وقلت في تلك الخطبة أيضا « أنى اتمنى بصفة كونى مصريا ان يكون التعليم في المدارس جميعها بلغة بلادنا ولكن ما كل ما يتمنى

المرء يدركه لان عناك صعوبات كثيرة تحول بيننا وبين بلوغ هذه  
الأمنية الان وهذه الصعوبات وان كان يجب السعي لتذليلها وصرف العناية  
لتسهيلا الا انه يلزم أن نحسب الان حسابها .

ولم اقل مرة واحدة ان اللغة العربية غير صالحة للتعليم وانما كل  
ما يستفاد من كلامي ان الشروع في التعليم بها وقت عرض الاقتراح مستحيل  
وان الواجب لتذليل الصعوبات التي تنف في سبيل الشروع حتى نتمكن من جعلها  
لغة التعليم تدريجا .

وقد سردت بعض هذه الصعوبات على اعضاء الجمعية العمومية  
فقدروها قدرها ووافقوا على جعل التعليم باللغة العربية تدريجا فانت ترى  
اني لم اعرض الجمعية العمومية رغبة ولم أحاول رفض اقتراحها  
هذا ولكني اريت اعضاءها وجه الصعوبة فصدقوا عليه واقتنعوا به .

أما ما ذلل من تلك الصعوبات حتى الان فهو كثير منه تعليم المسواد  
كلها في المدارس الابتدائية باللغة العربية ، وتعليم الحساب والهندسة بها  
في السنة الاولى من المدارس الثانوية . وتعليم الحساب والهندسة والجبر  
بمدرسة الزراعة باللغة العربية أيضا كما ان بعض الدروس في القسم  
الابتدائي قد أصبحت تدرس بتلك اللغة وصرح للمنتهين من تلامذة المدارس  
الثانوية الامتحان بها في أي علم أرادوا .

ولعل نظارة المعارف تتعدى حدود التدرج اذا هي قررت اكثر من ذلك  
في عام واحد فانه لا معنى لكونها تقرر تدريس العلوم كلها في كل المدارس  
مرة واحدة باللغة العربية وبين كونها تراعى قاعدة التدرج وتذليل  
الصعوبات شيئا فشيئا .

قلت :

— الى هنا اراني عرفت ما هو فوق الكفاية في شؤون نظارة المعارف  
فهل تسمح لي بابداء رأيكم عن الجامعة المصرية .

قال :

— بلى ، واني اتقول لك ان رأيي فيها رأيي في كل معهد علمي صغير  
كان أو كبير فان مصر في حاجة إلى العلوم ولا يستهان بأهل معهد علمي يكفل  
لها أداء هذه الحاجة .

قلت :

- هل كنتم تعلمون أيام توليتم رئاسة الجامعة انها ستقرر تدريس الآداب الانجليزية والفرنسيون عند تأسيسها .

تسال :

- انسا لم نبحث اذ ذلك في ائتمنيات ولكن الذي كنا نرعى اليه من انشاء الجامعة واعناها للامة انها تعلم التلاميذ ما لا يتعلمونه في المدارس الحالية ، وآداب اللغتين الانجليزية والفرنسية . مما يدخل في هذا الباب . ولكن لجنة الجامعة لا تكتفي بذلك الا في اول الامر وقد اشرت عليها باضافة آداب اللغة العربية الى هاتين اللغتين وهي تتناقض في ذلك الان .

وقد علمت ان اعضاء اللجنة يبذلون كل الجهد في ابلاغ هذه الجامعة اتصى ما تطلع اليه وكل من يعلم ممن هم اعضاء هذه اللجنة يثق ثقة تامة بنجاح المشروع على ايديهم ، وان من الغريب ان يكون في الناس من يخطئهم المعاملين والمكتتبين لهذا العمل الجليل .

ان الهمم فائرة من طبيعتها فليست هي في حاجة الى من يخطئها ولكن هذه الاتوال ربما دفعت الخجول الذي تحمله الفيرة على الاقتداء بأمشاله الى قبض يده عن الاكتتاب فان فيها مصرنا يبرز عمله ويظهره في عين الناس بمظهر الوطني الغيور على مصلحة بلاده .

يقولون ان الجامعة وقعت في ايدي الموظفين فانتمثلوها منهم . ولكن لا يتدبرون في عاقبة ذلك .

من يقوم مقام رشدي باشا وزكي بك وعلوي باشا والمسيو سييرو من غير الموظفين اذا عولنا انقاذ الجامعة من يد هؤلاء وتسليمها الى غيرهم .

لست انكر ان الجامعة كما هي الان ليست كجامعات اوربا ولكن الحالة الحاضرة تقضى علينا بالابتداء بالبداية لا بالغاية فاذا ما كانت لنا اليوم جامعة صغيرة فعلا تكون كبيرة ولا يبعثنا كذلك على احتقارها ونفص ايدينا منها لان في ذلك جناية كبرى ونحن في حاجة الى ما هو دون الجامعة بكثير .

اذكر انه لما انشئت الجمعية الخيرية الاسلامية قام بعضهم واستضعف شأنها لانها نشأت صغيرة كما ستنشأ الجامعة فما هي الا سنوات ثلاث

حتى اتسعت دائرتها واخصب مورها وكثر عدد مدارسها حتى بلغ ما تراه  
ولو أن القائلين بها جبنوا امام الانتقاد لتبريت في المهمل ولم تبلغ ما بلغته  
الآن .

وفضلا عن ذلك فان المسال الذي جمع الى اليوم لا يفي بالحاجة لان  
سنة وعشرين الف جنيه لا تكفي لانشاء جامعة كبرى كجامعات اوربا . هذا  
لو دفع كل مكتتب ما تبرع به ولم يقصر الامر على العشرة الاف اتى دفعت  
حتى الآن . ولو قدرنا ما ينتجه هذا المبلغ بأجمعه في السنة لما زاد عن  
الف جنيه مصرى وهو مالا يكفى لانفاق على الجامعة في حالتها الحاضرة .

كل هذا والذين يريدون اخراج الجامعة من قبضة الحكومة يجعلون  
انها دفعت مرة واحدة خمسة اضعاف ما دفعه المتبرعون في انحاء القطر  
المصرى بأجمعه .

وليس هذا كل ما اعدت به الحكومة هذه الجامعة فان اعتبارها لها  
مدرسة منتظمة وقبول شهاداتها بين بقية الشهادات المدرسية ينشيط  
الناس على الاقتبال عليها اقبالا لا تظفر بمثله اذا كان الغرض منها مجرد  
تحصيل العلم وتوسيع العقل ، وربما لا تنسى أن بعض هؤلاء كان يطلب  
من الحكومة تحمل المشروع ماديا فرفضهم الان اشرافها عليه بعد ان ادت  
الحكومة ما طلبوه منها يعد من الغرابة بمكان ويسدل على تناقض لا يمكن  
الجمع بين اطرافه .

عب أن اشراف الحكومة على الجامعة مضربها كما يقولون أفهسدا  
يحملنا على حض الناس على عدم الاكتتاب واسترداد ما تبرعوا به ؟

لا اظن ذلك لان انفاذا من يد الموظفين وتوسيع نطاقها عما هي  
عليه الان من المكنات وليس من المستحيلات وانما يكون ممكنا بكثرة المال  
والتبرعين فهي في هذه الحالة أحوج الى المال منها وهي بعيدة عن الحكومة  
ومهما يكن من مجاهرة اليأس للنفوس فلن يبلغ الى درجة يحزم معها  
بان الجامعة لن تنفلت من يد الحكومة الى الابد فمن العبث على كل حال  
العمل على استنطاقها وحرمان البلاد منها .

أقول هذا وأنا على يقين من أن الحكومة لا تقتصد سوءا بهذه الجامعة  
ولم تفكر في اعانة سيرها وان مرانيتها لها على هذه الصورة تنفيذها فائدة  
قد لا تتيسر بغير ذلك واراد لو نفيت كل ربيعة بشائنها من الاذهان فانها  
على اى صورة ظهرت معهد علمى يفييد البلاد ظهوره بقدر ما يضرها  
احتجابها .

وانتهى الحديث لان زائرا جاء لمقابلة الباشا فالتصت الاذن منه  
بالانصراف وخرجت من حضرته وكلى السنة ناطقة بشكره .

وعقبت « الدستور » على هذا الحديث الصحفي بهذه العبارة :

« المهم في هذه الحادثة ان سماعة الوزير يعترف باشراف الحكومة  
على الجامعة وان لنا كلاما على هذا نرجته الى الغد » .

ونشر فريد وجدي في « الدستور » (١) مقالا يرد فيه على اعتراف  
سعد زغول باشراف الحكومة على الجامعة متخذا جانبا الحزب الوطني  
الذي يرفض هذا الاعتراف على الجامعة من قبل الحكومة « فليس اماننا  
من وسيلة لايتأثنا بحاجاتنا من التعليم الا الاعتماد على انفسنا نقول  
انفسنا لاننا اكفاء لذلك ، ولم تزل في ايدينا يقينة من المادة تسمح لنا  
بالتسلح انبيسا لحفظ مراكزنا في معمعة هذا التغالب » .

\* \* \*

يقول الاستاذ « اميل لودفيج » في بيان اهمية الحديث الصحفي :

« يعتبر الحديث الصحفي من ألم الفنون الصحفية في الوقت الحاضر،  
ومن اكثرها استهواء للقارىء . وقد نطق ان الحديث الصحفي لا يزيد  
على كونه مجرد تسجيل لمناقشة ، أو حوار دار بين طرفين ، غير ان حقيقة  
الامر هي ان الحديث الصحفي اهم من ذلك ، لانه تطلب تحدا كبيرا من  
المهارة والتفطن والى توفر صفات من نوع خاص في المخبر الصحفي » .

والواقع ان هذا القول يبين لنا مدى الاحاديث الصحفية التي اجراها  
العقاد في سنة ١٩٠٨ فكان بذلك اول صحفي يقتحم هذا الباب في مصر  
واكتسب بذلك صفة الريادة ، ومن جهة اخرى فان حديثا العقاد  
مع سعد زغول واحمد باشا الغازي من الناحية الفنية كانا حديثين  
صحفيين ناضجين على الرغم من كونهما المولود الاول للحديث الصحفي في  
الصحافة المصرية ، فاختيار الشخصية سواء سعد زغول او قومييسير الدولة  
العثمانية اختيار يبدل على ادراك آخذ الحدث اهتمام الرأى العام  
المصرى في ذلك الوقت ، وقد قام عباس العقاد عن طريق هذه الاحاديث  
الصحفية بنقل وجهة نظره شخصياته الى القراء ، وكانت احاديثه مزيجا  
من الوقائع والرأى وشخصية المتحدث اليه .

(١) « الدستور » ٢٣ مايو ١٩٠٨ .

فالقائس : في حديثه مع سعد زغول مثلا « ان نظارة المعارف طلبت من المالية زيادة ميزانية ذلك العام فابت عليها ذلك واحتجت بقلة المال عندما » وقد أكد سعد زغول هذه الواقعة .

ومن الوقائع في هذا الحديث كذلك « انشاء مدرسة ثانوية في اسيوط وعدم امكان نظارة المعارف انشاءها في ذلك الوقت » . . . الخ .

وهي كما نرى وقائع كانت لدى القارى في ذلك بها معرفة ، وان كانت لم تتأكد لديه ، وقد تأكدت أو نفيت عن طريق المتحدث اليه ( سعد زغول ) ، الذي كان في نفس الوقت مصدر التأكيد او النفي لهذه الوقائع .

**والرأى :** في حديثه مع سعد زغول ايضا . تناول رأى سعد زغول في عرض لوائح التعليم على مجلس الشورى قبل تقريرها، ورأيه في ما قال من ان وزارة المعارف تهمل التعليم باللغة العربية بجدة ان الوزارة تسهل الامتحانات ، ثم يبرز من بين هذه الآراء رأى المتحدث اليه في (الجامعة)، وكانت الجامعة في ذلك الوقت تتسفل الرأى العام المصرى، وتتضارب الآراء حولها في الصحف المختلفة وقد أبدى سعد زغول رأيه فيما هو منسوب اليه بأنه تخلى عن انتماء الجامعة المصرية حيا للوظيفة ، وأن تخليه عنها كان وشيكا أن يهيت الفكرة في مهدها ، ول ان القائلين بهذه التهمة اتخذوا من تبرع الحكومة للجامعة بالمسأل حجة يستدلون بها على وجوب مقاطعتها ، ولذلك كان رأى سعد زغول داحضا لهذه التهم ومبينا للرأى العام وجهة نظره وهي أن اشراف الحكومة على الجامعة من صالحها مؤكدا ذلك بأدلة بينها في الحديث وشسارحا الدوافع التي دفعت اليه تفضيد هذا الاشراف على اعتبار انه خدمة نافعة لشروع الجامعة تقدمها وهو وزير المعارف.

**والشخصية :** وقد ابرز الحديثان شخصية ( سعد زغول ، ومختار باشا غازى ) من هما على حقيقتهما ؟ ومدى شجاعتهما وتدرتتهما على مواجهة الرأى العام بأرائهما والدفاع عنها بشجاعة . . . نلمس ذلك في حديثه مع احمد باشا الغازى على وجه الخصوص ، فاذا علمنا أن حديثا يتطرق الي نظام الجيش في عهد الاحتلال ، ويغوه بسه أكبر القادة العثمانيين في مركزه الرسمى بالديار المصرية – لن

يخلو من ضربة تقضى مضاجع المحتلين ، فاننا ندرى شخصية المتحدث اليه ( احمد مختار ) «توميسير» الدولة العثمانية ، عندما سألته العقاد عن المدون علي المحمل المصري في جزيرة العرب ، وأجاب : ان الذنب ذنب النظام لا ذنب الامن في الجزيرة العربية ، وانه كان يستطيع ان يفتح الجزيرة كلها بفرصة كالفرقة التي تحرس المحمل في كل عام !

ويمكن ان نضع حديثنا العقاد تحت نوع « حديث الراى » من أنواع الاحاديث الصحفية لانهما قاما بتغطية جانب كبير من النواحي الباحثنة عن الحقائق التي توبلت من الجمهور في ذلك الوقت برعاية واهتمام .

وصياغة الحديث الذي اجراه عباس العقاد ، يمكن القول فيها انها ولدت ناضجة فهي تنشر الاسئلة والاجوبة نشرًا حرفيًا دقيقًا كما كانت الصحافة في الماضى تفعل ذلك فحسب ، ولكن صياغة الحديث الصحفي عند العقاد اتخذت قالب الفنى لصياغة الحديث . ونحن نعرف ان هذا القالب الفنى ( قالب القصة الخيرية ) من توالب الصياغة يتألف عادة من جزأين (١) عما : ( المصدر **Lead** ) وهو ما يحتوى على اهم نقط الحديث مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث بقدر الامكان .

وإذا نظرنا الى حديث سعد زغلول نجد ان العقاد تحدث في (صدر) الحديث عن مسألة التعليم وتضارب الآراء حولها ، وأهمية رأى سعد زغلول في هذه المسألة ووصف لغائه وكيف تم .

و ( الصلب **Body** ) وفيه الاسئلة والاجوبة . وذلك بطريقة الاسلوب المباشر . وفي صلب حديثه مع سعد زغلول نجد الاسئلة والاجوبة وقد نشرت بدقة تتناسب وأهمية ما تتضمنه من آراء ووقائع . ويمكننا ان نقول ان احاديث العقاد كتبت بطريقة نمت عن شخصية المتحدث نفسه وكشف عن آرائه ونزعاته وأفكاره واتجاهاته .

وقد وضع العقاد لاحاديثه عناوين تتضمن أهم ما في الحديث من رأى أو خبر ، وهذا يبين لنا كيف ولد اول حديث صحفى مصرى ناصحاً . فنى حديثه مع سعد زغلول نجد هذه العناوين :

(١) انظر د . عبد اللطيف حمزة : المحلل في فن التحرير الصحفى ص ٢٢٠ وما بعدها .

« حديث مع ناظر المعارف »

« رأى سعد باشا في الجامعة »

« التعليم باللغة العربية »

وفي حديثه مع مختار باشا الغازي نجد هذه العناوين على صدر الحديث :

« حديث مع مختار باشا الغازي »

« لخطر على السكة الحديدية الحجازية ولاخوف على حجاج المصريين »

« رأى الغازي في مسئولية الحملة على المحمل » .

وتد كتب هذه العناوين بأنباط كبيرة تبرز أهمية ما تحمل من رأى وخير ..

\* \* \*

خلاصة القول أن باب الأحاديث الصحفية الذي فتحة عباس العقاد أمام الصحافة المصرية ولد على يديه ناضجا ، وهو يبرز لنا شخصية عباس العقاد الصحفية ، وكيف أنه بدأ حياته صحفيا بمعنى كلمة « صحفى » الحقيقية . والواقع ان صحفية ( الدستور ) قد أتاحت له فرصة التعرف على العمل الصحفى من ألفه الى بائه ، وكان لذلك كله عظيم الأثر في تكوين الجانب الصحفى من حياة عباس العقاد .

—————

## بعد تعطيل الدستور

كتب العقاد في « الدستور » حتى العدد الأخير منها ٠٠ وقد اضطرت هذه الصحيفة إلى التوقف بسبب العجز المالي ، ولقد عم الصحف جـسو من الكتابة والكساد اثر صدور قانون المطبوعات الجائر في سنة ١٩٠٩ اذ صدر قرار من مجلس النظار يقضى باعادة العمل بقانون المطبوعات الصادر في ٢٦ من نوفمبر سنة ١٨٨١ م وجاء في هذا القرار انه « حيث ان الحكومة لم تنفذ منذ سنة ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ . وحيث ان الجمعية العمومية طلبت من الحكومة في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ ردع الجرائد عن تجاوزها الحدود وعن الفوضى التي وصلت اليها ، وأرسل مجلس شورى القوانين طلبا مثل هذا في ٣٠ يونية سنة ١٩٠٤ (١) » وكان قانون ١٨٨١ مقيدا لحرية النشر في مصر لأنه أعطى للسلطات الادارية حق تعطيل اصحف بدعاوى المحافظة على النظام العام أو الدين والآداب ، وهي اسباب « يمكن لكل حاكم ان يندرج بها ان اراد القضاء على صحيفة تعارض (٢) سياسته » .

ومما يؤخذ في مسألة هذا القانون ان سعد زغلول لم يقف أمام صدوره، بيد ان العقاد في كتابه عن سعد زغلول يقول ان سعدا كان وزيرا للمعارف ولم يكن وزيرا للحقانية عند صدور القانون ، فلم تكن له يد في تحضيره وابتعائه . وانما كان الأمر محصورا بادىء الأمر بين الحكومة الانجليزية والخديو ورئيس الوزارة ، ثم اتصل بحسين رشدى باشا وزير الحقانية ومحمد سعيد وزير الداخلية ومنهما اتصل بسعد باشا لأول مرة ، ويؤكد العقاد ان سعد باشا رفض الموافقة على القانون عندما علم بنية اصداره . « وقال ان الانجليز يعلنون أنهم تركوا أمير البلاد الأمر في سياسة الحكومة بعد عزل كرومر ، فاذا افتتحنا هذا العهد بتقييد الحرية قالوا اننا - الحكومة - لا نطبق الحرية ولا نصلح لها . . . ولا مسوغ - بعد - لهذا الاحتكام بالمشائعين فهم فئة قليلة ليس يسمع لها صوت » .

(١) راجع : الدكتور خليل صابات : الصحافة ط ٢ ص ٢٨٥ ومابعدها - الفصل الخاص بحرية الصحافة .  
(٢) نفس المرجع ص ٢٨٤ .

ويذكر العقاد كذلك أن سعدا لم يعزل عن الرفض الا بشرط واحد لم يتحول عنه : وهو تعديل القانون وتلطيف بعض قبيوه وأحكامه ، وقد تم هذا التعديل بعد معارضة من الأمير ومن الانجليز (١) .

أيا كان الأمر ، فان هذا القانون قد نشر جوا من الكآبة والكساد في ميدان الصحافة كان من اثره ان عاش العقاد بدون عمل بعد توقف صحيفة الدستور ، وقد كان هذا القانون على حد تعبير العقاد نفسه « قانون الحجر والرقابة وتقبيد الرخص ومحاسبة الكاتب على السطور وما بين السطور وعلى الاتوال والذنيات » (٢) .

ويقول العقاد ان نصيب الصحافة من هذه الطاقة التي جرت على نفسها لم يكن أهون من نصيب الحكومة ، وانها جنت على حرمتها ولا ريب بما زودت به « السلطة » من معاذير ، يتقبلها كل من يؤمن بحق القانون .

« فلا نذكر أن أحدا من اعلام الصحافة كتب في صحيفته كلمة تمل بها الحكومة لتقبيد حرية الكتابة أو قال في خطبة كلمة تتعلل بها لتقبيد حرية الصحافة والاجتماع ، ولا نستثنى من ذلك « مصطفى كامل » على نظره وان دفاعه في الخطاب ، وفي المسائل .

ولكن الصحافة الوطنية لم تلبث ان صارت الى الاتلام التي لا تحسن شيئا كما تحسن ان تسقط معاذيرها ون تمهد العذر أن يتحملون العلل عليها ولا نخال ان حاكما حرا او مستنيدا كان يعيبه أن يتحمل العلل على الدعوة الصحيحة الى القتل واهداء الدماء (٣) .

وكانت الصحافة تعانى من الداخل الى جانب هذا الليلاء المسلط عليها من اعدائها ، فأ « اللواء » انقطعت موارده من يلدز وعابدين من قبل وفاته . وانقطع الأمل في موارد يلدز بعد زوال عهد عبد الحميد ، وفي موارد عابدين بعد اعراض الخديو عباس عن الحزب الوطنى في عهد سياسة الوردان واستحكام العداة بين الحاشية الخديوية وخليفة مصطفى كامل « محمد

(١) العقاد : سعد زغول ص ١٣٢ .

(٢) العقاد : حياة قلم ص ١٣٤ .

(٣) نفس المرجع .

فريد « . . وقد كان فريد رحمه الله ينهض وحده بأعباء اللواء المالية والسياسية ، مع ما أصابه من المصادرة بعد المصادرة ومن المحاكمة بعد المحاكمة ، حتى أجمع عزيمته أخطر الأمر على مجرة الديار (١) . . »

وكان « المؤيد » يزدهر في إبان نشاط صاحبه « على يوسف » سم تكب هذا الرجل العصامي نكبة قاسية عصفت بنشاطه قبل أوانه ، إذ فجته المنية في وحيدته في مقتبل صباه ، واضطربت حياته بعد ذلك بمشكلات الأسرة او مشكلات « مشيخة السادات » التي سافته قضية الزوجية ليها ، وما زال ديبب الملل يسرى اليه ويزهده في صحيفته العزيزة عله حتى تركها بعد حين للمقادير وهو لا يبالي ما سوف تلقاه او ما سيلقاه (٢) . . »

وكانت « الجريدة » اسلم الصحف من هذه الزعازع واشباهاها ، ولكنها على هذا لم تسلم من ضربات خصومها السياسيين وفي مقدمتهم الحاشية الخديوية ، وحزب الاصلاح على المبادئ الدستورية . . . . . ناس حاشية الخديو افتتحت عهد الوفاق بين السلطتين الشرعية والنظمية بمحاربة « حزب الأمة » قبل غيره من الأحزاب ، لأن أعضاء الأحزاب الأخرى كانوا يلوذون بالقصر ولا يتطاعونه ، خلافا لأعضاء حزب الأمة الذين كانوا يتفون من القصر موقف الاستقلال أو يتعرضون لغضبه في كثير من الأحوال. فسمى رجال الحاشية سعيهم لتحويل الأعضاء من حزب الأمة الى حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية ، ونجح مساعموهم بعد اختيار وكيل حزب الاصلاح للوزارة وتتابع الانعام بالرتب والألقاب على أعضائه البارزين . . . . . ولم تبق للحزب بقية قادرة على الصمود والمقاومة الا بجهد جهيد ، ولكنه بقاء لم يعصم الجريدة من ازمت المال والخلافات الداخلية ، ويذكر العقاد أنه عرف من محريها يومئذ من تركها لانها اضطرت إلى التصد في وظائف التحرير بعد التوسعة فيها عند نشأتها حتى كانت تقنع من المحرر بنهر في اليوم ، ولا تسأله اذا ونى عن كتابته هذا النهر عدة ايام (٣) . . »

وتلك هي الصحف التي ينظر اليها العقاد اذا نظر الى عمل في الصحافة اليومية ، واذا يقف للمرة الثانية ليميز بين كل صحيفة وأخرى ليختار

(١) العقاد : حياة قلم ص ١١٢ .

(٢) نفس المرجع ، أيضا انظر « رجال عرفتهم » للعقاد ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) المرجع السابق : أيضا « رجال عرفتهم » ص ٢٣٨ وما بعدها .

العمل في اعدادها ولكن اذا كانت الظروف لصعبة تشمل كل صحيفة بنصيب كبير ، يجعلها غير مرحبة بعامل جديد فيها ، فماذا يفعل العتاد !

وأما الصحف الاسبوعية فقد كانت تتميز بطابع سبيء لا يشجع على العمل بها فهي اولا ، لم يكن فيها مجال لخبر أصحابها أو لغبر كتاب المقالات - بالقطعة - على حسب المطلب ، وعلى كل لون وفي عرض لطريق !

وهي ثانيا ، كانت تستبيح كل مخطورة في التشهير واستغلال الفضائح وافتراء الأكاذيب لاغتصاب الأدوات التي لا موعدها ولا حدود لتكرارها باسم « الاشتراكات » أو التبرعات الوطنية ، ويسألها سوء حفظها وحظ الأمة - على حد تعبير العتاد - ان يكون ممثلوا البلاد اكبر اهدافها وأول من يصاب بسبها ، فكان التشهير بأعضاء مجلس الشورى بابا ثابتا من ابواب كل صحيفة اسبوعية تبحث عن الفريسة بين ذوى الاسماء المعروفة ، ولم يكن لأعضاء مجلس الشورى سلطان في الحكم بحاسبون عليه أو يناقشون فيه . وإنما كانوا من اعيان البلاد وكان أكثرهم بماصمة البلاد على مقربة من جبهة الصحفيين الاسبوعيين فكانوا ان ينوبوا عن البلاد جميعا في مصابها بالصحافة الاسبوعية وتصدى بعضهم للمطالبة بتقديد الاتسام قبل ان يتصدى لها الوزراء والحكام .

قال أحدهم للامير حسين كامل مستغترا نخوته : هل يرضيك يا صاحب السمو ان يقال عنك أنك رئيس مجلس الشورية ؟

« وبلى هذا الفخر - كما يتول العتاد - تبتلى البلاد بالاختصاصه وتلب الحال ، وينادى بالحجر على حرية الصحف من كانوا أحق الناس لايقاء على رايها ولم يكن قوامها إلا العدوان على حرية الناس .» (١) »

وهكذا كانت هذه « الصحافة الاسبوعية » في سباق على تدمير المعادير للمسلطة التي تعمل على تقديد الصحافة والحجر عليها ، وكانت تلك جنابة على لصحافة اليومية الكافحة ، وأى جنابة التي انتهت بصدور ذلك القانون الجائر الذي كان بداية النهاية لهذه الصحف .

فلا يلبث الشيخ على يوسف ان يترك « المؤيد » في عام ١٩١٢ ثم يتوفاه الله في العام التالي . . . ولطفى السيد بترك الجريدة عقب اعلان

(١) المرجع السابق ص ١١٩ .

الحرب العالمية الأولى ثم تتوقف هي عن الصدور لاضطراب أمورها .  
واستقطاعات الحكومة أن تقضى على « النساء » منهنزه حسدوت خلاف بين  
ورثتها والحزب ، وأصدر الحزب بعدما عدة صحف كانت السلطات تقوم  
بتعطيلها .

ولم يجد المقاد بدا من مبارحة القاهرة الى بلده ، ومن هناك كان  
كل اتصاله بالصحافة اتصال « مصاحب » يكتب الصحف ويعود الى القاهرة  
ليكتب المقالات والفصول المترجمة لمجلة البيان التي كان يصدرها منذ  
سنة ١٩١١ عبد الرحمن البرقوقي (١) .

وكان يكتب في هذه الملة صفة من نابغة الكتاب منهم « محمد  
صادق عنبر ومحمد حسين هيكل (٢) ومصطفى صادق الرافعي الذي كان  
يلقب بأبي السامى وإبراهيم عبد القادر المازنى ومحمد السباعى وخليل  
مطران وطه حسين وكما كان يحلو للبيان أن تكتبه « بالكاتب النقاد  
الشيخ طه حسين » ومحمد لطفى جمعة وعبد الرحمن شكرى وسلامة موسى .

ووجد المقاد في مجلة « البيان » متنفسا لواعبه الادبية التي كان  
تلما يحلو اليها ابان اشتغاله بالصحافة اليومية ، وتبين مقالاته ونصوله  
المترجمة في البيان سعة اطلاعه في هذه الفترة على الآداب الأوربية من  
خلال إجادته للغة الانجليزية .

ويكفى ان نذكر هنا انه كتب في عدد واحد (٣) من اعداد الملة  
ما يقرب من ستة مقالات منها « حكم روشفكول » تقدم لها بمقدمة عن  
روشفكول معاصر ريشيليو ، ورأى المفكرين فيه كقولته والدكتور جونسون  
النقاد الانجليز « اللورد شترفيلد في رسائله الشهورة الى والده ، وترجم  
شذرات من حكم روشفكول تبلغ العشرين من هذا الحكم . وفي العدد  
كتب بعنوان « الحب والزواج » يلخص فيه فصلا من فصول دافيد هيوم  
« أكبر فيلسوف انكليزى في مباحث وراء الطبيعة وهو من فطاحل رجال  
الأدب والتاريخ والاقتصاد السياسى عندهم » وكتب هيوم هذا الفصل  
« على اسلوب له يمزج فيه الحقيقة بالخيال ويورد الإنكار على الحكامات  
والدعابات » .

(١) صدر العدد الأول من هذه الملة في ٢٩ شعبان ١٣٢٩ - ١٤ أغسطس ١٩١١ .  
(٢) كتب الدكتور هيكل في البيان مقالا بعنوان « الجمال والحب وأثرهما في الحياة »  
المجلد الأول ص ١٣١ .  
(٣) العدد ٥ ، ٦ - ٣٠ ذى الحجة ١٣٢٩ و ٣٠ محرم سنة ١٣٣٠ .

وفي نفس العدد كتب العقاد أيضا « سخرات مقننات من ادس »  
وفلسفة الفنون - الحد بين الطبيعة والصناعة في الفنون الجميلة » و  
« الشجاعة » ومقالا عن « حافظ الشيرازي » .

واتفق أن يكتب العقاد في مجلة البيان سنة ١٩١٢ تلخيصا لكتاب  
« ماكسي نوردو » عن أكاذيب الخنية الحاضرة (١) . وكان من دأب الشيخ  
عبد الرحمن البرقوقي صاحب البيان أن يسأل شيوخ الأدب رأيهم في  
مقالات المجلة وأبوابها . . . فسأل حافظ عرض وسأل مصطفى صادق  
الرافعي ، وسأل المويلحي صاحب « عيسى بن هشام » . فانتقد حافظ عرض  
عنوان الكتاب كما ترجمته المجلة ، وزاد انتقاده في ثقة الشيخ بمعباس  
العقاد ، لأنه ترجم عنوان الكتاب « بالأكاذيب التفتق عليها » واقترح  
الشيخ البرقوقي أن « يسجعه » ليوافق اسماء الكتب ، فأصبح المنشور  
« الأكاذيب المقررة في الخنية الحاضرة » . فلما جاء النقد من بعيد ،  
قال للعقاد انه لن يرفض مطاوعة لراي السجعة بعد الآن (٢) .

ولفت العقاد نظر المويلحي ، وكان مدير القسم الاداري بديوان  
الأوقاف ، ويتبعه تحرير المجلس الاعلى والمجلس الاداري للديوان وتلسم  
للسكرتارية . وعرف المويلحي من البرقوقي أن العقاد لا ينتهي الى « السيد  
حسن موسى العقاد ، المشهور » وأنه لا قرابة بينه وبين ذلك البيت  
وأنه يعيش بالتبديل مما يرده من أهله ، وبالتبديل من اجور القسالات  
او فصول الكتب المترجمة . . . فقال : ما اجدره بوظيفة في ديواننا ينسأل  
بها راتباً منظماً . ونقل البرقوقي حديث المويلحي الى العقاد ، فتقدم  
الى الديوان يطلب وظيفة واجيب طلبه لساعته . وجمله المويلحي مساعدا  
لكاتب المجلس الاعلى بتلم السكرتارية . وكان ديوان الأوقاف حينئذ يقص  
بكثير من الأدباء والشعراء من شيوخ وشبان امثال عبد العزيز البشري ولحمد  
الازهرى صاحب مجلة الازهر ، وأحمد الكاشف ، وعبد الحليم المصري ،  
وحسين الجمل وعلى شوقي ومحمود صاد ومصطفى الماخي وغيرهم فأخذ  
يختلط بهم ، وينهض بوظيفته واعبائها في ديوان الأوقاف ، بين سنتي  
١٩١٢ و ١٩١٤ ، واستطاع في هاتين السنتين ان يدرك الفساد في شؤون

(١) نشر هذا المقال بمجلة البيان العدد الثامن ٢٩ ربيع الأول ١٣٣٠ - السنة الأولى  
عنوان المقال « الأكاذيب المقررة في الخنية الحاضرة للتعاقبة الاجتماعى الأشهر ماكسي

نوردو » لخصمها الفاضل عباس محمود العقاد . . .

(٢) حياة فلم ( للعتاد ) ص ١٢٧ .

مصر العامة عن قرب في ديوان الاوقاف ، فالخديو يتخذ كل وسيلة لاختلاس أموال الصدقات في هذا الديوان ، كانه من صناعه ، ولا حسيب ولا رقيب، وشاعت في تلك الايام قصة ارض الطاعنة التي أخذ فيها الخديو لنفسه ستين الف جنيه باسم « العمولة أو الوساطة » وعاد بمسما فتعقب كل من عارضوه ووقفوا له في طريقه من الموظفين الزهراء فعاتبهم على الأمانة واليقظة بالفصل والامصال وتعاملت اصوات طلاب الاصلاح من المصريين تطالب فرض الرقابة على الديوان وأمواله . ورأى العقاد هذه الفضائح بعينيه ، وقد هاله ما علم فانبرى يكتب الى الصحف بدون توقيع بعض المقترحات لاصلاح الديوان بدون توقيع . ولم يخف على الانجليز وعيون الخديو انه صاحب هذه الاقتراحات ، وحاول الانجليز أن يتصلوا به ليتخذوه أداة لتاورتهم مع الخديو ، ولتى السكرتير الشرقي مستتر ستورز ، فاستهل الحديث معه بالكلام على الأدب وعلى برناردشو . ثم استطرد الى الكلام على الصحافة ، وكثر من الكلام على صحيفة المؤيد وقرأتها ومحرريها ، ثم استطرد الى الكلام على الاوقاف وفضائح الديوان طوحا بان « ذلك يرجع الى حرمان الديوان من الرقابة الأجنبية » ورأى في هذه العبارة صدمة لكرامته ، فاجابها بحدة ظاهرة : « ان المجلس البلدى الاسكندري يتمتع برقابة أجنبية من كل جنس وملة ، ولا أنفككم تحسبونه مثلا من امثلة الزهارة والنظام » . وانتهى اللقاء عند هذا الحد ، وكانما ادرك السكرتير الشرقي ان الذى يحادثه لا يقبل المساومة على مبدأ وطنى .

وفي الفترة التي تضاها العقاد بديوان الاوقاف كان يكتب في «الجريدة» مشاركا بذلك في تحريرها مع محمود عماد وعلى شوقى والمازنى وعبد الرحمن شكرى وطه حسين ومحمد صبرى .

وفي نفس هذه الفترة كان يكتب مع ابراهيم عبد القادر المازنى وعبد الرحمن شكرى فصولا نقدية في مجلة « عكاظ » (١) لصاحبها الشيخ فهيم قنديل .

وينشر العقاد في هذه الصحيفة قصائده الشعرية مع اسماعيل صبرى والمازنى وحسن القاياتى والسيد محمد سعيد النجفى .

(١) صدر العدد الأول يوم الأحد ٩ شعبان ١٣٣١ - ١٣ يولية ١٩١٣ - « صحيفة أدبية أسبوعية تصدر صباح الأحد من كل اسبوع »

وكانت الدراسات النقدية التي يكتبها العقاد وزملاؤه المازني وشكري تهدف الى ارساء مدرستهم الشعرية الجديدة بنقد الآخرين أو بتقديم أعمال بعضهم بمقارنتها بغيرها من الأعمال واطهار اللون السابع بين اتجاههم الأدبي الجديد وبين الاتجاه السائد في الشعر ، وذلك كما حدث في موازنة المازني بين شعر شكري وحافظ في صحيفة « عكاظ » التي ابتدأت يوم ٢٧ يولية سنة ١٩١٣ بسلسلة من المقالات ذهبت في المقالة الاولى منها الى انه لا يجد ابلغ في اظهار فضل شكري والدلالة عليه ، وبيان ما للذم الجديد على القديم من المزية والحسن ، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكري ، وآخر مما ينظون الشعر بالصنعة مثل حافظ ، فان الله لم يخلق اثنين مما اشد تناقضا في الذم وتباينا في الفزع من عذبن ، والفسد كما قيل يظهر حسنه الضد .

وقد نشر العقاد في « عكاظ » مقالتين تحت عنوان « الشعراء الندابون » ساند فيهما المازني في موازنته هذه التي استمرت حتى عام ١٩١٤ . . . ووصفه فيهما بأنه شاعر نخب وقفا شعره على النسب والولولة والمويل مدعيا ان لكل عصر شعره وان هذا العصر لا يحتفل بالنسب والمويل ، ولا يلجأ الى النسب والمويل الا شاعر مغلق الذهن لا يتيقظ خياله الا بمتحاس الغلو الفاحش والمبالغة المستحيلة (٢) .

\* \* \*

وكانت الجمعية التشريعية قد انشئت في سنة ١٩١٣ فحولت ديوان الاوقاف الى وزارة حتى تتمكن من الاشراف على ميزانيته وتغل بيد الخديو عن اختلاس أمواله واختير للنظارة رجل من انصار الخديو ترضية له وتنطية لخدلانه . فكان ناظرها الأول في عهدهما الجديد « احمد حشمت باشا » وقد كان قبل دخوله الوزارة وكييلا لحزب النصر بين الاحزاب الثلاثة ، وهو حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية . ولم تندس الحاشية الخديوية للعقاد موقفه ، فأخذت تثبت له كي تخرجه من عمله ، فأرسل الوزير الجديد الى العقاد بطاقة صغيرة من بطانات الدعوة الى مكتبه ، وذهب العقاد الى لقاء الوزير في الموعد المحدد ، ولكن الوزير لم يتعرض لسلك العقاد في قضية اللديوان بغير التلميح من بعيد . . . وإنما خاطبه في أمر مقالة من مقالات العقاد نشرها في الصحف وذيها بتوقيعه الصريح ، وهي مقالة كتبها تابينا

(١) راجع : عبد الحى دياب : عباس العقاد ناقدا ص ١١٨ وما بعدها . نشر هذا المقال في العدد الثالث يوم ٢٧ يوليو ١٩١٣ .  
(٢) عكاظ في عددي ٦ ، ٢٣ من مارس سنة ١٩١٤

للشيخ على يوسف صاحب المؤيد ونشرتها صحيفة « عكاظ » الاسبوعية  
« ومن اصحابك المصادفة ان الوزير كان صديقا للشيخ على يوسف ، وكان  
وكيلا لحزبه وخصما لكثير من خصومه .. وكان من اشياعه الظالمين الذين  
مشوا في جنازته واثار اليهم في بعضها وذكره في وفاء المشيعين له بعدد  
الوفاة (١) » .

• وكان الشيخ على يوسف قد ترك المؤيد ومجر الحياة العامة ،  
واصطلحت عليه الملل والنكبات .. وقضى حقبة غير مذكور من اقرب القرابين  
اليه ، فلم يسر في جنازته منهم غير آحاد معدودين ، بينهم وزير الاوقاف ..

وقال العقاد في تايبيه (٢) : « ان الرجل كان « نفاعا ضرارا » ولكنه  
كان ينفذ ويضرب لتمكين نفوذه واستصلاح الاعوان في مشكلاته وقضاياه ..  
فمن وصلت اليه من ايادي لم يكافئه عينا بالمحبة وخلص النية ، ولكنه  
يحس انه مدين مطالب يدين يوفيه في يوم من الايام .. فلا جرم يشيعونه  
غير محزونين ويمضون في جنازته متحدثين متشاغلين ، لانهم في حالة نفسية  
اشبه بحالة الدين الذي اغناه موت الدائن من الوفاء له بما عليه .

ويذكر العقاد (٣) بصدده هذه المقالة ان الوزير خاطبه بلهجة هادئة  
كانها لهجة الاستاذ الذي يلوم تلميذه على فصل من فصول الشيطنة  
لا يبلغ عنده مبلغ السخط الشديد ولا يخلو من بعض الرضى . فقال بعد  
الاشارة الى مقال التابيين : « كان احري بظلمك للناشي ان يتخذ له في تابيين  
الموتى منهجا اطيب من هذا النهج وكان عليك الا تنسى في هذا المقام  
قوله عليه الصلاة والسلام :

« اذكروا محاسن موتاكم » ..

« فاجتهدت ان يكون جوابي في لهجة توائم لهجة الوزير ، وتلت  
ما معناه » . « اننى لو علمت للشيخ حسنات غير التي ذكرتها لما فاتتني  
ان اذكرها » ..

(١) العقاد : حياة تلم ص ١٣٧ .

(٢) صحيفة عكاظ : العدد ١٤ - يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩١٣ - مقال بعنوان « تقدير

الشيخ على يوسف » .

(٣) حياة تلم ص ١٢٨ .

« فانتضب الحديث ، مصطعما الجسد ، وقال : »

– « على كل حال اجعل لظلمك مستقبلا كمستقبل الشيخ ان استطعت،  
واستخدمه في عملك ، ودع عنك تفصول الاتاويل والاحاديث » . .

والرأى عننا في مقال تأبين الشيخ على يوسف انه لم يكن من تفصول  
الاتاويل والاحاديث – كما نال الوزير في حديثه مع العقاد – ولكن هذا  
المقال يكشف لنا من حقائق ذات بال بالنسبة للصحافة في تلك الفترة ، أيا  
كان الرأي في منزلة الشيخ على يوسف ومكانته ، ويكشف لنا هذا المقال  
صورة الصحافة في زمن العقاد في تلك الفترة أيضا . .

ونرى ان تقدم هذا المقال كاملا غير منصوص لأهميته التاريخية ، فليس  
في أماكن الأرخ لهذه الفترة من حياة الصحافة المصرية ان يتجاهل هذه  
الحقائق . . وان كان العقاد قد صدم برأيه الجريء، في الشيخ على يوسف  
اولئك الذين كانوا يرون فيه « انه كبر بالصحافة وانه استمد نفوذه منها »  
ويصحح العقاد الزعم المائل بالخلط بين الشهرة والعظمة ، فقد ينجح  
الرجل ولا يكون خطه من العظمة الا اسمها ووزنها . وينجح غيره أقل من  
نجاحه فيكون نجاحه كأنه مخرج لما يبتلى؛ به صدره من الرغبة في النزوع  
وكرامة النقص وحب الكمال .

وعندى ان هذا المقال بداية للطريق الطويل الذي قطعته العقاد في سبيل  
تحطيم « عبادة الاصنام » والاصنام عنا هي أوثان المظاهر والالقاء لا أوثان  
المذاهب والارباب .

ولقد نكبت مصر بداء الاستبداد القديم فحصر فيها التشريف والتقدير  
من أعلها فيما يفرضه الحاكم على المحكومين ، فلا تدر لانسان بغير مظهر ،  
ولا مقام لاحد بغير لقب ، ولا جاه ولا حسب ولا علم ولا يقين بغير صيغة  
مرسومة في سجلات الدواوين ، وكانت هذه الوجاهات رهن ارادة الحاكم  
لا تعدوه بحال .

وخلتظ هذا الفهم الخاطيء على أفهام الناس ، فأصبح العالم يفضّل  
العالم بلقبه او منصبه لا يعلمه ، وهكذا صار الشاعر يفضّل الشاعر ،  
والصحفي يفضّل الصحفي ، وأغبط ما يكون عابد الوثن اذا كان للوثن صلته  
وصيامه وكان حول الوثن طوائفه وتيامه . كان كل حق في سمة الطم مرهونا  
بلقبه ، وكل توهين لشان هذا اللقب موهن للهجته في دعواه ، وما من حجة  
له سواه (١) ، (١) . . والشيخ على يوسف صاحب المؤيد الرجل العصامي

(١) من كلام العقاد في مقال « اصنثائي وأعدائي » – انظر « أنا » ص ١٦٣ .

الذي حمل رتبة الجايشوية ، واصبحت جريدته اكبر جريدة في العالم الاسلامي ، واصبح رئيسا لحزب من الثلاثة الموجودة في مصر ، ظل يسمى دائما لبيسجل اسمه في سجل الاشراف ، رضى ان يمتثل الصحافة والسياسة ليمين شيخا للمادة الوفاثية .

« ولو كان الرجل سامي اللب واسع الذهن لكان تقديره للمعظمة اسمى واكبر من تلك الغاية اتى نصبها عرضا له حياته ، وبذل كل ما يعسر على النفس بذله لاجل دركها (١) » .

وتد يكون في هذا المقال الذي كتبه العقاد في مستهل حياته الصحفية شىء غير قليل من التجنى على تندر الشيخ على يوسف . وقد نعزوا ذلك الى حماسة الشباب ، ولكنها لا تخرج عندنا عن كونها متنفسا للفكرة التي آمن بها العقاد طوال حياته واتخذت سمى « البدا » الذي يناضل من اجله ويلقى العسف دونه . . . بيد ان العقاد قد انصف الشيخ على يوسف في آخر حياته في الفصل الذي كتبه في كتابه « رجال عرفتهم » ووضع ابيدينا على « مفتاح شخصية » الشيخ على يوسف في كلمة « العصامية » حيث تصل العصامية احيانا الى حدود المعامرة (٢) . . . وعذرى ان العقاد انصف الشيخ على يوسف عندما كتب : « ان على يوسف كان يصنع « صناعته » الصحفية ليتعلمها الناس منه ، ولم يكن يتعلم تلك الصناعة على اسانقتها في الشرق والغرب ، ولا على ادائها التي تملها عليه (٣) . . . وقد يخطر للذهن ان العقاد في مقاله حول تقدير الشيخ على يوسف ، يناقض نفسه حين يكتب هذا الكلام في شيخوخته عن الشيخ على يوسف . . . والواقع انه ليس هناك تناقض فالعقاد عرف للرجل قدره في كلتا المسالتين ، واذا كان هناك موجب للقول بالتناقض فهو حماسة الشباب للفكرة واتزان الشيوخ في تقديرها واعادة النظر . . . ولكن مقالة العقاد في سن الحداثة هي وصمم للمصر الذي عاش فيه الشيخ على يوسف وتحليم الاوثان التي عبدها الناس في هذا العصر ، وكان الحكام عم خالقى هذه الاوثان . . . فليس هناك تجن على الشيخ على يوسف وانما هو تقدير اى تقدير . . .

(١) انظر مقال العقاد في « تقدير الشيخ على يوسف » في الصفحات التالية :

(٢) انظر رجال عرفتهم ( للعقاد ) ص ١٦ .

(٣) صحيفة « عكاظ » العدد ١٤ يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩١٣ .

وهذا هو نص المثال :

« تقدير الشيخ على يوسف » (١) .

« لا يقنعني بأن الصحافة المصرية لم تجاوز بعد سن الحدائة مثل شينئين احدهما مفاطة المشركين والثاني اعادة الصحف والجلات . »

وكثيرا ما سال الصحفيون : ما بال الصحافة المصرية مبتلاة بدهاء المطال من مشركيها حتى لا تكاد تظهر صحيفه الا صادفها من ذلك عقبات قد تقضى عليها او تلجئها الى غير مورد الصحافة ، وعدم الاعتماد على الاشتراكات وغيرها من المكاسب الصحفية ، ولا عملة لذلك الا ان الصحافة لم تدخل في ضروريات المصرى بعد ، وانه لا ينتظرها كما ينتظر الرجل شيئا لازما لاغنى عنه ، ولا يتعقب اراءه انتعقب ممنتقد ان لثلك الراء سياسة به ، ودخلا في حياتاه .

تبلغ الصحافة هذه المنزلة في البلاد الاجتماعية ، وارىد بالبلاد الاجتماعى ما تكون فيه جامعة بين سكانه محسوس بها ، وليس للمصريين هذه الجامعة ، وكاد لا يدور لها حبال في اذهان الكافة من ابنا، وادى النيل . فانهم لا يزالون يرددون اسم المصرى ويتصون به الولود في مدينة القاهرة وليس عندهم كلمة للثومية المصرية اللهم الا ما تلتفتسه بمضمهم اخيرا من مستحدثات الكتابة (٢) وما هم بالكثيرين في عداد الامة .

اما في الاوطان الاجتماعية فالصلة اقرب من ذلك وهناك يترقب القارىء الصحيفه كما يترقب الرسائل الشخصية ويرى في كل خير رسالة من الامة اليه او منه الى الامة فلا يخاطر لمثل هذا الضارى، ان يماطل الصحيفه في اجراها ولا يستحسن احد ان يستعير منه صحيفته ليقراها كما يفعلون هنا لان الناس يخجلون من استئارة الضرورى الذى يمتقدون انه لازم لكل فرد من الناس .

ليست المفاطة من طبيعة المجتمع المصرى ، ولا الاستعارة من دينه لانا لا نسمع بالمفاطة في ثمن الخير الا نادرا نراهم يستعرون اللانيس الا الحلى منها وذلك في الفرى التى تعد الحلى من تجميل الزينة الكمالية ولكن النفوس مجبولة على الا تحسب حسابا لغير ما يلزمها ، والمصرى اليوم لا يحى

(١) صحيفه « عكاظ » العدد ١٤ يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩١٣ .

بالحاجة الماسة الى الصحافة ، فلا غرابة في أن لا يعد من دخله ندرا يدفعه الى الصحيفة متى طالبته بحقها عليه . . . نقول ذلك بمناسبة موت ذلك الصحفي الذي مال بعضهم في رثائه انه كبير بالصحافة وانه استمد نفوذه منها لتقول أن الصحافة الصرية ليست من القوة بحيث تكسب صاحبها نفوذا صحفيا كالذي يستخدمه شباب الفرنج ، وانه على كون الصحافة الانجليزية لا تنهى ولا تأمر ولا تنصح ولا تزجر فالكاتب فيها اكبر شأننا من الوجبة الصحفية من كاتبنا الذي لا يعمل في الصحافة على غير قلمه .

فليس الشيخ على يوسف صحفيا كبيرا . كلا ولا هو بالرجل الكبير وان كنا لا ننسى انه ولد خاملا فمات شهيرا ، ونشأ النشأة الأولى فقيرا متربا ثم قضى نحبه مسموع الكلمة وجيها .

ولكن ذلك حسب الرجل من حياته ؟؟ او ليس على المرء الا ان يسعى لينجح فيذكر اسمه على كل لسان ثم لا يسوغ لاحد بعد ذلك ان يذكره بغير ادح والتسجيل ؟ .

ذلك مالا يقوله فائل فانما للنجاح وسائل كثيرة وأكثر من وسائله عاياته . وقد ينجح الرجل فلا يكون حظه من العظمة الا اسمها وزيتها . وينجح غيره أقل من نجاحه فيكون نجاحه كأنه مخرج لا يمتلك به صدره ظاهر الود له ليستزيدوه منه ، ولكنهم لا يحفظون له جميلا لأنهم يعلمون ان جدوا عائدة عليه قبل أن تعود عليهم .

فالشيخ على قد افاد بعض الناس ولكنها فائدة لا صلة لها بحب الخير . فلم ينجح الموت فيه صديقا مخلصا . ومات فلم يبق له من أسدى اليهم البر بحق الوفاء . وفرق بين هذه الحالة وحالة العطاء الذين يخرجون من الدنيا وما تركوا فيها صديقا بيكيهم . لأن الناس قد لا يبكون المظلم لأنهم لم يفهمهم ، أما هؤلاء فليس عدم بكاء الناس عليهم الا لأنهم قد فهمهم حق الفهم .

ولقد أراد أكثر من كتبوا عن الشيخ على يوسف ان يستدلوا بوصوله الى منزلة ينفخ بها ويضر على نبوغ عظيم فيه . وليس أدل على الجهل بالنبوغ من هذا التتدبير . فما يليق بالنبوغ وهو ثمرة الانسانية جمعا ، وابن الخلود بأسره ان يقاس بمقاييس المهارة في الوساطة عند فسفة من الرغبة في النفع وكرامة التقص وحب الكمال .

كنا ليلة دفن الشيخ على بيرسف في مجلس مع بعض الاصدقاء فقلنا  
ولحد منا : اليوم يحزن فلان ، وعدد اسماء جماعة ممن كان الشيخ على سببا  
في اقبال النفع اليهم وتمهيد السبيل لهم . ثلث بل اليوم نلغرح هؤلاء  
لأنهم لا يدينون للشيخ بالحب والاخلاص ولكنهم يدينون له بربا ذلك النفع ،  
وما دام حيا فهو يستأديهم ذلك الربا ، وان مساعدة هؤلاء الناس لاصحابهم  
كمقاومة القاهرين - يترض احدهم زميله ليسترد منه ماله وقرضه قبيل  
ان يبرح مكانه فلا بدع ان كان احدهم ينتد به صاحبه كما ينتد به الغريم  
المحاف . قال بعض الجالسين : لكناك سمعت معي ما قاله احد اصداقا.  
الشيخ الأتريين فتد سمعته يعجب لنفسه كيف لم ينتم لوفاة رجل كان  
موضع سره ، وشريكا له في اكثر مساعيه . ويقول انه مهما بلغ من جده  
لفراق الاصحاب ، فما كان يحسب انه يتقابل موت ذلك الصديق يمثل  
هذا الفتور . وقال : لقد حضرت اليوم الجنازة غرايت فلانا يتأبط ذراع  
بعض اخوانه وهما يتغامزان ويضحكان . وما كنت اتوقع ان اراه في ذلك  
الشهد الا باكيا او خائعا - وفلان هذا الذي رأه محدثنا رجل جرى له  
على يد الشيخ رزق لا يقل عن خمسين جنيا مشاهرة .

ولا عجب في هذا الكنود فان الناس يجدون من ينفعهم اذا كان يسره  
صادرا عن حب لهم . واما ان كان لغير ذلك فهم يتيلون بره ويحافظون على  
من الناس في فترة من الزمن . ومن نساء فلينظر الى اضراب الشيخ على  
ممن وصلوا معه الى مثل منزلته بجد بينهم من ليس له في النبوغ اقل  
دعوى ، ومن ليس هو من رجال الادب ولا من رجال العلم او العمل ،  
ولا يفكر في ان يكون احدهم ، ولكنه مع هذا ينفع ويضر ، والناس يزدرونه  
ولكنهم يرجون منه ويخشون . انما يعين هؤلاء على النجاح نساء  
نتساوما لم تجعل لمبادئ الكرامة سلطانا على عقولهم ، فخف على اقداهم  
وقر الذم فنهضوا ، ومن يراجع سير العظام الاجلاء وينم فيها النخر ان  
اصعب ما كانوا يعانون من العرائيل والمقبات هو ما نضعه امامهم ضما نترهم  
ووجدانهم لا ما تقيمه في طريقهم اعداؤهم ومناؤهم ، ولذلك يقل بين  
ذوي التربية العالية من ينجح في هذه السبيل نجاح اناس هم دونهم ذكاء  
وتعدرة واخلاقا .

ولا ننكر على الشيخ ذكاءه ولكننا لا نستطيع ان ندعوه سموا في الثلب.  
او سعة في الذهن ، وانما هو عنسدى الشبه بالحقق في حرفه من حرف  
الكسب ، وهناك نسبة بين هذا النوع مراوغة اعدائها والامن على حياتها .

ولو كان للرجل سامي اللب واسع الذهن لكان تقديره للمظفة أسمى وأكبر  
من تلك الغاية التي نصبها غرضاً له في حياته ، ويسئل كل ما يعز على  
النفس بذله لأجل دركها .

ولو أن الشيخ على جدد موته هذه الأيام لما دخلني الريب في أنه لا  
يتسدر لي أن يميدها كما بدأها ، أو أنه كان على الأمل لا ينال من السممة  
ما قد ناله بين أرباب الأقلام .

اصدر الرجل جريدة الأدب . وكان كل من يكتب من أبناء مصر  
يوهمذ كاتباً كبيراً لأنه ليس بمن هو أصغر منه ، وكان الأدب لذلك المهدي  
في حضيض من الانحطاط يقرب من الموت فلم يكن في البسلة كتاب ولا شعراء  
وكان أكثر الناس لا يكتبون ولا يقرأون . ولم تخرج المطابع بعدد فائض من  
الأدب العربي القديم فيتحذرها الناس معياراً يقيسون عليه معدرة الأدباء  
إذا عوزهم المثل من كتاب عصرهم وأدبائه ، فكان الذوق الادمي معتلاً والحاجة  
الى الكتاب شديدة ، وفي ذلك العهد كتب الشيخ على يوسف ، فاستحق  
التغات رياض باشا وفتح له ذلك الالتفات باب الأمل فلم يقصر في سعيه  
الى غايته .

وكان الشيخ على يفرض التسرع ليمدح به السراة والأغنياء كما كانت  
وضيفة الشعر في تلك الأيام فلما حصل من الكتابة على ما تغنيه عن طرق  
هذه الأبواب رأى أنه لم تعد به حاجة الى الشعر فتركه ومضى في الكتابة .  
فاصبح بعد مزاولتها عشرين عاماً اخصائياً في باب من الكتابة الصحفية  
إذا تخطاه زل به القلم .

وقد عنف بعضهم عليه في حياته لانقلابه على رياض باشا . وقالوا  
لقد رأينا رجل أياماً لم يبق احد الا قد احسن اليه ثم رأيناه يوماً لم  
يبق فيمن احسنوا اليه احد الا قد اساء اليه بقلمه أو بمحكيده .

ونحن لا يهمنا تكراره جميل هذا الانسان وذلك ، بل قد نرى له  
بعض العذر في الارتداد على فريق منهم فلتد ساعده وهو فقير خامل فلما  
أصبح من أهل للرتب والوجاعة أبوا أن يعرفوا فيه الا ذلك المجاور القديم  
الذي كانوا يعرفونه من قبل . وأبى هو أن يذكر الا هذه المكانة التي جاهد  
لها ذلك الجهاد ، فكانوا في امتنانهم عليه أحق بالسلام منه في ججوده  
لأبيادهم عنده .

وانى ليشق على ان لا اجد له عذرا من نقیصة غیر هذه وان لا يكون  
في نفسى ميل الى احترامه ، وليس في وسمى ان ائعته بتلك النعوت التي  
جمعوا فيها كل مزية من المزايا الموزعة بين كبار رجال العلم ، ولست  
اعلم لماذا يمح الموت السيئات ويكبر الحسنات ؟؟ ولماذا نبقى الحسك  
للتاريخ العميد ونحن افسر على ان نرى الحقيقة عن كتب ؟! الا ان احق  
موقف بان تتيد فيه السيئة الى جانب الحسنة هو موقف الرءاء ، وذلك  
امر هدى اليه الناس منذ فقهوا معنى الثواب والعقاب ، فقد كانت عقيدة  
الحساب بعد الدفن من اوليات المتائد التي تخيلها الناس في افسد الأديان  
الوثنية ، ولو تفاضينا عن النفااض والمعائب لجلت حكمة الذكر وللحق  
الخبيث بالطيب ، وما كان التساهل في النقد والمأخذة محمودا في وقت من  
الاقوات ، ناهيك به في وقت طمس عالم الضمائر وضلل الأبصار والبصائر.  
هذا ان كنا لا نجب ان يبلغ من فساد وقتنا ان يغتم فيه المرء قبض  
الرفيلة والغفلة حيا وميتا .

وغاية ما يقال ان الشيخ على يوسف جرى حياته وراء مآرب تستهوى  
امثاله فاستطاع قضاءها ولكنه لم يستطع ان يكون عظيما حتى ولا في قلوب  
اشياعه واتباعه . انتهى .

• عباس محمود العقاد •

## في المؤيد

ذكرنا في الفصل السابق ان الحاشية الخديوية لم تنس للمعاد موقفه من فضائح ديوان الاوقاف ، فأخذت تبييت له كي تخرجه من عمله . . . وبتأثير احمد حافظ عوض الذي اصبح المحرر الاول لصحيفة المؤيد والذي زين له الاستقالة من وظيفته ليعمل مشرفا على صفحة الأدب استقال المعاد فعلا وعمل بها . . .

ويذكر المعاد ان السبب المباشر لعودته الى العمل الصحفي محررا بالمؤيد ، تصيدة نشرها المؤيد . . . ونظما شاعر من شعراء السكرتارية بنظارة الاوقاف ، وهو المحرم عبد الحليم المصرى الذى كان يتطلع الى الى مكان « شوقى » فى القصر الخديوى ، ووصل اليه ولكن بعد زوال الخديوية . . .

« نظم عبد الحليم المصرى تصيدة من أحسن تصائده عن الخصيب أمير مصر فى أيام الدولة العباسية ، وقال فيها عن شاعر النيل :

وشاعر النيل دون الخلق بشره

بينما يشق الصدى منا الحشاشات

وما كان يعنى فى الحقيقة غير الخديو عباس وشاعره احمد شوقى ، وما كان بالقارى، من حاجة الى البراعة لفهم هذه المازبة المكتنوفة . . . فقد فهمها كل قراء المؤيد من الأدباء ولم يخف مقصدها على أحد غير محرر المؤيد الأول فى تلك الآونة : احمد حافظ عوض الذى ترك منصبه فى قصر عابدين ليشراف على تحرير هذه الصحيفة فى أدق مرحلة من مراحلها وخاتمتها . . .

« أولا تنشر تلك التصيدة عن الخديو وشاعره الا فى المؤيد دون غيره من الصحف اليومية والاسبوعية ؟ . . .

نضيجة من فضائح الصحافة والأدب لم يتم لها حافظ عوض ، ولم يتم لها شوقى ، ولم تتم لها نظارة الاوقاف . . . وأولهم ناظرها فى ذلك الحين

- محمد محب باشا - وقد كان منهما في الحاشية الخديوية بمحاسبة  
الانجليز .. « (١) » .

وشامت الظروف ان يستدعى « احمد حافظ عوض » العقاد للعقل  
في المؤيد حين لقيه في مكتب وزير الاوتاف احمد باشا ، زاعما ان صفحة  
الادب في المؤيد تحتاج الى اديب يتفرغ لها ، و لا ينظر في عمل من اعمال  
الصحيفة غير كتابتها أو الاشراف على ما يكتب فيها ..

وقال له حافظ عوض : « ولو كان وقتي يتسع للتفرغ لهذه الصفحة  
لما استغفنتني هذا « الوليد » و دس علينا تلك التصيدة السمومة التي  
جعلتنا سخرية المجالس الادبية » (٢) .

ويطبيعة الحال لم يتردد العقاد في قبول الدعوة الى تحرير الصفحة  
الادبية في « شيخ الصحافة العربية » لأنه لم يكن يطمح ، وهو لم يناهز  
الرابعة والمشرين ، الى عمل اهم من هذا العمل في الصحافة .. ولم يكن  
عمله في نظارة الاوتاف مرضيا له في حياته الادبية ولا في حياته المعيشية ،  
ومن هنا لم يتردد في قبول دعوة حافظ عوض ، للعمل في المؤيد ..

وعمل العقاد في « المؤيد » في ادق مرحلة من مراحل تاريخه ، فقد  
وافقت هذه المرحلة المشهور الاخيرة من تاريخ الخديوية المصرية قبل الحرب  
العالمية الاولى ، ولم يقض العقاد في المؤيد شهرا او شهرين حتى ماجت  
الدار بالحركة التي شغلت رئيس التحرير عن الدار وعن صفحاتها الادبية  
وصفحاتها الاخرى ، فقد كان الخديو يعلم ان لورد كتشنر يصير على خلفه  
ويرشح للخديوية أمير من امراء بيت حلیم ، وكان يعلم ان كتشنر لن يغلبه  
بقوة غير قوة الخلافة في الاستانة او قوة الراي العام في مصر ، وفي طبيعتها  
قوة المعارضة من قبل الجمعية التشريعية ..

وقد سافر كتشنر في تلك السنة على السعي الحديث عند حكومته  
لاقتاعها بخلع الخديو ، وعلة هذه النقمة هي في الحقيقة بقايا تلك الحفيظة  
القديمة التي تركت الرجلين عدوين لا يتصافيان بعد أزمة الحدود ، اما العلة  
الاخرى ، العلة التي كان يتذرع بها لاتقناع حكومته فهي سكة حديد مريوط

(١) المرجع السابق : حياة تلم ( للمقاد ) ص ١٤٠

(٢) المرجع السابق : حياة تلم ( للمقاد ) ص ١٤١

وما كان يتشاع بوهئذ من افاوضة بين الخديو ولحدى الشركات الابطالية  
لشرايتها ومدما الى الحدود الغربية (١) .

وقد احتاط الخديو لقوة الخلفة بسفره في تلك السنة الى الآستانة،  
وعدل عن زيارة المصانف الاوربية كعادته في السنوات الخالية ، لانه  
تعدو ان تسعى الحكومة البريطانية عند «السياب العالي» في مسألة خلعه  
اذا اقتنعت برأى مندوبيها فأحب ان يكون على مقربة من الباب العالي  
ليستطلع الخبر ويحسن العلاقة بينه وبين رجال الحكومة التركية ، وببذل  
ما في وسعه لاحباط سمى الانجليز ، وهو لا يجهل انهم لاتفون من الصدر  
الاعظم سعيد حليم اذنا صاغية في تلك الآونة ، لأنه كان يطمح في  
الخديوية (٢) .

وأما سوة الراى فقد احاطا لها برحلة شعبية في الوجه البحرى يريد  
بها افتاح الانجليز بان البلاد تحبه . وتتعلق به ، فطاف الأقاليم البحرية  
وزار حواضرها وقراها ، واغبط بما رآه من مظاهرات الشعب والوظفين ومن  
تسابق الوجها ، والسواد الى استقباله واقامة الزينات في طريقه ، وكان  
عظيم الرغبة في نفى كل ما قيل عن الجفاء بينه وبين وكيل الجمعية  
التشريعية والبارزين من اعضائها ، فأرسل الى سعد زغلول أنه يود لو  
يراه في بلحته ابيانة (٣) .

وقام الخديو بزيارة لطفى السيد في تربته كذلك . واتم الخديو عباس  
حلمى الثاني رحلته ، مؤمنا بأنه لفى من ولاء المصريين له والخلصهم لعرشه  
مالا مزيد بعده استزيد ، ولم يسدر بخلد ، يوما أنه يوم يغادر مصر الى  
مصيف الاستانة يجد من أبناء هذا الشعب الذى احتفى به كل هذا  
الاحتفاء من يحاول الاعتداء على حياته ، فيطلق عليه رصاص مسدسه  
فيصيبه اصابة شديدة وان لم تكن مميتة ! لكن هذا هو الذى حدث ونقلته  
الأنباء الى العالم (٤) ، وعلى أثر ذلك سافر عشرات من المصريين الى الآستانة  
يرفعون قروض الولاء الى صاحب عرش مصر ، ويؤكدون له مرة أخرى ان  
العناصر الرشيدة في الشعب المصرى تضم له كل ولاء وكل اخلاص (٥) .

(١) العقاد : سعد زغلول ميرة وتحيه ص ١٧٥ .

(٢،٣) العقاد : سعد زغلول ص ١٧٥ .

(٤) العقاد : نفس الرجح ص ١٧٥ .

(٥) محمد حسين ميكل : مذكرات في السياسة المصرية - ص ٥٩ .

أيا كان أمر هذه الرحلة التي نام بها الخديوي في الوجه البحري ، فإنه لم يشأ أن يؤتمن على مراسلة « المؤيد » بأخبار الرحلة أحد أقل من رئيس تحرير ، فأخذ حافظ عوض في ركابه ، وجاء حافظ عوض إلى المقاد في مكتبه بالمؤيد قبل سفره يمهّد للطلاب الذي يريده منه : وهو تنقيح أخبار المرسلين بالصيغة الأدبية وانتظار الرسائل منه ؛ لرجعتها قبل إقبالتها في الصحيفة بالصيغة الأخيرة وهي الصيغة التي ستظهر فيها في كتاب يسمى « كتاب الرحلة الذهبى » وأتاب عنه المقاد في تحرير « المؤيد » في أثناء غيبته .

ومن الغريب أن يكون أحمد حافظ عوض هو السبب في استقالة المقاد من المؤيد ، حين توأما مع من استغل اسم المقاد من المحررين في قبول الهدايا والرشوة من المشتركين في « المؤيد » والكتاب الذهبى وما يحصل للخديوي من مبالغيات ومن آيات الشتا . . .

وقد اكتشف المقاد حدًا التواطؤ عليه حين ضل أحد مؤلاء المشتركين طريقة إلى حجرة المقاد بدلا من حجرة المحرر الذي كان منوطا به أن يتسلم الرسائل وتسلمها إلى المقاد بقائمة مكتوبة لإيداعها في ملفاته إلى حين الفراغ من توينها . فعلم من خلال كلام المشترك الموعود أنه أعطى المحرر المنوط بتسلم الرسائل عشرة جنيهات باسم المقاد ، وأنه حضر في ذلك اليوم ومعه شئ زهيد على سبيل الهدية : ساعة وسلسلة ذهبية . . . وللمقاد بعدا حديّة على « قد القام » بعد ظهور الكتاب (١) .

ويذكر المقاد أنه ترك « الملفات » في أماكنها ريثما يعود رئيس التحرير من الرحلة ، وعاد رئيس التحرير فاعتذر له المقاد عن العمل في الكتاب وأبلغه ما سمع ، وقال له أن محررى المؤيد لحرار فيما يأخذونه ويدعونه ، ولكنهم لا يملكون أن يزوجوا باسمه في معاملاتهم ومبالغياتهم ، ويحق له إذا فعلوا ذلك أن يصحح ظنون الناس ، وسيتترك له - أي لرئيس التحرير - أن يختار طريقته لتصحيح هذه الظنون . . .

فتجهم رئيس التحرير وتوعد المحرر المسئول بالويل والثبور ، ووعد أنه يكتب غدا في المؤيد كلمة تزيل اللبس وتبعد الشبهة عن المقاد في امر الكتاب ورسائله واشتراكاته ورجاه أن يفض النظر عن المسألة ولا ينقطع عن العمل في الكتاب .

(١) آخر ساعة في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧ .

ولكن حدث بعد ذلك أن تساعد العقاد رئيس التحرير في مساء ذلك  
أيوم متأبطا ذراع .نحر ، انهم ، وهو مقبل عليه بانضحك والحديث .  
ثم صدر المؤيد في اليوم التالي وليس فيه كلمة عن الاشتراكات ولا عن  
تصحیح الظنون (١) .

وغضب العقاد لكرامته ، فترك « المؤيد » إلى غير رجعة ، مؤسرا  
الجوع على الصادقة .

وعكذا نجحت الحاشية الخديوية في الامر الذي بيئته له ، فخرج  
من وظيفته الحكومية ، واستقال من « المؤيد » ، وليست امامه وجهة يقصدها  
غير الحفاظ على كرامته .

وبعد استقالته من تحرير « المؤيد » اقام انياما في القاهرة على نية  
الرحيل إلى اسوان ، وقد منى نفسه موسما كاملا من المواسم الجميلة في  
مدينة الشتاء ، ورسم برنامجا لذلك الموسم بين الماطعة والتأليف والرياضة  
والبحث عن التاريخ الطبيعي ومضامين الآثار في اسوان وهي غنية بالمضامين  
المعلومة والجهولة من أيام الفراعنة إلى أيام الماليك إلى أيام الدولة  
العثمانية (٢) .

وعناك انتهى العقاد من تأليف كتابه « ساعات بين الكتب » سجل  
فيه خلاصة ما قرأ وتعليقاته التي وقعت في خاطره واطلع عليها أثناء القراءة ،  
وكان صف العقاد من تأليف هذا الكتاب أن يصل بين عالم الكتب وعالم  
الحياة ومن آراء المؤلفين وآراء القراء ، كما يحدث له من النظر والمراجعة  
والإحاديث ، وكان الكتاب يشتمل على خمسمائة صفحة اودعها ثصرة  
اطلاعه وتأمله في مذاهب الفكر الحديث ، وأولها مذهب داروين ومذهب نيوتن  
في السوبر مان غير أنه بعد اعداده للطبع فقد منه مرتين ، ولم يبق من  
هذا الكتاب الضخم سوى خمسين صفحة ، ومن هنا فان هذا الكتاب  
هو غير الكتاب الذي نشره بنفس الاسم في سنة ١٩٢٩ .

ونستطيع أن نقول أن هذا الكتاب المقفود قد نشر العقاد منه متفرقات  
في مجلة ( البيان ) لصاحبها الشيخ البرقوقي ، فقد نشر مقالة بعنوان :  
« الأديب المصري » (٣) ، ذيلها المحرر بهذا التتويه .

(١) آخر ساعة في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧

(٢) آخر ساعة في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧

(٣) البيان السنة الثالثة الجزء ٨ ص ٤٥٦ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩١٤ .

• « يقيم الاستاذ العقاد الآن في مستط رأسه أسوان ، ويشغل بوضع كتاب له اسماء ( ساعات بين الكتب ) ولقد أخذ ( البيان ) ميثاقه ان يطوف قراءة من حين الى اخر بخطراته حتى لا يحرم قراء العربية حسنات هذا الكاتب الذى ايت عليه نفسه ان يلابس هذا العالم المكوس :

• عالم شهبوا القروود ولكن خالفوه في خفة الارواح

• فاختار ان يقيم بعيدا عن المدينة وما فيها من الكنود والنفاق وسقوط الهمم ونستغفر الله » •

• ويمكن القول أن صلة العقاد بالصحافة لم تنقطع بدعائه الى مستط رأسه ، فقد اتصل بها بصورة اخرى وهى صورة « المصاحف » الطليق ، فأخذ يكتب الفصول والمقالات فى مجلة البيان من جديد ، ونحن نزعم أن الفصول التى نشرها فى البيان فى هذه الفترة هى من فصول ذلك الكتاب المقفودة الذى لم يبر النور ، ونذكر منها مقالة « الرحمة بين الليتطة والنسام » (١) ، ومقالة « الأديب المصرى » وكتاباتة عن الخيام وغير ذلك •

---

(١) البيان السنة الثالثة الجزء « ٦ » .

## الفصل الثالث

### في الحرب العالمية الاولى

١٩١٤ - ١٩١٨ م

نشبت الحرب العالمية الاولى في الرابع عشر من شهر يوليو ، ولم تدخلها بريطانيا الا بعد ثلاثة اسابيع في الرابع من أغسطس ، وظلت تتردد بينياتها في اعلان نياتها بمصر الى أن أعلنت الاحكام العرفية بها في ثانی نوفمبر ، ثم أعلنت قطع علاقاتها بالدولة العثمانية ، وأرسلت دار الوكالة البريطانية الى حسين رشدي باشا القائم مقام انخديو تيلغه : « ان السلطة فيما يتعلق بالوسائل الحربية اللازمة للدفاع عن المنظر المصري وبالتدابير التي يستدعيها هذا الدفاع أصبحت منحصرة في بيد القائد العام وان حضرات النظار لا يزال كل واحد منهم حانفا للسلطة التي له في الأمور الملكية الخاصة بنظارته (١) » .

وفي الثاني من نوفمبر أعلنت الاحكام العرفية ووضعت الرقابة على الصحف تبعا لاعلان الاحكام العرفية (٢) .

وفي الثامن عشر من ديسمبر أعلنت الحماية البريطانية على مصر ونشرت « الوثائق المصرية » في اليوم نفسه اعلان الحماية ، وعذا نصه :

#### « اعلان بوضع بلاد مصر تحت حماية بريطانيا العظمى »

« يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر الى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا تد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته ، وأصبحت الان فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية » .

(١) المقاد : سعد زغلول ص ١٧٨ .

(٢) ثورة ١٩ - الرافعي - ج ١ ص ١٤ .

« وبذلك تد زالت سيادة تركيا على مصر ، ومنتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها ومصالحها (١) ، »

« وكان الخديو عباس حلمى الثانى غائبا عن مصر وقت نشوب الحرب ، فقد قصد الى الأستانة فى أوائل الصيف ، وبقي بها الى ان أعلنت الحرب بين إنجلترا وألمانيا ، وتدد فى عودته الى مصر ، رغم الحاح رشدى باشا عليه فى ذلك ، ولما اعتزم الرجوع إليها أظهرت الحكومة البريطانية رغبتها فى عدم عودته ، إذ كانت نيتها مبيتة على خلعها . ففى اليوم التالى لاعلان الحماية ، أعلنت خلعها ، وتوليه الأمير ( لسلطان ) حسين كامل عرش مصر (٢) . »

وعقب اعلان الحرب العالمية الأولى ترك لطفى السيد صحيفة الجريدة ، لایمانه بان الكاتب المفيد لا يستطيع ان يكتب شيئا ذا قيمة . لذلك أقر الانسحاب من الميدان السياسى وللصحفى ، وذهب الى برتين ، تريتسه ومسقط رأسه ، وترك الجريدة يتولى شؤونها عبد الحميد حمدي احد التحريرين ميبها (٣) . وما لبثت الجريدة ان توقفت عن الصدور لاضطراب أمورها .

أما الشعب آخر صحف الحزب الوطنى قبل الحرب فبعد ان نالها الكثير من الاضطهاد أثر محررها أمين الرافعى ان يججها عن الصدور فى نوفمبر ١٩١٤ ، وكان الغرض من هذا المرقف أن لا ينشر فى « الشعب » اعلان الحماية المرتقب على مصر وما سوف يتبعه من بلاغات رسمية لسلطات الاحتلال .

كان هذا الاحتجاج اول احتجاج من مصر على الحماية البريطانية ، وقد وقع فى الوقت الذى بلغت فيه صحيفة « الشعب » ذروتها من حيث الانتشار والرواج والمكانة الصحفية . إذ كانت أوسع الجرائد انتشارا ، وكان الجمهور يتلفها بلهف زائد ليتعرف منها انباء الحرب العالمية ، ويتحسس فيها

(١) الرافعى : ثورة ١٩١٩ الجزء الأول ص ١٤ .

(٢) الرافعى : الرجوع السابق ص ١٩ .

(٣) هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٧٠ .

اتجاه الناحية الوطنية ، فكان ايقاف صورهما تشجيعية مالية كبيرة (١) .  
وهذا موقف فريد في تاريخ الصحافة ، وبرز وطنية هذا الصحفي ومبادئه ،  
وكان من نتائج هذا الموقف اعتقال صاحبه نحو عام .

وهكذا لم يبق بمصر من الصحف الكبيرة سوى تلك التي لم تصطبغ  
بالسلطات بسبب مهادنتها لها او لئلا لهجنها ، مثل « الأعرام » و « المقطم »  
ذ الفاعرة و « الاعالي » في الاسكندرية . أما « المؤيد » فقد اغلقت وبيعت  
معداتنا في سنة ١٩١٦ .

وخضعت مادة ما بقي من الصحف او ما صدر منها في اثناء الحرب  
لسيطرة الاحكام العرفية ، فاختلفت بذلك تيارات الكفاح السياسي من الصحف ،  
ولم يبق من الاتجاهات الصحفية الا ما شايح السياسة البريطانية  
وتحمس لها طوعا مثل « المقطم » و « الوطن » . اما سائر الصحف فاختلفت  
بمعرض الاحداث العالمية من وجهة النظر البريطانية . فترك ظم الرقيب  
اثره واضحا في ذلك اللباض الكثير الذي كان يتخلف عما يحفظه من مواد  
الصحف ، التي كانت السلطات ترى عدم السماح بنشرها .

امركت الحرب العالمية الاولى عباس العقاد وهو في اسوان ، وأحس  
تقبل ان يحسوا بها في سائر البلاد المصرية ، لان اسوان على ملتقى الطريق  
بين مصر والسودان وملتقى الطريق بين النيل والبحر الاحمر من جانب  
الصحراء ، ورجع الاحكام العرفية فيها الى رئيس اقليمي بعيد من الرقابة  
مطلق التصرف في الاوقات التي تشغل الحكومة المركزية عن تفصيلات الشؤون  
الادارية في الاقاليم . . . وقد نابهم ما نابهم من السلطنين على الرقاب تحت  
حمايتهم ، بعد اشتداد الحركة الوطنية وتنازع الثوانيين والامير المنبذة لحرية  
الحكومين ، فلما تقررت الاحكام العرفية بكل تسوتها وصرامتها بعد شيوع  
العمل بالثوانيين المنبذة للحريات اوشكت الرغبة في الاستبداد ان تصبح موصا  
في نفوس بعض « الحكام » . . . ولا سيما الحكام الذين بدا لهم ان الفرصة  
سائحة لاستغلال هذا السلطان المطلق طمعا في الكسب وشغافا للضعافين  
والأهوا ، وماذا يمنع الرشوة ان ترفع رأسها وتصبح بين الزوايا وفوق  
الجدران اذا كان اداء الرشوة هو الجديل الوحيد من النفي والاعتقال بغير  
تحقيق ؟ . . . وماذا يفيد التحقيق اذا كانت « شعبة » الحركة الوطنية كافية

(١) اخر ساعة في أكتوبر ١٩٥٧ .

لاعتبار « المتهم » من ذوى الخطر والسابقة المحذورة ؟ وكانت هذه  
الشبهة لاصقة بالكثيرين من المصريين ؟ (١) ..

واستمرت السلطة العرفية تسجن وتنفي الوطنيين المخلصين الى اوربا  
او الى مالطة ، وكان ممن نفتحهم الى الجزيرة الاخيرة ( مالطة ) ناظر  
مدرسة الواساة الاسلامية باسوان ، فخلفه العقاد في عمله تحديدا للسلطات ،  
وقد استبد مدير اسوان ويطانته بالشعب هناك استبدادا عنيفا ، من مظاهر  
هذا الاستبداد ، تجنيد اجبارى لفرقة العمال واعتقال متكرر لشبهة ولغير  
شبهة ، واتاوت تقرض لعله من العمل المخترعة ، تبرعا للصليب الاحمر ،  
او ترغيبها عن المرض والجرحى او مساعدة على مشروع كائن ما كان من مختلف  
المشروعات ، واصبح كل طلب انذارا بالتهمة الحكوم فيها يغير استئناف ،  
او انذار بالسداد في غير تردد ولا مساومة ..

وقد كان في تصور العقاد انه لن يكتب الى الصحافة ، وانه في اجازة  
عنها الى موعد غير مسمى ، اللهم الا اذا عاد اليها بتقصيدة من الشعر  
ومقالة في حكم التقصيدة الشعرية توحى بها لمحة من لمحات خاطر او  
عارض من عوارض الشعر ..

ولكن وقد شاهد هذا الاستبداد من مدير اسوان ويطانته بالشعب ،  
ماذا يكون موقفه ؟ وكان مدير اسوان ويطانته يؤمن ناديا ويؤمه معهم  
بعض سراة البلدة ، تدعوا فيه ابساح الى ما لا يباح .. فتكلم العقاد  
باللسان ، وتكلم بالنظم كاتبا الى وزير الداخلية والى السلطان ..  
وكتب مقالة قرئت مخطوطة قبل ان تقرا مطبوعة ، ولم تزد نسختها المتداولة  
على عدد اصابع اليدين ، تلك هي مقالة « نادى العجول » التى لوشك  
العقاد ان يذهب من جرائها منقيا الى مالطة ، وهو اخوج ما يكون  
الى الراحة والمقام باسوان ..

ويقول العقاد ان القافية هي التى تضت تضاءها في الموضوع - ولا تضئا ،  
لى فيه ولا مشيئة - فخرج الموضوع كما ينبغي ان يخرج مقامة فكاعينية

(١) آخر ساعة في اكتوبر ١٩٤٧ .

او تصيدة منتسورة ، يقراء من خلا ذهنه من « الموضوع » فلا يشم منها رائحة الحيلة التي يجترى، بها الفائل على الحكم العرق الخيف ولا على الحكم القانوني الحليف . . . ويتراها من امتلا ذهنه « بالموضوع » فتغريه بحفظها وترديدها ، وهو يسأل الله السلامة من تلك العجول . »

ويستهل العقاد متامته الاداعية بقوله على لسان المدير رئيس النادي

« ايها السادة . . . ان العجل مدني بالطبع . ونحن معشر العجول قد ميزنا الله على بني آدم بضخامة الاجسام ، وصلابة القرون . . . وتسد عبر بهؤلاء الناس زمان كانوا يعرفون فيه باسنا ويتصحنون باذناننا . حتى ايقنوا ان لن يقوى على حمل هذه الدنيا احد سوانا ، فعمدونا من فرط الاجلال . . . وسبحوا لنا بالمشي والأصال ، وكانوا يحسدوننا على ترونا فدعوا اكبر ابطلهم وأنعدم ياسا وأرفعهم ذكرا - اعنى الاسكندر المقدوني - المسروف بذى القرنين وما اسكندرهم هذا وما قرناه ؟ ان اصغر عجل فينا ليهشم رأسه اذا ناطحه ، ويجند له اذا واتبه او صارعه ، فاعجب لك ايها العجول لا تذكرين ذلك الجند الخالد فتنام لك للصوامع والمعابد ، بدل النوادي والمعاهد . . . »

وشاعت الفامة الالذعة على كل لسان ، فاستشاط المدير غضبا واستعدى عليه مفقش الداخلية الانجليزي ، فحددت اقامته ووضع تحت مراتبية شديدة ، وقد تمثلت نجاة من النفي حينذاك بهروبه من اسوان الى القاهرة وصدافته وكيل وزارة الداخلية آنذاك الايب جعفر والى باشا ، الذى وقف على تفتيحات مدير اسوان والمفتش الانجليزي فى التقرير السرى الذى يكتب عن العقاد ، والذي يتمثل فى ان العقاد يدير المؤامرات ويشتر الخواطر بالاحاديث التى يذيعها ويستحق من لجنها التعجيل بالاعتقال والنفي من الديار . . . وذلك فى الوقت الذى يصطحب فيه وكيل الداخلية العقاد كل يوم الى مكتب المستشار ليطلمه على تنفيذ حكام اسوان (١) . وحيل المدير الى العاش ونقل الثانى من اسوان .

وقد حاول جعفر والى ان يعينه فى الرقابة على الصحف وقيل العقاد غير أنه لم يمض فيها سوى ستة أيام ، اذ تولت عليه التنبيهات بأن اخبارا تنتشر وكان ينبغي الا تنشر ، واصطلم به الرقيب الانجليزي ، فتقدم استقالته وقبلت فى الحال .

(١) احوساه فى أكتوبر ١٩٥٧ .

وتقد قبل العقاد العمل بالرقابة على الصحف في هذه الفترة الحرجة ،  
لاعتباره اياما من المصالح العامة في أوقات الحروب ، وكان هدفه العطف على  
الصحافة ورعاية مقتضى الحال . .

ويذكر العقاد عن تجربة العمل بالرقابة على الصحف أنه بعد ثلاثة أيام  
جاءه تنبيه وسؤال عن بعض الاخبار التي تركها للنشر وتحقق أنه لم يحذفها ،  
وبعد يومين او ثلاثة جاتته دعوة الى مكتب مستر « مور نيلور » الرقيب  
العام يتقدمها حديث مقتضب من « يوسف خلاط بك » فلما دخل المكتب  
سأله مستر « مور نيلور » هل راجعت هذه الاخبار ؟ وتقدم اليه  
رزمة جذاذات الصحف اليومية الأسبوعية .

فقال بعد احالة النظر فيها : نعم .

فقال يسأل : وكيف تبيح نشر الاخبار المقلقة التي من هذا القبيل ؟

قال العقاد : انها تباح فيما اطع عليه من الصحف الانجليزية .  
ويباح لتلك الصحف ما هو أخطر منها بكثير .

فصاح متعكبا : الصحف الانجليزية ؟ ثم أوقف قائلا :

— هل أنت من الحزب الوطني ؟

قال العقاد : أنا مصري وطني بطبيعة الحال .

قال له : اذا كنت لا تعطف معنا فلماذا تتولى هذا العمل ؟

فاجابه العقاد بكلام فحواه انه لا يفهم التصود بالعطف معيم ، ولكنه  
لا يبقى في هذا العمل اذا كان يتطلب منه شعورا لا يفهمه ، وله أن يتقبل  
استقائته مشكورا على قبولها (١) . .

وعمل العقاد بعد ذلك هو وصديقه المزمي مترسبين بالمدرسة الإعدادية  
القانونية الاعلىية ، ونشر حينئذ « الشذور » و « مجمع الاحياء » والجزء الاول  
من ديوانه .

ولم ينقطع العقاد عن الكتابة الأدبية في الجلسات ، ونشر في مجلة  
المقتطف ليعقوب صروف فصولا منها فصلان وازن فيهما بين فلسفة أبي العلاء  
وفلسفة شوبنهاور ، كانا موضع اعجاب يعقوب صروف ، ونشر كذلك مقالا  
عذب به على فصل كتبه الانسة هي زيادة عن فلسفة برجسون .

(١) احمر ساعة في ٣٠ أكتوبر ١٦٥٧ .

وعرض عليه الدكتور يعقوب صروف أن يعمل مراسلا حربيا تحت القيادة العسكرية الإنجليزية لمنطقة الحدود المصرية الشترية ، ولكن العقاد يادره بأن واجب الدفاع عن الحدود ينبغي ان يكون لصر وحدهما وأبى له شرفه الوطنى تلك الوظيفة . . .

واستقل العقاد مدرسا بـمدرسة وادى النيل الثانوية بجوار محطة باب اللوق ، وأمضى في التدريس سنتين مع صديقه المازنى في مدرسة بعد مدرسة من المدارس الثانوية الكبيرة ، وقد جرت عائلتهما على أن ينتهى عملهما في كل مدرسة بإزمة من ازمات الخلاف على تصحيح أوراق الامتحان ، لانهما قد دأبا على تصحيح الاسئلة والاجوبة في أوراق الاجابة ، وهذا بطبيعة الحال مناف لما درجت عليه الوزارة بالنسبة لأوراق الامتحان التي تودعها في خزائنها بعد الامتحان وتنتظر اليها كأنها أوراق الرصيد المنتظر في حساب المصروفات (١) . . . وخرج الاثنان من التدريب بعد حدوث الازمة السنوية الخالدة حين أن أوانها التدور . . . واتفقا بعد خروجهما من مهنة التدريس على سكنى الامام الشافعى حيث تقبم أسرة المازنى من زمن بعيد ، وقدرا أن اختزال النفقات المعيشية بالسكنى بين عالم الموت وعالم الحياة قد ينجيهما عن التصلب في طلب العمل بضعة أشهر<sup>١٤</sup> الى أن يفرجها ربك بعد ذلك أو قبل ذلك كما يشاء (٢) . . .

وفي هذه الأثناء وجد المازنى العمل ناظرا للمدرسة المصرية الثانوية ، وليث العقاد بالقاهرة بترقب أوائل الشتاء ليمثل فيما يتبها من عمل يرتضيه أو يزعم الرحلة الى اسوان . . . لانه كان يمانى حالة يأس من الصحافة

فقد ذهب ركود السياسة الوطنية في ابان الحرب بالصحف اليومية التي كانت تنطق بالسنة الهيئات السياسية ، ثم هبطت أزمة الورق بالصحيفتين الباقيتين . . . وهما المنظم والاعرام - الى ورقة واحدة من صفتين لا تمتنع فيهما لغير البرقيات وانباء الدواوين وما هو من قبيل « المحتويات والترجمين » (٣) . . .

- (١) آخر ساعة في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ .
- (٢) آخر ساعة في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ .
- (٣) آخر ساعة في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ .

وبينا العقاد في هذه الحالة إذ استدعاه عبد القادر حمزة عن طريق عبد  
المؤمن عبد العكيم ، ليقيم بالتحضير في صحيفة « الأهلئ » بالسكندرية وقد  
سافر العقاد بعد أن قام ببيع بعض الكتب التي يمكن الاستغناء عنها ، واستمر  
العقاد في جريدة « الأهلئ » حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وظهور الدعوة  
الوطنية على يد الوفد المصري بقيادة سعد زغلول ، وانترقت الخطة العامة  
بين « الأهلئ » والوفد وحينئذ تركها العقاد وعمل في الصحيفة التي كانت  
تجرئ يومئذ على تلك الخطة (١) .

---

(١) آخر ساعة في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ .

## صحيفة الأهالي

من المتفق عليه أن تاريخ صحيفة من الصحف اليومية إنما هو على الجملة :

أولاً : تاريخ مؤوماتها السياسية أو تاريخ الكتابة التي تدل على خطتها والآراء السياسية التي تدعو إليها .

ثانياً : تاريخ مؤوماتها المادية التي تعتمد عليها في القيام بتكاليفها ، فإن الصحيفة التي ينفق عليها حزب ذو برنامج معلوم غير الصحيفة التي تنفق عليها شركة تجارية ، وغير الصحيفة التي تقوم على التوزيع أو تقوم على الإعلانات أو تقوم على الاشتراكات السنوية والدورية .

ثالثاً : تاريخ عوامل الظهور والاحتجاب في حياتها ، وعوامل التعميل من جراء آرائها ، لأن هذه العوامل هي الامتحان الصحيح لملاقاتها بقرائنها وعلاقتها بالسلطة القائمة ، وعلاقتها بالتضاييق التي يعالجها الرأي العام وتعالجها للهيئة الحاكمة .

وعندما قامت صحيفة الأهالي عند نشأتها بالاسكندرية ، كان في الثغر الاسكندرية ثلاث صحف يومية هي « البصير » التي أصدرها رشيد شميل عام ١٨٩٧ و « وادي النيل » و « وكانت » البصير ، صحيفة القطن والتجارة لا تعرض للبيع في خارج الاسكندرية ، ولا تعرض للبيع في الاسكندرية نفسها الا على مقربة من البرصة ومخازن البناء، وكانت الصحيفة تعيش باشتراكات التجار والسماسرة ورسوم الإعلانات الفضائية من المحاكم المختلطة ، ولا تذكر فيها شؤون السياسة المصرية الا كما تذكر في صحيفة « خارجية » (١) .

(١) آخر ساعة في ٣٠ أكتوبر ١٩٥٧ .

وكانت « وادي النيل » صحيفة المجلس البلدي أو صحيفة المناورات والمنازعات بين أعضائه وأحزابه ، ولها - من ثم - عناية بمسائل الأسوان والكواكين والشوارح الرصوفة وغير الرصوفة ، وما إليها . فكان لها نصيب وافر من الزواج في الاسكندرية ، ونصيب « لا بأس به » من الزواج خارج الاسكندرية ، بعد انقطاع « الشعب » خليفة اللواء وانقطاع المؤيد والجريدة (١) .

أما « الأمل » فقد قامت لتأييد وزارة محمد سعيد باشا ( ١٩١٠ - ١٩١٤ ) التي تولت الحكم اثر مقتل بطرس غالي ، وقد اشتطت الصحافة الانجليزية في هجومها على محمد سعيد ، وخاصة عندما صرح لبعض الصحفيين الاجانب بأن مصر ستنال استقلالها تريبا . وطلبته ( الجازيت ) بنفس هذا التصريح والا كان صحيحا ، وصح معه الاعتقاد بأنه قد اعطى السلطة لاعلان هذا النيا (٢) . واطن سير ادوارد جرای في مجلس العموم البريطاني في ١٥ يونية سنة ١٩١٠ :

« ان سياسة جلالة الملك أصبحت تبني على الاحتفاظ باحتلال مصر لأن الحكومة الانجليزية لاتستطيع دون عار بلحتها ان تتخلى عن المسئوليات التي نشأت حولها هناك (٣) » .

وكان لهذا التصريح الخطير اثره في سياسة محمد سعيد الذي اصدر طائفة من القرارات المحجفة بحق الصحافة المصرية والحركة الوطنية . وخلصتها ما يلي :

أولا : النظر في جنح المطبوعات وجاتياتها وعرضها على المحاكم العادية شأنها شأن الجنائيات الأخرى .

ثانيا : معاقبة كل طالب يشترك في المظاهرات أو يكتب في الصحف بالطرد من المدرسة .

(١) آخر ساعة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٧ .

(٢) الجازيت في ٥٠٤ من أبريل سنة ١٩١٠ - نقلا عن احمدس غيليب في : الصحافة الانجليزية في مصر . رسالة خطية بجامعة القاهرة . راجع : عبد اللطيف حمزة في ادب المثالة الصحفيه ج٨ ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ .

ثالثا : منع تأليف الجمعيات السرية بقوة القانون (١) .

وقد قامت الأهالي برأس مال مجموع من تبرعات انصار محمد سعيد باشا وأبناء يلبه الاسكندريين وكان اعتمادها كله في سداد نفقاتها محصول الاشتراكات السنوية التي وزعها رجال الادارة في عهد الوزارة السعيدية وأقبل عليها طلاب الحظوة عند الدبرين والمامورين من اعيان الأقاليم .

فكان « محمد سعيد باشا » على تعبير العقاد - أحد المساسة القلائل الذين فهموا في ذلك العهد ضرورة الاتصال بالرأي العام ووجوب الاعتماد على الصحافة في مناقشة المسائل التي تعرض على الوزارة . فاعز الى طائفة من أصدقائه الاسكندريين بإنشاء « شركة الطبع والنشر الاعلية » واستهلل عملها الصحفي باصدار صحيفة يومية تدافع عن الوزارة وترد هجمات الصحف المعارضة عليها . فاختاروا اسم « الأهالي » لصحيفتهم عمدا لأنه اسم قديم لصحيفة كان يصدرها اسماعيل أباطة باشا ، ولأن اسم « الأهالي » يتقابل اسم « الشعب » واسم « الأمة » مصبوغا بالصبغة التي على معنى « الرعية » ولا يفهم منها معنى « المقاومة والثورة » (٢) .

ولم تزل « الأهالي » صحيفة الحكومة « الشعبية بالرسمية » الى ان سقطت وزارة سعيد باشا وتامت بعدها وزارة حسين رشدي باشا التي أعلنت الحماية على مصر في عهدها ، فلبست « الأهالي » بعد ذلك لباس المعارضة في حدود الظروف التي تسمح بها الحرب والرقابة وكانت عهه تقوم على اساسين :

أحدهما : الخصومة الوزارية بين سعيد ورشدي .

والآخر : إيمان سعيد بفائدة السيادة العثمانية في استنهاض الحجة القانونية والحجة « الدولية » على الاحتلال والحماية .

(١) د. عبد اللطيف حمزة : نفس المرجع ص ٣٦ .

(٢) آخر ساعة يوم ٣٠ من أكتوبر ١٩٥٧ ، وراجع كذلك يوميات العقاد بجريدة الأخبار العدد ٢٤٨٥ يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٣ .

فقد كان سعيد « عثمانيا » في تفكيره وشعوره الى اللحظة الأخيرة ، وكان هو صاحب الرأي الفائل بالارتباط بين البحث في مساله الحماية والنظر في معاهدة الصلح مع تركيا والدول المنتشرة في الحرب العالمية (١) .

وأوشكت « الأهالي » ان تحتجب بعد اعتزال الوزارة السعيدية وقيام الوزارة الرشدية لأن مشتركها من الموظفين والعمد تقطوا اشتراكها . ولم يبق لها مورد تعيش منه غير التعاقد على نشر الاعلانات التضامنية من المحكمة المختلطة ، وهي كما كانت يومئذ حكرا يستأثر به من يرسو عليه المزايا من أصحاب المطابع ، وقد حصل على امتيازته في ذلك الحين الخواجه « بوتينة » مدير جريدة « البورص اجيبيشيان » وهو من زملاء الأستاذ عبد القادر حمزة في نادي محمد علي المعروف بالاسكندرية واصله من جزيرة مالطة يسمى بلهجتها العربية « بوتينة » أو ابو تينة « وصحفتها الى اللجة الفرنسية باسم بوتينة . ونسبت الحرب والاهالي على علاقتها القديمة بمحمد سعيد باشا واصحابه المساهمين في شركتها ، وقوامها من الوجة المالية ما تحصل عليه من نشر الاعلانات التضامنية باللغة العربية ، اذ لم يكن للمسيو بوتينه صحيفة عربية يملكها . وكانت « الأهالي » هي الصحيفة التي تتسع لنشر تلك الاعلانات في ملحفتها ، وعندما بقية من الورق المخزون غير الورق الذي تدبره الشركة ، ولولا ذلك لما استطاعت ان تعيش سنة بعد ذهاب الوزارة السعيدية ولتقطاع الاشتراكات عنها في ذلك المعترك المصيب .

فلما تألف الوفد المصري كانت خطة « الأهالي » حياله هي خطة محمد سعيد حيال سعد زغلول ، وهي خطة الوزارة امام معارضها الاكبر في الجمعية التشريعية ، وكان من مساعيه - بهوائفة الأمير عمر طوسون - ان يؤلف وفد آخر يشترك فيه أعضاء الحزب الوطني برئاسة الأمير .

وكانت المعارضة في رئاسة الأمير طوسون للوفد المطلوب تقوى وتشدت في جهات كثيرة ، ومنها القصر الملكي والوزارة ، ومنها أصحاب سعد زغلول جهيا بغير استثناء ، فقد كان السلطان مؤاد غير مستريح الى ظهور الأمير على رأس هذه الحركة ودخول أعضاء البيت الملك في مآزق سياسية تقضى مصلحتهم ومصلحة الملك ان يظلوا بمعزل عنها .

(١) المرجع السابق .

وكان رسدى بانما يتوجس من نفوذ محمد سعيد بانما صديق الامر الحميم ويشفق من عواقب تدبيره ، ولا يحب ان يمهله حتى يقبض بيديه على زمام الموقف ويتحول به الى حيث نهديه الحيلة والاسانيب المكتوبة التي انتشر بها . وكان اصحاب سعد يريدونها كما قالوا ( حركة سمع لا اماره وحركة استقلال لا خالفة ) ويعتقدون ان الامر وصديقه محمد سعيد يبغيان المحافظة على السيادة العثمانية الى ان ينزل عنها للترك للمصريين في معاهدات الصلح ، وهو امل مشترك فيه (١) .

ثم حبطت مساعي محمد سعيد بانما حذرا من ثورة الراى العام واذاعنا من جانب الامر طوسون لأوامر السلطان احمد فؤاد الذى اتهمه بالسعى الى وراثة العرش والمسارمة عليها لدى الانجليز بهذه الوسيلة .

وتقررت خطة « الأهالى » من داخل قلم التحرير دون ان تستطيع الشركة التى اصبح اشرافيا على الصحيفة اسميا بعد نفخ ابيديها من تكاليفها ) ان تتعرض لهذه الخطة في تفصيلات الاخبار أو الثقات اليومية ، ولم يحاول مسيو بوتينييه ان يتدخل في سياسة الصحيفة مرضاة للمحتلين ، لانه من جهة لم يكن من المائلين اصحاب الخطوة في الوقت الذى جعلوا فيه جزيرة مالطة منفى للمعتقلين ، ولانه من جهة اخرى خشى ان تتحطم مطيبتها في المظاهرات فيعجز عن الوفاء بشروط المحاكم المختلطة مراعاة لمواعيد الاعلانات (٢) .

ويمكن القول ان خطة الأهالى ازاء سعد زغلول بعد الانراج عنه واصحابه لم تكن مكاشفة منها للجمهور المصرى بولائها لسعد واصحابه - كما يقول استاذنا الدكتور عبد اللطيف حمزة (٣) - فاذا كانت تد سلكت في سبيل ذلك طريقة ناجحة من طرق الصحافة وهي نشر « صور صحفية » لسعد ولأعضاء الوفد ، فان كل ما نشرته الأهالى من الصور الوصفية والتعليقات على تأليف الوفد انما كان يتسلم عباس العقاد ، وظلت خطة « الأهالى » هي الخطة التي تعبر عنها تلك المقالات والتعليقات طوال الوقت الذى كان العقاد فيه مطلق اليد في الكتابة .

(١) بوهيات العقاد بجريدة الأخبار يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٣ .

(٢) انظر « ادب المقالة الصحفية في مصر » - الجزء الثانى ص ١٠٧ .

(٣) الأهالى - العدد ٣٦٧ يوم ١٥ من أبريل سنة ١٩١٩ .

وبدأ العقاد هذه الداربية المناجحة من طرق الصحافة في الخاس عمير  
من ابريل سنة ١٩١٩ ، وكانت « صورة سعد » اول هذه الصور الوصفية .  
وفيها يقول :

« من العظماء أشخاص لا يسمعك ان تتمثلهم منفردين . لانهم قوى  
تطلب المناظرة والمصادمة . وكانهم يتفنون حياتهم في ميدان خالد فلا تراهم  
الا رأيت لهم اندادا في ذلك الميدان . وليس من الضروري ان يكون الأنداد  
رجالاً . بل قد يكونون مبادئ، ومقاصد تحفز القوة وتنبعث النخوة . ومن  
هؤلاء العظماء سعد زغلول . وهذه الصفحة في نفوس اولئك العظماء تأنى  
عليهم ان يكونوا مهملين أو مغمورين حينما كانوا ظهروا . فهم يحطون  
معهم بالاهتمام بهم في كل مكان . وكذلك كان سعد زغلول في جميع ادوار  
حياته . »

ثم سرد العقاد تاريخ حياته على نحو ما هو معروف لامل زمانه الى  
تلك الفترة من حياة سعد زغلول .

وعلى هذا النحو مضت الامالي تقدم للجمهور كل يوم صورة وصفية  
جديدة لمضو من أعضاء الوفد (١) .

ومن ذلك الوقت كتب العقاد في الامالي مقالات عن الوطنية المصرية  
والاماني القومية ومنها مقال بعنوان : الوطنية المصرية خالصة لوجه الوطن  
المصري (٢) وآخر بعنوان : الوفد والمسألة المصرية (٣) وثالث بعنوان :  
الأمير عمر طوسون والحركة الوطنية (٤) ونرجع ان المقال الأخير من قلم  
عبد القادر حمزة وليس العقاد . ونرجع كذلك ان اخبار المظاهرات في القاهرة  
والاسكندرية والاقاليم التي عنيت بها الامالي كان للعقاد اثر كبير في سر  
هذا الاهتمام بها ، بل نزيد فنقول انه كان يقوم بتحريرها .

وعندما شعر العقاد بالتضييق على ما يكتب من الطولات أو من الأخبار  
الغضار ترك الامالي وانتقل الى تحرير « الأهرام » بالقاهرة ، وقد كانت  
هي الصحيفة الوحيدة التي اعلنت يؤمذ أنها « مصرية للمصريين » وسمحت  
للوعد بنشر بياناته واخباره على صفحاتها .

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ج ٨ ص ١٠٩ .

(٢) الامالي العدد ٢٦٤٤ يوم ٢٣ من مايو سنة ١٩١٩ .

(٣) الامالي العدد ٢٦٧٥ يوم ٢٣ من يونية سنة ١٩١٩ .

(٤) الامالي العدد ٢٩٨٩ يوم ١ من يولية سنة ١٩١٩ .

ويوم اعتزل العقاد العمل في « الأهالي » كشفت عن موقفها ضد سعد زغلول الذي تعبر عنه مقالات « ما هكذا يا سعد تورد الأبل » وما جرى مجراها ، وكلها حملات على الوند ومناوشات بين الصراحة والتورية على حسب الظروف ، الى ان تقاربت العلاقات بين محمد سعيد وسعد ، لاشتداد العداء بين سعيد وجماعة رشدي وعدلي وثروت ، وسائر هؤلاء الوزراء (١) .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الوند قد عقد اجتماعا كبيرا للجمعية التشريعية في منزل سعد زغلول - بعد سفر لجنة ملنر بثلاثة اشهر في دراسة الاحوال المصرية - لم تستطع الأهالي ان تشير اليه أو تكتب شيئا عنه . وأصدر الاعضاء قرارات منها :

أولا : تعتبر الحماية التي اعلنتها انجلترا من تلقاء نفسها على مصر عملا باطلا لا قيمة له من الوجهة القانونية .

ثانيا : تقرر الجمعية أن البلاد المصرية تشمل مصر والسودان مستقلة استقلالاً تاماً وقاء بقواعد الحق والعدل والقانون .

ثالثا : تحجج الجمعية على تعطيلها وعلى التوانين والنظامات التي وضعت في اثناء التعتيل .

رابعا : تقرر الجمعية أن كل عمل قامت أو تقوم به الهيئة الحاكمة ، ويكون فيه مساس بالاستقلال التام لمصر والسودان ، أو مساس لمصالحهما يعد لغوا ، ولا يلزم الأمة في شيء (٢) .

وقد وثقت « الأهالي » ضد مشروع ملنر ، ولكنها وثقت كذلك ضد المنحويين الأربعة الذين أوردتهم سعد لا استشارة الأمة ، وماجت الأهالي سعدا بقوة ، مما يجعلنا نؤكد أن الأهالي لم تثقف الى جانب سعد الا عندما كان العقاد له مطلق الحرية فيما يكتبه ، ولما تركها كتبت هذه المقالات التي تعبر عن موقف محمد سعيد باشا ، وقد ظلت تلتزم هذه الخطة التي تغيرت بتغير موقف سعيد باشا من سعد زغلول ففشرت نداء لسعد زغلول صارع فيه الأمة بجرايه في مشروع ملنر في صفحاتها الأولى في عشرة أعداد من أعدادها (٣) .

(١) يوميات العقاد بجريدة الأخبار يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٢ .

(٢) عيد للطف حزمة - نفس المرجع ص ١١١ .

(٣) الأهالي - العدد ٢٠٩١ - ٢١/١٠/١٩٢٠ .

ووقفت الامالى موقفا عدائيا من خصوم سعد زغلول السياسيين ،  
ومرجع ذلك - كما سبق القول - الى اشتداد العداء بين سعيد وجماعة  
رشدى وعلى وشروت مما ادى الى تقارب بين محمد سعيد وسعد زغلول .  
فهاجمت وزارة على يكن فى مقال بعنوان :

#### حكومة الحماية

الى اى حد تضعف امام حاميتها (١)

مكدا يمكن القول ان « الامالى » كانت تعبر عن وجهة نظر محمد سعيد  
باشا ، ولم تخالف هذه السنة الا فى الفترة التى عمل فيها عباس العقاد  
فكان نشرها للصور الوصفية بداية للخطة التى سلكها العقاد فى الامالى  
وكانت خطته الى يوم اعتزاله العمل فيها .

---

(١) الامالى : العدد ٢٣٢٨ يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢١ .

## الفصل الرابع

### ثورة ١٩١٩

#### وتعاطف العقاد مع الوفد

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ معقد الهدنة بين المانيا والحلفاء ، وانتصار إنجلترا وحلفائها . واقترب باعلان الهدنة بيان « ويلسون » رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية عن حق الشعوب في تقرير مصيرها . واقترب موعد تقرير مصرير الدول والشعوب فأخذ ذوى رأى من المصريين « يفكرون في طريق عملى لرفع صوت مصر ، وتمثيلها في مؤتمر الصلح ، وزاد في هذه الحركة الفكرية ما ترامى من أبناء الشعوب الصغيرة ، إذ أخذت تنأهب لارسال وفودها الى المؤتمر لتتحقق آمالها القومية وتطبيقا لمبادئ الرئيس ويلسن . كان رجال الحزب الوطنى وعلى راسهم محمد زريد مستنئين في أوربا ، والصلوات بينهم وبين زملائهم في مصر منقطعة ، هذا الى أن الجانب الذى كانوا يقاومونه ويجاعسونه في استخلاص الاستقلال منه ، وهو جانب إنجلترا أو حلفائها ، قد كتب له النصر الذهائى في تلك الحرب ، فكان طبيعيا أن يبرز في الميدان شخصيات لم تعرف من قبل بطابع العداء الشديد لإنجلترا والاحتلال البريطانى (١) .

وفي هذه الظروف اتجه سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى الى المعتد البريطانى « سير ريجنالد وينجت » ، باعتبارهم من أبرز نواب الأمة في الجمعية التشريعية ، مطالبين باستقلال مصر ورفع الحماية عنها .

ورفضت بريطانيا التصريح للوفد بالسفر الى اوربا ، وذلك بعد أن تألف الوفد المصرى ليكون وكلاء عن الأمة في السعى لتحقين أمانيتها السياسية واعتقلت السلطات العسكرية سعد زغلول واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل ونفتهم الى مالطة .

وعنا انطلقت الروح الوطنية التي ظلت مكبوتة خلال سنوات الحرب، في ثورة شاملة على الاحتلال البريطانى احتجاجا على اعتقال سعد وصحبه

(١) عبد الرحمن الزلقى : ثورة ١٩١٩ الجزء الأول ص ٩٢ .

ولم تكن هناك صحيفه وطنية مكافحة تعبر عن روح الثورة وتحدث بلسانها وذلك لان « الاحكام العرفية كانت مفروضة على البلاد .. أما الصحف التي كانت قائمة في ذلك الوقت فمع خضوعها لاختصاصات الاحكام العرفية فقد تفاوتت موقفا من الاحداث بتفاوت لونها السياسي ومدى ما يربطها بالقرى الوطنية او سلطات الاحتلال من مشاعر وصلات (١) » .

فاجبت « الاحرام » شيئا من الميل الى جانب الثورة اذ كان وصفها للمظاهرات وتعليقها على الاحداث مشويا بلون من العطف والتأييد .. وكذلك فنذت دعاوى الصحف الانجليزية عن تطرف المصريين وتعصيمهم ضد الاجانب .. بينما وصفت صحيفة « المتظم » اخبار الثورة بانها « شغب ومظاهرات وحوادث يؤسف لها » وكانت تشغفها دائما بتعليقات تندد بها وتعتبرها « كارثة » و « فتنة » تهدد الوطن ، وتنصح المصريين بالمسردول عن هذا الاتجاه .

ونشرت صحيفة « الاعالي » اخبار الثورة بكثير من الحيطة والحذر ، تجنبا لبطش السلطة العسكرية .. ومع ذلك فقد كان واضحا انها أكثر الصحف استعدادا لتأييد الحركة الثورية لولا ضغط الاحكام العرفية (٢) .

واضطرت وزارة رشدي باشا الى الاستقالة في مساء ٢١ أبريل سنة ١٩١٩ وخلفتها وزارة محمد سعيد باشا في ٢١ من مايو ، وكان عثمانى النزعة في تفكيره وشعوره « وسمى اولى الوزارات التي تألفت بعد الثورة على اساس الانفصال عن الحركة الوطنية ومناقضتها ، والاستخفاف بها ، وذلك أن وزارة رشدي باشا الأخيرة قد استقالتت تحت ضغط الرأي العام ، وكان يقاض البلاد بلا وزارة مظهرا لتضامن الأمة أمام العدوان البريطاني ، مما أدى الى احجام المستورزين عن قبول الوزارة ، لأن قبولها رجوع الى الحالة العادية التي يشهدها الانجليز ، فناء تأليف وزارة سعيد باشا محاولة جريفة لكسر شوكة الثورة ، فلا غرو ان توبلت بالاستياء والسخط ، لأن تشكيلها لم يسته تفاهم على برنامجها ، بحيث تسامر الحركة الوطنية ولا تعرتلها (٣) » .

(١) الدكتور أحمد حسين الصاوي : معالم تاريخ الصحافة المصرية - محاضرات ألقاها على طلبية قسم الصحافة بجامعة القاهرة .

(٢) الدكتور أحمد حسين الصاوي : نفس المرجع .

(٣) الرانعى : نفس المرجع ، ص ٣٧ ج ٢ .

ويرجع السبب في استياء الرأي العام من هذه الوزارة كذلك أن محمد سعيد باشا أعلن أنه يؤجل النظر في الحماية التي ضريها الإنجليز على مصر سنة ١٩١٤ في مستهل الحرب العالمية الأولى حتى توضع معاهدة الصلح بين تركيا والحلفاء . وكان هذا الرأي خاطئا ، لأن تركيا أصبحت لا حول لها ولا قوة ، فإذا عرض عليها الإنجليز استمرار حمايتهم في مصر قبلوا ذلك دون تردد .

وعنا ترك عباس العقاد العمل بجريدة « الأمل » التي بدأ يشعر فيها بالاضيق على ما يكتب من مقالات وأخبار في وصف الوفد ، وليس يخفى ما كان « بين سعد زغلول وسعيد باشا من الجفاء القديم ، منذ استقلال سعد من وزارة سعيد الأولى ، ثم صار زعيما للمعارضة في الجمعية التشريعية ، واستمر الجفاء بينهما حين تأليف الوفد ، وبعد قيام الثورة ، فتشكيل سعيد للوزارة في مايو ١٩١٩ كان فيه معنى التحدي لسعد . ومع ذلك فإن سعيد باشا كان أول من مشى في ركاب سعد بعد سنة ١٩٢١ لما بدأت النفرة بينه وبين عدلي ، ثم انفصل عنه سنة ١٩٢٥ ، حينما استهدف سعد لغضب السراي (١) » .

وانتقل العقاد الى القاهرة من الاسكندرية ليعمل في تحرير « الأهرام » وعقب وصوله اشتملت نيران ثورة ١٩١٩ فكان العقاد وزميله المازني يحرران منشورات جماعة « اليد السوداء » السرية وكتبا في الصحف مقالات تاريخية ملتهبة حتى تقرر نفيهما على يد وزير الداخلية « ثروت باشا » الذي استقال في هذه الفترة ، ولولا استنائه لحل بهما تضاء النفي والتشريد ، لأن رصيدهما في الاتهامات كان وانرا بحمد الله ، إذ حامت حولهما الاتهامات في حوادث الاغتيالات التي وقعت حينذاك بدعوى ايقار الصدور وشارتهما الشعور العام (٢) .

وكانت السلطة العسكرية قد عمدت الى طريق الارهاب في مقاومة حركة النشرات السرية ، وصادر الجنرال بلغن أمرا في يونية سنة ١٩١٩ باعتاب كل من يشترك في اخراج هذه النشرات أو توزيعها أو حيازتها (٣) . وقد حوكم كل من اشترك في توزيع منشورات « اليد السوداء » وكانت عقوبتهم الاشغال الشاقة المؤبدة (٤) ، فما بالك بمن كان يحررها ..

(١) : المرجع السابق ص ٣٨ ج ٢ .

(٢) العقاد في نوبته ، وراجع أنب المازني ص ٣٦ - كذلك « عباس العقاد ناتدا » لميد لمي دياب ص ١١٦ .

(٣) راجع : الرافعي : ثورة ١٩١٩ ج ٢ ص ٤٤ .

(٤) راجع الرافعي : نفس المرجع صفحات ٢ - ٨٠ - ٨١ ، ٨٢ .

وحدث أن فكرت الحكومة البريطانية في إيفاد بعثة رسمية للتحقيق في أسباب الثورة واقتراح ما تراه للتهنئة الحالة وجات هذه البعثة برئاسة لورد ملنر ٠٠ وهما ثارت خواطر المصريين ، فأرجأت الحكومة البريطانية سفر أعضاء اللجنة ، وانقضت بضعة أشهر كانت حافلة بالاضطرابات ٠٠ ولكن صحيفة « النظام » لسيد علي التي صدرت سنة ١٩١٩ طلعت عنى الناس بانتقاج يدعو الى مقاطعة اللجنة المرتقبة مقاطعة تامة ٠٠ لكن اللجنة حضرت والفضل يسبقها والصدور موفرة بما توالى على الناس من دواعى الكراهية والنفور ٠ وقيل أن ينقضى على اللجنة أسبوعان او نحو اسبوعين سرى في مصر نسياً للقرار الذى اعتمده نواب الولايات المتحدة وهو رفض المساعدة التى يوتعمها الرئيس ويلسون ٠ فبدلا من أن تجىء اللجنة وتركيا معترفة بالمساعدات كما كان يريد محمد سعيد ، جات الولايات المتحدة - وهى قبلة أنظارالعالم كما كان يريد محمد سعيد ، وتفتح الرجاء لابطالها وتحقيق آمال الشعوب الخذولة فيها (١) .

ولم تستقر اللجنة أياما حتى أخصت أنها في حصار محكم من المقاطعة الاجماعية لا يتخلله منفذ الى لقاء أحد يجديها لقاءه ، ورأى اللورد ملنر من روح الوطنية المصرية غير ما كان يمهده في أيامه السالفة بمصر كما تال لبعض أصحابه ٠ فلجا الى الملاينة والصانعة ، وحاول أن يفسر غرض اللجنة تفسيراً يحافظ به على الحدود التى رسمتها الحكومة البريطانية ويحتجب في ظاهرة الكلمات المثيرة التى تنشر للمصريين وأخصها ذكر الحماية، فنشر على الناس في التاسع والعشرين من ديسمبر بياناً قال فيه :

« أدهش اللجنة البريطانية الاعتقاد الشائع بأن الغرض من مجيئها هو حرمان مصر من الحقوق التى كانت لها الى الآن ، ولا أساس على الإطلاق لهذا الاعتقاد فإن اللجنة أوسدت من قبل الحكومة البريطانية بموافقة البرلمان البريطانى لأجل التوفيق بين امانى الأمة المصرية والمصالح الخاصة لبريطانيا العظمى في مصر ، مع المحافظة على الحقوق المشروعة التى لجميع الاجانب التاطنين في البلاد ٠ ونحن على يقين من أنه يمكن الوصول الى هذا الغرض مع تولف حسن النية بين الجانبين ، واللجنة ترغب رغبة صادقة في أن تكون العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر قائمة على اتفاق ودى يزيل أسباب الاحتكاك ويمكن الأمة المصرية من صرف كل مجهوداتها الى ترقية شئون البلاد في ظل انظمة دستورية . »

(١) العناد : سمدر زغالول ص ٢٨٨ .

وتنفيذا لهذه المهمة تريد اللجنة أن تتف على كل الآراء ، سواء صدرت من هيئات نيابية أو اشخاص يهتمون اهتماما صادقا بخير بلادهم، ويمكن ابداء كل رأى بحرية وصراحة ، ولا رغبة في تقييد حدود المناقشة كما انه لا يخشى أى فرد أن تعتبر مقابلاته للجنة تنازلا منه عن معتقداته . فانه لا يعد تنازلا عن معتقداته بمفاوضة اللجنة الا كما تعد هي متنازلة بسماعها . وبغير الصراحة التامة في المناقشة يصعب وضع حد لسوء التفاهم والوصول الى الاتفاق (١) . ويلاحظ القارىء ان اللجنة والصحف ترجمت العبارة الانجليزية .

« بالانظمة الدستورية » وهي ترجمة غير دقيقة ، وسارع العقاد الى تصحيح الترجمة الصحيحة التي تصد الانجليز اخفاءها كانت « تحت انظمة حكم ذاتي » ولم تكن « تحت انظمة دستورية » وكان الفرق بين العبارتين كبير جدا في نظر الوطنيين ، لقد كان الوطنيون يريدون الاستقلال والدستور الذي يؤدى الى حكم الشعب لنفسه ، ولم يكونوا يفكرون في الحكم الذاتي، فالحكم الذاتي لم يكن يختلف كثيرا عن نظام الحماية الذي كان قائما قبيل الثورة وكان من أهم أسباب الثورة .»

نشر العقاد هذا التصحيح في « الأهرام » التي كان يعمل بها ثم استقال من « الإهالي » . فكان لهذا الاختلاف في الترجمة شأن في اختلاف الرأى بين خطة سعد بعد عودته من منفاه وخطة عدلى في موقفهما من اللجنة نادى ذلك الى فشل اللجنة آخر الجولة الحادة العنيفة ، اذ رفضت اقتراحاتها حين عرضت بعد ذلك على المصريين وحل محل هذا البيان تصريح ٢٨ فبراير ليكون اساسا لحكم مصر .»

ويذكر العقاد في كتابه عن سعد زغلول تفاصيل هذا الاختلاف حول الترجمة (٢) . فقد قال عدلى في خطاب له الى سعد مكتوب في التاسع والعشرين من يناير : « رأينا قبل عمل أى شئ ان نعمل بالكتابة لتوضيح نقطة هامة كان لها بحق أثر كبير في قراركم الذى اتخذتموه . وهذه النقطة هي ما نعتبره من أن بلاغ اللجنة ضيق الغاية من المناقشة فجعلها ( وضع نظام حكومي في حدود الحكم الذاتي ) مما جعلكم تعتقدون أنه مع هذا

(١) العقاد ، سعد زغلول - ص ٢٨٩ .

(٢) الرجوع نفسه ، ص ٢٩٠ .

التحديد لا تتقبل المسألة المصرية من مركزها فلا ترتفع به الحماية بل تتأكد . والواقع انه حصلت بيننا وبين اللورد ملنر مناقشة في هذا الموضوع وأكد لنا أن النص الانجليزي ليس معناه الحكم الذاتي .

بل معناه الحكومة الدستورية وان الغرض من ذكر هذه العبارة في البلاغ بيان ان الحكومة الانجليزية لا يصح أن ترتبط بمعامدة حكومية لا تكون ذات نظام دستوري ، وكذلك كانت الترجمة العربية الرسمية وفق هذا التفسير ، ولولا هذا لكانت أحاديثنا مبنية على غير أساس ، ولا جاز لنا أن ننتقلها اليكم ونستنتج منها ما استنتجناه .

والقرار الذي اتخذته سعد وأشار اليه عدلي في الخطاب المتكلم هو قراره الذي نشره في بلاغ بعث به الى مصر عقب نشر اللجنة بيانها وتال فيه ما نصه :

يحاول الأقوياء بجميع الوسائل أن يأخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قسوة ويزيدوكم ضعفا ، فلا تتخذعوا اذا وعدوكم ولا تخافوا اذا عدوكم ، واشتروا على التمسك بحكمكم في الاستقلال التام فهو أمضى سلاح في ايديكم وأقوى حجة لكم ، فان لم تفعلوا - وليس في قوة ايمانكم الوطني ما يجعل احتمالا لذلك - خذلتكم نصراتكم وأهنتكم شهداءكم وحقرتم ماضيكم وأكترتم حاضركم ومددتم للرق أعناقكم وجبنيتم للذل ظهوركم وانزلتكم بامتكم ذلا لا يرفع منه عز ، وان تفعلوا - كما هو أكبر ظني في عظيم لخلصكم ومتين اتحادكم وقسوة وطنيتكم - فقد استيقظتم لانفسكم قوة الحق واعدتكم لنصرتكم قسوة العدل . فلا تثلوا وان تهرتم ، ولا تخشوا وان ظلمتم ، ولا يبد من يوم يعلو فيه حكمكم على باطل غيركم ، وينتصر فيه عدل الله على ظلم خصومكم ، وتنتحق بانن الاله القدير آمالي وآمالكم في الاستقلال التام (١) .

وتد دارت مناقشة بين عدلي وسعد في تفسير العبارة الانجليزية وما احتوته من الاشارة المزعومة الى الانظمة الدستورية فأعرب سعد عن شكره في خطاب الحادي عشر من فبراير الى عدلي بأشأ اذ يقول : . . .

(١) المعاد : سعد زغول ٢٩٠ - ٢٩١ .

نعم ان ترجمتكم عبارة الحكم الذاتي بالحكومة الدستورية هي الاصح ولكن صحة هذه الترجمة في نفسها لا تحمّل على تعديل قرارنا لان هناك اسباب اخرى غيرها ، ولان ايرادها في المكان الذي وردت فيه من البلاغ مع عدم اقتضاء التمام لها بعد التصريح فيه بان مأمورية اللجنة هي التي صورتها الحكومة ووافق عليها البرلمان ويوقع في الذم بان المقصود بها هو المعنى الذي فهمناه . والقول بان المقصد منها انما هو الا لا يكون الاتفاق الا مع حكومة دستورية لا يتفق في ظاهره مع كون هذه العبارة وردت على انها نتيجة للتعاقد لا وسيلة له ، ومع ذلك فاذا كان المقصد منها هو كما يؤكد جنابه من ان الحكومة الانجليزية لا يصح ان ترتبط بمعاهدة الا مع حكومة ذات نظام دستوري - لزم قبل كل شيء وضع هذا النظام لتشكيل حكومة دستورية تكون اهلا للتعاقد على تحديد العلاقة بين مصر وانجلترا (١) ،

وما أن غادرت لجنة ملنسر مصر حتى عادت السلطات الى فرض قيود الرقابة القديمة على الصحف ، بعد أن كانت قد خففت هذه القيود الى حد ما اثناء وجود اللجنة وذلك حتى يمكنها تفهم الموقف على حقيقته . فاحتجبت الصحف الوطنية ثلاثة ايام احتجاجا على الرقابة والاحكام المعرفية ، ثم استأنفت دفاعها عن القضية التويمية .

ولم يجد المحتلون بدا من الاتصال بسعد زغلول ، فسافر الوفد المصري من باريس الى لندن ، حيث بدأت اول مفاوضات رسمية ، أسفرت عن مشروع نهائي للاتفاق تقدمه ملنر ورفضه سعد . وكان أكثر أعضاء وفد المفاوضات اختلفوا معه في الرأي ، فلم ير بدا من الرجوع الى الامة ، وبعث لهذا الغرض عددا من أعضاء الوفد الى مصر من بينهم عبد العزيز فهمي ولطفي السيد ومحمد محمود . ومن ثم فتحت الصحف باب المناقشة في المشروع فتأملت كل من « الأهرام » و « الاهالي » بحملة منظمة عليه لتثبيت فساده ، وهنا ساهم العشاد مع غيره من الكتاب والصحفيين في هذه الحملة المنظمة . نذكر منهم عبد القادر حمزة ومحمد حسين عيكل ومحمد توفيق دياب ومحمود عزمي . وقد بدأت هذه الحملة في اليوم الثاني عشر من سبتمبر ١٩٢٠ وانتهت في الماشر من اكتوبر من نفس السنة ، وكلها بعنوان وحيد هو « الرأي في مشروع الاتفاق » . وكان العقاد مطلق الحرية فيما يكتب في صحيفة « البلاغ » آنذاك ، ونرجع أنه كان صاحب الفكرة

(١) العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

البارعة التي ظهرت في الاهالي حين عمدت الى نشر نداء لسعد زغلول ،  
وهو النداء الذي صارح فيه الأمة آخر الأمر برأيه في مشروع ملنر . وقد  
دأبت الاهالي على نشر هذا النداء بصفتها الاولى في عشرة أعداد من  
اعدادها وتعتت تواريخها بين الحادى شر من شهر اكتوبر واليوم الاخير من  
هذا الشهر سنة ١٩٢٠ .

وقد صعدت الاهالي - في الفترة التي كتب فيها العتاد - وراء سعد ،  
و في سبيل ذلك انتقدت موقف لطفي السيد من مشروع ملنر . وقد لاحظ أنه  
- وضعه عدلى يكن - يملتان على المشروع تطبيقا يتفق ووجهة نظر ملنر (١) .

وقطعت المفاوضات وشاع في ذلك الوقت أن الوفد المصرى نفسه منقسم  
الى رأيين : أحدهما شديد في المطالبة بحق الأمة ، والآخر ظاهر اللين في هذه  
المطالبة . وهكذا ظهرت بوادر الشقاق في صفوف القادة فدعت « الأخبار »  
لأمين الرافعى الى التمسك بوحدة الأمة ، وعلقت « الاهالي » بقولها : أما  
الاول فهو الوفد الذى وكلته الأمة عنها ، وأما الثانى فقد انحلت عنه وكالة  
الأمة ، لأنه لم يبق وفيها لها بشكل من الاشكال (٢) .

وتولت المقالات في صحيفة الاهالي على هذا النحو حتى تحولت في  
النهاية الى مساجلات دارت بينهما وبين الصحف الاخرى ومنها المساجلة  
التي دارت بين « الاهالي » و « الأخبار » (٣) .

(١) الاهالي : يوم ٢١ من اكتوبر سنة ١٩٢٠ العدد ٣٠٩١ .

(٢) الاهالي : يوم ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٢٠ العدد ٣٩٧٠ .

(٣) راجع : الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ١١٦ ومابعدها .

## في « البلاغ »

وأصبح في مصر جبهتان سياسيتان متعارضتان ، وتمثل الجبهة الأولى في سعد زغلول زعيما للوند ، وتمثل الجبهة الثانية فيمن انشقوا عليه بزعامة عدلى .. وانعكس هذا الموقف بوضوح على الصحافة ، فأصبحت « الأمل » لسان جبهة سعد بعد عودته من أوروبا ، واستتبع ذلك انتقالها الى القاهرة في خريف عام ١٩٢١ .. وفي القاهرة عطلت ثم توقفت عن الصدور بعد أقل من عام .. وكان صاحبها ( عبد القادر حمزة ) يصدر صحفا بجيلة لها مثل ( الحروسنة ) و ( الأتكار ) فتعطلت السلطات كذلك ، حتى اصدر ( البلاغ ) في اول عام ١٩٢٣ .

وتألف في مصر حزب جديد كان اعضاءه يمثلون جبهة عدلى يكن التي انشقت عن الوند بزعامة سعد ، وأطلق على هذا الحزب « حزب الاحرار الدستوريين » برئاسة عدلى يكن باشا .. بعد أن كان بعض قائده قد ساهموا في استصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .. وهو التصريح الذي وصفه سعد في منفا بأنه « نكبة وطنية كبرى » .. وقد اصدر حزب الاحرار الدستوريين جريدة ( السياسة ) التي رأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل .

ويعتبر حزب الاحرار الدستوريين امتداد لحزب الأمة القديم ، وعضاؤه نفس الاعضاء تقريبا ، وقد قام هؤلاء الاعضاء في ٣ ابريل سنة ١٩٢٢ بتشكيل لجنة من بينهم لوضع الدستور ، وكان هذا الدستور الذي صدر في سنة ١٩٢٣ م مكسبا من مكاسب ثورة ١٩١٩ فأصبحت الأمة بمقتضاه ( مصدر السلطات ) الا أنه لم يبلغ سلطة الملك فأصبح تدخل الملك بذلك شرعيا في شؤون الحكم .

ورفع ثروت باشا مشروع الدستور الى الملك فؤاد ليقيم باعلانه ، فأخذ الملك فؤاد يماطل ويسوف بهدف النجاة بالدستور ، فحاول ان يحدد عدة فقرات من الدستور ، منها الفقرة التي تنص على أن ( الأمة مصدر السلطات ) وكذلك الفقرة التي تقول ( ان الوزارة مسؤولة أمام البرلمان ) وحاول توسيط عدلى يكن للحد من هذا الاتجاه الديمقراطي ولكن عدلى أبى ان يتدخل ، ولما رأى الملك فؤاد اصرار ثروت باشا على الضى في اصدار

الدستور اخذ يكيده لوزارته ليوجد التكاة للانطحة بها ونجح فعلا في حمل ثروت باشا على الاستقالة ، وكان ذلك في الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٢٢ حيث جاء الامر الملكي بقبول الاستقالة بعد نصف ساعة من رفعها . وفي اليوم التالي قامت وزارة توفيق نسيم التي كان عرضها الاول تعديل الدستور وتوسيع حقوق الملك في التسمية الوزارية وتعيين اعضاء مجلس المشيوخ . ثم استقالت وزارة توفيق نسيم لان الانجليز تخطوا ووجهوا الى الملك انذارا يطلبون فيه حذف النص الخاص بالسودان من الدستور والاكتفاء فيه بلقب « ملك مصر » بدلا من « ملك مصر والسودان » . وولى الوزارة بعد توفيق نسيم ، يحيى ابراهيم « وهو قاض نزيه ولكنه رجس ضعيف كان خشي كثيرا ان يتم تعديل الدستور المطلوب على يديه وضاعف عذبه الخشية قوله في اليوم التالي لتأليفه الوزارة : « ان كان الناس قد تكلموا كثيرا عن التعديل الذي ادخل على الدستور وتسالوا عما اذا كانت وزارتنا تسلم بالتعديل الذي قد أدخلته الوزارة التسمية فنصدر الدستور كما عدلته أم ترجمه الى اصله كما وضعت اللجنة فان ما وضعناه نصب عيوننا هو ان يحقق الدستور رغبات الأمة كل التحقيق (١) . ولكن السخط اشتمل على يحيى ابراهيم في كل مكان وتجدت حوادث الاحتجاج . فاحتج حزب الاحرار الدستوريين واحتجت معه الاحزاب الاخرى مجتمعة .

وقد كشف عباس العقاد في هذه المعركة الكبرى من اجل الدستور الفئاع عن دسائس الملك التي كان يحيكها خفية للدستور وكتب في « البلاغ » يقول « الدستور كما كتب يملن ، واذا كانت به اخطاء البرلمان يناقشها » .

وقد نشر العقاد في سبيل احباط مسمى الملك فؤاد مقاليتين في (البلاغ) خلاصتهما وجوب ابقاء الدستور كما وضعت اللجنة دون ان يمس حصر فيه بتعديل وأنه اذا لزم تعديله فليكن ذلك من اعضاء اول مجلس نيابى تنتخبه الأمة على وفق ما نص عليه الدستور نفسه في امر تعديله (١) .

وتنهدت الأمة الى ما يراء بعد هاتين المقاليتين ، وتشجع اعداء الحكومة فكادوها مستندين الى الأمة ، وسرت الحملة على التمسيد من مصر الى بريطانيا فقالت التيمس بالمباراة الصريحة ان الملك فؤاد هو المعطل لصدور

(١) راجع « سعد زغلول » للمقادص ٤٢٥ .

(١) محمد خليفة الترنس : العقاد محطم الاصنام - من كتاب ( العقاد دراسة وتحية ) . ص ٢٩٦ .

الدستور ، وسانحتها صحف أخرى من صحف الأحرار والمحافظين ، وتماوج  
الراى العام فى مصر حول هذه المسألة فثبت للوزارة أن التعديل على المبادئ  
التي يريدها القصر عسير غير مأمون المواقف وصدر الدستور بغير تعديل كما  
وضعتة للجنة فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ (١) . فيما خلا النصوص المتعلقة  
بالسودان .

ورفعت الأحكام العرفية فى ٥ يولية سنة ١٩٢٣ ، وعاد سعد واعضاء  
الوند من المنفى فى نهاية شهر ابريل من نفس العام ، ودارت معركة انتخابية  
غاز فيها الوند بأغلبية ساحقة فنولى الحكم . . . ومنذ ذلك الوقت شهدت  
مصر عهدا جديدا فى الحياة السياسية ، تميز بوجود عدد من القوى والتيارات  
المعارضة التي لشتد الصراع فيما بينها .

وهذه التيارات هى - الوند - فى المحل الأول ويضم الأغلبية الكبرى  
من الشعب ويتمسك بالحياة الدستورية التي يتيحها دستور سنة ١٩٢٣  
ويقف فى وجه تصريح ٢٨ فبراير والمحتلين والسراى .

ثم « الأحرار الدستوريون » وحزبهم يضم كبار الملاك وبعض المثقفين  
على نحو ما كان حزب الأمة . ويقف كما كان يقف الحزب القديم ، موقف  
الاعتدال من المحتلين وموقف العداء الظاهر او المستتر حسب الاحوال من  
السراى ونزعها الى الاستبداد (١) .

أما « الانجليز » فموقفهم هو اضعاف شوكة الحركة الوطنية وتنسجيع  
العناصر المعتدلة واستخدام السراى بقدر ما تستفهم الظروف لتحتقيق  
اغراضهم . ووقف العقاد منذ اللحظة الاولى الى جانب الوند ، ويقتضينا  
الانصاف منا ان نقول ان العقاد انما ظل يدافع عن مبادئ الوند برأسة  
سعد زغلول لأنها تتفق مع مبادئه فى الدفاع عن الحرية والاستقلال ومطالب  
الأمة . وهنا نستطيع ان ننزع عنه صفة الحزبية التي تلصق به خطأ ،  
وسنرى على طول هذا الكتاب كيف أن العقاد لم يقتيد برأى الحزب الذى  
دافع عن مبادئه الوطنية وجرده قلمه من أجل هذا الهدف .

ويجوز القول أن مقالتي العقاد فى الدفاع عن الدستور جعلته كاتب  
الهدى الأول حتى قربه سعد زغلول إليه ووصفه بأنه « كاتب جبار المنطق »  
ولكن هذا التأييد والاعجاب الشديد بسعد زغلول - كما يقول عبد الرحمن

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٤٢٦ .

صدقني - يرجعان الى ما قبل زعامته بعشر سنين ، ايام اشتغال العقاد  
سنة ١٩٠٨ محررا في صحيفة الدستور التي تنتمي للحزب الوطني ، وعلى  
الرغم من هذا الانتماء فان صاحب الدستور محمد فريد وجدى ، في اخلاصه  
لحرية الراى وصدق نزاهته ، سمح له بصدر الجريدة لنشر حديثه الذى  
اجراه مع سعد وهو وقتذاك ناظر للمعارف ، فأتاحت له بهذا الحديث فرصة  
الدفاع عن اخلاصه لمشروع الجامعة المصرية مع انه كان موضوع حملات  
الحزب الوطني (١) .

ويحدثنا الدكتور لويس عوض (٢) عن العلاقة بين سعد والعقاد فيقول:  
« أما ولاء العقاد لسعد زغلول شخصيا ومبدأ ، فقد كان أشبه شئ بعبادة  
الأبطال ، ومع ذلك فان هذا الولاء لم يجعل من العقاد مجرد تابع مجرد من  
الارادة يتخذ من زعيمه صنما ، بل كان لا يتردد في مجاهرة بسعد زغلول  
بمعارضته كلما وجد موطننا للاختلاف معه مثلما حدث عندما رفض العقاد  
ان يعلق على خطبة العرش سنة ١٩٢٤ على اساس عدم اقتناعه بأن عبارة  
« الأمانى القومية في السودان » الواردة بها تعبر بوضوح عن حقوق مصر .  
ولما يشتبك سعد مع العقاد في نقاش طويل حول هذه النقطة يتسول  
الاول : « لو حاسبني كل فرد في الأمة حسابك لمجزت عن أعياها ، وكالتى عن  
الأمة » ، فأجابته العقاد بقوله : « ولكن ليس كل فرد في الأمة عباس  
العقاد » فابتسم سعد وقال : « صدقت . ليس كل فرد في الأمة عباس  
العقاد » . وهكذا تميز العقاد باستقلال في الراى وصلابته في الدفاع  
عنه ، وكانت مبادئه بعد ثورة ١٩١٩ هي مبادئ الوفد الاولى التى وضعها  
سعد زغلول ، ، وولكلته الأمة للمطالبة بها ، وهى الغاء الحماية والنسعى  
لتحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان . فهو اذن لم يكن حزبيا بللمعنى  
المعروف ، ولم ينضم الى حزب من الاحزاب ، وإنما كان يدافع عن مبادئ  
الوفد برأسة سعد زغلول ولا يستمد الراى من احد ، ويشترط ذلك على  
كل صحيفة يعمل بها ، وكانت الصحف تنقل منه هذا الشرط . فكانت  
مقالاته السياسية تنشر دون ان يطلع عليها رئيس التحرير أو صاحب

(١) عبد الرحمن عيسى : ذكريات في ذكرى العقاد - مقال بمجلة الهلال ابريل سنة ١٩٦٧

(٢) لويس عوض : دراسات عربية وغربية .

الصحيفة ، ولم يطلب منه الكف عن الكتابة أو تخفيف الحملات ضد خصومه في عهد الزعيم الراحل سعد زغلول (١) .

وفي هذه الأثناء، كان عبد القادر حمزة ، قد أصدر صحيفة « البلاغ » في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ ، وكانت وزارة نسيم باشا هي التي رخصت للبلاغ بالظهور ، وكانت الوزارة النسيجية تتقرب إلى « الأكثرية » بيد أن هذا التقرب لم ينفعها طويلا في تخدير الأمة وتهيئة الجو لتعديل الدستور ذلك التعديل الذي تضييق من حدوده ، ويكاد ينقصه من أساسه ، وهو الاعتراف بسلطة الأمة والنتيجة الوزارية .

ويلخص لنا العقاد مفاوضات الوزارة النسيجية في التقرب إلى الأكثرية ، بأنه لما أحس رؤساء الوزارات والمرشحون لرئاسة الوزارة أن رشدي وعلي وثروت وأصحابهم قد احتكروا الميدان في السياسة المصرية تألبوا حزبا واحدا على مقاومة هذا الفريق ، وأصبحوا فريقا آخر يرأسهم محمد سعيد واحمد مظلوم وتوفيق نسيم ويوسف وهبة وأخوان هذا الطراز ، وأصبح في مصر على هذا التقسيم فريق وزارى يصح أن يسمى بالمدرسة التركية وعم محمد سعيد وأصحابه ، وفريق آخر يسمى بالمدرسة المتفرجة هم علي وأصحابه (٢) .

« وبحكم العداوة بين الفريقين أصبح لزاما على « المدرسة التركية » أن تختلط ود الوفد وتتقرب إليه ، وتلوذ بالقصر الملكي لتستند إليه في وجه المعارضة المكشوفة من الانجليز لعدلى وأصحابه .

وهذا سر الصداقة التي كان يبديها محمد سعيد وتوفيق نسيم واحمد مظلوم لسعد زغلول بعد أن كانوا جميعا يحاربونه لا يتقدمون إلى مساعدته يعمل من الاعمال . فسمى محمد سعيد في انشاء وفد غير الوفد السعدى ، وادى توفيق نسيم أن يوقع التوكيلات القومية ، ولبت احمد مظلوم على صداقته للثنتين .

« فلما جاء توفيق نسيم عقب عبد الخالق ثروت الجاهد بعداء سعد زغلول وإنصاره واتبع سياسة التقرب إلى الوفد ، وكتب مذكرته يطلب فيها الاعتراف بالكثرة القومية واستقال قبل أن يندسخ الدستور وتكتشف أغراضه الخفية . بلغ ذلك كله إلى سعد في جبل طارق وهو يعيد من مجرى الحوادث

(١) محمد طاهر الجبيلارى : في صحبة العقاد ص ٩٠ .

(٢) العقاد : سعد زغلول ص ٤٢٢ .

ووسائل الاستقصاء الوافية فكتب إليه البرقية اتى يقول فيها : « انتم  
بمعلمكم الشريف المعتم بالوطنية والحكمة استحققتم تقدير الوطن » .

وفي هذه الاثناء كان عبد القادر حمزة قد استطاع الحصول على ترخيص  
له من وزارة نسييم باثنا باصدار جريدة (البلاغ) ، وكما بارك سعد زغلول  
الوزارة التسمية من جيل طارق وهو بعيد من مجرى الحوادث ووسائل  
الاستقصاء الوافية ، كتب برقية الى البلاغ يقول فيها :

« يسعدنى ان يظهر للاهالى خلف يملأ ما تركت من فراغ ، ويمتدح ما  
بدأت من جهاد ، ينشر الحق في دعوته ويهزم الباطل في دولته . يصور  
شعور الامة بذلك التلم الشاعر ، ويشرح امانيتها بذلك الاسلوب البديع  
الباهر ، سرى ان يكون لنا بلاغ يحرره عبد القادر » .

وهكذا بارك سعد زغلول في منفاه جريدة ( البلاغ ) واصبحت في ظاهرها  
صحيفة الوفد ولسانه الاول ، وكان عباس العقاد لهذا السبب وحده كاتب  
( البلاغ ) الاول ، يكتب في كل يوم مقالا سياسيا يعتبر مادة اساسية من  
مواد الجريدة . وكان العقاد يحتل الصفحة الاولى على الدوام وكثيرا ما كان  
يملا هذه الصفحة باكملها .

واستمرت الحسرة بين الوفد وخصومه من الاحرار الدستوريين  
وغيرهم . وكان تلم عباس العقاد أقوى سلاح استعان به سعد زغلول في  
تلك الحرب فكانت مقالاته السياسية تنشر دون أن يطالع عليها رئيس  
التحرير وصاحب الصحيفة وكانت الصحف التي يحرر فيها العقاد تنفذ  
نور صدورها بقتاتى ولاقول بساعات(١) . ويذكر لنا الأستاذ العوضى الوكيل  
انه اشترى نسخة من إحدى هذه الصحف من ميدان محطة الرمل بالاسكندرية  
في يوم صدورها نفسه بعشرة أمثال ثمنها ، « نعم اشتريتها بخمسة قروش  
وكان ثمنها في ذلك الوقت خمسة مليمات ، مما يوضح الأثر الضخم الذى  
كانت تحدثه مقالات العقاد كسياسى مناضل في ذلك الحين .

وقد كان العقاد غنيا مع خصوم مبادئه التى آمن بها ممثلة في مبادئ  
الوفد وقد كتب أحد كتابهم المشهورين ( ابراهيم هلال بك ) كلمة عن العقاد  
قال فيها « لما يؤس الوفد من مناقشتنا بالبرهان والحجة لجا الى ذلك  
الوحش الرابض في جريدة البلاغ فكف عنه السلاسل والاعلال ، واطلقه علينا  
يفتك كيف تشاء » (١) .

(١) محمد طاهر الجبلاوى : في صحبة العقاد ص ٩٥ .

وكان من المتفاهم عليه حين صدور البلاغ أن تخدم سياسة الوزارة  
للمسجعية في أمر الدستور الذي طواه القصر في انتظار الفرصة لتعديله ،  
وهنا افترقت خطة البلاغ وخطة كتابتها الاول ( عباس العقاد ) افتراضا ثابتا  
يسهل الرجوع اليه ، حين أخذ على الوزارة التسمية السبيل في ( البلاغ )  
فأعلن في مقالته السابق الإشارة إليها ، الدعوة إلى تنفيذ الدستور واجتناب  
التعرض لاحكامه ومبادئه ، وليكن تعديله بعد ذلك على أيدي النواب المنتخبين  
إذا وجدوا فيه موضعا للتعديل . \*

وقد استمر العقاد يشارك في تحرير البلاغ منذ انشائها وصحورها  
في الثامن والعشرين من يناير سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٣٠ . حتى اذا صدر  
البلاغ في سنة ١٩٣١ باسم ( البلاغ الجديد ) لا يكتب فيه شيئا حتى  
سنة ١٩٣٧ . \*

وتد انتهت الفترة الأولى التي فضاها العقاد في البلاغ ، بتعطيل البلاغ  
بعد صدوره وقد جاء في صفحة البلاغ في قلم المطبوعات  
أنه في ١٥/٦/١٩٣٠ صدر قرار من مجلس الوزراء ( في وزارة  
اسماعيل صدقي ) بتعطيل البلاغ نهائيا . وذلك تطبيقا للعادة رقم  
١٥ من الدستور وهي تخول للحكومة - وتأييد للنظام الاجتماعي - أن تتدخل  
مما تقيدها به في شأن حرية الصحافة (١) . \*

ثم عاد البلاغ إلى الصدور بعد احراج العقاد واخراجه منه ، وبقي  
منتظما في صدوره عدة شهور . واحتجبت - بدلا منه - صحيفة كوكب  
لشرق التي نشر العقاد فيها مقالاته ثلاثة أيام متواليات ، وظلت محتجبة  
طوال الوقت الذي انتظم فيه صدور البلاغ . \*

وقد ظهر تعاطف العقاد الشديد للوفد ، ضد كتاب الأحزاب الأخرى ،  
في جوانب كثيرة منها هذا اللون من الهجاء السياسي الحاد الذي يتسوم على  
السخرية المرة ، وقد مكنت العقاد حدة مزاجه وقوة بيانه من مهارته في  
استخدامه السخرية اللاذعة ضد كل أعدائه طوال اشتغاله بالسياسة . \*

وقد استخدم العقاد أسلوب السخرية من الأحزاب  
ومن النداءات التي تصدر عنها . وذلك - كما يقول الدكتور عبد اللطيف  
حمزة - عن طريق كتابة هذه النداءات بطريقة جديدة يراد بها عكس المعاني  
التي تشتمل عليها (٢) . \*

(١) راجع صفحة البلاغ في نظم المطبوعات - كتاب ( أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ١٧٠ )

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ١٩٧ . \*

وثمة طريقة أخرى استخدمها العقاد في مقالاته السياسية بالبلاغ .  
وعى طريقة التساؤلات ، وذلك بهدف التذليل من خصوم الوعد والضعاف  
مركزهم أمام الشعب وقد سلك كل هذه الطرق في ( البلاغ ) سعيًا وراء نجاح  
الوعد في معركة الانتخاب ومن أمثلة الطريقة الأولى هذا المقال الساخر :

#### نساء الأحرار الدستوريين

مترجما إلى اللغة العربية (١)

وقد استهل العقاد هذا المقال ببذاء الأحرار الدستوريين كما ورد في جريدة  
السياسة تم قال :

هذا كلام لا بأس به إذا صدر من غير هؤلاء . أما وقد صدر منهم فنحن  
نترجمه في اللغة العربية ليُفهمه الناس كما ينبغي أن يفهمه . ويقرأوا  
من السطور ما يجب أن يقرأوا فنقول :

أيها المصريون :

نناديكم اليوم وما ناديناكم قط ولا عرفناكم قبل اليوم ، ولا توجهنا  
بالنداء والابتهال إلى غير السادة الإنجليز مصرفى الأندلس ، ومطلبى الليل  
والنهار . ولكن الانتخابات تلجئنا إليكم ، والضرورة تسوقنا إلى مخاطبتكم ،  
والشفعة تجنح بنا إلى طريقكم . فاسمحوا لنا أن نتوسل بكم إلى أرضاء  
الإنجليز على حسابكم ، وأن نأخذ من أيديكم السلطة التي نرغم بها  
الوفىكم . فاقبلوا بالله أن نفضلكم ولو يوما واحدا هو يوم الانتخاب  
الذي أحوجنا إليكم ، وإن نستغل في ذلك اليوم تلك البلامه التي ظالمنا  
اعتقدناها فيكم . ثم اصنعوا بعقولكم ما تشاؤون ، أودعوا لنا نصنح بها  
ما نشاء .

أيها المصريون :

مبدؤنا مبدأ الصدق في الوعد ، واتباع القول بالعمل . والدليل  
على ذلك أننا تسمى أنفسنا الأحرار الدستوريين ، وما تركنا للناس حريتهم  
قط ، ولا وصلنا إلى الحكم يوما عن طريق الدستور .

ولنورد لكم برهانا أقرب إلى الانتعاض وأصرح في المقال :

(١) البلاغ : يوم ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ - العدد ٥١٢ .

لقد وعدنا الانجليز ان نتحدث اندامهم في مصر ، وان نمكن لهم في رقاب  
أهلها - فهل أخلفنا لهم وعداً وحشنا لهم في يمين ؟ ألم يرحب وزاؤنا  
بالحماية ؟ ألم يمدوا من نعم الله وبركاته عليهم وعلى مصر ؟ ألم نعبث  
برحمة الأمة حين جاء ملذر لتنظيم الحماية فابننا ، وكنتم له من الخادلين؟  
ألم نتمهد للانجليز سرا في وثيقة ٢٠ يناير سنة ١٩٢٢ بارغام الأمة على  
اتفاق ما يريدون من توظيف وتضمين وتعويض ؟ ألم نستشير بالتحفظات  
التي يتسببكم منها لليوم ما تعلمون وما سوف تعلمون ؟ ألم نعد الي الحكم  
اليوم لنتم ما بدأناه منذ سنين ؟ فهل وفيما يمهنا ام كنا له ناكثين ؟  
وهل اتينا القول بالعمل ام لا نزال ناثلين غير فاعلين ؟

أيها المصريون :

انتخبوا ذوى الاخلاق وذوى الكفاءات ، ومن هم ذوى الاخلاق وذوى  
الكفاءات ؟ أمامكم فريقان في هذا البلد : فريق السعديين وفريق الأحرار  
الدمستوريين . فاما السعديون فقد رأوا صراعاً بين مصر وبريطانيا العظمى  
فعلموا ان مصر أضعف جانبا وأقل نصيرا وأبعد من النجاح املا . فبلغ  
من نذالة نفوسهم وسماجة وجوههم وفساد ضمائرهم وسخف احلامهم ،  
ووهن طبائهم ان يؤثروا للسجون على النصب والنفي على الوطن ، والشقاء  
على الرغد ، والألمة على التزلف . فمالهم من ذلك ما يستحقون . وسينالهم  
منه بعد اليوم فوق ما يعلمون . واما الأحرار الدمستوريون فابن هم من هذا  
الخلق الشائن وهذا المزاج المكوس ؟ قد أوحى لهم شرف نفوسهم ونبالة  
مقاصدهم ، وعلو آدابهم ان ينصروا القوة ويلتمسوا جانب المنفعة ، ويدوروا  
مع الدهر كيف دار ، ويقتنموا رضا الانجيز ، ثم يسعوا في ارضاء المصريين  
ويبتسموا للقاتل ثم يبيكوا مع القتيل ، فياله من خلق عظيم .

وأما الكفاءة فانتم ايها المصريون ما برجتم ولن تبرحوا تتلهفون على  
وزارة تحسن فيما تحسن ان تسجل عليكم للانجليز حق حمايتهم لكم ،  
وحق حماية الأجانب في بلادكم ، وحق تهديكم في التطن والماء ، وحق  
استلاب السودان الذي ما ذكرناه بحرف واحد في الفداء . وعده - أيها  
المصريون - وماتر لاتتاح لكم بغير الكفاءة والافتدار . فابن هم أصحاب  
الكفاءة والافتدار ؟ انهم - ولا ريب - هم الأحرار الدمستوريون فالأحرار  
الدمستوريون .

انتخبوا ايها المصريون . وأعلموا ان شفاعتنا اليكم هي التضحية  
بمصر لا التضحية بمصر . شفاعتنا اليكم الضحايا التي اهدرناها ،

والنوس التي ازهقتها ، والاتلام التي حملناها ، والمسجون التي ملانها .  
وكيد الأهمات التي ادميناها ، ودموع الآباء التي سفحنها ، وآجال الشباب  
التي اعتصرناها -

أيها المصريون :

لكم عقول وتلوب وضمانر : ولكن ليتكم بلاعتل ولا تلوب ولاضمانر .  
فان هذه المعقول وهذه التلوب وهذه الضمانر لهي السد الذي يقف بيننا  
وبينكم ، وهي السبيل الذي يتطرق السعديون اليكم . فان اوليتونا ما بقي  
لكم منها فذاك . والا فقد اغناها عنها ما اعدناه من الغدة ، وتوسلنا  
به من الوسائل . وما حاجتنا الي عقولكم وتلوبكم وضمانركم بعد اذ جعلنا  
الراى ان نختار من المندوبين ، واعدنا الحائزين على السعديين من العمد  
والموظفين وبعد اذ وعدنا الأزهريين باجابة المطالب ، والموظفين بزيادة  
الرواتب وبعد ان حجزنا على منشورات الانتخاب وأوماننا الي الناس  
بسوط العذاب . فهل تجدى عقولكم وتلوبكم وضمانركم بعد هذا الاغراء  
والارهاب ؟

الأحرار الدستوريون

الترجم : عباس محمود العقاد

ثم في المعركة الانتخابية التي سبقت البرلمان الثاني سخر العقاد من  
رئيس حزب الاحرار الدستوريين وهو يومئذ عبد العزيز فهمي - وكتب مقالا  
بعنوان :

#### يجيبا الرئيس السلوب (١)

ملك تسال من هذا الرئيس السلوب ؟ هو ذلك الذي تصحقوا عليه  
بالرياسة لأنهم لم يتفقوا على الرئيس ولم يجدوا أحدا غيره لسد الفراغ  
ينوب عن الفرعة وتهون على النفس مناقشته ، ويظهر للناس اختباره بمظهر  
الواساة وجبر الخواطر . . .

وأنت تعلم ان هذا الرئيس السلوب هو المسكين عبد العزيز فهمي . . الخ  
ومن هذا القبيل أيضا مقال آخر بعنوان :

عبد العزيز فهمي يخطب . فهل اشتغل بالسياسة (٢)

(١) البلاغ : يوم ٣ من فبراير سنة ١٩٢٥ - أنظر «أب القالة الصحفية ج ٨ ص ٢٠١»  
(٢) البلاغ : يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٢٥ .

« أعلنت جريدة التعاسة ( بريد السياسة ) في مربع منقح الحوائى  
كإعلانات دور التمثيل والسينما أن الأستاذ عبد العزيز فهمى سيخطب  
خطاباً سياسياً عاماً . وضعت الإعلان بهذه الصورة لتلفت إليه الأنظار ،  
وترغب القراء في سماعه . وكانى بالكاتب وقد انتفتحت أوداجه ، وسمعت  
أذناه ذنات قلبه ، واستوى على كرسيه ، وشمر عن ساعده ، وطلب عامل  
المطبعة ليجهز أظهر مكان في الجريدة بهذا الإعلان ، واعتقد بقدر ما سمحت  
له عقليته أنه يرف لامة بشرى طالما تانت إليها ، ويتحفها بخبر يهتز له  
فؤادها . فيتهافت الناس على الحصول على التذاكر خوفاً من ضياع الفرصة  
ولكن - للأسف - كانت التذاكر تسمى الى الناس سمياً ، وتوضع في  
جيوبهم تبرعاً ليجلئ السراق ، فيسر الأستاذ شفاه الله » .

ولم يكن موقف العقاد من حزب الأحرار الدستوريين موقف التجنى ،  
فقد كانت جريدة (السياسة) تحمل لواء الحملة على الوفد وعلى سعد زغلول منذ  
صدرها ولم تترك موقفاً لسعد الا واتخذته موقفاً لهجوم عنيف بالسنة  
كتابياً : الدكتور هيكل وطه حسين وتوفيق دياب ومحمود عزمى . ولذلك  
كانت مقالات العقاد وعبد القادر حمزة وحافظ عوض هى السد النيع الذى  
يقف في وجه ضربات ( السياسة ) . فقد اتخذت ( السياسة ) من شخصية  
سعد زغلول مجالاً ضحكاً للهجوم فاتهمه بالكتاتورية والتنصب لرايه  
والسمى لتكوين دولة زغلولية . وفرض سلطانه على انصاره دون أن يكون  
فيهم من يعارضه أو يجرؤ على ذلك .

كتب طه حسين في الأهرام بعنوان :

#### ديمقراطية أم طغيان (١)

« . . . ولكن سعدا كان الزعيم فما كاد يطن خلافه لخصومه وانتشاقته  
عليهم حتى اجتمع عليه الجمهور وسمى غيره منشقا ووصف خصومه بالروق .

وليس ما وقع في مصر الآن الا حرباً بين ميدابين مختلفين : احدهما مبدأ  
نيادة الجمهور الى منفعته المحتقة عن طريق النظام والتعاون أى من طريق  
الديمقراطية المعتدلة المنظمة . والآخر مبدأ الاستئثار بما للجمهور من توة  
وسلطان والاستبداد باسم هذا الجمهور وسلوك الطرق المقولة وغير المقولة  
الى اكراه الخصوم على الاعان أو كم أقواهم وعقد السننتهم فان لردت  
عبارة واضحة موجزة فقل أن في مصر الآن حرباً بين الديمقراطية والطغيان » .

(١) الأهرام : يوم ٢٥ من يونيه سنة ١٩٢١ .

ولهذا كله كان قلم عباس العقاد لا يبنى في الرد على هذه الاتهام الحزبية  
مجتمعة وركز هجومه على الأحرار الدستوريين الذين تخلوا عن الثورة وانشقوا  
عن الوفد وأخذوا يحاربونه ويميلون إلى جانب القصر والانجليز . وقد  
استمرت معارك الثورة منذ سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٤ تهذا أحيانا  
وتشتمل أحيانا ولكنها لم تنتهف أبدا . وخلال هذه المعركة كان العقاد  
دائما على اتصى اليسار في الثورة ضد الانجليز ، وضد الرتدين من المصريين .

والحقيقة أن فيما كتبه الدكتور لويس عوض في كتابه « دراسات عربية  
وغربية » عن تلك الأحداث التي عاصرها صبيا في السادسة عشرة ما يلقي  
ضوءا واضحا عن مدى الثقل الحقيقي الذي مثله العقاد وسط « السلافة  
الكبار » في معركة التصدي الوطني الديمقراطي . يقول الدكتور لويس عوض:  
« لقد تكاملت صورته في نفوسنا نحن شباب ذلك الجيل الأبي المسحوق ،  
بظلا غردا حمل وحده تبعات النضال الوطني والمستوري في قيادة المثقفين  
ولولا أن طه حسين أنسلخ يومئذ عن معسكر الأحرار الدستوريين وتقدم  
الطليمة الثورية الشعبية لبقي العقاد وحده يحمل اللواء .. هذا هو العقاد  
الذي عرفته عام ١٩٣١ ، وهو أيضا العام الذي عرفت فيه طه حسين وسلامة  
موسى . وأخذ ثلاثتهم بيدي عاما بعد عام لأسير نحو النضوج . بدأ ثلاثتهم  
في خيالي المتهب كتالوث من الآلهة متوجين على دولة الفكر ولكن العقاد  
وحده في فتنة من الصبا الباكر ، بدا لي وكأنه كبير الآلهة غير منازع بسبب  
ضراوته التي لا تعرف الحدود في قتال أعداء الشعب والحرية » .

ولقد كانت مشكلة جيل المثقفين المصريين الذين بلغوا سن الشباب  
في أولخر العشرينات أن تسيادة المثقفين في تلك الفترة والتي تتمثل في  
( لطفى السيد ، وطه حسين ، وحسين هيكل ، والمازني ، ومنصور فهمي ،  
ومحمود عزمي ، وعبد العزيز فهمي ، بل أحمد شوقي وخليل مطران وعلى  
مصطفى عبد الرازق ) ربطت مصيرها منذ البداية بأحزاب الأقلية التي كانت  
تنسج أكثر من غيرها « لتجديدات » المثقفين ونزعائهم الفكرية التحررية التي  
يسبقون بها الغالبية الجماهيرية الأثقل ثقافة . ولما كان رجال هذه الأحزاب  
كحزب الأمة ثم الأحرار الدستوريين ممن ارتبطوا بالملكية المستبدية وبمهادنة  
الانجليز واقتزنت أسماؤهم في تاريخ كناحننا الوطني والديمقراطي بتعطيل  
الدستور وانقار حكم الصفة بالحديد والنار ، لذا كان هذا اشكالا خطرا  
عزل العناصر المستنيرة في الأمة بشكل من الاشكال عن الكفاح الجماهيري  
الشعبي سواء في وجهه الوطني أو في وجهه الديمقراطي . لكن العقاد

وحده هو الذى استطاع أن يكون المثل الأكثر إشرافا الذى جمع فى الوقت نفسه ، بين إمامة المثقفين وبين الإمامة الثورية ، وعلما أنه لا تعارض هناك بين الثقافة والثورة ، بل وكيف يكون المثقفون طليعة الثوار . ومن هنا فقد تجسم المعتاد وحده فى وجداننا كمفعل بطولى جسور وكمفعل سامخ يلوذ به الأحرار . فلما انشقت طه حسين عن الأحرار المستويين وانضم إلى اتجاه حزب الأغلبية فى أوائل الثلاثينات وشارك المعتاد فى تفويض ديكتاتورية اسماعيل صدقى أصبح فى الكفاح الثورى قطبان شامخان وخرج المثقفون نهائيا من ذلك المازق فتبلور فى مصر لأول مرة فى تاريخنا ذلك المعنى الرائع وهو أن مكان المثقفين ينبغى أن يكون دائما فى طليعة الكفاح الثورى (١) .

(١) د. لويس عريض - دراسات عربية وعربية .

## بين السياسة والبلاغ

- اشترنا الى أن الصراع في هذه الفترة كان يتمثل في تيارات ثلاث ،  
• أولها الوفد وثانيها المنشقون عن الوفد الذين شكلوا فيما بعد حزب الاحرار  
• الدستوريين وثالثها الانجليز . . . وقد كان الصراع في بداية هذه الفترة قائما  
بين القوى الوطنية بقيادة الوفد قبل انشقاق الاحرار الدستوريين والانجليز.  
ولكن هذا التصدع في القوى الوطنية كان سببا في تعدد تيارات الصراع ،  
فبدلا من أن يكون الصراع بين القوى الوطنية والانجليز ، أصبحت هناك  
معركة بين القوى الوطنية والانجليز من جهة ، ومعركة أخرى بين القوى  
الوطنية وبين المنشقين عليها من جهة أخرى وهم ما يمكن ان نسميهم  
« بقوى الثورة المضادة » وقد ظهر « القصر » كقوة مضادة للثورة تحالفت  
في معظم الاحيان مع المنشقين على الوفد .
- ويرجع سر هذا التقارب الشديد بين قوى الثورة المضادة الى مقاومة  
« الدستور » الذي عبرت قوى الثورة الوطنية بتمسكها الشديد به عن مطالب  
الشعب الحقيقية فهو وسيلة لتقييد سلطة القصر الذي يطمع في أن يملك  
ويحكم ، ولكن القصر كان يريد من جهة أخرى توسيع سلطانه الى أقصى  
الحدود ، وهنا حدث تباعد لا التقاء، معه بين الشعب والقصر ، في ذات  
الوقت الذي حدث فيه تقارب بين القصر والاحرار الدستوريين ، فالآخرون  
يريدون أن يصبح الدستور تعبيرا عن حق المالك أو أصحاب المصالح  
الحقيقية – على حد تعبيرهم – وكانوا يرون أن الاشتراك في الانتخاب  
وظيفة وليس حقا . ومن ثم لابد من اشتراط شروط له تتمثل بالمركز  
الاجتماعي وتمثيل المصالح . بينما كان الوفد يرى ان الدستور حق الشعب  
عامة ، ولا بد من اشراك الذين يملكون والذين لا يملكون على حد سواء  
« في حق الانتخاب » (١) .
- وكان المقصد في هذه المرحلة – كما يقول الأستاذ رجاء النقاش – يمثل  
اليسار الوطني ، في أجل صورة . لقد كان هذا اليسار الثوري يعمل في  
المرحلة الأولى من الثورة على الغاء الحماية الانجليزية والمطالبة بالاستقلال  
بلا هوادة من أجل تحقيق هذه الأهداف التي كانت قمة في الثورة آنذاك ،

(١) راجع مقال الأستاذ كميل زعمرى بمجلة الهلال أبريل ١٩٦٧ عن ( العقاد سياسيا )

واستطاع اليسار الوطني بالفعل ان يلغى الحماية الانجليزية ويحصل على استقلاله شكلياً ، كان في ذلك الوقت نصر مبيهاً ، كما استطاع اليسار الوطني ان يحصل على دستور ١٩٢٣ الذي دفع باليسار الوطني نفسه الى الحكم حيث تاملت وزارة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ . ومنذ ذلك الحين تركزت المعركة بين اليسار الوطني والرجعيين ومن يقفون وراءهم في قصر عابدين ، اى الملك ، وفي قصر الدوبارة ، اى الانجليز ، في معركة لحماية الدستور (١) .

وقد ارتبط العقاد بهذه الاهداف ارتباطاً كلياً تاماً ، سواء في المرحلة الاولى للثورة او في المرحلة الثانية . وكان العقاد مفكراً مناضلاً من الطراز الاول ضد كل عناصر الثورة المضادة التي لم تبدأ ابداً منذ اعلان الدستور (٢) .

وقد اتخذت جريسة السياسة التي كان يصدرها حزب الاحرار الدستوريين من شخصية سعد زغلول بوصفه زعيم الثورة الوطنية للهجوم والانتقام ، وظهر هذا بوضوح بعد نجاح سعد زغلول الساحق في الانتخابات وتوليئه الوزارة ، حتى اذا ذهب سعد لاجراء المفاوضات مع ماكدونالد وتبوءه بالفشل ويعود سعد وزملائه الى مصر لانهم لم يقبلوا من المناوض البريطاني أية مساومة في حقوق مصر عبر الاحرار الدستوريين عن شتماته بسعد واعضاء الوفد تدل عليها مقالات السياسة في ذلك الحين .

وقد كتبت السياسة بعد وزارة الوفد الاولى ٢٨ يونية ١٩٢٤ تقول :

« فلم يكادوا يتباونون مقاعدهم حتى انفضح ما يكونون وظهر ما يخفون ماذا اخلاصهم لمصر اخلاص لأنفسهم ، واذا حبهم للوطن حب لذواتهم واذا حقوقهم للبلاد وتضحيتهم في سبيلها انما هي تضحية بالبلاد على مذبح شهواتهم ومآربهم . واى مآرب واى شهوات . اكثر الشهوات خسة وحقارة وضعة :

شهوة الجيب والبطن ، شهوة المال يستوفونه من خزائنة الأمة لأنفسهم وكذلك لم تكن الا ايام حتى اظهر الوطنيون ان الوطنية عندهم هي اتهم الوطن بأنفسهم وحتى كان هؤلاء الرهبان المتعفون بحب امتهم اكثر الناس شرارة ونهما وكذلك استأسد الشعب واستنثر البغاة وكذلك ظهر هؤلاء مرتزقة لا يبغون من وراء النياحة غير جاه كاذب يبلون به على ناخبهم وغير مال كانوا يسمون اليه عن طريق الرزق الحلال » .

(١) رجاء النفاث : العقاد والثورة الوطنية - مقال بجعله للكاتب .  
(٢) الرجح السابق .

وكتبت السياسة أيضا تحت عنوان :

حكومة دستورية ام اسرة زغلولية (١)

« قال سعد زغلول : أؤكد لك ان أقرباء كثيرين وكثيرين جدا في الغربيه وفي انحاء كثيرة من الأرياف ولما من أعماق تلبى انهم ليسوا ذوى الخبرة والكفاية والا لعينتهم في مختلف الوظائف فأتبهم بذلك ادارة زغلولية اسما ومعنى ولحما ودما »

انه في حالة تساوى الخبرة والكفاءة بين تريبين لى وغير تريبين ، افضل دائسا التريب لانى أثق به طيبا في تنفيذ سياساتى وادارة أعمال الحكومة حسب رغبتى ( الليترية ٣ نوفمبر ١٩٢٤ ) .

وقالت السياسة : ما الذى دفع سعد زغلول باشا الى مثل هذه التصريحات المدهشة وما الذى أدى به الى مواجهة الامة على هذه الصورة التى تخالف قواعد الحكم في كل بلد متقدمين ، والتي تمنى ان سعد باشا لاتقنه له الا بأقاربه .

الجواب بسيط : ان سعد باشا يسمع الان من كل جانب ان الناس من أنصاره ومن غير أنصاره يلقون للتعيينات التى تمت وهو يعلم ان هذا القلق قد امتد الى طوائف الامة جميعا .

« من حق سعد أن يقول هذا لانه يرى الامة راضية بكل ما يعمله او يتوله ويراهما راضية بنتيجة محادثاته مع مكدونالد وبنفرد الانجيز بالأمر بالسودان . لا تقل لى ان ذلك غير صحيح . وان الناس ممتعضون ولكنهم يكفون امتعاضهم وشكواهم فليس من حق من فقد الشجاعة الادبية أن يكون له رأى او أن تسمع له شكوى مادام الناس يعلنون ثقتهم بالحكومة حرة تتصرف كما تشاء وتدبر الأمر كما تهوى » .

وكتبت السياسة بعد فشل مفاوضات سعد : (٢)

« لقد امضت البلاد ثلاث سنوات لا تسمع فيها من الكتاب والخطباء الا المطاعن الشخصية عاجم بها فريق فريفا ويسعى كل من طريقتها ليتهم خصومه بأنهم مسئولون عن كيت وكيت مما حصل في الماضى ثم لا يعرض احد على الامة خطته للنجاة ولا طريقه للخلاص من انجلترا مع بقا، وحدة الامة سليمة » .

(١) السياسة : يوم ٤ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

(٢) السياسة : يوم ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩٢٤ .

وتستمر السياسة في حملتها على سعد فكتبت تحت عنوان :

« سعد باشا صنيعة الأنجليز (١) » .

ويكتب الدكتور طه حسين في السياسة تحت عنوان :

« بغياة (٢) » .

فيقول :

« واتسم لقد بغى سعد وأصحابه ولخوانه فأسرفوا في البغى وأقسم  
لقد طفى سعد وأصحابه على أخوانهم فأسرفوا في الطغيان ، وأقسم لقد  
حق على كل مصري أن ينهض لهذه الطائفة الباغية الطاغية فيردمها الى طورها  
وينزلها منزلتها ... الخ .. الخ » .

هذه هي طريقة ( السياسة ) في حربها مع الوفد وسعد زغلول ، وهي  
كما ترى ليست كما يصفها أصحابها بأنها « وقفت عن حدود الحجة ، تدفمها  
بالحجة ، والطمع تدفمه هو الآخر بالحجة ، والانتهاج تدفمه بالحجة أياما  
متتالية موجهين أكبر مهننا للكلام عن الدستور وفت النظر اليه واستنهاض  
الرأى العام للتشبيث بضرورة صدوره (٣) » .

وفي حقيقة الأمر لقد أدركت هذه ( الصفوة ) على حد تعبير الدكتور لويس  
عوض بعد تجربة الانتخابات في سنة ١٩٢٤ وفوز سعد زغلول بالأغلبية  
وفشل أكثر المثلاء في دخول مجلس النواب بأصوات الشعب ، ومنهم من  
فقد للتأمين بحرمان أكثرهم ما يمكن له ان يشارك في الحياة العامة  
لجبل كامل الا من خلال حصة الملك في تعيينات مجلس الشيوخ أو من خلال  
حق الملك في تعيين وزارات الانتقال ، « وهكذا ادركت « الصفوة » ومن يلوذ  
بها أنها بمعزل عن جماهير الشعب حتى في داخل السياج الدستوري الذى  
أنعامته بيديها - لقد اكتشفت من خلال تجربة انتخابات ١٩٢٤ أنها تتكلم  
لغة لا يفهمها الشعب الذى كان يابى ان يفصل الكفاح الوطنى عن الكفاح  
الديمقراطى (٤) » .

وهذا في رأينا هو ما جعل هذه « الصفوة » تتباعد عن الشعب ، ويبتعد  
عنها الشعب لتلطف حول الوفد بزعامة سعد زغلول ، مما ولد المرارة عند هؤلاء

(١) السياسة : يوم ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ .

(٢) السياسة : يوم ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٤ .

(٣) من كلام الدكتور ميكل .

(٤) الدكتور لويس عوض - أهرام الجمعة ١٥/٢/١٩٦٢ .

فوصفوا أسلوبهم في الهجوم الخزي بالزراعة والعمه . وهو كما راينب من  
الأمثلة يفنقر هذه التيم التي زعموا عدم وجودها الا عندهم . .

وعنا : ماذا تنتظر من كاتب الوند الأول . هل بغض الطرف عن  
قوى الثورة المضادة فتضلل ما شاء لها التضليل !

- أبدا ! لم بغض العقاد الطرف عن هذه القوى المضادة ، وإنما حمل عصا  
التأديب لهم جميعا ، بوجه اليهم أمثد الضربات ، حتى ينسوا من مشاعة  
الحجة بالحجة ، أو الوند أمامه موقف الوند . وكانت عصاه تدلى  
بالحجة والدليل في بعض الأحيان ، وفي بعضها الآخر تتزيد بالتهكم أو السخرية  
أو التأييد . وسنورد هنا مقتطفات من مقالات العقاد التي كانت تمثل  
عصا التأديب :

يكتب العقاد (١) :

« دح كتابهم الماچورين فالامة لم تحفل ولن تحفل بما صنعوا ويصنعون ،  
مرتزة يطلبون قوتهم وقد عجزت افلامهم عن أن تقوتهم بالصدق فرأوا  
يطلبون عيشهم بالحنل والاداجاة ولم تحفل الأمة بكتاب ماچورين وإذا شككت  
أو تأملت فانما تشكر مكابذ ساداتهم وتكلم من دسائس مستاجرهم » .

وكتب تحت عنوان :

حزب ينفرد عقده ولا تفلح المكابرة في رد الحياة له (٢) .

« وماذا بقي من حزب الاحرار الدستوريين ، لاشي الا الجريدة التي  
حاولت أن تروج لهم فأخفقت وليتت الشهور والايام تنشر التهم الكاذبة حول  
الوند ورئيسه ثارا منها للهزيمة التي منى بها الحزب . وعذه الجريدة هي  
الشيء الوحيد الذي يذكر الناس بأن هناك حزبا كان اسمه حزب الاحرار  
الدستوريين .

وكتب ايضا تحت عنوان :

### نتيجـون (٣)

« فات هؤلاء الائمة أن في الرؤوس عقولا تزن الرجال وتمحص الاعمال ،  
فات هؤلاء الأطفال في السياسة ، ان الناس في مصر من ادناها الى اتصاها  
يذكرون لهم سيئاتهم ولا ينسون منها واحدة ، وهل ينسى الناس ما افسد

(١) البلاغ : يوم ٤ من سبتمبر سنة ١٩٢٣ .

(٢) البلاغ : يوم ٢٢ من يناير سنة ١٩٢٤ .

(٣) البلاغ : يوم اول يونية سنة ١٩٢٤ .

الدستوريون من اخلاق ايام عرائض النفس - ، وما اتوا من احرار الموظفين  
انتقاما من عقابهم الوطني وما ظلموا من اناس لعدم انصامهم اليهم . . .

والى جانب هذا اللون من « انتاديبي السياسي » ذن العقاد يحفل من  
يرون في « بيلاع على افتتاحية السياسة التي كان يكتبها الدكتور ميكل تحت  
نون « حديث اليوم » ويحدثنا الاسناد انور سجدى ان العقاد كان يكتب  
حلمته بغير توقيع تحت عنوان « حديث اليوم » كذلك ، ونم يكن النقد مفتوحا  
باجابة بالاسم ، غير انه قد وضع ذلك مرة او مرتين ، فسد اشار العقاد  
مسرة اني ان ميكل كتب ما كتب وهو غير وراغ او انه كان في غيبوبة ، وكان  
مقصود العقاد ان يؤكد ما كان قد نسب الى ميكل من انه كان يتعاطى بعض  
الانتديات .

ومد ذكر ذلك الاستاذ زكي عبد القادر في مذكراته فغضب العقاد عليه قائلا :  
ان ذلك انما حدث في الوقت الذي كانت جريدة السياسة تحمل عليه وتقول  
عنه : « انه عمود يصح فيسه الناس اذارهم وانه يصدق عليه الوصف  
السدس الذي عرف عن ابن زيدون الشاعر الاندلسي ومعناه انه ذو صفات  
ست منها :

« انه ديوث وزنديق وسارق البع ( ١ ) » .

وهذه نماذج تمثل عصا التاديب التي حملها العقاد للاحرار الدستوريين  
كقوة مضادة للتورة ، ونحن لا نأخذ على العقاد شيئا من التجنى اذا علمنا  
ان الانجليز كانوا يتظاهرون اذ ذاك بالصدافة بينهم وبين حزب الاحرار  
الدستوريين الى الدرجة التي تجاهر بها صحيفة المورننج بست حيث صرحت  
بان بريطانيا مستعدة دائما لتأييد اصديقاتها ولوضع نفوذها الادي الى  
جانب الاحرار الدستوريين ( ١ ) .

لقد اختار العقاد جانب الحزب التقدمي الذي يدافع عن مصالح  
الشعب في ذلك الوقت . . . وليس هناك تناقض بين وتوف العقاد الى جانب  
حزب الوفديين في مجائه السياسي لحزب الاحرار الدستوريين ، هذا  
اذا علمنا كذلك ان جريدة السياسة لم تكن عفيفة اللسان كما يزعم كتابها .  
بل ان سلاطة قلمها كانت تتنازل كثيرا من العقاد ومن سعد زغلول الذي تمثلت  
فيه الزعامة الشعبية التي وقف العقاد الى جانبها مدافعا بذلك عن ثورة  
الشعب في سنة ١٩١٩ .

( ١ ) انور الجندي : مقال بعنوان « معارك العقاد الصحفية » بمجلة الهلال - ابريل ١٩٦٦

## بين الأخبار والبلاغ

صدر له دد الأول من الأخبار في الثاني والعشرين من شهر ميرابر سنة ١٩٢٠ يجرهما أمين الرافعي الذي صرح منذ صدر صحيفته بان مرضها لاول هو الدفاع عن القضية المصرية . . . بيد ان هذه الصحيفة قد عبرت في تلك الفترة عن روح الحزب الوطني ومبادئه في الخفاخ البوصي، وان لم تكن لساننا له ، وفي ذلك يقول أمين الرافعي : « نحن اذن نخدم أمة ، وندافع عن مبادئها واحد هو الاستقلال التام لبلادنا المصرية » .

وفد وقتت الأخبار الى جانب الوفد المصري مؤازرة له ، ولحدها ما لبث ان اختلفت مع سعد ، عندما فُكسر في استئناف المفاوضات مع ملر قبل ان يشترط تعديل الاساس الذي تبنى عليه ، بحيث تلغى لحماية وترفع الاحكام العرفية ويقتل الجانب البريطاني تحفظات الجانب المصري . . . واستد الخلاف بين الأخبار والوفد ولكن الأخبار صمدت في موقفها تجاه حزب الاعلانية وتمسكت بأرائها رغم ما عاناه الرافعي من حزب الوفد ومن حمازت كتابه عليه . . .

وتعد معركة العقاد مع أمين الرافعي من افسى . . . عارك واحدها واذا حسا مرفص من الحزبية انها تدفع فادتها ومؤيديها الى التجسبي على كل من يخرج عليهم ، فاننا نتمسك بهذا المرفص ، ان الحزبية دمعت العاصد الى نفس هذه المعركة العنسية مع صحفى نزيه خدم الوطن اجل خدمات يكفاحه النبيل .

وهنا نتساءل : هل كان العقاد ظالما في هذه المعركة لامين الرافعي ام ان الصراع الحزبي كان يبرر له حملته ؟

سنعرض أولا لجانب من المعركة من خلال مقالات امين الرافعي والعقاد، ثم بعد ذلك نحاول الاجابة على التساؤل الطروح .

كتب امين الرافعي موجها كلامه الى سعد زغلول والوفد اثر اختلافه معهم فيما اطلق عليه « تعديل الاساس » وكان سعد زغلول قد حدد موقف الوفد من مفاوضة بريطانية ، ثم غير هذا الاساس : يقول امين الرافعي (١) :

« اننا لا نعرف التسليم امام أية قوة ، بل انتم الذين عرفتموه في موطن كثيرة انتم وزعماءكم وقادتكتم ، كنتم في مقدمة الهاتفين للحماية

(١) الأخبار : يوم ٣٠ من أغسطس ١٩٢٤ .

المحتفلين بضربها على مصر ، وقد فعلتم ذلك نفاقا للانجليز او خوفا منهم ،  
بينما كنا نحن في ظلمات السجن لاننا ابينا على اقلنا التي اوتفناها على  
خدمة قضية الاستقلال ان تخط حرفا واحدا في سبيل الحماية المفتوحة .

كنتم ترحون في ظل الحماية وتمتحنون حتم الحماية وتبشرون خيرا  
برجال الحماية بينما كنا نطوف الليل والنهار فوق الاسفلت بزنازة سجن  
الاستئناف وفي معتقل دريب الجماهير وبجانب الجرمين في ليمان طره واخيرا  
في زنازة السجن الاسود بالجيزة .

تحملنا كل ذلك لاننا اثرا ظلمات السجن على ما كنت تمنعون به  
من الانوار التي نظمتها الحماية .

تحملنا كل ذلك لأن ضمائرنا ايت أن تجارى ضمائركم في صرف  
الاس من التمسك بالاستقلال وفي تعيين امر الحماية .

مهل بعد ذلك ما يحمل على القول باننا ادعنا للقوة وخشينا بطش القوة .  
لقد اودينا منكم كما اودينا من الاجنبى الفاصب ، فلم نحول في اى لحظة عن  
واجبنا لاننا لم نجعل نغير الله ولنغير ضميرنا سلطانا علينا . اما انتم فقد  
كثر من فهم سلطان عليكم ، وما انتم اليوم تناهون بان سلطان الانجليز  
يجب ان تخضع الوزارة له ويجب ان تسلم الأحزاب لحكمه لانه سلطان  
مسوة .

وما دامت مصر ليس لها قوة مادية فلا مندوحة لها عن التسليم .

وعذا هو السم الذى تنفثونه في الصدور لتحاولوا تبرير ضعف الوزارة  
واستسلامها على أننا سألنا اولئك الكتاب الذين اباحوا لانفسهم ان يخطوا  
رأية الهزيمة والتسليم دفاعا عن الوزارة كيف تتفق تلك الدعوة الهزيمة مع  
شعار ( الاستقلال التام أو الموت الزؤام ) .

هل كان هذا الشعار مجرد اجسولة لغشى الأمم والسخرية منها ،  
والتضليل بها حتى اذا أصبحوا في كراسى الحكم بعد ان كانوا في  
كراسى المعارضة ، دفنهم هذا الشعار كما دفنتم غيره من الهادى، وصار  
لا حاجة للاستقلال ولا للموت زؤاما كان ام غير زؤام .

\* \* \*

ورد عليه العقاد بمقال عنوانه :

كلمة الى اغرار اللواء (١)

وقد اتخذ العقاد من عبارة امين الرافعى « ان الوزارة المصرية لم

(١) البلاغ : يوم أول سبتمبر ١٩٢٤ .

نحنسن أن تستخدم قوة مصر المعنوية في اجلاء الانجليز ولا ن اضطرارهم الى الانتذار عما فرط منهم فهي لذلك مقصرة في واجبيها مفرطه في حسنوق مصر ، اتخذ العقاد من هذه العبارة مجالا لتعليقه :

• انك يا سيدى الاستاذ امين تعتمد على القوة المعنوية ايضا ، ولذلك تتقى حجارة الغوغاء على زجاج نوافذك ولا تحاربهم بهذه القوة المعنوية ،ذا اذا هجموا على دارك بل تلجا الى قوة الشرطه .

والى الآن لم تخترع يا سيدى الاستاذ امين آلة وطنيه تحول بها انقوه المعنوية كما تحول قوى البخار والكهرباء . . .

ليت للقوة المعنوية وزارة كوزارة الحربيه فكننا ننتقم الى الاستاذ امين ليثولاهما ويرينا كيف كان يجردهما على انجلترا ، وكيف كان يحل بها غضبيه اربعين سنة في اربعين ساعة او اربعين دقيقة ، يقول الاستاذ امين . انتم وزعماءكم وقادتكم كنتم في مقدمة الهاتنين للحمايه المحتلين بضررها على مصر وقد فعلتم ذلك نفاقا للانجليز وخوفا منهم بينما كنا نحن في ظلمات السجون : فمن هم هؤلاء ، يا استاذ ؟ ان كنت تعنى سعد فان سعدا تسد سجن من اجل مصر ونفى من اجل ثورته على الحمايه ، وان كنت تعنى انا فلقد ضاق بي بلدى في اسد ايام الحمايه وقد صودرت في رزعى مررت وهددت في امنى وراحتى وعرضت لى محن كثيرة في سبيل رايى لم تعرض لك ولا جربت مثلها ، .

\* \* \*

وبلغ اثر الصراع الحزبى على معارك القلم مداه حين كتب العقاد بمنسوان :

#### الأسله أمين الراقى (١)

والأسله أمين الراقى ماذا يقول : يقول ان سعدا خطأ بمحادثاته التى أسفرت عن تصريح ٢٨ فبراير ، فسياسة الانجليسز التى بمسطوها في الكتاب الأبيض هي دون نتيجة المحادثات التى طالب فيها سعد بجميح حقوق البلاد . كذلك يتول هذا الأسله مع أنه يذكر تيل ذلك بيضعة سطور أن الكتاب الأبيض قد ظهر ، وأن الحكومه الجريطانية لم تثير موقفها العدوانى الذى وقفته حيال السودان .

(١) البلاغ : يوم ١٠ من أكتوبر ١٩٢٤ .

من غاية ما يريده السياسي الحنفت والوطني للغيور والمعارض المقدم  
ان يكتب هذه المطالب في مذكرة وترسل في البريد ، او على اسلاك الجوى  
ولا تقال المكونتاد وجها لوجه بكلام يجرى من اللسان وتسمعه الأذن .

وإذا كتب سعد عن ذلك وكان جواب الانجليز عليه ما أجابوا به في الكتاب  
الابيض ، ا يكون سعد حينئذ جانيباً على مصر مضيعاً لحنوتها ام يكون  
الرعيم الحكيم والوزير الحفيظ على حقوق البلاد . لانه استملى النصيحة  
من امين الرافعي وجلس تحت يديه ليوحى اليه ما يكتب وما يعمل وما  
يقول .

\* \* \*

وقد كتب امين الرافعي ردا على مقال العقاد فقال : (١)

« كان جديرا به - اى العقاد - ان يعنى بدرس موضوع جليل الخسر  
هو الانصاف فقد حمل حملته سمواً على صحيفة الحزب الوطنى لانها كتبت  
مقالا تحت عنوان ( الى السفهاء ) ولا ندرى لماذا اختص هذه الصحيفة بحملته  
دون الصحف الوزاريه التي تسود اعينها كل يوم بجميع انواع السبب  
والسبب والامانة هل يقرأ حضرته هذه الصحف ام ان عين الرضى لا تبصر  
عيون الاصحاء .

ومن الغريب ان عبارة (السفهاء ) التي يتخذها حضرة الكاتب دليلا على  
ان المعارضة غير شريفة وردت منذ يومين فقط في مقال كاتب في احدى صحف  
الوزارة فقد كتب يحاطب المعارضين قائلاً «اذن ايها السفهاء المعارضون» .  
فماذا تكون كلمة السفهاء في الصحف الوزاريه نقدا شريفاً ، بينما يراها  
حضرة الكاتب في صحف المعارضة ممارصة غير شريفة .

على ان لفظ السفهاء الذي ينتز من حضرة الكاتب يعد حيناً جداً ونقطة  
صغيرة في محيط السباب الذي يسبح فيه الان حضرات الكتاب للوزاريين،  
وإذا كان حضرته ينشد الحقيقة بأخلاص فليفتح اى صحيفة وزارية في اى  
يوم وفي اى ساعة ليقرأ ما فيها من اوصاف الخيانة والرواق والاجرام  
وبيع الذمم والتحريض على ارتكاب الجرائم وتلوين الايدي بالدماء وخدمة  
الانجليز . وغير ذلك من الالفاظ الرشيقة والتي يستخدمها كتاب الوزارة .  
انتهى .

\* \* \*

(١) الاخبار : يوم ١٤ من اكتوبر ١٩٢٤ .

ونحاول الاجابة على التساؤل ابذى طرحناه في مستهل هذا الحديث :

– هل ظلم المعتاد امين الرافي في هذه المعركة الصحفية . ام ان الصريح الحزبي هو الذى ظلمهما الاتنين ؟

- ولكن كلمة « الظلم » من ابغض التسميات الى قلب المعتاد وعنه . ومن يرجع الى ما كتب المعتاد منذ نصف قرن يجد ان هذه الكلمة اندر افرودب التى ورد في حل ما قدم من فصول او محالات اوصانيف او دواوين ، ويرجع ذلك الى شعور المعتاد بالانقور من هذه اللصبة حتى احر حيايته . ويرى انه ينفس على المعتدى ان يرصيه بصفه بظلم من جهتها التى تكبره وتسيده له بالفسوة ، ومثلها صفة الجبروت (١) !

« فلا يكون ظالما جبارا الا من هو قوى والناس تحت قدميه ضعاف محققون ! واننى لا بغض ان يخسون غيرى صعيما محققوا اسام متجبر متحكم . فاحرى لى ان ابغض ذلك نفسى ، فيما يخطه فلمى باختياري . ولتبلغ باحد من الناس غطرسته ان يكون ظالما ، فلن يبلغ بى لضعف – والحمد لله – ان يكون من المظلومين ، اذ لا فرق في وقع الكلمتين على السمع كلمة المظلوم وكلمة الظليل (٢) »

وتديما كان يقول في هذا المعنى شعرا :

انصفت مظلوما فانصفت ظالما

في ذلة المظلوم عذر النظام

من يرصى عدوانا عليه يصيره

شر من العادى عليه العانم

ويأبى المعتاد ان يقول عن احد انه ظلمه بقلمه لانه يشهد له – انن – بالقسرة التى يقابلها الضعف والمجز منه ، ويقابلها مع ذلك ان المعتاد يبالي بحكم الذين يتقبلون منه صولة الظالم ويتقبلون منه مهانة المظلوم . . . ماذا كان هؤلاء يتقبلون من المعتاد ان يرد العدوان بمثلته فلا ظلم هناك . ولا ملامة على غير المعتدى المخول . . . وبمنطق المعتاد ، ليس المعتاد مظلوما في معركته مع امين الرافي ، فما الراى في زعم القائلين بان المعتاد ظلم امين الرافي واعتدى عليه ؟ !

(١) راجع مقالا للمعتاد بمجلة الهلال – يونية ١٩٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

وعنا نقول أن العقاد لم يظلم أمين الرافعي ، لأن الأخير لم يكن ضعيفا  
عزلاً في معركة القلم ، وأن أمين الرافعي كان صحيفياً فزيباً اختصار طريقاً  
في الوطنية يتعارض مع طريق العقاد في الوطنية ، والعقاد حين اشتدت نار  
المعركة الصحفية بينه وبين أمين الرافعي ، كان أشد ما يكون إيماناً بمبادئ  
حزب الإغليبيه وزعيمه ، وكان قد جعل من قلمه عصاً تاديباً - كما سبق  
لنقول - لكن من يخرج عن هذا لخط ٠٠ فإذا كان أمين الرافعي يتهم سعد  
زُنبول بالبروق عن الوطنييه فما أجرى العقاد أن يدفع التهمة وأن يدافع عن  
مبادئ أمن يها ٠٠

ولكن ما يمكن قوله في هذه المعركة الصحفية انها عكست وجهاً سلبياً  
للصراع الحزبي ، لأن المعركة خرجت في كثير من الأحيان عن الدفاع عن المبدأ  
الذي انبثقت منه ، وهي تهمة لا ترفعها عن العقاد ولا عن أمين الرافعي  
تلكا إلا أن أمين سلك نفس المسلك ، بل ان لا نعدو الحقيقة إذا قلنا ان مصم  
صحفي مصر في هذه الفترة سلكوا نفس المسلك ٠٠ ذلك أن خصومات الراي  
بلغت في مصر غاية ما تبلغه معركة القلم من عنف وعناء ، وسخرى من تاريخ  
العقاد خلال هذه المعارك والخصومات انما تعبطه على الألفه من مجارة الظلم  
والجور بالخصوم في وطيس الغضب والملاحاة ، بل على تعرض لعضب  
الانتصار ابتاراً لنصفه المنضوب عليهم في معركة :أراء - كما حدث في قضيه  
« أسعر الجاهلي » وطه حسين ٠٠

فليس العقاد - إذن - بمظلوم ٠٠ وليس العقاد إذن بظالم ٠٠

والذين ينظرون إلى الصراع الحزبي وراء الستار ويكتشفون عن وجه  
الخصومات فيه . سيكتفون معنا في الزعم الذي نزعمه ٠٠

والعقاد لم يفتقر إلى عاطفة « الانصاف » طوال حياته كما يتهمه أمين  
الرافعي ، فإذا علمنا أن العقاد حين كتب كتابه العظيم عن ابن الرومي ،  
انما كتبه لانه وجد هذا الشاعر الفحل مغبوناً من العقاد . ويكاد يلحق  
بالمثبىء والبحتري وأبي العلاء ، تابعاً لا رائداً ٠٠ كتب العقاد هذا الكتاب  
لينصف ابن الرومي ، وانصفه حتى انصاف ٠٠ والعقاد حين كتب أكثر كتبه،  
انما دفعه إليها دافع الانصاف ٠٠

ولقد انصف العقاد أمين الرافعي ، حين انتقل الرافعي إلى رحمة الله  
سنة ١٩٢٩ وكان العقاد وما يزال مرتبطاً بالوفد مدافعاً عنه ٠٠ فقد كتب  
لعقاد افتتاحية البلاغ في رثاء أمين الرافعي ومما قاله له :

رأيت أمينا قبل مرض الوفاء يمشى في الطريق ، على مهل ، فرايت شبحا

يتصامك وجسداً، تد تهتم الا قليلا ، ونفسا تمنى في عسائم وحدها ، وسي  
تنسمر بجزئها ولا تكاد تنسمر بها من غرط الاطمئنان اليها وسيما  
شمكيتها والرضوان التي تحف بها ، تعلمت انى رايت امينا في غوة جسده ،  
وامينا في في نسوة نفسه ، ورايت كيف يهرم الايمان الجسوم للشانية فهمي  
منه في صلا عزيز الحوزة ، منيع الجانب « ..

وإذا كان القول بظلم الصراح الحزبي لكن من العناد وامين الراقعي  
وكل من سار مسيرتهما في هذه الفترة ، فان هذه الصورة التي رسمها العقاد  
للصراح الحزبي تحسم القول وتؤكد الزعم (١) :

فقد تعود الناس في خلافات الأحزاب السياسية ان يسموا التهمة الواحدة  
تنال وتمسك من الجانبين و من اجوانب الكثرة ، فكل حزب هو الحزب  
المخلص المعامل النافع الرشيد ، وكل من عده هو الحزب المغرض المتواكل الذي  
لا ينفع ولا يهدى إلى صواب . وإذا كانت الآونة من اوقات الثورة واستعمال  
الخصومة وغلجان الحثود فالخيانة والاجرام وسوء التخليسه وقبح التصنيع  
تهمة او تهمة لا يسلم منها انسان مشترك في السياسة : يقولها  
عدا الفريق كما يقولها ذلك الفريق ، ويعلم اناس من المظلمين يطالونها  
او صدقتها في حينها ثم يتراخي الزمن ويشتم العهد ويجهى اليوم الذي  
يجار فيه التاريخ بين الاضوايين المتضاربة والمتناقض المتراكمه ، فيفصل فيها  
على طريقة الفصل بين المرأة الصديقة والمرأة الكاذبة في ادعاء «الامومة» ، وهي  
شطر الحقيقة نصفين شطرا لهدأ وشطرا لذلك ، فكلامها مصيب وكلامها  
معيب ، لان الشأن في كل سائس وكل زعيم ان يقول في خصومة وان يقال  
فيه ، فلا حاجة ان باؤرخين الى انفصل والانصاف ، ولا موجب ان  
للتحقيق أو التلقيق .

وهنا نتساءل : هل كانت معارك العقاد لصحفية اثرنا من آثار البرامج  
الحزبية بسير وفقها ويكتب ما تملبه عليه ؟

يحدثنا العقاد في كتابه عن سعد زغول أنه كان في اوقات قليلة يجري  
بين سعد وبينه حديث في التنسمر والأدب والفنون : « أحادثه في ذلك  
إذا تصدت خدمة لأهل الفن استمعين به على قضائها ، أو أحادثه إذا فاتحني  
في بعض آرائى عن الأدباء المعاصرين أو الأقدمين أو عن مقالاتى الأدبية  
التي كنت انشرها يوماً من كل أسبوع ولا أكتب يومها في السياسة . وكنت  
أشعر اذا انقضى الحديث ولم اتجه بالقول اليه أنه كان يرايتبنى طويلا

(١) راجع : سعد زغول للمقادص ٥١٤ وما بعدها .

ولا يلبث أن يقول بين الجد والفكاهة: « يا فلان ، ما أحسبك الا تعجب منا ومن خصوماتنا فوق سحابك بين الشعر والخيال ! » .

قال له العقاد بيوم اعلى اثر كلمة من هذه الكلمات : الحق اننى لا أعجب من هذا يا باشا لأنه ليس بمجيب أن تكون للسياسة خصومات ، وأن يكون لهذه الخصومات أطها والتأديرون عليها . ولكن الحق أيضا اننى لا أنصر رأيا على رأى رعاية للبرامج الحزبية أو المناوشات الموقوتة ، فانها كما تقول بأدولة الباشا لا تستغرق انسانا مستغلا بالأدب والخيال . انما نصر الرأى على الرأى للقيم الانسانية العليا التي هي عندى أرفع من القيم الحزبية . بل أرفع حتى من القيم الوطنية .

ثم يذكر العقاد أن الخصومات السياسية في عهد سعد لم تكن تمنحيه الا لانها كانت تمثل له جانبيين في أحدهما القوة المستقيمة والدعوى الصحيحة وفى الجانب الآخر الحيلة المتتوية والدعوى الزائفة أو التقليدية على أحسن ما توصف به من صفات (١) .

وحين ننظر الى العقاد وخصومه من هذه الزاوية نسنرى ان القيم الانسانية هي الباقية من وراء الخصومات والمعارك العنيفة التي اشترك فيها بقلمه واشترك فيها خصومه بأقلامهم . . . وستبرز امامنا صورة العقاد الانسان الذي ظل أسير هذه القيم الانسانية الباقية من وراء ضلال الاضعاف وحروب الأحزاب والأوطان .

ونذكر هنا على سبيل المثال ما يؤكد ان العقاد لم يكن يستمد آراءه السياسية من البرامج الحزبية ، ما حدث حين زار اللورد جورج لويد مدينة « لنيا » وحيات له الادارة استقبالا كاستقبال الملوك فحمل العقاد على اللورد الانجليزى وعلى المحتفين به حملة شعواء غضب من اجلها ، وبلغ به الحق ان استدعى الأسطول الانجليزى الى ميناء الاسكندرية ليزيل ما اصاب مينته من جراء تلك الحملة ولم يفتح أحد العقاد في موضوع مقالاته التي جرحت اللورد في كبريائه .

« انها تهمة لا أدفعها او شرف لا ادعيه » .

« انها تهمة لا أدفعها او شرف لا ادعية » .

(١) العقاد : سعد زغول ص ٥٢٥ وما بعدها .

اعلن الدستور في ابريل سنة ١٩٢٣ اثناء حكم يحيى ابراهيم باشا واستمرت وزارته في الحكم الى ان استتالت في يناير سنة ١٩٢٤ ، وخلفتها وزارة سعد زغلول باشا بعد النجاح الساحق في الانتخابات الذي حققه الوفد . . . ولأول مرة في تاريخ مصر ، منذ عهد الاحتلال ، اكتسب الحكم في مصر المظهر البرلماني ، وتمتع الصحافة بحريتها ، فكان منها صحف معارضة وصحف مؤيدة . وكانت الصحف المعارضة تعالج ما ترى معالجته من موضوعات بكامل الحرية ، وكانت تمثل حزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطني وبعض المستقلين ، وأصحاب المصالح ممن ضايعتهم أو عصى من مقامهم قيام النظام البرلماني .

ومما يؤسف له « أن المعارضة لم تنتج في كل الاحوال الى الشعب ، بل اعتمدت على القوى الخفية المناهضة للوزارة البرلمانية . وكانت تعتقد في قرارة نفسها ان لجلاء الوزارة عن كراسيها مرهون بإرادة المحتلين في المقام الأول ، واردة السراى في المقام الثاني . وواضح ان كلا السلطتين أخذتا تضيقان بالوزارة ، لما كان من موافقها المضادة لإرادتهما . ولما كان من استساكلها بسلطاتها وحرصها على عدم التفريط فيها (١) » .

وما لبثت دسائس القصر ان لمعت دورها في اجبار سعد على الاستقالة ، فاعز القصر الى الإزميين لكي يضربوا ، وعين القصر حسن نشأت وكيلا للديوان الملكي بغير علم الوزارة ، ثم يقتل « السير لى ستاك » سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام اثناء تولي سعد الوزارة في سنة ١٩٢٤ ، فطرد الانجليز الجيش المصرى من السودان ، واحتلت جنودهم الجمارك ، وفرضوا على مصر غرامة قدرها نصف مليون جنيه ، وانذروا مصر بانهم سيأخذون من مياه النيل لرى أى مقدار في اتليم الجزيرة السودانى يزيد على ثلثمائة الف فدان .

ولم تجد وزارة سعد زغلول بدا من الاستقالة ، وقد فكر سعد في بقاء الدستور بعد ذهاب الوزارة فأعلن في خطابه الذى ألقاه على النواب تبليغا للمجلس باستقالة الوزارة : « انه مستعد مع اصفاائه الكرام من أعضاء هذا المجلس لان يؤيدوا كل وزارة تشتغل مصلحة البلاد » .

وأعلن مثل ذلك في ندائه الى الأمة باعتماره رئيسا للوفد ، وفي خطاب ألقاه على الجموع الذين وفدوا الى بيت الأمة بعد استقالته حيث قال :

(١) محمد زكى عند القادر : محنة لسنور ص ٥٢ .

« اننى مستعد لتأييد كل وزارة تاتى وتكون حائزة للرضاء العام ، عاملة على تحقيق امانى البلاد ، فان الوقت دقيق جدا وانا واثق من انى وانا خارج الوزارة ساستطيع خدمة البلاد أكثر ألف مرة مما لو كنت داخلها . وتاكدوا ان الله معنا ، ولا بد ان تفوز الأمة في النهاية ان شاء الله .

ولكن الغرض الأكبر في تلك الأيام – كما يتوّل العقاد – لم يكن هو الخلاص من حادى السردار بوسيلة من الوسائل الرضية ، بل هو استغلال ذلك الحادث لتخطيم سعد ومن يواليه . و لاسبيل الى عذ التخطيم مع بقاء البرلمان وسريان أحكام الدستور (١) .

ولكن الوزارة التى تلت وزارة سعد لم تحز للرضاء العام لأن أحمد زيور رئيس الوزارة كان رجلا مسالما للاحتلال والنصر ، مجرد موظف ارتقى حتى بلغ منصب الوزارة ، فلا شأن له بالشعب ولا شأن للشعب به ، فأتى له العمل على تحقيق امانى البلاد !

ويصور الأستاذ زكى عبد القادر كيف أن الوزارة جاءت للتسليم على طول الخط أو لانتفاذ ما يمكن انتفاذه على نحو ما جاء في كلمات رئيسها ، وكيف أنها قضت على الروح الدستورية أو كادت ، فأجلت البرلمان شهرا و عينت إسماعيل صدقى وزير الداخلية ثم عادت فحلّت مجلس النواب . ودعت الناخبين لاجراء انتخابات جديدة طبقا لقانون الانتخاب ذى الدرجتين . وكان هذا القانون قد ألقى ، واستبدلت به حكومة سعد زغلول قانونا للانتخاب المباشر ذى الدرجة الواحدة (٢) .

وفي الواقع لقد كان هذا المسلك من وزارة زيور خروجا على طول الخط عن أحكام الدستور ، ومن سوء الحظ ان هذه الظاهرة تكررت فيما تلا من وزارات وقام من حكومات ، وكانت من أسوأ الظواهر التى عجلت بالانهيار الدستورى ، وزعزت ايمان الأمة بجدرى النصوص الصريحة الفاتلة بان الأمة مصدر السلطات .

فقد بدأ محمد محمود حكمه (١٩٢٨ – ١٩٢٩) بحل البرلمان وتعطيل الحياة الدستورية وكان بذلك اداة لحكم البلاد حكما ديكتاتوريا ، فعملت الصحف الوفدية بقوة واستقلال من صحيفة « السياسة » كل من محمود عزمى وتوفيق دياب احتجاجا على موقف حكومة الاحرار الدستوريين

(١) العقاد : سعد زغلول ص ٥٧٤ .

(٢) زكى عبد القادر : محنة الدستور ٥٥ .

واتجاهها .. وما لبث توفيق ديباب ان انضم الى جانب الوفد واصدر  
صفحة تتحدث بلسانه ، عاشت منها « الجهاد » ..

وتد استمرت وزارة محمد محمود في سياسة اليد الحديدية التي بدأتها  
وكان من مظاهر هذه السياسة انها اعادت العمل بقانون المطبوعات الصادر  
في سنة ١٨٨١ واستحدثت عليه في تعطيل عدد من الصحف المعارضة يقرب  
من المائة ، ومنها صحيفة البلاغ وصحف روز اليوسف ، وكوكب الشرق ،  
ووادى النيل ، والاهرام ، والوطن ، والافكار ، ولا باترى الفرنسية  
وغيرها (١) .

ثم توالت القوانين الترسفية التي صدرت عن هذه الوزارة ومنها القانون  
القاضي بالحبس والغرامة على كل من يحرض على كراهية النظام القائم .  
ومنها القانون القاضي بمنع الموظفين من حضور الاجتماعات السياسية  
وابداء الآراء المتصلة بذلك في الصحف . ومنها القانون الذي يعاقب الطلبة  
على تأليف المظاهرات أو اللجان والجمعيات السياسية أو تحرير المواد  
المتصلة بالسياسة في الصحف أو نحو ذلك .

ويستخدم انعقاد سلاحه الباتر - سلاح السخريه - في مقالاته لسياسيه  
التي كتبها وسط هذه الظروف . فقال عن محمد محمود باننا انه « سيحكم  
اليلا بيد من حديد » وأخذ حزبه وانصاره يتسدفون بهذه الكلمه حتى رددتها  
الصحف الانجليزية ، ووجد انعقاد مجاله لاشهار سلاحه الساخر فنشر  
مقالا بعنوان :

« يد من حديد ولكن في ذراع من جريد »

وتد تناولته الانسن في كل مكان ، واعاد لنفسه ذكرى « ندى العجول »  
التي كتبها انعقاد في ظروف الحياة وكبت الحريات وحفظها اناس . وعسا  
استقط في يد صاحب اليد الحديدية . ولم يعد يردد هذه الكلمه .

ونشر انعقاد سسلة من المقالات الساخرة تتمكل حملة صحفیه ضخمة  
عنى وزارة محمد محمود ، منضامنا في حملته مع خطه اليلاح كذلك اننى  
استخدمت كل طرقها الصحفية في محاربة هذه الوزارة .

من مقالاته « حزب الاوباتس ، زعماء الاوباتس . الحل اندستورى الوحيد  
هو أن يستقبل محمد محمود ، الواعظ محمد او الشاطر محمد » ..

(١) الدكتور عبد الأظيف حمزة : ادب المقالة لصحفيه ج ٨ ص ١٩٤ .

وقد أصبح لمقالاته العقاد السياسية قوة يجسب حسابها في انتصار الوفد وعزيمة خصومة واستقاط وزارتهم ، فلقبوا إلى اغلاق الصحف التي يكتب فيها ، وقد اغلقت لصاحب البلاغ خمس صحف في أيام متتالية . وعلم العقاد أن صاحب هذه الصحف قد اشترى مقادير كبيرة من الورق في الوقت الذي اغلقت فيه كل صحيفة أصدرها ، ويحدثنا الأستاذ طاهر الجبلاوي أن العقاد لم يخف عنه دمهته لهذا ، وأسر إليه أن البلاغ لا بد عائد إلى الظهور ولن يثقل ، والا ما اشترى صاحبه هذه الكميات الوافرة من الورق . وعاد البلاغ إلى الظهور وعاد العقاد إلى الكتابة فيه ولكن صاحبه طلب إليه تخفيف الحملة على الوزارة ، ثم طلب منه ان يكتب يوماً بعد يوم ، ثم تنحى العقاد أخيراً عن الكتابة وبذلك كتب للصحيفة البقاء (١) .

وفي عفوان الصراع ضد ديكتاتورية محمد محمود ، تجلى العقاد للجيل الناشئ؛ حينذاك كيطل اسطوري « يسحق يهراواته الشهيرة الأفاعي والتنانين والسرود (٢) .

وخلال هذا الصراع العنيف عطل محمد محمود جريدة البلاغ عام ١٩٢٨ فأصدر صاحبها عبد القادر حمزة سبع مجلات أسبوعية تصدر كل منها في يوم مختلف من الأسبوع لتحل محل الجريدة اليومية فأغلقتها الحكومة كلها . ولما ترك العقاد البلاغ إلى كوكب الشرق « اغلقتها الحكومة بعد ثلاث مقالات من تسلمه ، وسلمت البلاغ من التعتيل ببقية عمرها الطويل .

وهذه أمثلة من حملة العقاد على ديكتاتورية محمد محمود . . . ومن مقالاته في صحيفة ( كوكب الشرق ) . . .

يقول العقاد في مقاله (٣) :

« قال محمد محمود ليس الحزب السياسي بكثرة انصاره فإن كثرة الانصار عرض تأتي به ظروف وتذهب به ظروف ، أنت كذاب يا صاحب الدولة يجب أن تسمع أنك كذاب ، أنت رجل دجال يا صاحب الدولة ويجب أن تسمع أنك دجال ولا تقول شيئاً الا كما يقول ويفعل الكذابين والدجالون ثم أنت غبي جهول يا صاحب الدولة ويجب أن تسمع أنك غبي جهول . فالتفاخر بذلة الأنصار قصة تليق بحصة المحفوظات حين ينشد التلاميذ قصيدة السمائل التي يقول فيها ( وما ضرنا أنا قليل عيديننا ) .

(١) محمد طاهر الجبلاوي : العقاد سيرة وتحية ص ٦٤ .  
(٢) الدكتور لويس عوض - دراسة عربية وغربية .  
(٣) كوكب الشرق : يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٩ .

متى قالوا محمد محمود : الاليتولوا قبل غيرهم انه هو « العقل الغنى  
الذى كانت مكانته في صحيفة حزبه لا تساوى قبل اللورد لويسد نشر اعلان  
صغير ، ليس في الوجد اكفاء مثل محمد محمود . خيبة الله عليك يا بعيد ،  
الا نسمع بشئ في الدنيا يسمى الحياء ، ألم يقل لك تائل مرة أن لكلمة  
حياء مدلولا يظهر على الوجوه ، ولقد علمنا كيف يتميز هذا الخوس في  
محنته التى تطير بمتله الضئيل وعزمه اللليل وقلبه الهزيل . »

وكتب العناد أيضا تحت عنوان :

« مجنون في يده سيف (١) » .

« فلأجل أن تصبح مصر مستعمرة بريطانية قام محمد محمود في الحكم  
وافترى على المصريين ما افتراه من الكذب والتشهير ولأجل أن تصبح مصر  
مستعمرة بريطانية صنعوا كل ما صنعوه . »

سحقا لهؤلاء من أنذال ، فلمن كان في الجرائم ما هو أكبر من  
جريمتهم فلن يكون الا الوتاحة التى يواجهون بها الناس بعد ما أسلفوا لهذا  
البلد كل تلك الخيانة والكنود ولا جرم لا يستحق أمثال هؤلاء الا اذا ارغمتهم  
على الخزي سلاسل الأتيد وغيابات المسجون . »

ثم يكتب تحت عنوان :

« الكفاءة » (٢) .

« قالوا : انه تعلم في اسكورد . قلنا ماذا تعلم في اكسفورد . قالوا :  
انه تعلم الاقتصاد والتاريخ الحديث ، ولكننا لم نعرف له اثرا واحدا بل لم  
نسمع له كلمة واحدة ولا حرفا واحدا يدل على علم بالاقتصاد او اطلاع  
على التاريخ . »

ونذكر ان مراسل صحيفة اسبوعية سألته : أى رجل في مصر الحديث  
هو عندك أعظم الرجال فقال : نابليون . كلمة يتولها كل مسئول لم يفتح  
كتابا ولم يدرس أى تاريخ من التواريخ ، أرايت ايها القارى ، الى الفلاح  
الريفى الساذج الذى ينزل القاهرة ولا يعرف فيها الا بنك سمان ، ان هذا  
لهو يعينه الفلاح محمد محمود حين ينزل عالم اتاريخ الحديث ولا يسمع فيه  
الا باسم نابليون . »

(١) كركب الشرق : يوم ٢٦ من نوفمبر ١٩٢٩ .

(٢) كركب الشرق : يوم ٤ يناير ١٩٣٠ .

ما كان عمله في الوزارة الا الآلة التي يشترك في ادارتها اللورد لويد ، ولطفي السيد ، وحافظ عفيفي ومصطفى عبد الرازق وكل من املى عليه خطته .

ان الفرق بين الرجل المحبوب الموثوق به والرجل المقوت المحتقر لأبعد وأكبر من ان يقاس عليه ، .

ويقارن العقاد في هذا المقال بين النحاس ومحمد محمود ، بين من توليه الأمة وبين من يوليه غاصب الأمة . يقول العقاد :

كان النحاس محاميا ناجحا ذائع الصيت مشهورا له بين المحامين والقضاة حتى اختارته وزارة الحفانية لوظيفة القضاء اعترافا بذلك الفضل الذي لم يعرف الا للقليلين ولما تولى القضاء كانت أحكامه مضرب المثل في الدقة والعدل ودلائل العلم بالقانون .

محمد محمود ولى الوظائف الادارية فدل على طبيعة فيه لا تنسى الهمجية . عقل لا يفقه روح الحكم الحديث في هذه العصور ، وكانت قضيه التعذيب في اقليم البحيرة وصمة بل جريمة كادت ان تلتفي به في السجن .

ولم يتول الوظائف بكفائته كما ولى النحاس باشا بل كانت الوظيفة مكافأة لأبيه على علاقته بالاحتلين ، ولم يكن عند ، من حسن الكياسة ما يستنتجى به المكافاة لولا رعاية الانجليز لأبيه .

النحاس باشا احيط مكيدة اللورد لويد وقطع حجته وكشف غرضه وسلك المسلك الوحيد الذي يمكنه من الحكم ووزن الأمور ، أما محمدمحمود فما كان عمله في الوزارة الا عمل الآلة التي يشترك في ادارتها اللورد ولطفي السيد وحافظ عفيفي ومصطفى عبد الرازق وكل من املى عليه خطته .

ولا نعرض للاخلاق والكرامة الوطنية فان الفسوق بين الرجل المحبوب الموثوق به والرجل الحقوق لأبعد وأكبر من ان يقاس عليه ، وأن الفرق بين مهانة محمد محمود باشا في انتظاره رحمة خصومه وبين عزة مصطفى النحاس باشا في جميع مواقفه ان أعظم الفوارق بين التقيضين ، وان الفرق بين من توليه الأمة ومن يوليه غاصب الأمة لهدم دستور الأمة واستغلال الأمة لهوالليون الذي لا يسير غورة ولا يدرك مدهاه .

ويكتب العقاد في صحيفة أخرى متابعا حملته ضد ديكتاتورية محمد محمود مقالا بعنوان :

« هل يذكر عذا العقل لنفسه او يذكر له غيره موقفا واحدا يدل على نخوه  
او تضحية بمصلحة • لا موتف له ولا شبه موتف • وكل حياته ان هي  
الا مداورة حيث تسدور المصلحة من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى  
اليمين ، فلما كان كرومر يحميه كان يسمي لادب في حق أمير البلاد • ولما  
خرج كرومر من مصر اسرع فاستقال من حزب الأمة ولما طرده الانجليز من  
وظائف الادارة وقع مكرها في احضان الوفد المصرى •

ولما سجر الخلاف في الوفد ، ولاحت بوادر الوظيفة في جانب آخر ،  
أسرع الى ذلك الجانب وادعى على زعيمه ورئيسه ما ادعاه في ذلك الحين •

ولما نبذته حزبه وبئس من الوظيفة عاد مرة اخرى ليترامى في احضان  
الائتلاف ولما أوما اليه جورج لويدي بالمنصب خرج على الائتلاف ونقض  
الدستور وتوفى البرلمان •

ولما انصرف جورج لويدي رجع مرة اخرى يحمل غصن الزيتون ويقطع  
في الائتلاف وسيميش هكذا اطول عمره ، هو هو ، عقل حزبهم الذى يذكرون  
جلائفته كلما ارادوا ان يذكروا الصلابة والاياء •

انما هؤلاء عصاية يطلبون الحكم لانهم يطلبون المصالح لا اكثر ولا  
اقل • ان الاحرار الدستوريين لا عمل لهم الا عدم الحرية والدستور •

ونجحت المقاومة الشعبية اخيرا في الاطاحة بحكم محمد محمود ،  
وجاءت وزارة مصطفى النحاس الثانية التى لم تدم الا شهورا لانها رفضت  
ان تصل الى تساهم في مفاوضاتها مع الانجليز • فمهد الملك فرؤاد الى  
اسماعيل صدقى بتأليف الوزارة ، وما لبث اسماعيل صدقى ان اقام  
ديكتاتورية « اصحاب المصالح الحقيقية » واعلن الغاء دستور ١٩٢٣ واعلن  
مكانه دستور سنة ١٩٣٠ فتجددت المقاومة الشعبية وسالت الدماء ، فاعلن  
الوفد صاحب الاغلبية الكبرى عدم تعاونه مع الحكومة وهاجم سرا وعلنا  
اجراءاتها التعسفية ضده وضد انصاره • وانقلب الاحرار الدستوريون من  
مؤيدين لحكومة اسماعيل صدقى الى معارضين لها ، واشتدت موجة  
المقاومة ، واحست الحكومة بوطأتها ، فازدادت وسائلها عنفا ، وازدادت بها  
بعدا عن لشعب وارتقاء في احضان القصر وخضوعا لمشيئته • وازداد حزب

الاتحاد - الذي انشأه القصر صغفا ولحن أمه خان معنًا بالدستور الجديد واجلاء اسماعيل صدقي عن الحكم كخطوة لا بد منها ، لكي يصبح امر ختصما للقصر ، وهو نارسيما اترجو . بينما كان الحزب الوطني يصف في موقف تردد ووصف يخاف سطوة الكتلة الشعبية الممثلة في الوفد . ويستحي ان يكون نصيرا ظاهرا للقصر والحكم الاستبدادي ، وكان القصر يمد عدته لكي يخن الدستور الجديد وسيلة لتوسيع سلطته ووضع خيوط الموقف في يده ، على بهذا يستطيع الوقوف في وجه الشعب ، واغراء الانجليز على الاتفاق معه .

وتد أثر الانجليز كما فعلوا في تجربة الاعتدائين الدستوريين الاول والثاني ان يثريثوا ويتدبروا الموقف ، فانعين بانصراف للجهود الحزبية وغيرها بل ومقاومة الاستبداد والدفاع عن الدستور مطلقين الى ان عسده المعركة ستضعف حتما من توة الشعب على الكفاح (١) .

واستمر حكم اسماعيل صدقي من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٣ ، أي نحو اربع سنوات ، كتعت فيها انفس السلاذ كتنا واستقطت سسلطة القصر ، وانتهى حزب الشعب بان اصبح صورة لا حقيقفة له . وكان القصر قد دخل ابيدان محاولا ان يفيد من معسارك الاحزاب المتناحرة ، ليعسوق لتطور الشعيبي ويحقق مصالحه نيكون من انصاره حزب الاتحاد عتب حادث السردار ثم اعان على انشاء حزب الشعب عام ١٩٣٠ محاولا ان يحتق بذلك ما زعم انه توازن ضروري للقوى بين الاحزاب المتصارعة ، وكثيرا ما كان القصر يتدخل في شئون الحكم بما يجاوز حقوقه المشروعة .

وهنا برز العقاد ، نجديد حين تردد ان الملك فؤاد يوشك ان يقوم بمحاولة جديدة من محاولته المستمرة لتعطيل لدستور وحل البرلمان وتضيق الخناق على الشعب . وهنا وقف العقاد في مجلس النواب - وكان يومئذ نائبا فيه - وقال كلمته الخالدة : « ان الأمة على استعداد لان تسحق اكبر راس في السلاذ يخن الدستور ولا يصونه » .

ولم يستطع القصر ان يحاسب العقاد على عسذا الكلام ، على الرغم من معرفته الاكيدة انه هو المقصود بهذا الكلام ، لان العقاد كان يتمتع بالحصانة البرلمانية فلم تتخذ ضده الاجراءات الجنائية وظل اسماعيل صدقي يتربص به شهورا بعد تعطيل الحياة النيابية حتى تصيده في مقال كتبه يندد فيه بالرجعية ، وهو من سلسلة مقالات نارية نشرها العقاد في

(١) راجع مجلة الدستور لمحمد زكي عبد القادر ص ٧١ وما بعدها .

« المؤيد الجديد » التي كان يحارب فيها الرجعية واعمالها ضد مصلحة البلاد ، فهدرت له نعمة العيب في الذات الملكية وقدم للمحاكمة فحكم عليه بالسجن تسعة أشهر قضاها وخرج يستأنف جهاده ضد صدقي والحكم المطلق .

ويحدثنا صاحب كتاب « عباس العقاد ناقدًا » ان العقاد حدثه ان الملك فؤاد ساومه على ان يتنازل العقاد عن آرائه ويخرج من الوند لثناء العفو عنه وتنصيبه رئيسا للتقسيم العربي بالديوان الملكي .

وفي السجن زاره على ماهر وكان يومذ وزيراً للحقانية ، ليساله عن حاله فاجابه العقاد بقوله : « مهنا خير من الخارج » ولما افرج عن العقاد اتجه الى ضريح سعد زغلول ليجدد العهد واليثاق ، ويلقى عليه تصديداً منها :

وكنت جنين المسجن تسعة أشهر  
وهانذا في ساحة الخلد اولد

ففي كل يوم يولد المرء ذو الحجي  
وفي كل يوم ذو الجهالة يلحد

وما أتعدت لي ظلمة المسجن عزيمة  
فما كل ليل حين يفتشاك مرقد

وما غيبقتي ظلمة المسجن عن سنا  
من الرأي يتلو فرقتا منه فرقد

عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما  
سسيهمذني كل كما كان يمهذ (١)

ويستمر العقاد في حربه لصدقي شاهرا عليه مقالاته في صحف مختلفة مثل الأفكار والنساء وكوكب الشرق والجهاد ، ويجن جنون صدقي ويلحق الصحيفة تلو الصحيفة وينشر العقاد مقالاته النارية ضد صدقي وحكمه الارهابي .

وقد نشرت صحيفة « النساء » مقالا يبين أزمة الصحافة ابان حكم صدقي والعتت الذي لقيت الصحفيون ، وعنوان المقال :

سياسة تعطيل الصحف (٢)  
عي شر ما تجنيه الوزارة نفسها

(١) العقاد : وحى الأريمن ص ١٧٣ وما بعدها .

(٢) النساء - يوم ٤ من سبتمبر ١٩٢٠ - راجع أتب الثالثة الصحفية ج ٨ ص ٢٧٤ .

وقد وقع عليه عباس العقاد مع حافظ عوض وتوفيق دياب ومحمد النابلي وعبد القادر حمزة ، ويحتجون على تعطيل وزارة صحفى للبلاغ ، اليوم ، وكوكب الشرق ، وروز اليوسف ، والنهار ، والثبات ، والبرق الخ ويبتخرون بانهم هدف ديكتاتورية صدق كما كانوا هدف الديكتاتورية محمد محمود في سنة ١٩٢٨ ، وكما كانوا قبل هذا وذلك هدفا للانتحيز في حكمهم البلاد بالحديد والبنار (١) .

وقد نشر العقاد عدة مقالات يتسمه فيها اسماعيل صدقى في جبروته وسطوته بشارلي شابلى ، مستخدما سلاحه في السخرية والتهمك ، فعقد مقارنة ظريفة بين الشخصيتين في وقت كان الارهاب فيه على أشده ، ومقالة عن سياسته المالية تحت عنوان « طبيب الكالو » ومقالة بعنوان « علوية يكره الأوباش ! » و « حلمى عيسى على الرماية » و « الوزير الفرنسي » .

ومن هنا كان الجزء الراجح للصفحة التى ينشر فيها العقاد هذه المقالات الصادرة والأغلاق كما رأينا أمثلة لها من الاسماء المذكورة في المقال السابق .

ولم يكتف العقاد في محاربة الاستبداد السياسى بالمقالات بل انسه اصدر كتابين هما « اليد القوية في مصر » و « الحكم المطلق في القرن العشرين » عام ١٩٢٨ .

وفي هذا الكتاب الأخير يعالج العقاد قضية الحرية الانسانية وما نالها من ظفمان المتجبرين المستجدين ، وصدر كتابه بفصل تتسائل فيه : هل فشلت الديمقراطية ؟ وأجاب على هذا التساؤل بفصل نال فحواه أنها لم تفشل على الرغم من تسليمه بأن لها عيوبها ، ولكنه يرى انها عيوب الطبيعة الانسانية التى لا تفكك منها ، وقد يكون لهذه العيوب في مجموع الحضارة فضل كفضل المحاسن الصطلاح عليها ان لم يزد عليه .

ويرى على مزايا كثيرة في تلك الأمة ، او دليل على أن الأمة في معيشة طيبة ومعاملة حسنة وانها ذات اخلاق لا ضرر من اطلاق الحرية لاصحابها وأطوار لا تحو طوقها ولا تستصع عليها .

ويس أدل على وخامة اديكتاتورية في نظره من أن قيامها في الأمة دليل على شذوذ في معيشتها او على خوف من بعض الأخطاء المحققة

(١) العقاد : مثلر في الميزان ص ١٩١ - ١٩٣ - أنظر - أيضا : عباس العقاد ناقد لعبد الحى دياب ص ١٦٤ - ١٦٥ .

بكيانها ، كما يعترف الحاكمون بأمرهم كلما اعوزهم أن يسوغوا قيامهم في  
شعب من الشعوب . • والليبية الديمقراطية كالارض الامنة القريرة ،  
وليبيسة الديكتاتورية كالحجر الصحي او كالحفر الذي لا يعاش فيه غير  
طفيان وتصديق ، (١) •

- ويذهب العقاد كذلك الى ان سلام الدنيا يتحقق اذا ما حكمتها  
الديمقراطية لانها تقوم على التضامن ولا تحصر الراى في يدى انسان واحد،  
• وذلك على عكس الديكتاتورية التي تقوم على تسلط طبقة على الحكم بعد  
طبيعة وسيد بعد سيد لانها راجعة الى التفزات والوادر منوطسة بالأحاد  
المتفرقين معرفة للهدم والتخريب بعد كل بناء وتعمير (٢) •

ويتضح من هذا التقديس للديمقراطية علة وقوف العقاد بقوة محاربة  
السلطان والجبروت والاستبداد ، وايثاره للسجن في سبيل الدستور والحياة  
الديمقراطية • وتد أعلن في كتابه عن عتله ان كل ثورة تقتضى عن الاستبداد  
مسيرها الى الزوال ، لانها قائمة على غير أساس • • قناعة على سياسة  
اليطس والارهاب • ومن هنا قامت حملته المائتية على عتله ودكتاتوريته  
وتنبا بسقوطه وراى ان نجاحه اول الامر هو اول خطوة في سقوطه •

- وفي الواقع لم تكن خصومة العقاد لهتلر شيئا جديدا ، فهم قديمة  
منذ ان نشر العقاد مقالة في يوم ٧ من يوليو عام ١٩١٢ وعمره ثلاثة  
وعشرون عاما ، يهون فيها من شأن نابليون بونابرت وتزييف عظمته  
• واحتقاره لهذا الطراز من الوجاهة أو العظمة الزائفة ، لأن نابليون ومثلهما  
• عتله يطالبون المجد والشهرة من طريق الغزوات والفتوح وقاسما عظمتها  
• بقدر احتقارهما للانسان •

نفس الموقف مع الفارق مع محمد محمود واسماعيل صدقى ، فالعقاد  
يبنض الدكتاتورية في أى صورة من صورها ، ويرفض الاعتداء على  
الديمقراطية والحياة الدستورية • • لذلك شهر العقاد تلمه • • وكان لمح  
السيوف في معركة الظلم في حكم ظالم •

(١) العقاد : هتلر في اليزان ص ١٩١ - ١٩٢ - - انظر أيضا : عباس العقاد نائدا لعبد  
الحي دياب ص ١٦٤ - ١٦٥ •

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٦١ وما بعدها •

الباب الثاني  
العقاد والتيارات الإجتماعية والسياسية

.

.

.

.

.

.

.

.

.

## الفصل الأول

### المقصد والقضايا الاجتماعية

كان من الطبيعي أن يرتبط بثورة ١٩١٩ نشاط فكري تحرري ثائر على بعض القيم القديمة ، وعبر عن هذا النشاط الفكري كوكبة من المثاليين المثقفين الذين عرضوا آراءهم في صحف الأحرار الدستوريين وبعض الصحف المستقلة .

وما لبث بعض هذه الاتجاهات التجديدية في الفكر أن تحولت الى قضايا شغلت الرأي العام والسلطات ، ودارت حولها في بعض الصحف معارك توازي في ضراوتها المعارك السياسية ، وكان أهم هذه القضايا - الإسلام وأصول الحكم ، لعلى عبد الرازق عام ١٩٢٥ ، و « في الشعر الجاهلي » لطفه حسين عام ١٩٢٦ ، وكان الكاتبان يومئذ من المثقفين لحزب الأحرار الدستوريين فهاجمتها صحف الوفد والحزب الوطني - والصحف الدينية الإسلامية وفي مقدمتها « المنار » .

واعتمدت الصحف المصرية بالنواحي الثقافية الخاصة ، فخصصت بعض صفحاتها للانتاج الأدبي والعامي ، وقامت من هذا المجال بدور كبير في إحياء الأدب العربي القديم وفي تقدم حركة الترجمة والدراسات النقدية ، فعند صدرت « السياسة » سنة ١٩٢٢ برزت كوكبة من المثقفين ذوي الثقافة الفرنسية ممن عادوا من باريس في خلال الحرب العالمية الأولى ، ومنهم طه حسين ومصطفى عبد الرازق ومحمد حسين هيكل ومحمود عزمي . وهم تلاهيد « الجريدة » ولطفى السيد في مطلع هذا القرن ، وكان منهم من ترك الأزهر وانضوى تحت لواء هذا الاتجاه الجديد كعلى عبد الرازق وعبد العزيز البشري .

وكانت « البلاغ » منذ صدورها سنة ١٩٢٣ تخصص صفحة أدبية كانت تزخر بالأفكار الجديدة وفيها كتب سلامة موسى ومحمود الشقراوى وإبراهيم المصرى ، وكان المقصد يكتب في البلاغ حينئذ كل أسبوع أو أسبوعين صفحات أدبية يتناول فيها الشعر والفنون الجديدة وبعض المذاهب الفلسفية وبعض نظرات في الطبيعة او في الآثار المصرية او في التنجيم ، وأبى العلاء . تجمع من كتاباته طائفة وأضاف إليها بعض مقالات قديمة ، ونشرها باسم « مطالعات في الكتب والحياة » ولم يلبث في السنة

التالي: ان نشر طُبعة ثانية من مقالته اُديبيه في البلاغ باسم « مرتجمات في الآداب والعلوم » . وقد ضم اليها مقالة من مقالاته في مجلة البيان واخرى نشرها في البلاغ لسنة ١٩٢٥ وفيها يتحدث عن المراء لشمريه وما يحسن ان تستبقى من أبحاثها التقليدية وما يحسن ان تفتس من شقيقتها الغربية .

واتسمت دائرة اهتمام الصحافة بالآداب ، فأصدرت كل من «السياسة» و « البلاغ » عام ١٩٢٦ - على طريقة بعض الصحف الغربية - ملحقا ادبيا اسبوعيا ، وفي اثناع ان هذا الاهتمام يستحق وقفة امام كل من « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعي » .

وقد صدر العدد الاول من السياسة الاسبوعية في مايو ١٩٢٦ ، وكان سبب ظهورها القيام بنهضة ثقافية جديدة الغرض منها ازالة الجمود الفكري الذي كان موجودا من قبل وقد حشمت الجريدة لهذا الغرض كل كبار الكتاب في ذلك الوقت فكان على رأسها رئيس تحرير السياسة الدكتور هيكل ومعه محمود عزمي والشيوخ مصطفى عبد الرزاق وعلي عبد الرزاق وابراهيم المازني والشيوخ عبد العزيز البشري ومحمد توفيق دياب ومحمد عبد الله عفان .

ويحدثنا الدكتور هيكل عن التجديد الذي مارسه في صحيفته فيقول : « لقد جددنا في الاسلوب ، وجددنا في المواضيع - فخرجنا من تلك الدائرة الضيقة التي كانت الصحافة فيها قاصرة على ذكر الحوادث السياسية في الداخل والخارج وأفردنا صحائف ادب والفن والزراعة والسيدات . وكان خروجنا الى هذه الأنفاق التي كانت مغلقة خطوة سعيدة . فان غيرنا من الجرائد جامد ليحذو حذونا . والتنافس في ذاته دافع الى التقدم .

وفي حديث شخصي مع الاستاذ حافظ محمود نقيب الصحفيين السابق ، علمنا أن الصفحة الاقتصادية في السياسة الاسبوعية كان يكتبها المحرم كامل عبد الرحيم وكيل وزارة لخارجية . وكان يكتب الصفحة العلمية فيها الدكتور محمد والي الذي صار عميدا لكية العلوم فيما بعد ، وكانت تكتب الصفحة الفسائية الأنسة ( مي ) الي جانب عدد كبير من المحررين والمترجمين الذين تنلمفوا على هذه الجريدة وأصبحوا من ألمع الكتاب فيما بعد مثل عبد الحميد بيونس وحافظ محمود . . الخ .

وكانت جريدة السياسة الاسبوعية منذ نشأتها أوسع الجرائد العربية والشرقية لانتشارا في العالم ، وهذه الصحيفة التي كانت تصدر قبل أربعين عاما كان متوسط توزيعها - كما ذكر لنا الاستاذ حافظ محمود

لقد رؤساء تحريرها بعد الدكتور ميكل - يبلغ اربعين ألف نسخة أسبوعيا بينما كان أعلى توزيع في الصحف اذ ذلك لا يتجاوز عشرين ألف نسخة ، وكان نصف هذا العدد بالضبط يوزع في البلاد العربية خارج مصر ٠٠ . ولذلك كان لها فضل الربط الفكري بين القاهرة والمواصم العربية الأخرى .

وكانت السياسة الأسبوعية في مبتدأ ظهورها تصدر في حجم الصحف اليومية من حيث ( القطع ) ولكن في ضعف عدد الصفحات ، ولكنها بعد تحليل اخذت طابع الصحف النصفية وتبلغ صفحاتها ٣٢ صفحة ولها غلاف ( برتقالي ) من نفس اللون والورق الذي كانت تغلف به النسخة الأسبوعية لجريدة التايمز ، وقد ساعد ذلك على زيادة توزيع الجريدة بنسبة خمسة الاف زيادة على الرقم الذي ذكرناه (١) .

كما كانت الافكار الجديدة التي تثيرها الجريدة موضع اهتمام كبير من الراى العام لدرجة انها أوجدت تيارا فكريا بين الشباب يختلف عن جميع التيارات القديمة .

وكان من الافكار التي قامت الجريدة بالدعوة لها في اول نشأتها الدعوة لاتامة اسبوع أدبي لتكريم امير الشعراء احمد شوقي . وقد حضر هذا الاسبوع جميع كبار الشعراء في الدول العربية وأصدرت الجريدة عددا خاصا عن شوقي بلغ توزيعه ( ١٢٠ الف نسخة ) سنة ١٩٢٦ واعيد طبعه بنفس النسبة في نفس اليوم .

ومن الافكار التي دعت اليها الجريدة :

- ١ - انشاء بيوت الفلاحين .
- ٢ - الغاء الطرابيش وليس الجرائيط .
- ٣ - عدم تدخل جانب الدين في شؤون العلم والسياسة .

وقد اشار البند الثالث معركة كبرى ظلت الصحافة المصرية مشغولة بها زهاء عام كامل .

وكان للسياسة الأسبوعية الفضل الاول في اظهار الآثار الأدبية الآتية التي نشرت في اول الأمر على حلقات أسبوعية في الجريدة وهي :

- ١ - حياة محمد للدكتور محمد حسين ميكل .

(١) من حديث خاص مع الأستاذ حافظ محمود .

٢ - كتب الدكتور طه حسين الأدبية .

٣ - قصص ابراهيم عبد القادر المازني .

وغير ذلك من الآثار الأدبية التي بلغ من جديتها حدا اتهمت فيه الجريدة أحيانا بأنها تنشر الاحساد الي ان ظهرت فصول كتاب « حياة محمد » فاخذت هذه التهمة أو كادت .

وقد اصدرت ( البلاغ ) كذلك ملحقا اسبوعيا باسم ( البلاغ الاسبوعي ) وقد صدر المد الأول من البلاغ الاسبوعي في ٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٢٦ أى بعد صدور (السياسة الاسبوعية) بأكثر من خمسة شهور وكان ذلك في مظهره نوعا من التنافس الحزبي الذي ائاد الحركة الفكرية في مصر ، وقد ضم البلاغ الاسبوعي كذلك كوكبة بارزة من الكتاب والمفكرين ، وقد استفاد اخسراج صحيفة ( البلاغ الاسبوعي ) من المنافسة مع السياسة الاسبوعية فظهر في طباعة أنيقة على ورق جيد مشتملا على كثير من الصور والرسوم .

وقد تضمن البلاغ الاسبوعي صفحات خاصة بالعلوم والفنون والسيدات تماما كما فعلت السياسة الاسبوعية ، ويحدثنا الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه القيم عن ( عبد القادر حمزة ) صاحب البلاغ ، ان البلاغ استن سنة أخرى شعبية بما يحدث في الصحف اليومية في أيامنا هذه . ويمقتضى هذه السنة كان على البلاغ ان يخصص كل يوم من أيام الاسبوع على وجه التقريب بعادة من المواد الصحفية ينتدب لها رجلا من كبار الكتاب في مصر ، تاركا له ان يملأ فراغ الصفحة بما يحلو له (١) .

وقد اشترك في تحرير البلاغ الاسبوعي مع العقاد ابراهيم عبد القادر المازني وسلامة موسى وغيرهم من كبار الكتاب .

وفي الواقع لقد كان لظهور السياسة الاسبوعية اثر بعيد في النهضة الصحفية ذاتها فقد ظهر على غرارها البلاغ الاسبوعي - كما سبق القول - وظهرت مجلة الرسالة التي اصدرها الاستاذ احمد حسن الزيات في سنة ١٩٣٣ والثقافة التي اصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر برئاسة الرحوم الاستاذ احمد أمين في سنة ١٩٣٩ . وكانت هذه المجلات ألوانا ثقافية جديدة لا عهد للقارىء العربى بمثلها من قبل واستطاعت هذه المجلات ان تنم الرسالة الثقافية التي بدأتها السياسة الاسبوعية ثم البلاغ الاسبوعي على

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ج ٨ ص ٣٧٧ .

الرغم من انهما لم تعيشا طويلا .. فقد توقفت ( البلاغ الاسبوعي ) عام ١٩٣١ وتوقفت ( السياسة الاسبوعية ) من عام ١٩٣١ الى عام ١٩٣٦ .

وقد قامت كل من السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعي بما يشسبه الانقلاب الفكري الذي ظلت آثاره على مدى الاجيال التالية .

والسؤال الذي نطرحه هنا : هل كان للسياسة الحزبية اثرها على هذه الصحف الأدبية ؟

لقد حدث في سنة ١٩٣٠ وهي السنة التي توقفت فيها البلاغ الاسبوعي والبلاغ اليومي معا نتيجة الضغط على الحريات وكتبها ، أن دخلت جريدة السياسة ( اليومية ) في صراع مع الحكومة التي كانت قائمة اذ ذلك وهي حكومة صدى التي عطلت البلاغ ، ففكر اصحاب ( السياستين ) - ولينهم ما فعلوا ذلك - على حد تول الأستاذ حافظ محمود - في استغلال نفوذ السياسة الاسبوعية بين الجماهير للأغراض السياسية الحزبية ، وقد أدى ذلك الى نتيجتين :

الاولى : أن جمهور السياسة الاسبوعية الثقافي قد أحس بأنه قد حرم من الكثير بسبب اتحام السياسة الحزبية على جريدته المفضلة .

الثانية : أن الجريدة قد أصبحت هدفا لاضطهاد الحكومة اضطهادا أدى الى اغلاق نهائيا بعد ذلك بقليل في سنة ١٩٣١ (١) .

وهذه الصفحة من تاريخ الصحافة الأدبية نرى أن نعمها حتى ولو خرجنا بذلك عن الخط الرئيسي لكتابتنا هذا ، وعذرنا في ذلك أن الصورة أن تتم في هذه الزاوية مجهولة .

في مستهل عام ١٩٣٧ ، وكذات الاحوال السياسية قد عدت عاد الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير السياسة الاسبوعية التي اصداها من جديد على الأسلوب الأول الذي نشأت من أجله وهو الأسلوب الثقافي مع خلاصات سياسية عابرة لا تؤثر على أسلوب الجريدة الثقافي .

وفي هذه المرحلة اختار تلميذا من تلاميذ السياسة الاسبوعية الذين تدريبوا فيها على الاعمال الصحفية ليكون مساعدا له وكان هذا التلميذ هو الأستاذ حافظ محمود . ثم ما لبث الدكتور هيكل بعد بضعة أشهر أن

(١) من حديث خاص من الأستاذ حافظ محمود .

يتولى منصب الوزارة وان توكل رئاسة تحريرها الى تلميذه الاستاذ حافظ محمود الذي تولى رئاسة تحريرها من اول يناير سنة ١٩٣٨ الى لخريفات سنة ١٩٤٤ حينما انتقل من رئاسة تحرير السياسة الاسبوعية الى رئاسة تحرير السياسة اليومية مما جعل الاسبوعية تتوارى عن الانظار بعد كفاح فكري استمر جيلا كاملا .

وفي الواقع لقد كان للسياسة الحزبية اثرها على الصحافة الادبية ، نذكر موقفين أبرزهما هذه الحقيقة ، اما الاول فقد كان حين اصدر على عيبد الرازق كتابه ( الاسلام واصول الحكم ) وهو من كتاب السياسة ومن اعضاء حزب الاحرار الدستوريين ، واما الثاني فقد كان حين اصدر طه حسين كتابه ( في الشعر الجاهلي ) وكان في ذلك الوقت من المستوربين ونظرة الى صحيفة ( البلاغ ) الوفدية فنجدها لا تعطف على اي منهما وتقف في صفوف المعارضة منذ اول الامر وتقف منهما موقف الخصومة وتفتح صدرها لهجوم عنيف شنه كل من رجال الأزهر ودار العلوم .

ولكننا سنجد العقاد يبرز كعالم لا تهزه السياسة الحزبية حينما تتعرض حرية الفكر لاي عدوان فيقف الى جانب طه حسين على الرغم من كون كل منهما ينتمي الى حزب معاد للآخر .

لكننا نختم هذه الصفحة من تاريخ الصحافة الادبية بالقول ان السياسة الاسبوعية كانت رائدة حذت حذوها البلاغ الاسبوعي الذي اراد ان يستن سنة في التجديد تحدث عنها عيد الغادر حمزة صاحب البلاغ فقال :

وه كنت اسمى لأن يكون البلاغ الاسبوعي صلة وثيقة بين الماضي والحاضر حتى لا تنصم المرى بيننا كما يريد البعض . فالبلاغ الاسبوعي على هذا من انصار التجديد عن طريق التطور لا التجديد عن طريق الخروج على التقاليد والثورة على كل شيء جديد . وهذا يصل بنا الى ناحية الدين . فقد رأينا بعض الدعاة الى التقدم يضمون دعوتهم سعيا ظاهرا او خفيا لنشر الاحاد في مصر ولكننا لم نر في مثل هذه الدعوة الا تأخرا لا تقما . فان الاحاد صنو الاباحية وكلاهما من اسباب التدهور والفتاء للأمة (١) .

وانت ترى من حيث صاحب البلاغ ان النزعة الحزبية السياسية تغلب على موقفه من التجديد ، فهو يرى في تجديد السياسة الاسبوعية أفكارها

(١) البلاغ الاسبوعي : يوم ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٢٩ .

الجديدة ابداعية والحادا كما كان يروج اعداءه الدستوريين في ذلك الوقت  
لحاجة في نفس يعقوب .

ونحن لا يميننا هذا بقدر ما يميننا موقف العقاد ازاء تدخل السياسة  
الحزبية في حرية الفكر ! .

ان « تشارلز آدمز » صاحب « الاسلام والتجديد » يقول :

« وأهم عامل في تكييف المثل الأدبية للعقاد والمزني هو الأدب الإنجليزي  
وهما من الكتاب المصريين الذين يمتدحون أن الشرق يستطيع الأخذ من خفايا  
المعلوم الغربي دون أن يتخلى عن الطابع الاسلامي العربي  
الذي يطبع مدنيسة الشرق وثقافته (٢) » . بينما يرى ( جب )  
أن العقاد والمزني يجعلهما هذا الرأي أقرب الى المحافظين من هيكل وطه  
حسين ، ويرى أن هيكل « كان يعمل الروبية والفضلة في تدريج الرأي العام  
الى مستوى الثقافة الاوربية . ولكن طه حسين لم يقنق اثر زميله ولم  
يزاحمه في سبيل التؤده والتفطن بل هاجم الرأي العام المصري بطريقة الشك  
الفلسفي والرأي العام المصري غير مستعد لها . وسار يقطع المراحل من  
انكار الى انكار » .

وفي رأينا أن الأستاذ جب قد خالفه الصواب بالقدر الذي حالف فيه  
الأستاذ تشارلز آدمز ، فالعقاد لم يكن من المحافظين في يوم من الايام  
فالعقاد هو الذي شق طريق التجديد في الشعر وهو الذي شق طريق التجديد  
في السياسة ، فدعا الى الثورة والحرية ودافع عن الدستور والشعب ، وعارض  
النصر الى الحد الذي بلغه في حملته في عام ١٩٤٨ والتي أدت به الى  
السجن .

فكيف يمكننا القول اذن بأن العقاد أخذ جانب المحافظين او الجانب  
الرجعي كما يحلو للبعض ان يتهمه اليوم . -العقاد المجدد في الشعر  
العربي ، العقاد الذي ناصر تحرير المرأة ، وهذه نماذج من كتابات العقاد  
الاولى تبين لنا نظرتيه الى الحريات التي كانت لا تختلف - كما يقول  
كامل زعيري عن نظرتيه الى الجماليات لانه كان يرى أن الجمال ، في الأدب  
والطبيعة هو الحرية المتسعة (١) .

(٢) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد ، للترجمة العربية لعباس محمود ص ٢٤٣ .

(١) كامل زعيري : مجلة الهلال - أبريل ١٩٦٦ .

كتب العقاد في الفصول ( عام ١٩٢٢ ) يقول :

« أين هو الرجل الذي يفهم الحرية ، وهو يسكن الى شريكة في الحياة مستعبدة ، وأين هو الرجل الذي يجمع بثمرة الحرية وهو وليد أم متقيدة ؟ وأين هو الرجل الذي تحيا نفسه وقد مات فيها الجانب الذي خلقت المرأة لتحييه ؟ »

انه العنقاء التي يتحدثون عنها في اساطير الاولين .  
ثم يقول العقاد في نفس المقال (١) الذي جعل عنوانه :

#### نهضة المرأة المصرية

« لن تضام امة عرف نسوؤها بالحرية . اجل فهذه توله حق لانسك فيها . ولكن كم من الشك في تول من يزعم ان عرفان الرجل بالحرية هو حسب امة ضامنا لها من الضيم ؟ فان حرية لا يعرفها غير الرجال اخرى ان تكون حرية شروء . لانها كالترية النسيجة التي لا يسرى غشاؤها الى كل فروع اشجارها . فلا نباتها كلها بمروى . ولا الروى منه يسابغ الروء على جميع اجزائه . والمرأة في أمثال هذه الامم فرع يابس لا خير فيه ، وقد يكون الرجل اندى منها حالا ، ولكنها حال لا تنفعه الا كما ينتفع بالفرع تتمشى فيه الخضرة واليبوسة . فلا هو للاثمار ، ولا هو للوتود ، وليس هذا شأن الامم التي يظفر نسائها بتسطين من الحرية ، فانها اعم تستقى الحياة من ابعاد اطرافها ، وترسلها الى ابعاد اطرافها فهي شجرة يانعة لا حطية لينة . »

ويتول في نفس المقال :

« . . . وسيعضب على انصار القديم . لا لاني ثلت شططا ، في انتهاجي بنهضة المرأة المصرية ، ولكن لأمر صغير بسيط : وهو اننى قرنت بين كلمة الحرية ، وكلمة المرأة . وهم يكرهون جد الكره ان تقترن امان الكلمتان في وقت من الأوقات . لا في العصر الحاضر ولا في مستقبل قريب او بعيد . »

ولو سألتم هل تحبون الحرية لانفسكم ؟ لسالوا نعم نجيبا .  
ولأبنائكم نعم . ولابنائنا ولامهات بناتكم ؟ هنا يسكتون . . . »

وفي هذه الفترة من شباب العقاد يمكننا ان نلمح في شخصيته شخصية المجدد الفائز على التقاليد التي ميزت المجتمع المصرى طويلا ونجده

(١) مجلة الرجاء : عدد ١٢ .

يخضع الى القضية الاجتماعية نظره ،لشأنه المجد كذلك كما سيبتضح في فصل  
آخر .

وعنا نستطيع ان نقول ان رجب ( جانبه التوفيق في رايه ان المعاد  
أقرب الى المحافظين ، فالعقاد كما رأينا بدأ حياته الفكرية والصحفية  
مجددا ، وتعيد الى ذاكرة تاري، هذا الكتاب موقفه من الفنون الصحفية  
التقليدية عندما بدأ حياته الصحفية ، وعندما وجد ان فن المقالة الصحفية  
بلغ على أيدي محمد السباعي ورفقائه شأوا بعيدا ، أراد ان يسلك طريقا  
جديدا في الفنون الصحفية وهو الفنى ذو الستة عشر ربيعا ، فكان أول صحفى  
مصرى يفتح باب « الاحاديث الصحفية » .

وتعود الى قضية كتاب في الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين ، وهو  
الكتاب الذى اثار معركة كبرى بين الصحف وبعضها البعض عذب عليها  
الطابع الحزبي ، وكان طه حسين آنذاك ( عام ١٩٢٦ ) من المنتسبين لحزب  
الاحرار الدستوريين فهاجمته صحف الوفد والحزب الوطنى والصحف  
الدينية الاسلامية وفي مقدمتها ( المنار ) للشيخ محمد رشيد رضا . وكان  
الدكتور طه حسين يشغل آنذاك بالتدريس بالجامعة الى جانب اشتغاله  
بالتحليل في صحيفة ( السياسة ) . وقد اتام الدكتور طه حسين بحثه في  
الشعر الجاهلى على نظرية ديكرارت ، وقد اصطدم راي الدكتور طه حسين  
بالدين وعلماء الدين فاثار هذا الكتاب معركة في الصحف وفي مجلس النواب  
وكاد الأمر ان يفضى الى أزمة وزارية عندما طرحت وزارة عدلى يكن أمر  
الثقة بها على مجلس النواب في اثناء هذه الازمة وانتهى الأمر بمصادرة  
الكتاب وتقديم مؤلفه الى القضاء للنظر في هذه القضية .

وكان موقف صحيفة البلاغ الوفدية من هذا الكتاب موقف الخصومة  
التي شعر بها تجاه الكتاب السابق ونعنى به ( الاسلام واصول الحكم ) :  
وفتح البلاغ صدره لهجوم عنيف شنه كل من رجال الأزهر ودار العلوم على  
الدكتور طه حسين (١) .

وعنا نجد العقاد يثبت بديل قاطع أنه أقوى من السياسة الحزبية  
وانه انما كان يصدر في كتاباته عن عقيدة وطنية اعتقدها ، لا عن حزبية  
وقد كان عباس العقاد عضوا في مجلس النواب ، فيقوم بعض الوفديين  
بطلبون بابعاذه عن الجامعة بتهمة المساس بالدين ، وكان سعد زغلول

(١) لدكتور: عبد لأخليف حمز . طب: القاهرة الصحفية ج ٨ ص ٢٥١ .

زعيم الوند يرى رأيهم ، فاذا بالمتقاد يقوم في وجههم مدافعا عن حرية الفكر والبحث العلمي غير مبال بسخط الساخطين منهم .

وفي الواقع لم يكن دفاع العقاد عن طه حسين دفاعا عن شخص او كتاب وانما كان دفاعا عن مبدأ عزيز من مبادئ ثورة ١٩١٩ وهو مبدأ حرية الفكر . وهنا نجد العقاد قد خرج من تلك المشكلة المعتدة وهي تأثير السياسة الحزبية على اتجاهات الكتاب ، حتى كان هذا التأثير علة من علل الضعف في الأدب ، وقد صور الدكتور طه حسين هذه الحقيقة فيما كتبه عام ١٩٣٢ يقول :

« على أن هناك علة أخرى لهذا الضعف لم يبق من الممكن أن نهملها او نعرض عنها ، لأنها شديدة الخطر حقا على الفن والذوق والخلق جميعا ، وهي حرص السياسة على استغلال الأدب والأدباء . »

ومن الاشياء التي لا تقبل الشك ، أن هذا المهد السياسي الذي نميش فيه قد احس أن الأدب المعروف والأدباء المعروفين لا يميلون اليه ، ولا يرضون لأدبهم أن يكون له صورة ومراة . وأراد مع ذلك ان يكون له أدب وأدباء وأن يكون له شعر وشعراء . فجد في ذلك وأنفق جهدا غير قليل وإذا ميسول تظهر ، وأهواء تلتقي وإنباء تذاع في الصحف . وجماعات تؤلف . وندية تنظم . ومحاضرات تلقى ، وأصوات كثيرة ترتفع ، وما كانت تسمع من قبل وإذا أدب جديد أو ادب يوصف بأنه جديد ، وقد أخذ يجدو من الناس . ويقترب إليهم ، ويتعلقهم بالوان من أسباب اللق فيبلغ من بعضهم ما يريد ويحجز عن أن يبلغ من أكثرهم شيئا . »

بينما يعارض سلامة موسى الرأي الذي يزعم بأن السياسة أفسدت الأدب فيقول في عام ١٩٤٦ :

« هناك من يزعم أن السياسة قد أفسدت ادباغا وشغلتهم عن مهمتهم الأصلية . وهذه المهمة انما هي عند هؤلاء الزاعمين أدب البرج العاجي الذي لا يتصل بالمشكلات المصرية ، ولكنهم مخطئون ، لأن الأدب في عصرنا يخون عصره اذا لم يكن سياسيا . ولذلك لا يستحق ادباؤنا اللوم على أنهم أخضروا أدبهم للسياسة . بل الحق انهم يستحقون الثناء والحمد (١) . »

(١) مجلة الكاتب المصري : سبتمبر ١٩٤٦ .

والحق ان سلامة موسى قد اصاب كيد الحقيقة ، فالأديب في عصرنا  
يجب ان يكون سياسيا ، ولكننا نضيف تحفظ وهو على شريطه الا يكون  
للسياسة الحزبية تأثير سيء على ضمير الكاتب وآرائه ومعتقداته . .

وعلى اساس هذا للقياس يمكننا ان نضج العقاد في مرتبة عالية من  
مراتب الكتاب السياسيين الذين لم يجرفهم الحزبية الى سؤاها وسيناتها . .  
فالعقاد منذ نوره ١١٦ شترت ن اعمى نوري بكل كيانه . وكان أبرز  
كتاب حزب الوفد الذي غاد الثورة ، وكانت مقالاته القتالية في (البلاغ)  
من المقالات الرئيسية التي تعبر عن مبادئ الثورة ، ولكن العقاد استطاع  
ان يقهر الحزبية عندما تعارضت مع مبدأ عزيز من مبادئ الثورة التي  
اشترك فيها بكل كيانه ونعنى بهذا المبدأ « حرية الفكر » .

وقد تحدث نذكرنور طه حسين عن موقف العقاد منه وعن خصوماته  
معه قال « لقد حاجت العقاد في غير موطن من مواطن الخصومة ، خاصته  
في السياسة وخاصته في الأدب ، وخاصته في السياسة والأدب أيضا ،  
ولكن هذه الخصومة لم تغض من مدار العقاد في نفسه . وما أظن ان بين  
لدات العقاد واترايه ومعاصريه من يتدبره مثلما اتدبره انا والكبره . وليس  
يعني ان يكون رأى العقاد في كرايى فيه . . والذين عاصروا خصوماتى  
للعقاد يذكرون من غير تمك اننى اتنيت على ادبه في جريدة السياسة  
بين الوفد والدستوريين كاعنف ما تكون الخصومات . وقد كانت الحرب  
سجالا بينى وبينه ولم يمنعه ذلك من ان يقوم مقام الرجل الكريم في مجلس  
النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على حربا » .

وموقف العقاد من قضية كتاب « الاسلام واصل الحكم » للشيخ على  
الرازق يبين لنا من مناقشته مع سعد زغلول في هذا الأمر ، وقد كان سعد  
يظاير الحانقين على الأستاذ على عبد الرزاق حين تعرض للتجريد من لقب  
العالمة لأنه الف كتابا في الاسلام واصل الحكم يخالف به بعض العلماء .  
وكان سعد يسوغ ذلك التجريد بكل ما اوتي من قوة المنطق والبرهان . وقال  
يوما وكان العقاد يناقشه في ذلك : أو ليس من حق كل طائفة من الناس ان  
تتقل فيها من تنساء وتقص عنها من تنساء ؟ عب هؤلاء الطماء جماعة  
انشأوا لهم ناديا وحكوا في يوم من الأيام على واحد من حظرتهم بالانتساء  
من هذه الحظيرة . اتراه بحق له أن يبقى بينهم على الرغم منهم ولو كان  
مصيبا وكانوا هم المخطئين ؟

قال العقاد : يا باشا ليس من حق جماعة أن تحرم واحدا منها حقوقه  
المصرية . لأن وظيفة القضاء التي يليها الأستاذ على عبد الرزاق حق من

حجوة التوظيفية التي لا سلطان عليها لغير القانون . ولو كان فصاري : مر ان يخرج الرجل من ناد او روره لا تريده له استوجب خلاف . ولكنه مجرد من وظيفه القضاء بعد التجريد من لقب العائيه . وليس هذا بحق لهم يستأثرون فيه بانسح والاعطاء . فضلا عما فيه من مصادره الحرية والحرج على التفكير .

ويعلق العقاد على ذلك بان سعدا واه وكعادته حين تتضح له الحجبه . وقال : « اما ان كان الامر هكذا فقد اختلف على هذا بوجه ..... » (١) .

وهكذا كانت مواقف العقاد من القضايا الفكرية التي تنصل بحرية الفكر منزعه عن الخصومات السياسية ، وتبرز لنا حيف نص العقاد برأي رعايه للقيم الانسانية العليا التي هي عده ارفع من القيم الحزبية . بل ارفع حتى من القيم التوظيفية .

ولم يدفع إعجاب أعاد بمسعد زغول وحبه اياه . ان يجيد عن عده الجباب وقى بونات تلبية ذات يجري الحديث بين سعد وبين العقاد في شعر وادب والفنون و احادته في ذلك فصحت خدمة لاسل الفن سمعين به عى مصداق . او احادته اذا فانحنى في بعض اراسى عن الادب المعاصرين او «مدميين او عى مقلانى الادبية التي كتب اشترها يوما من كل اسبوع ولا تحب يوما في انسياسه . وكنت اشعر اذا انفضى الحديث ولم اتجه بأسؤل بيه . انه كان يرانينى طويلا ولا يبيت ان يقول بين الجسد والفكاهة : « يا فاذن . ما احسبك الا تعجب منا ومن خصوما ثنا واثت فوق سحابك بين السسر والخيال ! » .

قال العقاد له يوما على اذركلمة من هذه الكلمات : الحق اننى لا اعجب من هذا ياباشا لانه ليس يعجب ان تكون للسياسة خصومات . وان يكون لهده لخصومات اعلمها والقادرون عليها . ولكن الحق ايضا اننى لا انصر رأيا على رأى رعاية للبرامج الحزبية او المناوشات الموقوتة ، فانها كما تقول يا دولة الياباشا لا تستغرق انسانا مشغولا بالادب والخيال (٢) .

ولم تكن الخصومات السياسية في عهد سعد تعنى العقاد الا لأنها كانت تمثل له جانبين في احدهما القوة المستقيمة والدعوى الصحيحة وفي الجانب الآخر الحيلة المتوية والدعوة الزائفة او التقليدية على احسن ما توصف به من صفات (٣) .

(١) العقاد : سعد زغول ص ٥١٨ .

(٢) ، (٣) العقاد : سعد زغول ص ٥٢٦ .

وتد رأينا أن الله سبحانه حين أخذ جانب الوفد وهو حزب الأغلبية كان ذلك جرحاً منه إلى الفضال من أجل الشعب . وهو مما يثار عنه نيمه الرجعية أو انشغالاً كما يريد . - خصوصاً ، ورائياً أن السياسة الحزبية لم تجرعه إلى الدفاع عن قضية باطلة ، فهو انخرط في سلك السياسة لهدف واحد وهو خدمة القضية الوطنية وكانت مبادئه انفراداً كما رسمها سعد زغلول على الجهاد المتلئ للدفاع عن هذه القضية . - وحين تعارضت هذه السياسة مع حرية الفكر هب مفاهضاً لاعداد حرية الفكر . .

أخذ العقاد لتجانب تنجيدى فن . وعدا يجعلنا نرى ان قول الأستاذ نيسارز آدمز حين غرّب إلى نسوايب ودجواه ، ان اهم عامل في تكيف الحش الادبية اعتماد من الأدب الإنجليزي ، وأنه من الكتاب المصريين الذين يعتقدون ان الشرق يستطيع الاخذ من ذخائر العلوم الغربية دون ان يتخلى عن الطابع الاسلامى العربى الذى يطبع هديته الشرق وثقافته (١) .

وحيثما دافع العقاد عن كتابه في الشعر الجاهلي ، نطه حسين كان يعتقد ان عزيمة الفكر في هذه الازمة هي عزيمة مفكرة سيقيتها لفتيات اصحاب احكام على رجال الامام ، ولكن من جهة اخرى لم يكن العقاد يعتقد في سلامة النظرية ذاتها . وقال العقاد في رخط من صحبه عم الأستاذ على ادهم والاستاذ عبد الرحمن صدقي وارجوم عبد القادر المازني وغيرهم اننا اذا اتبعنا خطا الدكتور طه حسين على نحو ما يفعل خيال الشعراء الجاهليين نشككنا في وجوده هو شخصياً . فالبعض يقول انه ازهرى وآخرون يقولون انه درس بالسريرين والبعض يقول انه صعيدى وآخرون يقولون انه متزوج من سيده فرنسية والبعض يقول انه صعيدى وآخرون انه رزق بولد اسمه كلود وبابنه ذات اسم فرنسي ، والبعض يقول انه ضير وهو يقول في كتاباته عن المؤلفات والمراجع والمراجعات : قرأت وشهدت . . من هذه الروايات المختلفة الى حد التناقض يمكن القول بأنه غير موجود .

والتقط هذه الفكرة الرجوم المازني وصاغها في مقال طويل هجومياً على نظرية الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي بجريدة البلاغ (٢) .

ويرجع رأي العقاد الى أن نظرية الدكتور طه حسين ترتكز الى مواقف بعض المستشرقين ، ولم يكن العقاد معترفاً بأحقية المستشرقين بالحكم على آدابنا

(١) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد قريظة عمالين ص ٣٤٢ .

(٢) عبد الفتاح الجيدى : عبقرية العقاد ص ٥٥ .

مننا نحن أنفسنا . وكان يقول لو أن المستشرق كان قادراً على النقد والفهم للأدب لاستغل بأدب بلاده ولا بدى قدرته على التدقيق في معالجة الانتساج الأدبي في لغته الأصلية . وكان يرى أن بعض المستشرقين فضلاً، حنفاً في تقديمهم للمناهج العلمية والنظرات الخاصة بأسلوب البحث التي جمهور المثقفين العرب . ولكنه كان يمس عند غيرهم غير تليل من: نزعته في زعزعة العقائد ونشويه الحقائق التاريخية العربية المتصلة بالتراث ورجاله (١) .

ويقول العقاد (٢) :

« وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخاطئين في أمر اللغة العربية قبل الإسلام وعلاقتها بلغة التران أن الكريم انهم يحسبون ان علماء المسلمين يلتون في بحث تلك الابيات وصبا واصبا لينكروا نسبتها الى الجاهلية ولا يلهمهم الذوق الأدبي ان نظرية واحدة كافية لليفين بادحاض نسبتها الى امرى القيس او غيره من شعراء الجاهلية .

« وهذه النظرة الكافية هي التي تعيب الناقدتين المستشرقين وهي أصل وثيق من أصول النقد يعول عليه الناظر في الأدب كل التعويل ولا يتسرح فيه أن يتسع للجدل وأن يجوز عليه لخطا في التليل دون الكثير .

« كذلك يتسع سبيل الجدل في انكار خبرة الخبير بكتابة الخطوط . وكذلك يجوز الخطأ في محاكاة كلمة او بضع كلمات ولا يجوز في السطور والصفحات .

« أما المستحيل أو شبيه المستحيل ، فهو تزوير ادب كامل ينسب الى الجاهلية ويصطنع في جملته بالصيغة التي تشمله على تباين الفاعلين والشعراء . ناذاً جمعنا الشعر المنسوب الى الجاهلية كله في ديوان واحد فمن المستحيل ، أو شبه المستحيل أن نجمع ديواناً يماثله من كلام العباسيين او كلام الأمويين المتأخرين . وإذا تل الفارق بين الشعر المخضرم والشعر الأموي الأول والشعر الجاهلي فتلك آية على صحة العلامات التي تميز الشعر الجاهلي وعلى صحة القرابة بينه وبين الشعر الذي لم يفترق عنه افتراقاً بعيداً بزمانه وثقافة قائله وبيناتهم في العيشة ومناسبات التعبير . فلا يتشابه الشعر الجاهلي والشعر المخضرم أن لم يكن بينهما ميزان مشترك مع انتمائه الى عثرات الشعراء الجاهليين والمخضرمين .

(١) عبد الفتاح الليدى : المرجع السابق ص ٥٦ .

(٢) مطلع النور ص ٧٢ - ٧٤ .

« إن الملاحج للشخصية التي تميز بين الفرزدق والإخطل وجريير لم يكن لها ثبوت واضح وأقوى من ثبوت الذواق. لنتي تميز بين «هرى» للقيس وعمرو بن كلثوم وزهير . فمن يرى أن خلق دواوين الفرزدق و الإخطل وجريير في وسع رابوية ولحد نغد سهل عليه أن ينسب شعر الجاعليين جميعا إلى رابوية أو رواة . ولكنه يذهب في الحالين مذهباً لا سند له ولا سابقة من مثله في آداب الأمم ولا نصيب له من الذوق الأدبي غير اللغو والاستغراب » .

ولا يعني هذا أن المقاد لا يقدر « ديكارث » الذي اخذ الدكتور طه حسين عنه نظرية الشك ، فهو عند اعتقاده بأن على الشرق أن يأخذ من ذخائر العلوم الغربية . . . يقول المقاد في مقال بعنوان ( ريبتيه ديكارث ) ( ١ ) :

« وكذلك أدخل ديكارث فكرة الشك فلم يأت بشئ، رافع ولا شئ، جديد، ولكن كم قد ترتب على هذه الفكرة من تنديير حق لفكر الإنساني بعد أن كان مسلوب الحقوق ؟ وكم قد ترتب على الاعتراف بحقوق الفكر من التعير الحاسم في النظر إلى طبائع الانسبا » .

« إن ديكارث كان يبحث عن حقيقة واحدة موثوق بها تم يتكفل اذا وجدها بمرض جميع الحقائق عليها والخروج بها من ظلمات الشك التي تحيط بها إلى ساحة النور .

وقد اعتقد أنه وجد تلك الفكرة حين قال : « أنا أفكر فأنا إذن موجود » واثبت وجود فكره أولا بهذه البديهية المسلمة في نظره .

« فان كان قد أصاب أو كان قد أخطأ فليس المهم عنسأ صوابه أو خطأه . وإنما المهم انه أعلن حق الفكر في زمن كانت جميع الحقوق الفكرية فيه مستمدة من التقليد الاعمى والتقييد بكل حرف من حروف الأقدمين .

« وسيفي الاعتراف المعتل بحق الشك أكبر دليل على الإيمان بمعتل الإنسبا على تعدد صور الإيمان . ماذا قلت « شك حتى توثق » أو قلت : « جرب حتى تثبت » أو قلت : « أبحث تعرف » فأنت على وفاق مع ديكارث على مبدأ واحد متعدد الأساليب . ولهذا كان أيضا ممهد الطريق إلى اساطين العلم التجريبي ومناطق الحس والاختبار » .

وحين رأى المقاد ان يأخذ العرب من ذخائر العلوم الغربية ، لم تشغله هذه العلوم عن القنومات الحقيقية الأصيلة في حضارة العرب وفنسونهم

(١) مجلة الكتاب : أبريل ١٩٥٠ .

وفلسفاتهم . وس كان قد ستمتد كثير من ملزمه البولسات لغريبية  
وتراثتها . واستفاد من الفلاسفة والسعراء والادباء والعلماء الفهق عمن  
وخص لاهور على نحو تحليلي ينفذ الى قرارات المبادئ الاولى ويخترق  
حجم الصفات الاعليمية والعمادات البيئية . ولكنه لم يقتصد في كتاباته  
« الحماسة لاصالة العرب وحمكتهم ونمل ذلك ما حدا بالاستاذ تشارلز ادمز  
ان يقول قولته الصحيحة في المقاد ، وان كنا غدا رايضا ان الاستاذ « جب »  
قد خلفه التوفيق في زعمه ان المقاد اقرب الى المحافظين .

وفي هذه المرحلة من حياة المقاد ( ١٩١٦ - ١٩٢٥ ) حاض للمقاد  
مركزه الادبية تكبيرة ضد احمد شوقي . وتكتسب هذه امره الادبية  
وجها اجتماعيا اذا علمنا ان شوقي كان يمثل التقليد ايان الحروب الاولى  
وبحدها وظل يمثل ارباب انجاه والقصور ويستعين بانبل في القضاء على  
خصومه ومخالفيه ويملا الصحف شعرا بانسج والثناء على شعر . ويذكر  
المقاد تلك الاكتابات التي احاطت شعر شوقي منذ البدايه بهالات الثناء  
والتمجيد على صفحات الازيد والسراء والظاهر . على انها من العوامل التي  
ضاعت « غروره » . لذلك كان شوقي في عرف المقاد شبه بملحق ادبي  
بلاط امير عصر السابق . ولا يستثنى المقاد من صحف اوائل العشرينات  
سوى « مصباح الشرق » التي كتب فيها المويلحي بضع مقالات لا تسبح مع  
التيار . ولكن سرعان ما انتفض شعر هذه المسئلة « وعذا ادعى الى الريبة »  
كما يقول المقاد .

عذا هو الخصم اذن واجهه المقاد - شاعر للقصر . فهاخر بلقبه  
« شاعر المزيه وما ، بالثليل ذا القلب » تادر بحكم اتصانه بسلطة العليا  
على ان يستفيد من تسخير الدعاية الصحفية لولاه . فيخرج منها بنصيب  
لنفسه حين تنشر مدائحه الرسمية . بالثناء على شعره . والتمجيد لصاحبه  
والذي من غيره . عنادين بتفضيله حتى على شاعر العربية « المتنبى » الذي  
تقبل في وصنه انه « ملا دنيا وشمل الناس » والذي كتب عنه قبل ذلك  
فيلسوف العربية الشاعر « ابو الملاء المرى » كتابا سماه « معجزة احمد »  
والذي كان في القرن العاشر يقول حين يمدح مهنسا كافور الاخشيدي الجالس  
وتتذك على عرش مصر :

وانا منك لا يهنى، عضو

بالمسرات سائر الأعضاء

على حين جاء مزاحمه شاعر القرن العشرين ليقول للخديوي :

فاسمغ لعبدك . وابن عبدك . مطلقاً  
مصابراً بئ في العواقب صديقه (١)

أنا ذو بصرى ندى - عبيد - النساء يؤدوم سسائله في عمام برب  
لشعر واذا بالعقباد يمس حرباً عوباً على نطق الشيمرى ندى يعقله  
دموى - نسد فغ سرى عديه ن دمديد والاسمائه بـ نديب وديب \*

رييض ن نجله اسباب حرب العقباد على شعر سرى في \*

اولاً : ان العقباد يؤمن بتأثير الشخصية الانسانية في الشخصية  
عقدية ايماً عهياً \* وشخصية نوتى كساعر لفصر ومرتبذ بالطيفه انعي  
كما سبق القول ، قد اسهبت ن انساد بناره ورفقه . فاصبح نوتى يصح  
ويهجو ويرثى وما الى ذلك من اعداف الشعر اللوروة \*

ثانياً : ان العقباد بوصفه منتقياً الى الطيفه الثورية الناشئة يحمل  
عداء اجتماعياً وضحا ومبايسر . شخصيه انشاعر الاجتماعيه . في بسنوى  
نفكرى والنومى الوطنى \*

وحزم العقباد الامر نذاً به يتدم فضولا في التقذ لشعر نوتى تم تعرفها  
لغه عربيه من ذبل . ويخذب نوتى مصيده رنا ، في زعيم وضى يدين  
له الشعب المصرى بالكثير من آيات النضال الثورى \* وهنا يتناول العقباد  
هذه القصيدة بالتمسك لاعتقاده ان لشاعر المكى لا يمكن ان تضابق  
وشعره حماسييس احريين ازا : نسد احد زعمانهم الرضيين . محاولاً ن  
نقده نلمس مدى الصق الذى تنطوى عليه القصيدة في بكاء ، نزعيم  
الوطنى محمد فريد \* وقد لفتت العقباد الى اجانب الفنى في القصيدة  
على اعتبار ان المعايير الفنية ادبييه نسدف لف مدى اسحق ندى يعرض  
في رجدن نساير ، بو الزيف ندى يغف كلماه ، ومد نساول العقباد نصيده  
نوتى في رثار مصطفى كامل من قبل النى مظهرها :

الشرقان عليك ينتحجان فاصيهما في ماتم والدىنى

وامام عليها نفس الحاييس الفنية التى تكسب زيف الشاعر ، وابن  
تفلك اجزائها بجوت يتسنى ان يشا . ان يضع ابياتها على اى وضع نسم  
يعيد ترتيبها على وضع آخر لافتقارها الى الوحدة التى لا توام للقصيدة  
بغيرها \* ويتول في ذلك :

(١) عبد الرحمن صدى : مثال بجملة الهلال - مارس ١٩٦٦ \*

« ان القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تاماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصور بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه . »

ويثير العقاد في قصيدة شوقي عن محمد فريد تضيئة الشعر وبغية الشاعر ، هل يمكن على سبيل المثال ان يستعير الشاعر تعبيرات الشحاذين الاستجدائيين في صياغة معاني الموت لنى يمكن استنهاها من هذه التعديرات ببساطة ويسر . اى لنا نستمع الى الشحاذ يتوكا على عكازه محتتماً في نغم حزين : « دنيا غرور ، كله غان ، من قدم شيء التقاه ، يا ما دست جديرة تحت الذراب ، لى عنده باقى » لى آخر هذه القائسة من الدعاءات في استرحامها للثوب الناس عن طريق تذكيرهم بالآخرة . ماذا جاء وصاغ نفس هذه العبارات شعراً ، ماذا يمكن ان نلاحظ ؟

والعقاد يثور على « أسلوب » شوقي في استخدام لغة الشاعر لان شوقي اكتفى بتحويل الحكمة لشعبية المتداولة برنينها العذب بالالف الى بناء فصيح مؤسس على الهندسة الكسبيكية للشعر العربي ، فلا هو يعطى الكلمات المألوفة معنى غير مألوف ، ولا هو يجزل في المعطاء فيسخر عنى الحكمة القديمة ببناء حديث . وإنما نراه قد استدرج اللفظ من مخبئه الشعبي الدائق الى قصر من الرخام البارد يزمو برصف الكلمات على نحو عروض موزون غير مختل ، وقافية وقورة غير لمبوب . واذا قرانا لشوقي في رثاء محمد فريد :

كل حسى على النيسة غاد  
تتوالى الركاب والموت حساد  
ذهب الاولون تـسـرنا فـقـسـرنا  
لم يدم حاضر ولم يبق بـسـاد  
هل ترى منهم وتسمع عنهم  
غير باقى ماآثر وايدى

أحسنا على الفور أن العقاد لم يكن يهزل في تفضيل ادعية الشحاذين على هذا «النظم» الخالى من حرارة الخلق المعوى والابداع الذاتى . ثم تكاد نوقن بأن لحدى أدوات « الصدق » الفنى الانسانية قد غابت عن صياغة شوقي لهذه الابيات تلك هى توظيف الصورة الشعبية المألوفة في لحتواء مضمون جديد ، ينتقل بالحكمة العامة التى يمكن أن تقال في رثاء اى انسان الى العمرة الخاصة بانسان محدد . لهذا أيضاً يتوقف العقاد

كثيرا عند الأبيات التي تصف موقع القبر أو استخدام الامثال الدارجة في مشام الوعظ والارشاد لكي يقرر بعدئذ أن شوقي يهتم أئس دالاهتمام بالمعرض دون الماعية ، بالمظهر دون الجوهر . . . ومن هنا تنتفت القصيدة الى مشورلات متفرقة لا يجمع بينها سوى الحبر الواحد والثقافية الموحدة(١) .

وعكذا لم يستطيع الشعر المحافظ أن يتلاقى مع الفكر التحديدي للمقاد ، الذي ارتبط بتقدم الفكرة السياسية عنده في ذلك الوقت ، كلاهما دفعه لأن يمجده محمد فريد ويفضله على مصطنى كامل (٢) . بل ويضعه في مصاف شهباء الانسانية في العالم كله ، كما جاء في مقاله بمجلة « المصور » .

ومن هنا تبنى العقاد أكثر الاتجاهات الثورية نضجا في النقد الاوربي الحديث كمدخل الدراسة لكثير لاتجاهات الكلاسيكية نضجا في الشعر المصري الحديث ، وهكذا شارك العقاد في وضع الاساس في بناء عصر النهضة الادبية في تاريخ مصر الحديث .

ويصدر العقاد كتاب « الديوان » بالاشتراك مع ابراهيم عبد القادر المازنى في سنة ١٩٢١ وكان العقاد آنذاك محررا بالامرام ، وطبعته مكتبة السعادة باول شارع درب الجماهير وجعل عنوانه « كتاب في النقد والادب يتم في عشرة اجزاء » بيد أنه لم يصدر منه سوى جزآن .

وكان شوقي هدف العقاد والمنطوطى هدف المازنى ، وقد جاء في مقدمة الديوان ، التي نرجح ان كاتبها هو العقاد :

« ان كان للسكوت عن الخوض في احاديث الادب دارغ فقد زال ذلك الداعى اليوم ، وقد تجددت دواخ للكتابة في اصوله وفنونه اخصها الامل في تقدمه لالتفات الاذهان الى شتى الموضوعات ، ومتنوع المباحث ، والحذر عليه من الانتكاس لاجترا الادعاء والفضوليين عليه وتسلل القلام المغفورة ، والمأرب المنتحية الى حظيرته . وكتابنا هذا مقصود به مجاراة ذلك الامل ، وتوتى تلك الملل ، وهو كتاب يتم في عشرة اجزاء ، موضعه ادب عامة ووجهته الابانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة ، وقد سمع الناس كثيرا عن هذا المذهب في بضع السنوات الاخيرة ، ورأوا بعض آثار موهبات الأذهان الفنية المتهدية لفهمه ، والتسليم بالسيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضى وكتابه ومن سبقتهم من القلدين ، فنحن بهذا الكتاب في اجزائه المشرة وبما يليهم من الكتب نتم عملا مبدوا ، ونرجو ان نكون فيه موفين الى الافادة مسحين الى الغاية . »

(١) مجلة الطلبة ، انظر الملف الخاص بالعقاد .

(٢) راجع التذييل بالديوان .

« وأوجز ما نصف به عملنا - أن افلحنا فيه - أنه اقامه حد بين عهدين ، لم يسبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما . واقرب ما نميز به مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي : إنساني لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان خالصاً من تقليد الصناعة المشوَّعة ، ولأنه من ناحية أخرى تمرة لنجاح الفرائح الإنسانية عامة أو مظهر الوجدان المشترك بين النفوس فأطيلة ومصري لأن دعائه مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية . وعربي . لأن لغته لعربية . فهو بهذه المناسبة ، تم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت ، إذ لم يكن أدبنا الأوروبي في اعم مظاهره إلا عربياً بحناً ، يدير بصره إلى عصر الجاهلية . »

وتعد ماضي التاريخ بسرعة لا تتبدل ، ونحى إن تحطم كل عقيدة أصناما عادت قبلها . وربما كان نقد ما ليس صحيحاً واجب وأبهر من وضع قسطاس الصحيح وتعريفه في جميع حالاته لهذا اخترنا أن ننته تم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادئ الحديثة ، ووقفنا الإجزاء الأولى على هذا الغرض . وسنردفها بنماذج للأدب الراجع من كل لغة . وقواعد تكون كالسيار والميزان لاتدارما . فان أصبنا الهدف والا فلا أسف ، وحسبنا بهذه المقدمة الوجيزة بياناً . »

وعد عرض العقاد للديوان بعد خمس سنوات من صدوره في البلاغ الأسبوعي (١) حيث قال :

« .. منذ بضع سنوات نشر كتاب « الديوان » فذاع ذبوعاً لم يسبق له مثيل في مصر ونفذت طبعه الجزء الأول منه في أقل من أسبوعين . وشارت حوله شائره الناقدتين الدسوسيين عليه . والذين يفتنهم وقر نفوسهم عن الأبخار والأغراء فخليل اليهم أنهم طامسو أشره ومخفو صوته وعادلون بالقراء عن الأصفاء اليه والانتناع بحفه . ويتقيساً نحن نلمس آثاره في اقوال الحديثين ومقالات الكائنيين وتعليق المعجبين على ما ينشر من الشعر ويروي من الأدب القديم والحديث ، الى أن جاء يوم الاحتفال الذي دبره شوقي لتكريمه . وسئل الأدياء رأيهم في شعره فكان فريق الناقدتين أرجح من فريق المقرظين فعرفنا الآراء التي بدسطنها في كتاب الديوان وهي تتخلل مقالاتهم وملاحظاتهم . »

« وكان أناس يوائفوننا في مجمل الرأي ويظليون البنا أن نتخذ النقد لهجة غير التي اتخذناها لنندفع مظنة التحامل على شوقي والنظر الي شخصه فكنا نقول لهم أن مثل شوقي وإجابته هي التي ينصبها لترويج امره والكيد لميره لا تستحق هنا غير تلك اللفجة .. » .

(١) لبلاغ الأسبوعي . يوم ٢٤ من يونيو ١٩٢٧ .

## الفصل الثاني

### اتجاهات جديدة

توالى تعطيل البلاغ بعد صدوره في عشرة ايام بنحو عشرة اسماء .  
وعلم العقاد ان عبد القادر حمزة قد اشترى متادير كبيرة من لورق في الوقت  
الذي اطلقت فيه كل صحيفة اصدرها ، وكان ذلك دليلا على ان البلاغ لابد  
عائد الي الظهور ولن يعلق ، والا ما اشترى صاحبه هذه الكميات الوافرة  
من الورق . وعاد البلاغ الي الصدور بعد احراج العقاد واخراجه منه ، وبقي  
منتظما في صدوره عدة شهور . . واحتجبت - بدلا منه - صحيفة كوكب  
الشرق التي نشر فيها العقاد مقالاته ثلاثا ايام متواليات . وظلت محتجبة  
طوال الوقت الذي انتظم فيه صدور البلاغ .

واستغل العقاد في عدة صحف بعد ذلك فكانت تعلق الواحدة بعد  
الآخري ، منها كوكب الشرق ثم المؤيد الجديد . وهي التي كتب فيها مقالاته  
التي كانت موضع المحاكمة والسجن ، وبعد خروجه من السجن اصدر  
« الضياء » ، وحتى اذا جاء عام ١٩٣١ نجد عبد القادر حمزة يصدر  
البلاغ من جديد بعد ان اصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيلها نهائيا في منتصف  
شهر يونية سنة ١٩٣٠ . وتصدر البلاغ باسم ( البلاغ الجديد ) ونجد  
العقاد لا يشترك في تحريرها من بعد خروجه في سنة ١٩٢٩ .

ولكن العقاد يحرر في جريدة ( مصر ) في عام ١٩٢١ الى ان يصدر  
محمد توفيق دياب جريدة ( الجهاد ) ١٩٣٢ يحرر بها العقاد حتى سنة  
١٩٣٤ . وكانت الجهاد من أقوى الصحف التي واجه بها الوفد حكم  
اسماعيل صدقي وقد لقي صاحبها في سبيل ذلك كثيرا من المنع والاضطهاد  
وتعرض للمحاكمة والسجن . وقد توقفت عن الصدور عام ١٩٣٨ بعد ان  
غرقت في ديون عجز صاحبها عن سدادها .

ثم ما لبثت روز اليوسف اليومية ان صدرت وقدية في عام ١٩٣٥ .  
ولكنها اختلفت بعد ذلك مع الوفد فأصدر قرارا بتقطع الصلة بينها وبينه في  
اواخر العام نفسه . ثم حار بها بعنف بسبب موقفها المماثل من حكومة  
توفيق نسيم التي كان الوفد يهادنها لما وعدت به من اعادة دستور ١٩٢٣ .  
ولما كان متوقعا ان يترتب على ذلك من عودة الوفد الي الحكم .

وفي عام ١٩٣٧ تتوقف روز اليوسف اليومية نهائيا ويعود الي البلاغ  
التي كانت تد تحولت عن الوفد منذ عام ١٩٣٢ .

وقد تميزت هذه الفترة ببعض الأحداث المهمة التي اقرت حياة البلاد .  
وتد تفاعلت بها الصحف وكان لها ازمها مواقف ايجابية واضحة منها بعد  
حكم محمد محمود ، وحكم اسماعيل صدقي عام ١٩٢٠ والغائه دستور  
١٩٢٣ ، واقامة دستور جديد ضيق فيه ما اكتسبته الامة من حقوق في  
الدستور السابق وزادت فيه سلطة القصر ، وما لبث حكم صدقي ان  
انهيار ، وطلب الشعب بعودة دستوره القديم ، ولكن وزارة توفيق نسيم  
تلكات وظل الوفد يؤيدها املا في ان تعيد الدستور للمعى وان تجرى  
الانتخابات ، ولكن المظاهرات التي تعبر عن سخط الراى العام المصرى  
قامت مملنة غضبها ، فقامت مظاهرات الطلبة في نوفمبر ١٩٢٥ واستشهد  
فيها عدد منهم .

وكانت وزارة نسيم الثانية ( ١٩٢٥ ) تلقى التأييد من الملك والانجليز  
ثم من حزب الوفد كما سبق ، وشاع يومئذ وصف الوزارة بهذا اللفظ .  
(تظنرة) « لعبور الوفد الى الحكم ، مع ان بيان الوزارة صريح في انها جاءت  
لاصدار دستور نرضاه الامة » ولم تشر قط الى ان غرضها اعادة دستور  
سنة ١٩٢٣ نفسه . ورابت العقاد هذه الترائن مجتمعة ، وهو الذى قاتل  
بضراوة في سبيل دستور ١٩٢٣ ، واحسن بيان وراء تسويقها نية المخائلة  
فشن على وزارة توفيق نسيم عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ حصلت ضارية في روز  
اليوسف اتضت مضجعا ، كما اتضت مضجع الوفد الذى كان يؤيدها ،  
وحمل العقاد على وزير المعارف في الوزارة النسيمية حملة شديدة حتى قتل  
لله دخل على رئيس الوزارة ذات يوم واستقالته في يده ومقالات العقاد  
في اليد الأخرى .

وطلب مصطفى النحاس من العقاد ان يكف عن عجومه على الوزارة .  
واستدعاه لمقابلته بالاسكندرية ودار بينهما حديث يعتبر فصل الختام  
لجاناب عام من حياة العقاد ، وبدائية انفصال العقاد عن حزب الوفد ، ونمل  
أهمية هذا الحديث تنتضى ذكره ، فبعد ان وصل العقاد الى الاسكندرية  
توجه لمقابلة النحاس ودارت بينهما هذه المناقشة الحادة :

النحاس : لماذا تحمل على الوزارة يا استاذ عقاد ؟

العقاد : لانها انحزنت عن الطريق السوى وهي تماطل في اعادة الدستور  
وتعمل لصالح السراى والانجليز ووزير مزارعها نجيب الهلالي يضطهد  
المواطنين .

النحاس : ولكن الوفد يؤيد هذه الوزارة وعند توليه الحكم يصلح كل  
شئ .

المقاد : انا لا أستطيع أن اغض الطرف عن أعمال الوزارة ، وإن أوقف موقف الإغضاء عن مساويها وهي تتكشف يوما بعد يوم .

النحاس : انا زعيم الأمة أؤيد الوزارة فما عمالك تصنع يا عباس يا عقاد ؟

المقاد : انت زعيم الأمة لأن هؤلاء انتخبوك ( مشيرا الى بضعة اشخاص من أعضاء الوفد ) ولكنى كاتب الشرق بالحق الابي .

النحاس : ان الوزارة باقية ما دام الوفد يؤيدها ويضع ثقته فيها .

المقاد : لن تنتهي برية هذا الفلم الا وقد انتهى اجل هذه الوزارة ( ولخرج تلمبا صغيرا من جيبه ) .

وانصرف المقاد والحاضرون يتشبهون به ويلحقونه حتى يزيبوا ما بينه وبين النحاس ، ولكن المقاد أصر على الانصراف .

ويقول رفيقه في هذه الرحلة الأستاذ طاهر الجبلاوي : « وكانت أول كلمة سمعتها من فيه بعد هذه المقابلة « لسنا مع الوفد بعد اليوم (١) » .

واتصل المقاد بصحيفة روز اليوسف اليومية التي كان يكتب فيها وطلب اليها ان تعد عنوانا مرسوما « الكشييه » ليواصل حملاته ضد الوزارة ، وخرج المقاد على الوفد ، ولم تمض أيام حتى تنكست ثوابا الوزارة النسيجية ، وسحب الوفد ثقته منها ، ودار الزمن وخرج من الوفد من كانوا يلومون المقاد على موقفه منه ، وتبعهم مكرم عبيد (باشها) الذي كان يناور المقاد ويناضله ويقول له « ان من يخرج على الوفد لا بد ان يتحطم » وكان المقاد يجيبه بمقالاته المشهورة تحت عنوان « لسنا عبيدا يا عبيد » .

وكانت هذه أول محنة حقيقية يتعرض لها الوفد عندما بدأت تنسلخ منه عناصر أشد من قياداته اصرارا على الديمقراطية وجنوحا الى التجديد في ذلك الوقت . وفي حالة المقاد كان المثقفون من الشباب يرون رأيه ويتحدون أزره ويتظاهرون من أجله ويرون أن الوفد قد أخذ يفرط في الدستور مكتفيا بمكاسب جزئية وقائما بمسؤول الوعود لأنه تعب من النضال ومن فداحة التضحيات . وقد دخل الوفد من قبل في تاريخه الطويل سوره في أيام

(١) محمد طاهر الجبلاوي : في صحبة المقاد ص ١٠٢ .

سعد زغلول أو في أيام النحاس معارك عديدة رهيبية مع أعداء الديمقراطية وأنصار الحكم الأوتوقراطي ودعاة التفاهم مع الانجليز ، ولكن كل هذه المعارك لم يكن الاجولات عظيمة في ملحمة الكفاح الديمقراطي العظيم ، وكان الوفد في كل مرة يخرج منها منتصرا ومؤكدا سيادة الشعب بعد أن يدفع ضريبة الكفاح الفادحة وينزف نزيفا غزيرا في المال والرجال . ولم تكن هذه أول مرة يتعرض فيها الوفد للتصدع والانشقاق ، ولكن هذا الانشقاق كان يجرى عادة في صفوف قيادته لا في قاعدته الشعبية ، وكان المنشقون منه عادة هم فئة « المتعلمين » في الوطنية « المعتلاء » في محاربة الملكية المطلقة ، أو باختصار دعاة المهادنة من ميمونة الوفد ، فكان الوفد باستمرار يظهر صفوفه منقسم ويحتكم الى الشعب فيخرج من الاحتكام أشد تماسكا وأصلب عودا ، وكان آخر المنشقين من قيادة الوفد هم جماعة السيمعة ونص التي كانت تشكل أكثرية القيادة فلطردت الأقلية الكافحة الأكثرية المهادنة وأحالتها الى حشيم في أربع وعشرين ساعة (١) .

بل لم تكن هذه أول مرة يتعرض فيها الوفد الى انسلاخات من القاعدة ، كما يبين ذلك الدكتور لويس عوض ، على أساس أن ربح الفاشية والنازية التي عيطت على أوربا أدركت منها مصر موجات في أوائل الثلاثينات تحت ضغط الأزمة العالمية فظهرت في مصر شيع من الشباب المتحمس الياض من جدوى الديمقراطية والتصمت الحل الوطني في تشكيلات مصر الفتاة بين المثقفين (٢) وفي تشكيلات عباس حليم بين العمال . ولكن هذه الانسلاخات في قاعدة المثقفين وفي قاعدة العمال كانت انسلاخات الى اليمين لا الى اليسار وكانت تتضمن تفريطا في أحد وجهي فلسفة ثورة ١٩١٩ ، وهو الوجه الديمقراطي في سبيل تحقيق الوجه الآخر ، وهو الوجه الوطني . أما أزمة الوفد التي بدت تباشرها في ١٩٣٥ وبلغت مداها حين وقع الوفد معاهدة ١٩٣٦ فقد كانت أول أزمة حقيقية مر بها الوفد لأنها لم تكشف فقط عن ظهور تصدع في قاعدته الجماهيرية بل كشفت أيضا عن بدايات الانسلاخ منها نحو الوان من اليسار والشعبية بعضها دخل الاطار الديمقراطي وبعضها خارج عنه تماما .

(١) الدكتور لويس عوض : الأهرام - عدد الجمعة يوم ٢٠ مارس ١٩٦٤ .

(٢) أصدرت جماعة مصر الفتاة عدة صحف هي :

الضرخة - الضياء - الفجر - ثم صحيفة تحمل اسم الحزب « مصر الفتاة » .  
وكان المفاد يكتب فيها مع لثيف من كيار السياسة .

وسرعان ما أدرك الوفد ما سبق للمقاد أن أدركه : أدرك أن توفيق نسيم النهادن في أوج الغليان الوطني سنة ١٩١٩ هو عينه توفيق نسيم النهادن في أوج الغليان الديمقراطي سنة ١٩٣٥ فانقض عليه واطن على حكومته الجهاد حتى سقطت واضطر الملك فؤاد صاغرا ان يعيد دستور ١٩٣٣ . وأجريت الانتخابات وتولى الوفد الحكم في جو دولي عاصف تجيمت فيه كل مقدمات الحرب العالمية الثانية . ووقع الوفد معاهدة ١٩٣٦ ووقعت معه المعاهدة كافة الأحزاب ذات الوزن في حياة مصر السياسية بناء على طلب الانجليز . كان واضحا يومئذ أن الانجليز يمهدون للحرب العالمية الثانية بتأمين كافة جيبهاتهم الخارجية وبتبريد كاسه انساطق المتتهبة ، وفي مقدمتها مصر ولو بتقديم بعض التنازلات استعدادا لمواجهة المحور . وبعد أن وقع الوفد معاهدة ١٩٣٦ طرده الملك من الحكم واقام مكانه سلسلة من حكومات الاقلية حتى فرضه الانجليز فرضا انتساء الحرب بانذار ٤ فبراير ١٩٤٢ كجزء من استراتيجيته الحرب لتأمين الجبهة المصرية . التي طوقتها النازية من الخارج ومن الداخل كان واضحا في ١٩٣٦ وفي ١٩٤٢ ان الانجليز كلما تازمت أحوالهم الدولية لم يجدوا مناصا من التعامل مع حزب الأغلبية حتى يتاح لهم أن يخرجوا من مأزقهم (١) .

وأيا كان تقدير الوفد ، فان أزمة الديمقراطية المصرية بمعناها الليبرالي الذي ورثناه عن ثورة ١٩١٩ ممثلا في حزب الوفد تكشفت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ نبيد ١٩٣٦ عمت حياتنا السياسية بليلة عظمى ثم تصدع عظيم في قاعدة الوفد وفي قيادته جميعا . وبعد انسلاخ العقاد انسلخ ماهر والقراشي وابراهيم عبد الهادي انسلخ مكرم عبيد ورجال الكتلة وبعد هؤلاء جميعا انسلخ نجيب الهلالي وعبد الحميد عبد الحق وعديد من « المستقلين » ويقول الدكتور ليس عوض أنهم راوا كل من ينسلخ من قيادة الوفد كان يعاهد الناس عن مبادئه سعد ثم يتعاون تعاوننا كاملا مع فاروق ورجاله (٢) .

وبعد خروج العقاد من الوفد حاربه الوفد محاربة عنيفة ومنع نشر مقالاته في الصحف واضطهد كل صحيفة تنشر مقالاته ولو كانت في الأدب والمعرفة ، وعدد أصحاب المكاتب ومنعها من شراء مؤلفاته ومنها كتابه العظيم عن « سعد زغلول » الذي أصدره في عام ١٩٣٦ .

ولقد كان هذا الكتاب عظيما حقا - لا لأنه كان دعوة وبشرى وعهدا بتجديد الكفاح الديمقراطي الذي كان سعد زغلول عنوانه الاول ، ولكن لأنه

(١) الدكتور لويس عوض : المرجع السابق .

(٢) نفس المرجع .

- كما يقول الدكتور لويس عوض - كان بمثابة الذكريات التي يكتبها العضاء في نهائية حياتهم ليرثوا بها شبابهم الزامرو ويكفوا فيها امجاد الكفاح البطولي من اجل الديمقراطية الليبرالية الذي شارك فيه العضاد بدم المقلب وبوجه الفكر وبصلاية الفولاذ . لقد ادرك العضاد ان هذا المعهد مضي وانقضى وما من رجمة اليه ولو في الاحلام فدون على قبره - ذلك الشهاد العظيم الذي سماه « سعد زغلول : سيرة وتحية » (١) .

ولم يابه العقاد محاربة الوند لله ، فهاجم معاهدة ١٩٣٦ وفند ابوابها في مقالات نشرتها صحيفه « مصر الفتاة » .

ويحدثنا الاستاذ طاهر الجبلاوي ان خصوم الوند دعوا العقاد عقب حملته على الوند الى حفل شعبي في الجزيرة وأعلنوا في الصحف انه سيلقى تصديده سياسية في هذا الحفل فحضره ثلاثون الفا من المستمعين وكانت حفلاتهم لايعتسها احد غير افراد معدودين ، والحق ان الوند دالت دولته بعد انصراف العضاد عنه ، وكشف الستار عما حل به من الضعف والتدهور ولم يتحطم العضاد كما زعم مكرم عبيد ولكن تحطم الوند .

ومما يذكر ان العقاد حين أصدر صحيفه « الضياء » بعد ان اخرجته الوند من الصحف التي كان يحاربه فيها ، لم تملك الحكومة الا ان اشترت اعدادها جملة من متهدي توزيع الصحف لقاء ثمن اقل من ثمنها ، حتى تحول بين الناس وصوته ، ولجات الى غير ذلك من اقامة المرافيل امام قلمه حتى لا يصل الى الناس .

وينشر العقاد في تلك الفترة كتابه « عالم السمود والقيود » مفكرا في جهاده الوطني وما يلي فيه ومما ذاق من مرارة السجن . وصور فيه رحلته في السجن لمدة تسعة أشهر وعرض لبعض وجوه الاصلاح التي يذغغى ان تجرى في للسجون .

## الفصل الثالث

### صحيفة جديدة

اصدر محمد توفيق دياب صحيفة « الجهاد » اليومية في عام ١٩٣١ وذلك بعد عدد من الصحف اغلقتها له السلطات . وهي من الصحف التي واجه بها الوفد عهد اسماعيل صدقي .

ويعد أن خرج المعتاد من السجن في ١١ يناير سنة ١٩٣١ كتب في صحيفة مصر ثم استقر في « الجهاد » منذ صدورها في سبتمبر ١٩٣١ حتى غادرها إلى « روز اليوسف اليومية » عام ١٩٣٥ .

وتميزت هذه الفترة التي كتبت فيها المعتاد في الجهاد ببعض الاحداث المهمة التي كان للمعتاد دور كبير فيها ومواقف ايجابية واضحة ، وهي على الترتيب اجراء الانتخابات وغاز الوفد الساحق فيها ثم تاليف الوزارة برياسة مصطفى النحاس من اول يناير سنة ١٩٣٠ وبدات مفاوضات رسمية بينه وبين مستر هندرسن وزير الخارجية البريطانية في سنة ١٩٣٠ بيد ان هذه المفاوضات بعد أن اوشكت على النجاح اصططعت بالنص الخاص بالسودان . واستقال مصطفى النحاس في ١٧ يونيو من السنة نفسها وعهد القصر إلى اسماعيل صدقي بتأليف الوزارة ، وعندما تولى الحكم عام ١٩٣٠ ألغى دستور ١٩٢٣ وأقام دستوراً جديداً ضيق فيه ما اكتسبته الأمة من حقوق في الدستور السابق وزادت فيه سلطة القصر وألف حزب الشعب ، وقد عاجته الصحف الوفدية بمنتهى العنف وهادنته « السياسة » في أول الأمر ثم اختلف معه حزب الاحرار الدستوريين وتحالف مع الوفد ، ومن ثم اشتركت « السياسة » مع الصحف الوفدية في مهاجمة حكم صدقي .

وأغلب الظن - كما يقول الاستاذ زكي عبد القادر في مذكراته - أن اسماعيل صدقي كان يعرف جيداً حقيقة مهمته ، وأنه جاء ليحكم باسم السراى ، وليس باسم الاحرار الدستوريين . وربما كان الانجليز يريدون شيئاً آخر ، لعلمهم قصداً أن يؤدي الحكم إلى تقوية أصحاب المصالح الحقيقية على نحو ما كانوا يسمونهم حينئذ . لكي تتاح لهم الفرصة لتمتد المعاهدة التي يريدونها ، بحسبانهم أكثر اعتدالاً من الوفد . ولعلمهم حسبوا أن وفاة سعد زغلول ووجود انشقاق او ما يشبهه في صفوف الوفد فرصة

(١) محمد زكي عبد القادر : مجلة الدستور ص ٧١ وما بعدها .

مواتية بلوغ هذا الغرض . ولكن السراى انتهزت الفرصة عى «لاخرى و اردت ان ندمع بحمايه .سماعل صدمى لى مؤيد سلطاتها (١) .

وقد وقف العقاد بعد خروجه من السجن الى جانب الوفد ورئيسه الجديد ، معتقدا نفس الابدائى ، التى دافع عنها حلال زعامه سعد للامه . ومدعما عن الوفد فى مرحته الجديده لاعتماده ان الوفد مازال يسير فى نفس اسط النضالى الذى بداه سعد زعول .

وفى جريدة البلاغ نلمس هذا الموقف بعد انشقاق الثمانيه الذين كان منهم نجيب الغرابلى وفتح لله بركات وعلى الشمسى وذلك فى عام ١٩٣٢ وقد تعرضت جبهه الوفد الى كثير من النقد مما جعل العقاد يدافع عنها بايمانه القديم وحماسه النضالى فيصدر رئيس الوفد ديانا بعد انشقاق الثمانيه على الوفد وهنا نجد العقاد يكتب فى الجهاد تحت عنوان :

#### اصاب الرئيس (٢)

وقد احتل هذا المقال الافتتاحية الجهاد التى اتخذت عنوانا ثابتا لها وهو « حديث الصباح » وكان يكتب هذه الافتتاحية محمد توفيق دياب صاحب الجهاد فى بعض الاحيان ، وكان العقاد يكتب كذلك تحت عنوان ثابت فى الصفحة الخامسة « الموقف الحاضر » ، وكان « المنشت » فى صدر الصفحة الاولى من الجهاد يحمل عنوان المقال الذى يكتبه العقاد مبرزا أهمية .

ويواصل العقاد حملته على المنشقين على الوفد فورد الغرابلى باثما ونجد الجهاد تنشر هذه العناوين :

#### « الغرابلى باشا يتخذ من قانون الطبوعات

وسيلة الى نشر رده على الاستاذ عباس محمود العقاد

#### رد الغرابلى باشا - وتعليق الاستاذ على رده (٣) »

وفى اليوم التالى يكتب العقاد فى الافتتاحية بعنوان :

اصاب الرئيس

وسخف الغرابلى باشا (٢) »

(١) الجهاد : يوم ٢٨ من اكتوبر سنة ١٩٣٢ ( العدد ٤٠٧ ) .

(٢) الجهاد : يوم ٢٩ من اكتوبر ١٩٣٢ العدد ٤٠٨ .

(٣) الجهاد : يوم ٣٠ من اكتوبر ١٩٣٢ العدد ٤٠٨ .

ثم بصور تأييد الامة لوقف الوفد في مقاله الافتتاحي الذي جعل  
عنوانه :

« الوزارة تتظاهر حول بيت الامة (١) »

وهكذا وقف العقاد من الوفد بعد الازمة التي تعرض لها نفس موقفه  
القديم مدافعا عنه ، وحاملا هراوة التأديب لكل من يخرج عليه ، او بمعنى  
ادق لكل من يخرج على المبادئ التي وضعتها الامة له بزعامه سعد زغلول .

ولم ينس العقاد موقف حكومة صدقي منه ودخوله السجن لدفاعه  
عن الدستور ولم ينه عن مواصلة حملته على الحكومة الدكتاتورية التي  
فرضت نفسها على الشعب وكذمت انفسه ، فبين علاقة صدقي بالانجليز  
ويتبرح حقيقة هذه العلانية في افتتاحية الجهاد التي احتلت نصف الصفحة  
الاولى :

« المراوغة مع الاصحاء »

تكيف بالخصوص ؟ (٢)

« صدقي باشا لا يأمن الانجليز ولا يتفاهم معهم على نية صريحة في  
امر الحاضر ، ومستقبله ، ولا يدري ما هم صانعون به حين تريب او بعيد .  
هذه حقيقة لا ريب فيها عن العلاقة القائمة بين صدقي باشا  
والانجليز ، يشعر بها صدقي باشا قبل غيره ، لأنها تؤله وتخييب رجاءه ،  
ففيها من تسوة الحضور في الذعن والثول أمام النظر ، في كل شيء يؤلم  
وتخييب الرجاء . »

صدقي باشا على ريب شديد من الانجليز ، وصدقي باشا مع هذا  
قد كان أولى الناس ان يأمنهم ويستريح اليهم لو كان للمستعمرين امان ،  
وكيف وهو وزير مصرى ائاد الانجليز من المال والمآرب والسياسة ، فسوق  
ما افادهم وزير ممن وزرائهم المدودين ؟ فلا مكدونالد ولا سنواين ولا بلدوين  
ولا أحد من زملائهم يستطيع ان يزعم لنفسه او لقومه أنه اضاف الى  
ثروتهم ومصالحهم بسياسته المباشرة مثل ما اضافه الى تلك الثروة وزيرنا  
المصرى الخطير الى ما تحت قدميه فلا يحس الأرض ثابتة مكيئة تحت  
قدميه ، وينشد أمنيته الكبرى عند السياسة فلا يصيب عندها جوبا غير  
المراوغة والتسويق .

(١) الجهاد : يوم أول نوفمبر ١٩٣٢ للعدد ٤١١ .

(٢) الجهاد : يوم ٢ من نوفمبر ١٩٣٢ .

ثمانية وعشرون شهرا في انتظار المعادة ولا معاهدة ولا مفاوضة ، بل لا زيادة للمعاهدة البريطانية يشيع عنها الانتصار عنا ما يتشيعون ، بل لا مفاله سياسيه بين الوزير المصرى ورجل من رجال الانجليز المسئولين ولو في ناحيه من نواحي المعارة الاوربيه ، وكل ما ظفر به صاحبنا بعد المحاولة والاتلاف ان يجلس مع وزير الخارجيه البريطانيه جلسه خاصه في جنيف كم ايجتمع اى رجلين في نهوة من القهوات ، ثم اسفرت هذه الجلسة القهوية عن نشاء الوزير البريطاني على سياسه صدقني باتسا المائليه كما قال صاحبنا في خطابه الاخير ، وعاد صاحبنا فظن انه قد ظفر بشئ كبير ، أو ان هناك انسانا في مصر لا يستطيع ، ان يذهب اليوم الى جنيف فيلقى فيها وزيرا بريطانيا يسمع منه مثل هذا الكلام في معرض المجاملة وازجاء الفسراغ .

د لا . بل يحق لنا أن نقول ان نشاء الوزير البريطاني على سياسة صدقني باتسا المائليه انما هي من ضرب التناقض والاستزاده وليست ضربا من التحية والمجاملة وازجاء الفسراغ .

اذ اى وزير بريطاني لا يثنى على السياسه التي تكسيهم جبل الاولياء ، وصفقات الغاولات والتوريدات ، ومكاسب الافراد والشركات ، وريح الملايين من قناطر القطن التي تباغ في ابان المواسم ، وريح زيوت الوقود التي يخسر المصرى بضعة قروش في كل صفيحة منها فرق ما بين الواردات البريطانيه والواردات الروسيه وريح الفرق بين عملة الورق والذهب ، وريح الفوائد التي نقصت واحدا ونصفا في المائيه على الاستاذ الانجليزيه ، وريح ما وراء ذلك من المنافع التي لا تدخل في حساب ولا يجهلها الوزراء البريطانيون .

اى رجل من رجال انجلترا المسئولين لا يثنى على سياسة مالية تفيدهم كل هذه الفوائد وتجلب لهم كل هذه الأموال ، ان من الخيانه العظمى ان لا يثنى السيرجون سيمون على مثل هذه السياسه او يستزيدها جهدا الطاقه وما كان لصاحب الدوله ان ينتظر الخيانه العظمى من السيرجون سيمون .

فاذا كان هذا قيمة ما خرج به صاحب الدوله من نشاء الجلسة القهوية في جنيف فقد خرج بغير طائل ، بل خرج مدينا لجليسه الأريب ، مطالبيا بالمزيد ومضاعفة الجهود !!

ثم كان التصريح الاخير في البرلمان الانجليزي فماذا جنى منه صاحب الدوله او ماذا يجنى منه بعد الآن ؟

لا شيء ، أو أقل من لا شيء

فهلفاوضوه ؟ لا .. لم يفاوضوه !

هل وعده المفاوضات في وقت معلوم أو في موعد يسهل تقديره والاتفاق عليه ؟

« لا .. لم يعدوه ولم يقولوا إلا أن المفاوضات غير مستحيلة في الوقت المناسب ثم لم تخلص نيبتهم حتى بهذا الوعد الهزيل الضئيل فسرعان ما نطقوا به حتى أوعزوا إلى صحفيهم أن تفسده وتمزجه بالمنغصات والمقبات، فقالت المورثينج بوست : « إن المناقذ النزيه يسرى أن على تصريح وزارة الخارجية صيغة البيانات الرسمية لخلوه مما يتقيد تأمله ، فهو لا يشير إلى التحفظات والضمانات التي يمكن أن تطلبها الحكومة البريطانية قبل الشروع للجدى في المفاوضات »

أرأيت يا دولة الياشا ؟

انك إذن غير موعود بشيء، وإن السكوت كان خيرا لك على الأقل من ذلك التصريح الهزيل الضئيل .

أعرفت الآن يا دولة الياشا « شغل الحواة » البارعين أنذى يتقنه كل الاتقان جون بول صديقتك الحميم .

– أتريد المفاوضات هكذا يا صديقي ؟

أحريص أنت كل هذا الحرص على المفاوضات يا نور عيني ؟

إذن خذ : مالك المفاوضات برمتها .. افتح يدك .. اطلبها جيدا لكيلا تفر منها المفاوضات .. المفاوضات في يدك الآن فاسرح يا صديقي .. افرح يا نور عيني .. وارقد وانت مستريح ..

« وهكذا قال لك جون بول يا صاحب الدولة وهو صديقتك الحميم فافتح يدك فماذا ترى فيها الآن ؟؟

يا للمجب .. لا شيء .. لا شيء على الإطلاق .. لا مفاوضة ولا وعد بالمفاوضة ولا إمكان المفاوضات متروكا بغير تحفظات ولا منغصات ولا مقبات!! وكذلك فليكن شغل الحواة البارعين ..

\* \* \*

« ولقد فرح صاحب الدولة وأنصاره لأن وكيل الخارجية قال في البرلمان الانجليزي ما معناه أنهم لا يمترضون على الوزارة الصديقية في شؤون العلاقات

بينها وبين الحكومة البريطانية . فرح صاحب الدولة وفرح انتصاره بتلك الكلمة التي « لا طلعت ولا نزلت » فهدت الى قلوبنا الغيرة الشديدة من حسن الحظ الذي يلتها جون بول وسوء الحظ الذي نلتها . نحن عند هؤلاء الوزراء القانعين الطيبين .

« ماتحن أولاً ، نقول لهم ان الانجليز يطمقون عليهم ويرضون عنهم ولا نكتفى بانهم يحتملونهم ولا يعترضون على سياستهم في الشؤون التي بينهم ، ها نحن اولاً نقول لهم اليوم ان « الحياد البريطاني » ان هو الاحياد مزيف وان الوزراء يطمعون في مصر كل ما يريده الانجليز الحايدون . فاذا كانوا يطربون ويرتعون للكلمة الصغيرة التي قالها الوكيل البريطاني فلماذا نجد عليهم باضعاف اضعافها فلا يظروين ولا يرتضون !

« اطربوا وارقصوا يا معشر الوزراء القانعين الطيبين . تم انتحوا ايديكم آخر لامر ناتها على كل حال تخرج بيضاء . . . ولكن لا تقول بيضاء من غير سوء ، والحمد لله .

عباس محمود العقاد

وكانت حكومة العمال البريطانية قد اختارت سير برسي لورين مندوبا ساميا لها في مصر خلفا للورد جورج للويد . بعد ان عزلت هذا الاخير في ربيع عام ١٩٢٩ . وكان السير برسي لورين من رجال السلك السياسي البريطاني ، واعتقد السياسيون في مصر انه كان يطمح في ان تتزوج مفاوضات النحاس - مندريس بالنجاح ، فيحسب ذلك انتصارا له . فلما فشلت هذه المفاوضات وتولى صحفي باشا الوزارة واحل مستورا مكان دستور . بقي سير برسي متظاهرا بالابتناع عن تحت مسؤوليتها (١) . ويذكر الدكتور هيكل في مذكراته السياسية ان سير برسي لورين ذكر لعلى باشا يكن ان الحكومة البريطانية مستعدة ، اذا تالفت وزارة قومية في مصر برئاسة رجل كعلى باشا ، ان تمقد مع مصر المعاهدة التي انتهت اليها مفاوضات سنة ١٩٣٠ ، وان تشير باعادة دستور الامة اليها (٢) .

وفي الواقع لقد كان الانجليز ينظرون الى عدلى يكن على انه رجل « معتدل » ولذلك خصوه برئاسة حكومة قومية يضمون ان تكون « معتدلة » في مفهومهم ورحب الاحرار الدستوريون الذين حظوا لدى الانجليز بنعت « المعتدلين » بقبول فكرة الوزارة القومية وحثتهم في ذلك انهم ظنوا ان

(١) هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ٣٢٧ .  
(٢) نفس المرجع ص ٣٢٨ .

عرضها قد لا يعيد ان يكون مناورة ، أريد بها احباط نشاطهم في متواصلة  
صدقتي باشا ودستوره ، فان هي كانت مداورة ولمية سياسية واعلم  
الدستوريين والوفديين جميعا قبولها على اساس اعادة دستور الامة وعقد  
المعاودة ، اسرع انكتشاف المداورة وان هي كانت حقيقة كسبت مصر من  
ورلنها لكبر غم (١) .

وناقش الوفد الفكرة ، وانقسم في امرها ، وكان النحاس يرفضها كل  
الرفض يؤيده في موقفه محرم عبيد بينما ايدها واصف غالي وعلى الشمسي  
ونجيب الغرايلي . وكان النقاش حول هذه الفكرة سببا في فصل ثمانية  
من أعضاء الوفد . وهكذا انقسمت الكتلة المعارضة لصدقي شطرين وكان  
التفصل للبراعة السياسية التي ابداهما سير برسي والتي ادت الى هذه النتيجة .  
وهكذا استطاعت السياسة الانجليزية في مصر ان تزيد من مؤيديها  
وان تفتت من جبهة المقاومة .

ويقف العقاد ازاء هذه الاحداث مفسرا واعيا مدركا لخفايا السياسة  
الانجليزية واعادتها من تفهيت الجبهة الوطنية المناضلة ويكتب تحت عنوان:

#### « التطرف والاعتدال » (٢)

#### حيلة قديمة مفي آوانها

#### ماذا وراء السير برسي لورين ؟!

« لما ظهر الخلاف الاخير في الوفد المصري كتبت فيه الصحف  
الاستعمارية والصحف الوزارية وأسرعتم ان تذكر التطرف والاعتدال على  
عادتها في مثل هذه المسائل ، وهي بطبيعة الحال تنصر المعتدلين وتخدل  
المتطرفين ان كان لها نصر وخذلان غير النصر المعكوس او الخذلان المعكوس .  
ولسنا نتعرض هنا لاصوابها او خطئها فيما ذهبت اليه فذلك شأن لا محل  
للكلام فيه الان ، وانما نستعرض هذه الحيلة الرثة البالية التي لا يقطع  
عنها المستعمرون وأنبياههم مع ما يتبين لهم من خطئها وسوء ما يهيمسا  
في كل يوم . فقد كان الاحتفال باسم التطرف والاعتدال نافعا او مرجو النفع  
يوم كان الزعماء هم كل شيء يدخل في الحساب وكانت الامم تبعا مهملا بين  
زعمائها تتقلب بينهم حيث يتقلبون ، فأما في القضية المصرية حيث لا مكانة  
لزعيم الا بمقدار ما تيوئه الامة من مقام الثقة والولاء فمن السخف ان يعول  
أحد على حيلة التطرف والاعتدال بعدما رثت ابيما رثاثة وابتذلت ايما ابتذال،

(١) المرجع نفسه ص ٢٢٨ .

(٢) الجهاد : يوم ٦ من نوفمبر ١٩٢٢ - العدد ٤١٦ .

فكل من يسميه المستعمرون معتدلاً فمعنى ذلك عند الجميع انه يتقبل ما يراد  
المستعمرون ، وكل من يسمونه منطرفاً فمعنى ذلك عند الجميع انه لا يقبل  
الا ما تريده الامة بغير نقص ولا عوادة . وما دام المرجع الى الامة فالهم ان هو  
تريده الامة بغير نقص ولا عوادة . وما دام المرجع الى الامة فالهم ان هو  
الجانب الذى تكون معه او يكون معها لا الجانب الذى ينعونه عندها وهناك  
بذمت المتطرف او نعت الاعتدال ، وتلك حقيقة واضحة قد ان تفهم وتذكر  
بعد ان طال الابد على افعالها وكان من عواقبها السيئة ما كان في كل بلد  
عالج فيه المستعمرون تقريبا اول تمييزا بين المتطرفين والمعتدلين .

« ان المعتدلين - ونعنى الذين يسميهم المستعمرون بالمعتدلين لم  
يقودوا نطف الامة في العصر الحديث ولن يقودوا امة ابدا ما دام للامم حساب  
في توجيه الامور . وسبب ذلك بسيط لا يحتاج الى انعام طويل ولا لجاج  
كثير سببه ان المعتدلين يحصرون انفسهم في الصالح الوقتية القريبة ولو  
كانت من الصالح العامة القومية ، والامم لا تستوعبها الصالح الوقتية  
القريبة ولا تثبت ان تنفض فيها هذه الصالح بانقضاء وقتها حتى يزول  
ما كان لها من خطر وما كان لدعاتها من نفوذ ، فمن يمشى مع المعتدلين لا  
يمشى معهم الا خطوة واحدة حتى ينقطع بينهما الطريق ، ثم يعود الامر  
الى المتطرفين حين لا تجدى مساومات الاعتدال ولا خطواته الضصار .

« قال مصطفى كمال في مذكراته : « كانوا يقولون للامة من جهة  
ولحكومة الاستانة من جهة اخرى لا تتصرفوا بمصطفى كمال ولا تتقوا به  
لان الحلفاء لم يشتدوا على تركيا الا من جراء فعله ، كانوا يقولون ذلك  
ويؤمنون انه اذا قضى عليه نالت للبلاد عند الدول الاجنبية كل صداقة  
وهوادة » .

قالوا ذلك للترك فهل يدري القارىء من الذين قالوه ؟ انهم هم هم  
الانجليز الذين كانوا يحتلون العاصمة التركية في ذلك الحين .

قالوه للترك كما قالوه للمصريين عن سعد زغول وكما يقولونه الان  
عن مصطفى النحاس .

وقالوه للترك كما قالوه للهند عن غاندى ورجال المؤتمر الوطنى ،  
وكما قالوه للارلنديين عن دى فاليرا .

ثم انتفضت كل تلك الاقويل ونم تسفر الا عن شيء واحد هو الثابت  
المستقر الان وبعد الان . فقد نظر المستعمرون الى معتدليهم الذين اعتمدوا  
عليهم فاذا هم قد ذابوا من تحت ايديهم واذا بتركيا والهند وارلندا ومصر  
ولا زعامة عليها الا لمصطفى كمال وغاندى ودى فاليرا ومصطفى النحاس ؟

ولا يزالون بعد هذا يقولون : المعتدلون والمتطرفون • ويجاولون عندنا أن يستغلوا المصريين حين يزعمون لهم انهم يبغون استقلال مصر ولا يشترطون كذلك الا ان يهدموا مصطفى النحاس !! •

« لقد كانت للمستعمرين عيرة عن الهند أكبر من عبرتهم في مشكلة ايرلندا الاخيرة •• فهذا المؤتمر الوطني الذي يستولي اليوم على قيادة الهند ويقيم القيامة على الانجليز من الذي انشأه ولفقه يوم ظهر ملفقا مرتعا قبل سبع واربعين سنة ؟

« هل انتساء الهنود كما تد يتبادر الى اذهان بعض الناس ؟ كلا • لم ينشئه الهنود وانما انتساء المستعمرون في عهد رجال من كبار اساطينهم المعروفين بيننا وهو اللورد دوغرين ، وظن هذا اللورد أنه خلق الهيئة التي يستولى بها على قيادة الهند ويقضى بها على نزعات التطرف والعداء للدولة البريطانية فما هي الا فترة من الزمن حتى تغلب المتطرفون على المؤتمر أمامهم فاشفق المعتدلون ان يحاورهم فانفصلوا ثم عادوا فالتأموا ثم عادوا فانفصلوا مرة اخرى والقوا : « اتحادهم الوطني الحر » بمزمل عن المؤتمر ورجاله • ولكن الهند ظلت تعرف المؤتمر المتطرف ولا تعرف « الاتحاد الحر » وهي لا تحدين اليوم بالزعامة الا لتلك الهيئة التي تحصل رايحة العصيان المدني وتنش الغارة على الانجليز كما تشنها على النصصارم • المعتدلين •• وكل خطة تنكرها تلك الهيئة لا تجدى الحكومة البريطانية في سياسة الهند ولا تلبث ان تدخل في خيم كان •

« تلك عيرة بالغة وفي تركيا وارلندا ومصر عبر من تبيلها ، ولكن ما أكثر العبر في تاريخ الاستعمار والاعتدال ونقل المعتبرين !

« ان الأمر في الحقيقة ظاهر بطبيعته كما أسلفنا ، فالفة التي يسميها المستعمرون بالمعتدلين لا تمثل الامم ولا تتودها في تضاياما الوطنية لانها تنظر الى النفع القريب الذي سرعان ما يتقلب ويطويه النسيان ثم يسؤل الأمر الى المصالح الدائمة والآمال الخالدة ، وهي ميدان لا يحسن المعتدلون التقدم فيه •

« هذا من جهة

« ومن جهة أخرى يفشل المعتدلون في قيادة الامم لسبب آخر يرجع الى مزاجهم وطبيعة تكوينهم ولا حيلة لأحد في تبديله واصلاحه فالمعتدل بطبيعته رجل ينفر من النضال ولا يعرض نفسه للخطر • فاذا مشت الامة في طريق فليس هو بالرجل الذي يصمد لها ليصدما عن تلك الطريق • بل أقرب الى مزاجه أن يتبعها ويمشى في أثرها لا أن يهاجمها ويتمردها عليها ، فاذا ساعدته القوة الأجنبية فاجتسرا على مناوأة قوية فهو اذن عسكو

ظاهر لن يصلح لتمثيل توميه ولن يستعمل له أحد اذا تكلم بلسانهم ، ومن  
عنا تنتهي سياسة التفريق بين التطرف والاعتدال بالقتل ولا تفيد الا في  
التيات سوء النية والايغال في الحذر والعداء .

« والذي نعتقد اننا قادمون على عام فاصل في القضية المصرية نجعل  
فيه الامة كل تجاربيها وعظاتها فتمستفيد بقدر ما يحضرها من البيظسة  
والصلابة وشجاعة اليقين . ونعتقد كذلك ان الانجليز سيحلون في تجربة  
جديدة من تجاربيهم العديدة . وربما كانت طبيعة الخطة المتوية ما نشرته  
« الديلي الكمبريس » عن مستقبل السير برسي لوين بعد ان اذاعت خسر  
سفره الى القاهرة فهي تتوقع ان يتخلى السير برسي عن منصبه هنا لينقل  
الى باريس او واشنطن ، وترى لذلك اسبابا كثيرة منها ان السفارة البريطانية  
في باريس ستخلو قريبا من سفر ، وان هناك مفاوضات منتظرة بين باريس  
والقاهرة في شأن قناة السويس . . . الى آخر ما روت من تلك الاسباب .

« فعادا في هذه الاشاعة ؟ وماذا تخفي وراءها من الخطط والمناورات ؟  
هل سينقل السير برسي لوين حقا او هو باق هنا الى نهاية العام ؟ ليكن  
من حقيقة ذلك ما يكون ؟ وليبق في مصر او ينقل الى حيث تشاء حكومته  
او يشاء ، فهذه الاشاعة لن تصلح لتحرير المصريين وحملهم على الانتظار  
سبعا بعد شهر حتى ينقل السير برسي الى وظيفته الجديدة ويخلفه المندوب  
الذي يناط به تغير السياسة البريطانية !! فربما كانت الاشاعة مسبوبة  
لفرض مثل هذا يساعد على المراوغة والتأجيل والتطويق والتأويل : يعسود  
السير برسي والناس ينتظرون نقله ولا ينتظرون تغييرا على يديه . .  
وينقضي الشهر بعد الشهر في هذا الانتظار حتى ينتصف العام . وعند ذلك  
يقال ان العادة لم تجر بنقل السفراء في اواسط الاعوام فلننتظر ايضا  
الى الاجازة الصيفية وما بعد الاجازة الصيفية . . وهكذا ينصرم العام  
كله في غير طائل وينتقل السير برسي لوين أولا لينقل حد سواء ، لن  
ينقاد المصريون بعد اليوم لاساليب التخدير والتفريغ ، فلننطق الاشاعات  
على حذر وبقظة ، ولا نستبعد على خصوصنا اية ذبابة واي تدبير . »

عباس محمود العماد

وفي اليوم التالي يواصل العماد كشف الاسرار الخفية وراء اشاعة نقل  
السير برسي لوين فيكتب تحت عنوان :

**ما وراء السير برسي لوين ؟ (١)**

**اشاعة في طيها شرك !!**

(١) الجهاد : يوم ٧ من نوفمبر ١٩٢٢ العدد ٤١٧ .

يبين في مقاله بتحليل سياسي عميق أهداف الاستعمار الإنجليزي وشراياه والخطط التي يسلكها لتفريق المصريين والسيطرة الكاملة على موارد مصر . ويتضح من هذا المقال اطلاع العقاد الواسع في السياسة وإدراكه لنمويل التي تحركها في العالم ، مما اضفى على مقالاته التي الكثر من الإمتاع المظفي والقشورة الجدلية في مواجهة الصحف الإنجليزية التي لا يرضيها غير هذا الأسلوب ، انفتاح ودحض الحجة والبرهان بالبرهان .

ثم يواكب نظم العقاد الأحداث اليومية في السياسة المصرية ، فتحدث الافتتاحية عن دعوة « الحكومة القومية » وتتوالى مقالاته تحمل عناوين مختلفة منها :

« مناظر متفرقة

من أصول البائرة الصهيونية

مهزلة الوزارة القومية (١) »

ثم يتابع ديبده للوفد فيكتب بعنوان :

الوفد السالد (٢) .

عجبا ومعريا عن تأبده على الرغم من اشتقاق الاعضاء الثمانية عن الوفد .

بواصل بعنوان :

خذلهم الدعاوى

حتى الدعاوى الشخصية (٣)

وحدث بعد فصل الاعضاء الثمانية أن أظهر محمد محمود باشا والاحرار الدستوريون تأييدهم لهم ، فأقام لهم حفلة تكريم وأبدى تضامنه . تصاهن الاحرار الدستوريين مهمم . وهناك كتب العقاد محلا مومع الاحرار الدستوريين في مقال بعنوان :

ارضاء الوزارة وتأييد المنفصلين شيء واحد (٤)

(١) للجهاد : يوم ٢ من ديسمبر ١٩٢٢ العدد .

(٢) للجهاد : يوم ٤ من ديسمبر ١٩٢٢ .

(٣) للجهاد : يوم ٥ من ديسمبر ١٩٢٢ .

(٤) للجهاد : يوم ٦ من ديسمبر ١٩٢٢ .

ثم يصدر الغرابلي بأشأ بياناً عن المنشقين ويصدر مكرم عبيد بياناً عن الوفد . وهنا يكتب العقاد مواصلاً حملته على المنشقين :

بعد البيان

بيان الغرابلي بأشأ الاستاذ مكرم عبيد (١)

وفي هذه الاثناء توفي فتح الله بركات بأشأ على اثر مرضه ويكتب العقاد مقالا يواصل حملته على السبعة الثباتين بعنوان :

نقصوا واحدا (٢)

وقبل ذلك كتب مقالا بطريقته الساخرة جعل عنوانه :

« بركة الثمانية ! » (٣)

ويكتب عن زعيم الوفد مرمبا عن الاسباب التي يستند اليها في تأييد الرئيس الجديد ابان تلك الفترة الحرجة التي مر بها الوفد فيقول تحت عنوان :

زعامة النحاس بأشأ

هي القضية الصرية

كلمة بكلمة وحرفا بحرف (٤)

« لقد ايننا رئيسنا الامين في مواقفه الصريحة الحكيمة كما ايده مصر بأسرها لاننا نظرنا الى دعاوى الانجليز زعامته وزعامة سعد من قبله هذه النظرة المستقيمة التي لا تحتاج الى تأمل ولا طول دراسة وما ايننا لامر بعينه هو ، أو يتعلق بذاته ، ولكننا اينناه لأن الزعامة تولى مسألة الاستقلال ومسألة الدستور ومسألة الثقة بالنفس الغيرة والكرامة » .

\* \* \*

وخلال هذه الفترة وقعت حوادث مشهورة باسم حوادث الابداری وكانت هذه الحوادث صورة من صور الاستبداد من جانب الإدارة في عهد صدقي بالشعب وبالفلحين على وجه التخصيص . ووصلت قضية

(١) الجهاد : يوم ١٢ من ديسمبر ١٩٣٢ .

(٢) الجهاد : يوم ١٣ من ديسمبر ١٩٣٢ .

(٣) الجهاد : يوم ٢٣ من نوفمبر ١٩٣٢ .

(٤) الجهاد : يوم ٢٢ من نوفمبر ١٩٣٢ .

البدارى الى محكمة النقض والابرارم وكان يرأسها عبد العزيز فهمى . . .  
وأصدرت محكمة النقض حكما أثبتت فيه اعتداء البوليس على الاهالى  
ووصفت تصرف الحكومة بأنه « إجرام فى اجرام » . . . و اراد عبد الفتاح  
يحيى أن يحقق فى حوادث التعذيب على ضوء هذا الحكم . . . ورفض صدقى  
خشية أن يكشف التحقيق عن سائر تصرفات الحكومة نحو الاهالى . . .  
فاستقال عبد الفتاح يحيى احتجاجا . . . وأعلن أنه مستقيل أيضا من منصب  
وكيل حزب الشعب !

وهنا وجد العقاد فى حوادث البداروى فرصة لشن حملة جديدة  
تضاف الى حملته على استبداد حكومة صدقى ويبدأ هذه الحملة بمقال  
جمل عنوانه :

نظام الغزى الوسطى

أين نحن ؟ وأين أعداء الفوضى فى الادارة المصرية (١)

ويستمر فى حملته بمقالات متواصلة جمل عناوينها هكذا :

الادارة التى يؤيدها الاستعمار

لا تكون الا على هذا المثال (٢)

وأياضا :

تخفيف الحكم لا يكفى

فى قضية مأمور البدارى (٣)

ثم بطريقته الساخرة التى تتضح مرارة والمسا من أجل الفلاحين :

لماذا التحقيق ؟

وما هى النتيجة المطلوبة ؟ (٤)

ويبين علاقة الانجليز بحوادث البدارى فى هذا المقال :

حادثة البدارى

وآل حادثة مثلها

(١) الجهاد : يوم ١٩ من ديسمبر ١٩٢٢ .

(٢) الجهاد : يوم ٢٠ من ديسمبر ١٩٢٢ .

(٣) الجهاد : يوم ٢١ من ديسمبر ١٩٢٢ .

(٤) الجهاد : يوم ٢٢ من ديسمبر ١٩٢٢ .

لا تمنح المستعمرون ان يفاوضوا (١)

ويكتشف بعد ذلك خفايا الاستبداد من جانب صدقي بالشعب ، ويذكر الناس بالحوادث الماثلة لحادث البدارى في مقال :

البدارى مثل واحد

من امثال كثيرة (٢)

وتستمر الحملة فيكتب بعنوان :

لآفة اصيلة

فابحثوا عن جذورها (٣)

وفي هذا المقال يحلل العناد بأسلوب سياسى بارح تصيغه صيغة حزن عميق من أجل ما يلاتيه مواطنوه من استبداد وخسف ، ويكشف أسراراً جديدة تصيف الى مقالاته السابقة تنويراً بالفضية وبعثاً لها في ضمير الرأى العام .

ويعود الى الحديث عن دور الانجليز في هذه الحوادث ومؤازرتهم لاستبداد صدقى بالشعب فيكتب :

تبعة تامة أكبر من كل تبعه

تلك هى تبعه الاستعمار البريطانى (٤)

ويستخدم الاسلوب الساخر بحدة في مقال :

أسلوب يدبج

لاحترام القوانين (٥)

ثم يختم حملته بعد البدارى بهذا المثال :

نتيجة منتظرة

هى النتيجة التى انتهت اليها مسالة البدارى (٦)

- (١) الجهاد : يوم ٢٣ من ديسمبر ١٩٣٢ .
- (٢) الجهاد : يوم ٢٥ من ديسمبر ١٩٣٢ .
- (٣) الجهاد : يوم ٢٧ من ديسمبر ١٩٣٢ .
- (٤) الجهاد : يوم ٢٨ من ديسمبر ١٩٣٢ .
- (٥) الجهاد : يوم ٢٩ من ديسمبر ١٩٣٢ .
- (٦) الجهاد : يوم ٣٠ من ديسمبر ١٩٣٢ .

ويمكن القول ان حوادث البسدارى كشفت عن سلوك صدقى اثناء الانتخابات ذلك ان الشعب قاوم هذه الحكومة مقاومة عنيفة وكان النحاس يجوب البلاد في رحلات تؤكد كراهية الشعب للحكومة ويسقط فيها القتلى عشرات ، وكانت محاولات الاغتيال تتجتاح البلاد ، وحين فتح صدقى باب الانتخابات أعلنت الأحزاب مقاطعتها للمعركة ٠٠ ويورد الدكتور هيكل في مذكراته عريضة تصد ان يوقعها رجال القانون ترسم صورة صادقة للاجراءات التى اتخذها صدقى في ذلك الحين ٠ وهذا بعض ما جاء فيها : « ان وزارة حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا قد جرت في حكمها البلاد على طريقة يعافها القانون وتأيابها مبادئه وأصوله الأولية ٠ فهى لم يكنها ان الغت دستور مصر ٠٠٠ وان وضعت من تلقاء نفسها نظاما للحكم يسلب الامة سيادتها ويجعل السلطة التنفيذية في الواقع مصدر السلطات في البلاد ٠٠ بل تجاوزت بعد ذلك كل قانون معروف في تصرفاتها لتفرض هذا النظام الذى استصدرته بوسائل عرفية ، مستهتره بكل ما كتلت القوانين للأفراد والجماعات من حقوق وحرىات ٠ عطلت حرية القول وحرية الرأى وحرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية التنقل في بلاد الدولة واكرهت الموظفين على ان يكونوا أدوات هذا التعطيل وهذا الأضرار المهيمن للقانون ، وغامرت بالروح المعنوية للبوليس والجيش بان سخرتها لأغراضها العرفية ولحاربة النظام والقانون ٠٠ ثم انها تخضع رجال الادارة جميعا كى يقولوا ، اثناء الحركة الانتخابية التى تحاول اكرا الناس على الاشتراك فيها ، بكل ما يحقق أغراضها وما يخالف القانون في سبيل غاياتها ، بل بارتكاب الجرائم في سبيل هذه الغايات (١) » .

وشاهدت الديمقراطية في مصر اعتداء صارخا عندما أعلن صدقى لسه نواز في الانتخابات وأن الذين اشتركوا في الانتخاب بلغت نسبتهم القوية الى مجموع الناخبين ٧/٨ في المائة وهى بالنمل نسبة عالية لو أنها كانت صحيحة ! لكن أحدا ممن شاعروا يوم الانتخاب ، لم يستطع ان يصدق هذا الرقم ، رغم أنه الرقم الرسمى الذى ظلت الحكومة متشبعة (٢) بصحته ، ولقد كشف القضاء عن تسامح صدقى مع موظفى الادارة في معاملتهم الناس غاية في البطش حيث تخلى العنف الى التعذيب في اتبجح صور التعذيب .

وكشفت حملة العقاد العنيفة هذه الحقائق اتفق عليها جميع المصريين ، وأنها وصمت عهد صدقى اتبجح وصمة .

(١) هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) الدكتور هيكل : نفس المرجع ص ٢٤٥ .

ونزعم هنا ان حملة العقاد بشأن حوادث البدارى لم تكن لنزعه  
سياسية قائمه بنفسه وتعارض حكومة معادية للوند ، ذلك ان كلمه  
المصريين جميعاً اتفقت على ان استياد رجال الادارة بالشعب وصمة  
تضمن عهد صدقى اذبح وصمة ، وكان عبد العزيز فهمى احد زعماء الاحرار  
الدستوريين قد ساهم في كشف هذه الحقائق عندما أصدر حكمه مدعماً  
بجيتيات وصمت عهد صدقى كله افصح وصمة ٠٠ وحملت صحف الوند  
وصحف الاحرار الدستوريين على صدقى وعلى رجال الادارة ، مما يجعلنا  
نقول ان حوادث البدارى كانت من الحوادث التى التقت عليها تلموب  
الصريين ، وكان دفاع العقاد عن الشعب ضد صدقى جنوحاً منه الى  
التضية الوطنية والى الشعب الذى دافع عنه طيلة حياته .

وشاهدت فترة كفاح العقاد الصحفية بجريدة الجهاد اتصاء انجلترا  
لمظها في مصر سير برس لوين في اغسطس سنة ١٩٢٣ اى قبيل استقالة  
اسماعيل صدقى في سبتمبر ١٩٢٣ ، وانتخب حزب الشعب عبد الفتاح يحيى  
رئيساً له . واستمر البرلمان الذى ايد اسماعيل صدقى مؤيداً للرئيس  
الجديد ، وكان ذلك ايذاناً بان الحكم اصبح خالصاً للقصر وهنا يطلق  
الانجليز المعركة بين القصر والشعب ، وينتظرون كيف تسير . وقد استمر  
العقاد في الجهاد يكشف عن دور الانجليز في هذا كله ويكشف للشعب  
الحقائق التى تساعده على اختيار طريقه من بعده .

## الفصل الرابع

### العقاد والوفد

صدرت روز اليوسف اليومية ونوعية عام ١٩٣٥ . ثم ما لبثت ان اختلعت مع الوفد فأصدر قرارا بقطع الصنعة بينها وبينه في اواخر العام نفسه ، وحاربها بعنف بسبب موقفها المعارض من حكومة توفيق نسيم التي كان الوفد يهادنها لما وعدت به من اعادة دستور ١٩٢٣ . ولما كان متوقعا ان يترتب على ذلك من عودة الوفد الى الحكم .

اصيبت الجريدة باضطراب أحوالها مما أدى الى جعلها لا تصدر بانتظام فأصدرت حكومة الوفد قرارا بالغاء رخصتها في منتصف عام ١٩٣٧ . وقد امتازت بتجديدها في التحرير والاخراج .

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف في مذكراتها انها فكرت في مستهل تنفيذ فكرة اصدار الصحيفة اليومية في أن تضم العقاد الى اسرة الجريدة ، وذعب اليه رسول يستطلع رأيه . . . وسأل العقاد :

– الجرنال حيكون اسمه ايه ؟

– روز اليوسف اليومية .

– لا . . . أنا لا أعمل في جرنال يحمل اسم واحدة ست !!

ولكن الرسول لم ييأس من هذا الموقف فمضى يفارضة . . . وعسدل العقاد عن موقفه نظير بعض الشروط المالية : ان يكون مرتبه ٨٠ جنيتها في الشهر . وكان مرتبه في الجهاد ٧٠ – وان يأخذ مرتب اربعة شهور مقدما تخصم من مرتبه بالتقسيم – ٢٠ جنيتها كل شهر – وان تكون سياسة الجريدة وفعية .

ولسترت عليه صاحبة الجريدة ان يكتب مقالا افتتاحيا كل يوم ، وصنعة أدبية كل اسبوع . . .

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف انها عانت العقاد بعد ذلك على كلمته عن العمل في جريدة تحمل اسم سيدة ، فقال انه لم يتصد الى كونها تحمل اسم سيدة ، بل كان اعتراضه على تسمية الجريدة باسم شخص أيا كان . . .

ولو كانت الجريدة تحمل اسم سعد زغلول نفسه لإيدى نفس الملاحظه .  
وتد ضمت « روز اليوسف اليومية » مجموعة بارزة من المحررين الى  
جانبا العقاد منهم الدكتور محمو دزمى والدكتور محمد ابو طايه والدكتور  
رياض شمس وكامل الشناوى وغيرهم . .

وتذكر السيدة فاطمة اليوسف ان الجريدة الناشئة لانت من عنت لوفد  
الكثير على الرء من مسانديتها اياه في اول الامر فرفض النحاس ان يرسل  
كلمة يصدر بها العدد الاول رغم ان كاتب الجريدة الاول هو كاتب الوند  
الاول « عباس العقاد » .

وازالوا ان يستعوضوا عن ذلك ، فأخذوا يبحثون عن كلمة ماثورة  
يجعلونها شعارا للجريدة . . ولاحظ العقاد ان النحاس - عل يعكس سعد  
زغلول مثلا - لم تشتهر عنه كلمات ماثورة . . واخيرا اختاروا قوله : « من  
كذب بالامة او داخله فيها الشك فليس منها (١) » . .

وكانت الافتتاحية التي يكتبها العقاد تحتل الصفحة الاولى من الجريدة  
. . ولكن حدث ان وضعوا في اسفل الصفحة الاولى من العدد الاول في برور  
صغير كلمة تقول : « أبدا بقراءة الصفحة الثانية » وهي الصفحة التي تحتوى  
على الاخبار السياسية الداخلية الهامة وعلى كلمة السيدة فاطمة اليوسف  
وعلى مقال الدكتور محمود عزمى رئيس التحرير .

وتحدثنا صاحبة الجريدة أن العقاد غضب من هذا غضبا شديدا ، ورأى  
ان فيه اقباتا على كرامته .

وكان من عادة العقاد ان يكتب مثاله اليسومى في البيت ويتركه في  
الجريدة صباحا ويترك للاستاذ كامل الشناوى مهمة مراجعته . . ثم يعود  
ليلا ليلقى عليه بنفسه نظرة اخيرة . . كذلك كان يهتم بقراءة مقال الدكتور  
عزمى رئيس التحرير - ولو يغير علمه - اذ كان يعتقد ان عزمى غير ودى .  
وانه ربما وضع في مقاله كلمة تسيء الى الوفدين من قريب او بعيد(٢) .

وتشن روز اليوسف اليومية حملات على وزارة توفيق نسيم التي يؤيدها  
الوفد ، وكادت روز اليوسف اليومية ان تكون الصحيفة الوحيدة التي ترفض  
ان تهادن توفيق نسيم بعد أن ظهرت نواياه . .

(١) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٦ .

ريشن العناد في روز اليوسف اليومية حمله شديدة على نجيب الهلالي وزير المعارف الذي لم يكن في تاريخه التديم وفديس ولكنسه لم يكذ يدخل وزارة توفيق نسيم حتى عرف انه تقرب من الوفديين حتى صار صحيفا لهم . ومن أبرز مراحل حملة العناد سلسله متصلة من المقالات بعنوان :

وزير المعارف يحطم .

سغلت افتتاحيات « روز اليوسف اليومية » اياما كثيرة .

كتب العناد في احدى هذه المقالات يقول :

« كان وجود نجيب الهلالي بك في الوزارة دليلا عندنا على أن الدستور لن يعمود الى مصر قبل سنتين ، الا اذا حدث ما يبديل النيات غير النيات .

« ولسنا نعني تاريخ صاحبنا في ماضيه واعماله المهسودة أيام الوزارات الرجعية ولكننا نعني أن مجرد قبوله الوزارة دليل على علمه ببقاء الوزارة أو بقاءه هو في المركز الوزاري سنتين على أقل تقدير ، لا سيما وهو متصل ببعض الانجليز في دار التسدوب السامى . فهذا الموظف كان في منصب دائم مضمون وهو منصب المستشار الملكى ، وهذا الموظف شهاب لم يبلغ سن العاش ولم تمض عليه في خدمة الحكومة مدة كافية ، للوصول الى معاش يرضيه . فلماذا يجازف بخدمته كلها ليعتزل العمل بضعة اشهر ؟

« اهو من رجال المجازفات في ماضيه ؟

« كلا . بل هو على نقيض رجال المجازفات .

« اهو ممن يحولون على زعامة في الحياة القومية او الحياة الحزبية سواء في ميدان السياسة او ميدان المشروعات العامة !

« كلا . ولو خرج للزعامة القومية او الحزبية بعمترك الحياة لما ظفر منها بنصيب » .

ثم يقول في مقال آخر :

« . . . والان يحطم صاحب العزة برياسة الوزارة المقبلة أو بوزارة مقبلة غير بعيدة . وصاحب العزة الوزير الحضيف يعلم أن من يطعم في رياسة الوزارة لا غنى له عن رضى الانجليز . فاذا سار الوزير الحضيف سيرته في تعيين الموظفين الانجليز وتثبيت الموظفين الانجليز ، ومحاباة

الموظفين الانجليز ، وتمهيم الصبغة الانجليزية على الطريقة الدنلوبية في الجامعة والمدارس المالوية والمدارس الثانوية . فلماذا لا يكون رئيسا للوزارة المقبلة او لوزارة اخرى تطلع على البلد بتجربة جديدة من التجارب التي لا مكان فيها لدستور ١٩٢٣ على اقل تقدير ؟ .

وتحقتت نبوة العقاد بالفعل . فراس نجيب الهالبي وزارة لاجراء تجريبه لا مكان فيها للدستور ، بعد نشر هذا الكلام بثمانية عشر عاما . . اي في اوائل عام ١٩٥٢ .

وبعد ان خرج العقاد على الوند مضى في حملته على هذا المستوى من العنف وكان ذلك سببا في ان تزر الوند فصل « روز اليوسف » وترعم مكرم عبيد الحملة عليها واوز الى الجهاد جريدة الوند بمهاجمة روز اليوسف ، ودعب الاشتياك بين العقاد وتوفيق دياب الذي بعد تحوود . فنشر توفيق دياب ان العقاد مصاب « بالبارانويا » والجنون .

وتذكر السيدة عاطمة اليوسف ان العقاد دخل عليهم ذات ليلة وهو يهد صانحا : سوف اتقى على توفيق دياب !

« ونجهم حوله منسائلين ، ونظرنا اليه مترنين . واستطرد عمو يقول . لسدى مستندات خطيرة جدا ، سوف يكون في نشرها القضاء عليه . .

« وطينا منه ان يطلعنا على المستندات فرغض . وتمال انها سرية جدا . وانه يريد ان يذهب بها احد موظفي الجريدة الى محل زنكغراف ليصورها ويبيدها اليه . . ورضخنا لرغبته وتفرقنا عنه واستدعي اليه ابراهيم خليل واعطاه المستندات الخطيرة في مظروف مغلق ، لكي يذهب بها الى محل الزنكغراف ، وخرج ابراهيم خليل ، وقبل ان يبرح الادارة استتيد به الشغف لكي يطلع على هذه المستندات الخطيرة جدا ففتح المظروف في حجرة ثانية . . وراى المستندات فوقف ذاهلا . . ونادى على فذعبت اليه ، وناديت انا على كامل الشناوى . . وتجمعنا في الحجرة نتامل المستندات الخطيرة جدا ونحن نكاد ننفجر من الضحك .

« وكانت المستندات تثبت ان الاستاذ دياب لم يكن يدفع للعقاد مرتبه في مواعيده حين كان يعمل معه في « الجهاد » ! اى انها تثبت ان الجهاد لم يكن في حالة مالية حسنة ! وهو - كما ترى امر غير خطير . . وليس فيه ما يثبتين الاستاذ دياب في شي . فقد جرت عادة أغلب الصحف على ان تتأخر في دفع مرتبات موظفيها ، ولكن العقاد - وله تلب طيب

حسب انها مستندات خطيرة . وكنا حريصين على الا نغضبه . تجارينا في نشرها ، وكنا نتظاهر امامه باهتمامنا بها ، فاذا تولى عنا انظفنا - بزعامه كامل الشناوى - ضاحكين (١) .

وفي الواقع ان هذا الامر من العناد لم يكن ليثير هذا الضحك اذا علمنا ان توفيق دياب كتب مقالا في الجهاد من بين حملته على العناد ، يعيره بعمله في الجهاد ، يقول فيه : (٢)

« فلما خرج العناد من السجن كانت عقيدتنا هي التي نشرت له ما نثر وما نظم وتلطف وعطف تشديد عرضت عليه مائة جنبه في الشهر ٠٠ . ويعلم الله كم كان هذا العرض فادحا لو قبله الاستاذ لانقل ميزانية الجريدة وانما اردت به التضحية لكاتب مهما يكن اسباب سجنه فقد كان احسد كتاب الوطن .

« وشكرنى العناد وطلب الى تاجيل جوابه يومين او ثلاثة راي في خلالها ان يتعمد مع جريدة اخرى هي جريدة مصر .

« فلما سئل كيف اثر « مصر » على « الجهاد » اجاب بأنه يريد ان يكون على راس جريدة يقول لصاحبها « مات فهوة » فيحملها اليه بنفسه دون امتعاض ، فقد كان ذلك لسان العناد ، ولسانه بسذى لذاع حتى لأولياء نعمته .

« ولكن العناد كما يزعم ، فاذا شئت فهو جبار الحقد ، جبار الحسد لكل نعمة يرى ظواهرها على مخلوق ، وانقضت السعة شهور ، ثم لزم العناد بيئته يفكر وينعى مصيره على الدنيا وعلى الوجود وعلى جهل الامة بمقداره وتنكرما لآثاره حتى تعرض عن جريدة هو راسها الدبر - اى موليا الدمع - فكان يهدى في المجالس بالسخط على الوطنية الوفدية والوفديين وكان وجود العناد كدمه في الجهاد فلم يزد ذبوعا نسخة واحدة ، ومما يروى انه بينما كان داخلا الى دار الجهاد ذات ليلة وقع نظره على جمع من عمال الصف الجالسين وكان من سوء حظهم انهم لم يظنوا الى وصول العظيم الجبار والصنديد المنوار امير الشعراء ، وشيخ الخفاء عباسيا العناد فلم ينهضوا واتقن . فوقف على الافريز وصاح بهم صيحة افزعت اليه محررى الجهاد .

(١) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) الجهاد : يوم ٢٤ من سبتمبر ١٩٢٥ .

« كيف تظنون جالسين والعقاد ينترب منكم ايها الكلاب . فلمسا  
قالوا له انهم لا يعرفونه . قال : او في مصر من لا يعرف العقاد اييسا  
الحمقى الجاهلون . وطلب فصلهم جميعا » .

\* \* \*

ولم يكن امام العقاد الا ان يواجه الحملة بحمته مماثله ، ويريد الهجوم  
ببسلح مماثل فكتب العقاد تحت عنوان :

#### الفصائح الدامعة للمهرج السياسي الدجال (١)

« كتبت امس وبالكري ما كتبت : يخونك العيش والمخ يا استاذ  
يا عظيم ، عيش الجهاد لا عيش ، سمراة ، كان عملي في الجهاد فضلا  
لصاحب الجهاد في عني ويمعني به : لان لانتي كنت فـه عالة لا تمـود  
عليه بخير .

لقد كان توفيق دياب يجلس في مكتبه وفي بيته بلا عمل  
في التحرير ولا في الادارة غير قبض الاموال والبحث عن ضريبة يتنتبها  
او عقار يشتره . وكان الاسبوع بعد الاسبوع والشهر بعد الشهر  
ينقض قبل ان يكلف نفسه كتابة مقال من ذلك الهراء الذي تسود  
به الصحف ، ولا يعقل هو ولا يعقل احد ماذا يعنيه . اما للصحيفة فما  
كان يوجد عليها بدرهم في تحسين لازم او زيادة ضرورية ما دام تادرا على  
الكسب وجمع الاموال وشراء الضياع .

وقد سجن صاحب الجهاد فلم انقطع عن العمل غير اسبوع واحد في السنة  
مع الحاجة القاهرة الى الراحة والعلاج والرياضة مبالغة حتى في العساية  
بالصحيفة في غيبة صاحبها .

« ولما تركت الجهاد لم يستطع صاحبه ان يعرض عملي فيه بأقل  
من سبعة أو ثمانية من الكتاب الدائميين او التطوعيين .

« تلك هي فائدة الجهاد منى فماذا كانت فائدتي انا من الجهاد . تب  
لا يساوي عشر ما كان يكسبه توفيق دياب في الشهر الواحد علنا ولا عشر  
ما كان يكسبه سران مصاد السحب المعهودة .

« وسيدعش القراء بالغ الدهشة اذ يعلمون انه - حتى هذا المرتب -

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٥ من سبتمبر ١٩٣٥ .

لم تكن استرنييه في كل شهر الا مقطعا مملوفا مؤجلا من وعد الى الوعد  
ويجيب بعد يمين حتى لا انتقم به ولا ادري كيف اعول عليه لاننى لا اعرف  
متى ياتى وكيف يكون حسابه عند الحاجة اليه .

« ولو ان مضم الحقوق واختلاس الاجور والاختار من الواعيد والانسام  
اننى برج فيها واستهلكها كما برج فيها اجهوس كان اضطراب تقضى به له  
:نسال وشمح المورد لكان له عذر مقبول .

« ولكنه يماطل ويسوف ويشتم ويباكل حق لضعاف وانكاتب في اليوم  
الذى يمتد فيه صفة بالوف الجنيهاات على شرا، ضيعة كبيرة يتفق على  
شراها مع عبد الفتاح يحيى ويكثيها بعد ذلك باسم زوجته .

« بل في اشهر الذى ما طلمى في دفع مرتبى وانا ذاهب الى راس الجير  
اتواضع التماسا للراحة الطويلة والاستجمام اليسير - كان هو يستاجر  
في الاسكندرية قسرا من قصور بولكى باريمعالة جنبيه في اشهر الصيف  
ويستاجر سائسا ( جرما ) يربط الى جانب السائق نيادرا لى الغزول  
عند وقوف السيارة كى لا يفتح البك باب لسيارة بيده الشريفه ولا ينتظر  
السائق حتى ينزل اليه .

وعلى هذا النحو يفهم الرجل الشريف تجارة الصحافة وتجارة الوطنيه  
وتجارة الاخلاق ويظلم في اخلاق المقاد لان عمله في الجهاد لم يكن الا مروة  
مضاعفة من الاخلاص للعمل والفتاعة بما دون حقه والصبر على مكاره الغبن  
الخشيس والوفاء لمن لا يستحق الوفاء » .

\* \* \*

وفي الواقع لقد كشفت هذه المعركة للصحفيه ، التي دارت بين توفيق  
دياب في الجهاد من جهة ، وبين العقاد في روز اليوسف انيومية من جهة  
أخرى ، حقيقة الصراع في ميدان الصحافة من الباب الخلفى ايضا ، كيف كان  
يمكن للصحفي الوطني الجاهد في سبيل القضية الوطنية ان يواجهه  
وجود اصحاب الصحف الذين يتاجرون بالقضية على حساب الوطن .  
مستغلين في سبيل ذلك جهد الوطنيين الشرفاء الذين كل مهمهم هو الخير  
الذى من خلاله يمكنهم مواصلة الكفاح ..

هذه هي المعاملة الصعبة التي كان على كل صحفى مصرى مجاهد ان  
يحطها في عمله بالصحافة السياسية خلال عهد الاحزاب ، وقد خرج العقاد  
من سجنه في عام ١٩٣١ ويمرض عليه صاحب الجهاد ان يعمل بصحيفته ،

يقتبل العقاد . وتسوء المعاملة المألوفة . لأن أصحاب الصحف يريدون الضياع والنصير ويخطون على الصحفيه بما يفي نفقاتها . وتنتهي اسمه بانتقال العقاد الى صحيفه اخرى . فعادا يسوء صاحب الجهاد بن ورقه ذلك : غيثن حمله تنادى به عن اصول شرف الهنه ويغيره بعمله في صحيفته . وفي الواقع اياكان تقدير هذه لعمله من الطرفين . الا انها كتبت عن حقيقه اصحائه من واجهتها الخلفيه .

ونعني لجهواجهه الصحافه الخلفيه مقومات بصحيفه ابداعية التي تعتمد عليها في التقييم بتكالييفها . وصحيفه الجهاد التي تتحدث باسم الوفد تحظى برضاء سكرتيره مكرم عبيد صاحب الكلمة العليا في الوفد . وعنا نجد ان اساس المعركة انتمى دارت بين العقاد في « روز اليوسف اليوميه » وبين صاحب « الجهاد » تحدن في العلاقة التي بين مكرم عبيد وصاحب الجهاد الذي يعطى العقاد مرتبه على دفعات ويبالغ عندما يزعم انه كان يهبط اثمانين جنيها مشاعرة والوثائق التي نشرها العقاد في « روز اليوسف اليوميه » تثبت مدى صدق دعوى العقاد . وتكتشف عن العناء الذي كانت تكبده الصحف الوطنية .

ونقدم لقارىء « افتتاحية للعقاد شغلت معظم الصفحة الاولى ووصف الصفحة الثالثة من « روز اليوسف اليوميه » تكتشف لنا حقائق عن الوفد وعن الخط الوطني الصريح الذي بداه في ثورة ١١١٩ ٠٠ كتب المقسد هذا التسل اثر اعلان الوفد فصله لصحيفه روز اليوسف اليوميه . واحتسد هذا الهجوم ويأخذ العقاد موقف الدفاع في روز اليوسف اليوميه . وكانت الحرب الايطالية الحبشيه في ذلك الوقت على الابواب . ولوحت انجلترا في تصريحات المسئولين فيينا بان مصر ستكون « في حمايتها » طوال مدة الحرب التي توشك على الاشتعال وكان موقف الجهاد مائعا من هذه القضية ٠٠ ونشر مرة يقول : « هكذا شاعت سياسة الاحتلال ان تظل مصر في حاجة الى حماية القوم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » . واتخذ العقاد من هذه العبارة مجالا لحمالات عنيفة على الجهاد .

ثم تنشر الجهاد كلمة بامضاء محام اسمه « وليم بطرس الديويني » يقول فيها انه « رأى السيدة روز اليوسف والدكتور محمود عزمي يجلسان مع احمد عيسود باشا في فندق مينا هاوس يتهايمسون . وقد أمسك عزمي ورقة وقلما . وتذكر السيدة روز اليوسف في مذكراتها ان هذا اللقاء لم يحدث قط . ولكن الجهاد ارادت بنشره ان تقول ان روز اليوسف تأخذ مالا من عيسود (١) » .

(١) غاطمة اليوسف : ذكريات ص ١٨٦ .

وفي اليوم التالي كتب محمود عزمى مقالا طويلا عنيفا بعنوان ضخم  
ملفت للنظر :

#### « ولييم الكذاب » (١)

كان المقال كله حملة عنيفة على «وليم الدوينى» صاحب النبا الملقب .  
ولكن مكرم عبيد ثار ثورة مائلة ، اذ رأى فيه وفي عنوانه بالذات تلميحاً  
الى شخصه هو . . . اذ كان مكرم عبيد يحمل لقب ثورة ١٩١٩ اسم ولييم ثم تنازل  
عنه حين شبت الثورة . وثارث لثورة مكرم الدوايسر الوفدية ، اذ كيف  
تطمس جريدة وفدية في سكرتير الوفد او تعرض به على هذا النحو ؟

وتذكر السيدة روز اليوسف أن هذا كان السبب المباشر الذى دعا الوفد  
الى فصل الصحيفة اليومية ، وعرضت حلول كثيرة لتسوية الموقف منها  
اخراج محمود عزمى من الجريدة بوصفه صاحب المقال ، ولكن صاحبة  
الصحيفة رفضت هذا المرض بعد أن أبدى الدكتور عزمى استعداداه لتترك  
الجريدة اذا كان في ذلك ما ينهى الأزمة ، ثم تضامن الدكتور عزمى مع العقاد  
على مؤازرة الصحيفة وصاحبيتها في هذا الموقف ، فما لبث الوفد ان اصدر  
بيانه في ٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ بان « هذه الجريدة لا تمتثل الوفد في شئ ولا  
صلة لها به » .

وتترك مقال العقاد يصف لنا الحقائق وراء هذه الوقائع :

الرئيس الجليل « مكرم عبيد »

يسوق البلاد بدساتسه الى عاوية الخراب

السر ان طال احتجاجه فلايد له من ظهور (٢)

« لا يزال الاستاذ مكرم عبيد يتهاك بكل ما عنده من حيلة وطمع  
ودسياسة على شئ واحد ، وهو أن يوقع في اذعان الإنجليز أنه هو النابض  
على ناصية الوفد والمسيطر على ارادة رئيسه وأعضائه من ورائه . فاذا  
حسبوا له حساباً فلا ضير عليهم بعد ذلك أن يهملوا حساب كل انسان وفي  
مقدمتهم الرئيس . »

يحرص الحرص كله على هذه الامنية ولا يتورع في سبيلها أن يجازف  
بأكبر الصالح التومية كما يجازف باصغر الأمور . ومساعيه الخفية في

(١) روز اليوسفا اليومية : العدد ٢٠١ .

(٢) روز اليوسفا اليومية : يوم ٢٥ من يناير ١٩٣٥ .

بيروى منها الكثير لمن يعملون الكثير ، واطهرها واطهرها في الزمن الاخير  
تصرفه المحجيب في مسألة الدستور قبل اجتماع الوزارة ( يقصد وزارة توفيق  
نسيم ) في شارع الهرم ، ذلك الاجتماع الذى وصفته الصحفيومند بالاجتماع  
الخطير ، ما سينجنى عليه من مستقبل السياسة الوزارية ، وقد ينجنى عليه  
تحول في خطة الوفد وفي خطة الانجليز ، والقراء يذكرون ان ذلك الاجتماع  
انما كان معقودا لانضام الوزراء الى اعضاء الوفد بما لديها من معلومات  
وحقائق عن المسألة الدستورية . وكان من الجائز ان يعجل الانجليز عن بعض  
عنادهم ( اذا احسوا ان البلاد ستتقلب على الوزارة اصرارا منها على طلب  
الدستور ، وكان من الجائز كذلك ان تضاعف الوزارة جهودها اذا احسنت  
هذه العقبة المشكوك فيها ، فاذا لم يكن هذا ولا ذلك جائزا على غرض من  
الفروض فالواجب على كل حال ان لا يعلن راي الوفد قبل حصول الاجتماع  
وسماع ما يدور فيه والا كان انعقاده عبثا لا معنى له وفضولا لا خير فيه .

لكن كيف يعبر الاستاذ مكرم عبيد عن اعتقاد الانجليز ان للاعضاء  
الاخرين في الوفد رأيا بحسب له حساب ؟ كيف يترك عند الانجليز ذرة  
من الشك في تقيضه وهو على ناصية الحال وسيطرته هو على جميع الاعضاء  
وتسخيرهم من ورائهم لجميع البلاد ؟

ذلك مستحيل . . . والفرصة سانحة اناوره يثبت فيها من جديد انه  
هو وحده كل شئ ، ولا شئ غيره يصح ان ينظروا اليه ، فجازف بالمستقبل  
الدستورى كله وبسمعة الوفد علانية ، ويكل اهل في النتيجة المرقوبة . وتام  
في جلسة الجمعية العمومية للمحامين السابقة لاجتماع الهرم مباشرة يعلن  
اقتراحا يقول فيه ان ، المحامين المجتمعين الآن ، يعربون عن امهم القوي في ان  
تواصل الوزارة النسيجية السمي لاعادة دستور الامة الصادر في سنة ١٩٢٢  
اليها حتى تحيا البلاد الحياة الدستورية التي ترنصها .

سكرتير الوفد يعلن في نقابة المحامين على الملا اجمع نتيجة الاجتماع  
الذى سينعقد بعديوم . .

يعلن نائبيد الوزارة وطلب الوفد منها ان تبتى في المناصب حتى تعيد  
الدستور ، ويلمح للانجليز من خلف الرؤوس تلميحاً عو التصريح بعينه  
تائلا : « ارايتم من هو صاحب الراى في الوفد وفي البلاد ؟ اتصحتون بعد  
اليوم ان الاعضاء المؤقرين الذين يسرعون الى مواعيد الاجتماعات ويتناقشون  
هناك في جد ورسانة يملكون او يملك رئيسهم ان يتقصوا شيئا مما يريد  
قبل ذلك مكرم عبيد » .

ولقد فضح بفعلته الوفد كله ، وعيث بالمسألة الدستورية على هواه ، واستراح الى ما صنع ، لأنه يرى المأرب الذي يعنيه فوق جميع المأرب . وهو اقتناع الانجليز بالاتجاه اليه وحده وقلّة المبالاة بأحد من الناس غيره كأننا من كان .

\* \* \*

« ولا بد للاستاذ مكرم عبيد من السيطرة على الصحافة الوفدية بغير شرك ولا منازع حتى يتسنى له السيطرة على الرأي العام واقتناع الانجليز بقدرته على توجيه السياسة العامة حيث يشاء . »

وهو يستفيد من ذلك فائدة أخرى لا تقل عن الفائدة الأولى في نظره وهي الاعلان عن حركاته وسكنته وقضاياه ومساعيه ، ولتمهيد للاضرار بالناس عن طريق التشهير او الظهور بهم من طريق التحبيب والتبشير .

ولهذا لا يظنّ هذا الرجل صحيفة واحدة وفدية تحيا في البلاد ما لم تكن طوع بديه وريضة امره في كل كلمة وإشارة . ولهذا تولي حماية « الجهاد » كما تولي حمايته لسبب غير ذلك السبب ، ونعني الحوادث المشهور بين صاحبه وبين الدكتور ماهر والحادث الذي لا يعرفه القليلون قبل ذلك بين صاحبه والاستاذ النقراشي . »

فلا ينبغي أن يعلم أحد من الصحفيين ولا أن يعلم الانجليز خاصة أن احدا من اعضاء الوفد بهم الصحفيين رضاه وفضبه ما داموا في حماية الاستاذ . . . الرئيس الجليل . »

\* \* \*

« سيقول الماجورون والأنخاب كثيرا عن سبب القرار الاخير الذي حفز الوفد الى النفع في النفي العام والهولة بالتظار السريع من الاسكندرية الى القاهرة يجتمع ويتباحث ويعلن بعد الاجتماع والبحث أن « صحيفة روز اليوسف لا تمثل الوفد ولا صلة لها به . » »

سيقول للماجورون والأنخاب كثيرا ويجدون من يقول ، لأن السادة الذين يخدمونهم يشملون في صف واحد الدولة البريطانية والوزارة الدستورية والاستاذ . . . الرئيس الجليل مكرم عبيد .

سيقول الماجورون والأنخاب كثيرا ولكننا نسرد لهم الحقائق فيعلمون ان الماجورين ماجورون وأن الأنخاب أنخاب ، وأن صحيفة روز اليوسف لم

ترض الوفد لانها لم ترض الاستاذ مكرم عبيد ، وانها ما كانت لترضى مكرم  
نعيبد الا لا بحالة واحدة دون سواها ، وعى الا تظهر نتائجنا في عالم الوجود ،  
والا تحيا لتكون لكتابها حربة يتولون بها خلاف ما يمليه عليهم ، وتكون  
حياتها على اطلال « الجهاد دليلا يفهم منه الانجليز ويفهم منه الصحفيون  
أن الاستاذ « الرئيس الجليل » لا يحير ولا يجيب .

\* \* \*

« فقبل أن تظهر صحيفة « روز اليوسف » فكر بضعة عشر عضوا من  
الوفد والهيئة الوفدية في الاكتتاب لانشاء صحيفة تعبر عن الوفد وتريجه  
من سبعة المرتزقة بالصحافة . فكروا في ذلك على اثر حادث المؤتمر وقرروا  
الاكتتاب بعشرة الاف جنيه وخاطبوا النحاس باشا اولاً فقبل وبدأ عليه  
المسور ثم عادوا اليه فماذا كان ؟

كان أن الأستاذ . . . « الرئيس الجليل » أدخل في روع النحاس باشا  
أن المسألة من بدايتها الى نهايتها مكيدة من بعض منافسيه الطامحين الى  
الرئاسة . . . بدأوا بحادث المؤتمر وشغفوا بالاكتتاب ، وسيشغفونها  
غدا بالدعاية لرئيس غير النحاس والاشراف على الراى العام من غير طريق  
لزراعة . . .

« فصدق النحاس باشا لانه يصدق ان مكرما لا ينافس ولا يطلع الى  
الرئاسة الوفدية ولا الى الرئاسة الوزارية ، ولكن الآخرين قد ينافسون ،  
ولما جاءه رسول المكتتبين يخاطبه في التفصيلات اذا به يتهم وينبهرم  
ويصيح به « ما دامت عندكم نفوس غمادا لا تتبرعون بها لخزانة الوفد ؟ »  
وعلى ذلك اسدل الستار

واتفق ان ساعت الاخبار بقرب ظهور هذه الصحيفة على اثر ما تقدم  
فسرعان ما تناول صاحبنا انفى النحاس باشا وقال له : ارايت انها  
الدميسة القديمة تبرز في ثوب جديد . . . انه الاصرار بعينه . . . انه تبييت  
الغيب على الجريمة . . . والمعاد الذى كان سيكتب في الصحيفة المطلوبة هو  
الذى سيكتب في الصحيفة الجديدة . . . ومن لك بضممان المعاد أن يقول ما  
تريد كما تريد ؟ . .

وحوربت الصحيفة قبل ظهورها بطريق مباشر وغير مباشر ، فقبل ان  
يظهر العدد الاول منها اعز الاستاذ « الرئيس الجليل » الى صاحب العزة  
على سالم بك أن يتولى سياسة الجهاد تحصينا له في وجه هذه الصحيفة  
التي لم تنزل في عالم الغيب .

وكان ذلك كله خلال رحلة الصعيد . فارسلنا مندوبا خاصا لـنا  
يوافينا باخبار الرحلة عن كذب فتويل أسسوا استقبال ، وأبى مكرم أن  
يراجع معه الخطاب التي يلقيها النحاس باشا . . . وهي على حسب العرف  
لا ترسل ولا تنشر الا اذا عرضت على السكرتير . . . أما مندوب الجهاد  
فكان يرسل الخطاب بمراجعة أو بغير مراجعة ولا تقريب عليه . . . والفرض  
من هذه المناورة المكشوفة أن يفهم الناس أن « الجهاد » . . . وصاحبه مستقيل  
يومئذ من الهيئة الوفدية – هو صحيفة الوفد المرعية دون الصحيفة الجديدة . . .  
وإذا عجزت صحيفتنا عن نشر الخطاب بعد هذه العاكسات قال النحاس باشا :  
« أرايت ؟ . . . ما هم أولاء يضربون عن نشر خطبك استخفافا وتمهيدا لما  
كانت تمهد له الصحيفة الطوية » .

وتجاوزت هذه المناورة في التحيز الواضح فأرسلوا جواب النحاس باشا  
الى امام البيبين ردا على تهنتته بالمؤتمر الوطني الى الجهاد وحجبه عن  
هذه الصحيفة عامدين .

« ثم عاد النحاس باشا الى القاهرة واستقبلناه في بيت الامة صرات  
فهل سمع احد من حضرات القراء أنه فاه بكلمة ترحيب واحدة بهذه  
الصحيفة تقول سمية شهور من خلق العطل التي يتعللون بها الآن ؟ هل زارها  
النحاس باشا كما يزور الملاعب والمرانص وعلى الكسار ؟ هل زار المقاد في  
عطه الجديد كما يزور « الوردة البيضاء » ست مرات أو سبعا في القاهرة  
والاسكندرية وحيثما انتقلت بين مسارج القاهرة ؟

الجواب عند القراء

\* \* \*

وجاءت مسألة « الخير الفنى » ولزمت الصحافة الكرمية الصمت العميق  
، حملنا نحن حملتنا العنيفة على الكارثة التي قل نظيرها في تاريخنا  
الحديث وهذا ما كانوا يخشونه م نصحيفة لا يملى عليها الاستاذ « الرئيس  
الجليل » . . . وهذا ما خاطبوني فيه يومئذ .

وطراً هنا سبب قوى للفضاء على الصحيفة التي يكتب فيها العقاد . . .  
فان الانجليز شكوا من حملاتنا وكرروا توجيه النظر اليـنا ومطالبة الوزارة  
بمعالجها وكيف يشكو الانجليز شيئاً ولا يتكفل لهم بمعالجه الاستاذ مكرم  
عبيد ؟

لقد ذكرت الصحف يومذاك ما ذكرت عن تلك الشكاية وتأهبنا نحن  
للثاء الجزء الأكبر بعد تبييت وتدبير .

« غلم يكذب ظننا فيما تأهبنا له من جزء . وما مضت فترة وحيره  
حتى نشرنا خيرا عزمنا على سياسية سامه في تسارح الهرم فنار الرئيس  
الجليل أو قل ثار الرئيسان الجليلان . . . وطردوا مندوبنا من بيت الأمة  
ومنعوه ان يتلقى أخبار الدار ، وتكلم الاستاذ مكرم عبيد مع صاحبة الصحيفة  
مهديا متوعدا فأحاطته على كاتب هذه السطور .

ركان سكوت ! . . .

ولكنهم لم يستطيعوا ان ينخدوا من الخبر البسيط تعله لفصل  
صحيفة واصدار قرار رهولة بالقطار أو بغير القطار . . . ولا سيما وهو خبر  
لو لم يعرفه الناس عنا لعرفوه من صحف أخرى ، ولا فائدة للوند ولا للصحافة  
الوفدية في أن تمتاز الصحف المعادية علينا أو تستأثر بتقدير القراء .

ثم كانت مسألة وزير المعارف وحملت عليه لعداوته الصريح للوفديين  
وتتفيذ سياسة دانلوب في معاهد التعليم ، فظنوا الفرصة ملائمة ولكنهم  
لم يصدقوا الرجاء ، ومرت هذه المسألة دون أن ينجح فيها الاستاذ الرئيس  
الجليل . . . فهل يتركها تفوت وهو مسنحت في تنفيذ الخلب الانجليزي لا يعلم  
متى تسنح بمسألة طريفة ؟ . . .

كلا ! بل جانا بعد انتهاء المسألة بامرنا . . . نعم بامرنا والا تحطمت  
رؤوسنا أن نطن بأيدينا « أن الظنون تحوم حول هذه الصحيفة فنحن  
لا نرى بدا من التصريح بما باننا وفديون نخضع للرئيس الجليل . . . »  
اترا لكرم عبيد . . . الى آخر ما فرضوه وقرروه .

« فلنا سبحان الله . . . متى اتهم انسان نفسه بنفسه ؟ وما معنى ذلك  
الا ان الشبهة تمكنت من النفوس حتى احتاجت منا الى المبادرة بالتفديد ؟  
وما ضرورة ذلك والصحيفة تنشر انباء الوفد ورئيسه وتقرن عنوانها بكلمة  
من كلامه ؟ ما ضرورة ذلك الا قصد الاضرار والاعنات ؟

أبينا أن نطعن انفسنا بأيدينا فهل يستريح مكرم عبيد ويدع الامور  
تسير حيث تسير ؟

معاذ المسية والوثبة والتحريرى والغرض المستور . بل جانا بعد  
يومين اثنين بطلب جديد .

وماالطلب الجديد ؟

أن يخرج الأستاذ محمود عزمى على الفور .. لماذا ؟ هكذا ولا كلام !

قلنا : ولكن الصحيفة لاستغفنى عن محرر سياسى فى هذه الأزمة التى تناط بها الأنباء، الهامة جميعا بالدوائر السياسية العليا ونحن فى منافسة لا يفتفر فيها للتصير ! ..

لا يهمهم .. بل يخرج والسلام !

قلنا : هل عندكم من يعوضه فى عمله ؟ وهل تنسون حقوقه المسطورة فى العقود ؟ وهل تنسون أن الرجل لا ذنب له وإنما لسنا باطفال حتى نلقى التبعة عليه ونحجز عن حماية أنفسنا فيه ؟ وهل كان عزمى مأمونا فى الجهاد مع توفيق دياب فأصبح شخصا آخر فى هذه الصحيفة ؟

لا يهم .. بل يخرج والسلام !

ولو خرج عزمى لتقدم مكرم فى اليوم التالى ليأخذه من يده إلى الجهاد ليقول ما عو الفريد قد عاد اليك تائبا فانتظر قليلا ريثما يجيبك العقاد !

كذلك صنع فى أمر الأستاذ عبد الرحمن نصر حن أوعز بإخراجه من صحيفة « روز اليوسف الأسبوعية وأخذه بيده إلى صحيفة أسبوعية من طرازها .. ونال الأستاذ عبد الرحمن حكما بالتعويض لأنه « وفدى » مظلوم يستقبله الأستاذ مكرم فى بيت الأمة .. وقد تجنت عليه الصحيفة فأخرجته ظلما لأنها زعمت أنه يخالف فيما يكتبه المبادئ، الوفدية !

\* \* \*

والآن وقد انقضت جميع تلك المحاولات التى أريد بها الاضرار بنا هل يتطع الأستاذ الأريب عما نواه ؟

أبدا ..

بل يحرم مندوبنا فى الاسكندرية الخطب الرسمية حتى ما يصل اليه مزيد غيره ، ويظن أننا عالة على خطبه نسمى اليها زاحفين على الركب مستغفرين .

د ضاقت صدورنا بهذه اللجاجة الصبيانية فى ابذائنا مرة بعد مرة وخلصنا للاشكال بعد الاشكال ، ونحن صابرون كاطمون .

فأحجبنا أن يفهم الرجل أننا لسنا عبدا له ولا عبدا للمسخرين فى يديها وحذفنا لقب المجاهد الكبير الذى لا نرى له مصداقا الا فى جهاده فى

الدساتيس والتخريب ، رأينا أن ننشر له خطابا اذا وصل اليها في الموعد الذي يصل فيه الى صحف الصباح ، ونشرنا مقتبسات من إحدى خطبة « المرتجلة » على النحو الذي لا بد منه ولا نشبع من الصفائر ولا نفرط في لبانة وهي تسوم الناس أن يفرطوا في الكرامات والمبادئ، والحقوق .

وهنا وقعت الواقعة والى القراء اليهسان .

أفحسب القراء أن سببا من الأسباب الهامة - حتى ما أشيع عن استقالة الوزارة النسيجية - له دخل مباشر فيما صدر من قرار رخص الرئيس والأعضاء، على عجل في حصة الانتاذ و « الاستيسال » ؟ كلا . كل أولئك في المنزلة الثانية عندما يصاب مكرم من تريب ٠٠ أو عند ما يصاب في ممكن الدسيمة وسر الصنعة ٠٠ أو سر الارتجال !

لقد نشرنا المقتبسات المرتجلة (١) ( ! ) صباح الخميس فإذا الصحيفة الكرمية تتفجر في العدد التالي على الفور بتلك الضجة الفتعلة التي اختلقتها باسم الزعامة والجهة الوفدية ٠٠ في جرة الوثق من التواطؤ والأعضاء، وهي الصحيفة التي سكتت ثمانية أيام سكوت الخائف الوجل حين فاجأها بما اتقرفته من جنابة التبشير بالحماية !! وهي الصحيفة التي تدعن للصفح في ذلة وصغار خلت من كل رجولة وحياء ، وهي الصحيفة التي أفضلت من تهم البلاغ إذ لم يكن يسندهما من ورثها الأستاذ « الرئيس الجليل » ٠٠ وهكذا لا يعرف الماجور أن « يضحج » ويثور الا مدفوعا مسحورا !

وبعد « استواء » الحملة في زعم الأستاذ الجارع برزت أول لجنة وفدية بالاحتجاج على المعاد والصحيفة المارقة م الوطنية - ايماننا بدعوى الجهاد ٠٠ أين كانت هذه اللجنة ؟ في الاسكندرية !! في الاسكندرية التي كان فيها مكرم عبيد ٠٠ !

ثم سبق النحاس باشا الى القاهرة غضبا للزعامة أو غضبا للمبادئ، الوفدية ! وغضبا لكذا وكذا وكذلك ٠٠٠ وصدق من صدق ان « الوفد » تد اجتمع ويبحث وقرر ٠٠٠ وعلم من علم أن مكرما قد اجتمع وحده ويبحث وحده وقرر وحده منذ سبعة شهور ٠٠٠ وما على الجماعة الا التنفيذ !! وها أنا ذا أيتها الانجليز فهل في الوفد - هل في مصر - أحد سواى يحسب له حساب ؟

تلك هي الوقائع ناطقة بلسانها المتين ، وتلك هي المشيخة الوفدية كما زاد عليها في هذه الأيام ٠٠

يراد منا أن نسكت عن كارثة الخبر الفنى كما سكتت الصحافة  
المكرمية فلم تنطق الا بعد أن أخرجناها بالفتد واستحال عليها السكوت ..

يراد منا أن نخدع الأمة بتقرب عودة الدستور ونحن على يقين جازم -  
كما قلنا من اللحظة الاولى - أن الأمر غير جد وان الدستور غير مطلوب  
ولا عائد في ذلك الحين .

يراد منا ان نهمل بالتبليغ البريطانى كما علت الصحافة المكرمية  
ولولا أن أدركناها بالبيان الصحيح .

والتبليغ البريطانى ، مع ذلك حماية في أشنع الوان لحمايات لأنه لم  
يفرض علينا الحماية العسكرية وحسب ، بل يضيف اليها حماية الأمة  
الناصرة التي لا تفتقه معنى التطورات الدولية الا ان يرشدنا اليها البعض كما  
يرشد الآباء أطفالهم الصغار يراد منا أن نتول ان الوزارة النسيجية مقدمة  
على الدستور كأننا لم نقل للناس قبل سنوات قليلة : أذبحوا انفسكم في  
شوارع العاصمة من أجل الدستور .

يراد منا ان نتغنى بعهد الوزارة لانها أطلقت نا حرية الصحافة كأنها  
اطلقت لنا الحرية لنفتدما بأيدينا ، وكأنها لم تحتفظ بتوانين الحجر  
والاستثناء حتى هذه الساعة ، وكأنها لم تسخر الوفد في وظيفة اسكات  
الصحف التي كان يؤيدها - في عهد الوزارات المنبوذة - مراقبون في ادارة  
المطبوعات ..

يراد منا هذا وأمثاله ، ويراد منا مع هذا وأمثاله الا نغنى أبدا أننا  
آلات في يدى مكرم عبید ، وأبواق له تحوطه بالدعاية وتخالفه على الخصوم  
ولا تتف دون العداوة لكل من يتحرف عنه ولا يصطفيه . وتتوخى مواقع  
هواه قبل ان يجهر بها ، لأن المساسين لا يجهرون .

فان كنا كذلك فنحن أبرار احرار ولو كنا جواسيس مجرمين مبشرين  
بالحماية وديمية الاستعمار ، وان لم تكن كذلك فلا شفاة لنا ولا حقوق  
ولو كانت بنا ألف شفاة والف حق في ذمة البلاد ، لأن مكروما يستطيع  
ان يقول لرئيس فيقول الرئيس للوفد فيقول الوفد لعبيده المصريين : هذا  
العقاد مارق فاذا هو مارق ، وهذا الجاسوس بطل شريف فاذا هو بطل  
شريف برئت من الوندية ألف مرة ان كانت هذه هي الوندية .

« ما علمنا حين أيدناها الا حرية وكرامة ، نكيف نفقد حريتنا  
وكرامتنا لأننا نطلب الحرية والكرامة للناس اجمعين .. »

ما علمنا حين أيدناها إلا الأمة كاملة لا الأمة منصرفة سائمة كما تساءت  
سياسة مكرم النحاس ، فكيف نتعطل وظائف الوفد في أمة كاملة من أجل  
وزارة لم ترمض قط للانجليز طلبا ولم تحقق قط املا المصريين !

وانى لأسف أن يصير النحاس باشا بالوفد الى هذا المصير ، وان ينعكس  
المقصود من ثقة الأمة على يديه فيصبح قصارى نفعه ان يتقرب بضمائر  
الانصراف على مذابح الخصوم . ولكنى على اسفنى هذا احمد الله ان تقيض لى  
الحرية الكاملة ، وساق النحاس باشا لنفسه الى اطلاق قلبي به ، يعجب  
به على الاعمال والاراء والهيئات والتبعات ، لا فرق بين النحاس باشا  
ونسيم باشا . وسائر المسئولين عن سياسة البلاد . ويؤيدنى جدا اننى  
حين انفصل بينى وبين النحاس باشا وجماعته كنت اما في مكانى وكان  
هو الذى تحول عن مكانه ، واستقبل حياة الدعة والرخاء ، وحصر القضية  
كلها في التسيب للوزارة المعبودة عسى ان تسبج عى للانجليز عسى ان ترق  
لنا قلوبهم بدسئور مسموح او حكومه دستوريه يعصفون بها في لحة عين !!

وما كان انتظار الرحمة على هذا المنوال بالبرنامج الخطير الذى يفتر  
الى زعامة ومشاورة وخطط ظاهرة وخطط خفية فيما به يلغظون . ولكنى  
برنامج فاعع وادع سقيم عقيم ندرکه ونحن نائمون .

فاذا كان لا بد من انفصال الراى بينى وبين هذه السياسة الخائسة  
الخائفة ففى هذا المشرق الكريم فلننفضل على بركة الله . والحمد لله على  
ذلك ثم الحمد لله .

\* \* \*

وهكذا يمكن القول بأن صحيفة روز اليوسف اليومية تسهتت الفترة  
الآخيرة من تأييد العقاد للوفد وتعاطفه معه ، ثم فيها كان الحد الفاصل  
بين تعاطف العقاد وانفصاله عن الوفد .

والرحلة التى تعاطف فيها العقاد مع الوفد منذ ثورة ١٩١٩ حتى انفصاله  
عنه في عام ١٩٢٥ ، تمثل مرحلة الكفاح الشعبى بمعناه الحقيقى . ولكن  
بداية انفصال العقاد عن الوفد تؤرخ لبداية ابتعاد الوفد عن القضية الوطنية  
وانحرافه عن الخط الكفاحى للشعب المصرى وقد توج هذا الانحراف بعتده مع  
الأحزاب الأخرى معاهدة ١٩٣٦ .

ونحب أن نعطي في هذه الصفحات أمثلة من تأييد العقاد للوفد ، ثم  
نتابع من هذه الأمثلة مسلك كل من العقاد والوفد وما أدى اليه في النهاية من  
انفصال العقاد عن الوفد صراحة .

كتب العقاد في العدد الأول من الصحيفة بعنوان :

الوفد في غنى عن الدعاية (١) .

يقول :

« الوفدية عقيدة وطنية

والوفدية هيئة سياسية

وكلتاها من عقيدة ومن هيئة - في غنى عن الدعاية والتهرج بين الأمة المصرية ولا نعرف مكانا أولى بتقدير هذه الحقيقة من صدور العدد الأول في صحيفة وفدية ترفع شعارها وتقدم على ميدانها ، فإنه من شرف الصحافة الوفدية في رأي نفسها ورأي قرائها أنها وسيلة للتعبير عما نفوس الأمة وليست وسيلة للدعوة الى خطة مفروضة عليها ، فهي بين المصريين ترجمان عقيدة وليست بترجمان دعاية ، وهي لسان الأمة الذي يتحدث بوجودها وليست بلسان الأجنبي المسلط على أذنانها .»

ثم يقول :

« انما تؤدي الصحافة الوفدية واجب التعبير عن عقيدة البلاد للسياسية لا واجب الدعاية الحزبية وما إليها . وما من مبدأ أصيل تدين به صحيفة مصرية بريئة الا الأمة تصعقه قنبل ذلك تصديق من لا يحتاج فيه الى انفاع او تدليل ، وعن الشرف لهذه الصحيفة ان تعرب في عددها الأول عن تلك الحقيقة الوفدية الأولى .

« وحسبها من الرضى عن عملها والأمل في مستقبلها أن تقوم بقسطها الكامل في هذا الواجب الشامل ، وأن تكون لسانا معبرا صادق التعبير عن تلك العقيدة التومية التي يحمل لواءها الرئيس الجليل مصطفى النحاس باننا ويعنى في طبيعة صفوفها صحابته الأماناء ويجتمع على الإيمان بها أمة ناضجة عرفت في تلك العقيدة معنى اجتماع الكلمة والثبات عليها كما لم تعرفه من قبل في أمر من الأمور » .

ويواصل العقاد في هذه الصحيفة حربه على الانجليز ولا ينسى عن حضض مزاعمهم وكشف نواياهم . . . ويتهز ذكرى تصريح ٢٨ فبراير ويكتب بعنوان :

(١) روز اليريسف اليومية : يوم ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٥ .

يقول :

» انما الواقع أن السياسة البريطانية كانت خليقة أن تكرهنا على قبول ذلك التصريح ولو بذلت في سبيل ترويجه بيننا كل ما تستطيع لانها وضعت هذه السياسة العامة لكي تروج بها :

• أولا :سمة الحرية والانصاف بين أمم العالم على اثر الدعوة الولسنية .

ثانيا : ليقاع الفتنة بين الوطنيين وتدويخهم بالنازعات الداخلية بدلا من الاتفاق بينهم على السيطرة الأجنبية اذا جهرت بالقبض وحدها على أئنة الحكومة .

ثالثا : إلقاء التبعية عن كاملها وتذفيها على كواهل الوطنيين لتعود في يوم من الأيام فنتخذ من سوء الادارة في جو المنازعات والدماسيس حجة لها على أولئك الوطنيين .

رابعا : ارضاء الأفراد وذوى الأغراض الذين ترصيههم المظاهر والصور الخلابة فيحسبون أنهم مستنلون لأنهم يوصفون بأوصاف المستقلين .

ومثل هذه المغانم التي تدرتها السياسة البريطانية من وراء أسلوبها الجديد خليقة أن تسعى بها وتحتال على بلوغها وتدخل ما في وسعها من ائمان لو لم يحاول فريق منا أن ينخدع لها ويدعى لنفسه تلك الدعوة الصبانية من خداع الانجليز ! ..

من أجل هذا اصاب سعد حد الاصابة حين قال عن تصريح ٢٨ فبراير انه نكبة وطنية ونعمة استعمارية .

ومن أجل هذا صدقت المواقب ما تشاءم به الوند من البداية عن دخائل ذلك التصريح .

\* \* \*

ويدرك العقاد خطر الدعاية السياسية لصر كصلاح لا يقل شأننا عن الأسلحة للتقليدية في سبيل التحرر ، ونراه يكتب بعنوان :

» الدعاية لصر

(١) روز اليوسف اليومية : يوم أول مارس ١٩٣٥ .

٠ اثر الوزارات الاستبداديّ فيها (١) ٠

يتحدث عن ضرورة وجود دعاية سياسية واسعة تقولها الحكومة نفسها ، تدفع «بوساوس التي خامرت قلوب اسانحين من جراء» الاكاديب ، ويثيمه التي دابت على اذاعتها في مصر والعالم وزارات الاستبداد والظلمين ومن يعاونونها من انصار الاستعمار ودعاة التشهير بالبلاد المصرية من الوجهة السياحية ومن كل وجهة يمدرون فيها . نفعه لهم والضرر لهذه الامة المعروف ان وزارات الاستبداد والظلمين كانت لا تقوم الا على الارهاب والشذوذ واعتساف الخطط الاستثنائية في القوانين واختيار نظام الحكومة ، وكانت الامة المصرية في حالة من الفوضى والاضطراب لا تطلع في سياحتها الا اتمل حجتها التي لا مناص لها من اللجوء اليها لتسويغ هذه النظام والفضائح ان هذه الخطط المعنيفة ، لانها قد اذعنت لاناس من المهيجين القانونيين المعروفين بالعداء للاجانب والفوضى في ادارة الحكومة الوطنية حين يستولون على مقاليدنا في عهد من اليهود ٠

مرسخ في اذمان الاجانب اليمعدين من هذه الامة انها لا تكون الا في احدى حالتين كلتاهما لا توافقان السائح الراجب في الراحة والفرجة أو الراجب في الشفاء والامان ٠

فان كانت في عهد وزارات الاستبداد والظلمين فهي اذن في حالة تستوجب اعلان حكم الارهاب واتباع سياسة التمع والاستثناء والشذوذ في معاملة المحكومين ٠ وان كانت في عهد الوزارات الدستورية فهي اذن في رعاية الناطفة التي يشيع عنها الغرضون من المستعمرين واذناب المستعمرين انها تنشر الفوضى والاضطراب وتدين بالعداء للاجانب المقيمين أو القادمين للسياحة ٠

« وللغريب اليميد من الديار العذر اذا هو اشفق من زيارتها في هذين لعمدين وتوجس من المصريين في ظل الحكومات الطاغية والحكومات الدستورية على السواء ، فاذا انترن بما يسمعه عن مصر من دعاية واسعة عن الاعتسار الاخرى المشهورة بمشائيتها ومصايفها والثابرة على الدعاية لنفسها بلسان حكوماتها ولسان شركائها ولسان أدبائها ورجا لغنونها ومن يكتبون عنها فلا جرم يعرض السائح عن مصر ويقبل على غيرها وهو لا يشغل بانه بانبالغة في التقصّي واللبحث وراء الاشاعات والاقاويل » ٠

ثم يتفق أن يجيء عيد التضحية وعيد الدستور في يوم واحد ، فيكتسب مقالاً بعنوان :

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ٤ من مارس ١٩٢٥ ٠

#### عيدان في يوم (١)

يجدد في هذا المثال كفاحه مع الشعب طلباً للدستور الذي تداولت عليه معاول الهادمين فليس « اتفاق التصحية والدستور بالنسبة العجيب ولا بالشيء النادر لأن تاريخ الدستور هو تاريخ التصحية في جميع الأوقات وجميع الشعوب ولكن اتفاق العيدين مصادفه نادرة نرجو ان تكون علامة خير وبشاره توفيق وفاقاً للمتفائلين » ..

ويكتب مقالاً بعنوان :

حرية الاجتماع وحرية الصحافة (٢)

يتول فيه :

« وإذا كان أعداء حرية الاجتماع لا يعرفون لهم حجة تسوغ الصرامة والبطش في منع الاجتماعات وتقييد حرية الجماهير المعتولة فلن يجدوا حجة تسوغ مذهبهم في الحجر على الصحافة والكتابة على الجملة وتجزئ لهم أن يتنادوا في هذا الحجر إلى شل الافلام واعتبار الصحف شراً يحتمله الحكام احتمالاً حتى يجدوا الوسيلة للتضام عليه أو إبقائه في حالة مكبوحة بمستوى فيها البقاء والزوال .

فنحن قد رأينا عواقب اطلاق الحرية للحكام ورأينا تبيل ذلك عواقب اطلاق الحرية للصحف والكتائب ، فهل حدث من جرائم الغلو في النقد شيء كالذي حدث من فضائح الغلو في تسليط الحكام على الناس وحمائيتهم من العقاب !

\* \* \*

وخلال هذه الفترة - ١٩٣٥ - تلقى وزارة توفيق نسيم الثانية التأييد من الملك والانجليز ثم من حزب الوفد الذي ظن انها قد جاءت لتجرى انتخابات حرة تعيده الى الحكم ، بعد أن تعيد دستور سنة ١٩٢٣ ( وكان قد عطل تبيل ذلك ثم استبدل به دستور سنة ١٩٣٠ ) وشاع يومئذ وصف الوزارة بهذا اللفظ « منظره Bridge » لعبور الوفد الى الحكم ، مع أن بيان الوزارة صريح في انها جاءت لاصدار « دستور ترصاه الأمة » ولم تشر قط الى انها ترمي الى اعادة دستور سنة ١٩٢٣ نفسه ، وكان ذلك مع غيره من القرائن هو الذي رآب العقاد في الوزارة فلم يهادنها على الرغم من تأييد الوفد لها .

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ١٦ من مارس ١٩٢٥ .

(٢) روز اليوسف اليومية : يوم ١٧ من مارس ١٩٣٥ .

وكانت حملة العقاد المعنية نسي هذه الوزارة سبباً في انفصال العقاد عن الوفد كما بيّنا في الفصل السابق ، ومن مقالات العقاد هذا المقال :

#### احراج يندم عليه غيرنا (١)

يبين فيه العقاد موقفه من الوزارة النسبوية بعد ان حمل عليها ، واحدت الصحف الاخرى ومن بينها الجهاد تلوم العقاد على موقفه متضامنة في ذلك مع مكرم عبيد الذي كان يؤيد الوزارة .. يقول العقاد :

« كان في وسعنا ان نذني على الوزارة الحاضرة فيما احسنت وفيما اسامت من اعمال سياسية او اعمال الادارة الداخلية .. »

وكان في وسعنا اذا صدرت قرارات مجلس الوزراء وفيها قرار بتعيين الموظفين الانجليز - ان نسكت كما يسكت غيرنا ، ونتعاضى كما يتعاضون حتى تمر المذكرة أو المذكرات بسلام ثم نواصل السكوت أو نعقب على الامر بكلمات لا تخرج عن ( براءة العتق ) كما يقال في الاحاديث العامة .. »

وكان في وسعنا اذا صدرت قرارات مجلس الوزراء وفيها قرار بتعيين « خير فني » لوزارة التجارة مزود بحق الاتصال ان نشايح الوزارة ولا نطالبها باستدراك خطتها ولا ننتهيها الى الخطر الجسيم الذي تنطوي عليه تلك الصيغة وقد انطوت عليه امثالها فيما سلف من المعاملات المرفوضة وكان في وسعنا الا تمهل للوزارة غضب الامة من هذه الأخطاء الجسم حتى يتساح للانجليز ان يجدوا في الطلب ويتاح للوزارة ان تجدد القبول وكان في وسعنا ان ننسى سيئات الهدايا والمجانبة في وزارة المعارف لا يزا لاصحابها بقية في تلك الوزارة ، وان ننسى كذلك حقوق المناصب الكبيرة وما ينبغي لها من الماضي الناصع والخلق التين والشجاعة على احتمال التبعات ولجنتساب المروغه بين العهود والوزارات « .. »

« كل اولئك كان في وسعنا »

وذا ان اجدى لنا وايسر علينا

وكان شيئاً لا بدعة فيه قياساً على ما يصنعه غيرنا ويعرضونه على الامة باسم الاخلاص والوطنية !

ولكننا حيناً انفسنا فاخترنا ان ننتقد الوزارة فيما هي مخطئة فيه ، وان نذبه الى الخطر الجسيم كلما انتبهنا اليه ، وان نعبر عن شعورنا وعن

(١) روز اليوسف اليومية : يوم ١٧ من مارس ١٩٢٥ .

نشور الناس فيما يحسن أولا يحسن من اعمالها ، ومضيئا في سبيلنا كما  
رأى التاريخ، فلم يعجب ذلك أناسا من الصحفيين وراحوا يستطيون ويعيدون  
الاستقالة حتى عرضوا « للنيات والغايات والتهم » فيما تكتبه هذه الصحيفة  
من هذه الشؤون .

« ولقد مضيئا في سبيلنا دون ان نعرض لنيات غيرنا أو غايتهم أو  
لتهمة يتهمهم بها كائن من كان ، ولكن « غيرنا » هؤلاء يابون أن يتركونا كما  
تركناهم ثم يابون الا ان يستطيوا علينا حين يتخفوا من افعالهم بأخبت  
النيات والغايات !

فيالله كيف تكون هذه النيات وهذه الغايات ؟

أتكون يا ترى لأننا نتوخى رضى الانجليز ونحن لا نفتأ نحارب مطامعهم  
في التجارة وفي وظائف الدواوين ؟ ..

أتكون يا ترى لأننا نتوخى رضى الوزارة ونحن لا نسكت عن أخطائنا ،  
أو مأخذها ولا نزال نستحثها على اتمام واجبها والذود عن مصالح بلادنا ! ؟

أتكون يا ترى لأننا نتوخى رضى الايراشيين والصدقيين وليس اشد  
عليهم في الماضي ولا الحاضر من ممرضتنا والحافنا في القضاء على عهدهم  
وعلى أفتابها وبقياءها ؟

أتكون نحن المتهمين في نياتنا وغاياتنا ، لأننا نغضب الاتوياء جميعا  
ونسجل الإخطاء على الانجليز وعلى الايراشيين وعلى الوزراء ، ثم تكون  
النية المباركة والنزاعة عن المآرب عند من تزلفون الى هؤلاء جميعا ويحنون  
كل ما في ايديهم من الخير والمعونة ؟

« هل بلغ من استغلال العتول أن يطمع طامع في تصديق هذه الأحاجي  
والألغاز وإن يجر على مواجهة الناس في وضوح النهار ؟

تعمست صناعة القلم وتعمست السياسة ان ارضختنا على احتمال هذا ..

فيا ايها الناس : اننا لا نجاه لكم فيما تكتبون ، فدعونا وما تملبه علينا  
ضمائرنا واستمعوا أنهم لما تملبه عليكم ضمائركم كما يطيلها الاملاء والا فاذا  
بلغ من تلب الأوضاع ان نسكت عنكم وأنتم لا تسكتون عنا فمرحبا اذن  
بما أردتم وما اشتهيتم ، وستعلمون أنه احراج تضيق به الصدور ولكننا  
لا نندم عليه نحن ولا نتحاماه .. بل غيرنا النادمون » .

وتشتد حملة المقاد على الوزارة النسيجية ويكتشف تسويقها وتلاعبها ..

ومن مقالاته العنيفة :

- هم اعداؤه من تديم (١)
  - طريقة أخرى من طرق التسويق والتاجيل (١)
  - تقديرات واضحة حول المسألة الدستورية (٢)
  - ماذا يرجون من الانتظار (٣)
  - اعداء مقلقة لا تدعو الى طمأنينة (٤)
  - الوزارة والنقد (٥)
  - لا يد من القول الصريح فالسكوت عن هذا اجرام (٦)
  - اذن لا دستور ولا تفضية وطنية الا الوزارة النسيجية تبقى حتى تنتهى الحرب المنظورة (٧)
- ثم يخرج المقاد على الوفد ، ويواصل كفاحه الوطني متعاطفا مع الشعب ويكتب مقالا يبين فيه خطته الجديدة في الكفاح بعد انفصاله عن الوفد في مقال :

• خطتنا في السياسة المصرية (٨)

ويتحدث في هذا المقال عن :

١ - خطته مع الاحزاب والوزارات

« فلن نؤيد بعد اليوم الا ( أعمالا ) ولن نحارب بعد اليوم الا ( أعمالا )  
ولن نقيم بعد اليوم مقياسا للخطط والبرامج غير الاعمال »

- (١) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٢ من مايو ١٩٣٥ .
- (١) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٤ من مايو ١٩٣٥ .
- (٢) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٦ من مايو ١٩٣٥ .
- (٣) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٧ من مايو ١٩٣٥ .
- (٤) روز اليوسف اليومية : يوم ٣١ من مايو ١٩٣٥ .
- (٥) روز اليوسف اليومية : يوم ٩ من سبتمبر ١٩٣٥ .
- (٦) روز اليوسف اليومية : يوم ١٧ من سبتمبر ١٩٣٥ .
- (٧) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٥ .
- (٨) روز اليوسف اليومية : يوم ٢٩ من أكتوبر ١٩٣٥ .

٢ - خطته في القضية الوطنية .

وهي « توجيه القوى الوطنية كلها الى محاربة الاستعمار وتآليف الاعداء المختلفين عليه وسلاحنا في حرب الاستعمار وسيلتان : الدعاية والقاطمة الاقتصادية وهي تتناول القاطمة الدنية كلما اوجبتها الأحوال » .

٣ - الزعامة .

« والواجب في الزعيم المصري على ما نعتقد ان لا يرشح نفسه لوزارة وأن يكون « قائدا » لا سياسيا ولا حاكما من حكام الادارة ، وخير لصر أن يكون شابا في الأربعين وأن لا يكون من الموظفين الاقدمين . . . وعمل هذا الزعيم ان يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الأحزاب - وقد أصبح الوصول الى الاستقلال من طريق الوزارات أمرا غير معقول ولا منظور بعد أن تمسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول .

« فليكن للزعيم المصري بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلقين على الرأي العام الذي ينصل بزعيمة على أساس صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب ، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذي لا ينظر الى غير الاستقلال والحرية ، كما كان ينظر اليهما المصريون في النهضة القومية » .

## الفصل الخامس

### العودة الى البلاغ

رأينا أن العقاد قد استمر مشاركا في تحرير البلاغ منذ انشائها وصدورها في عام ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٣٠ ، ولكنه عند صدور البلاغ مرة أخرى في عام ١٩٣١ لا يعود الى التحرير فيها ، وليس غريبا أن لا يعود العقاد الى البلاغ في طوره الجديد وقد أخرج وأخرج منه في نهاية طوره الأول عندما توالى تعطيل البلاغ بعد صدوره في عشرة أيام بنحو عشرة أسماء ، ثم عاد البلاغ الى الصدور بعد خروج العقاد منه ، وبقي منتظما في صدوره ، واحتجبت بدلا منه - صحيفة كوكب الشرق التي نشر فيها مقالات ثلاثة أيام متواليات. وظلت محتجة طوال الوقت الذي انتظم فيه صدور البلاغ .

واستمرت البلاغ في تأييد الوفد بعد صدورها في طورها الثاني ثم ما لبثت أن خرجت على الوفد في أواخر عام ١٩٢٢ متضامنة مع الأعضاء الثمانية الذين فصلهم الوفد اختلفوا معه حول تأليف الوزارة الائتلافية وكان موقفهم هذا يتفق مع موقف الاحرار الدستوريين الذين رحبوا بالفكرة رغم انها من نبات أفكار النحوب السامي الذي اراد بدوره من ورائها إمكان اسقاط الوزارة الائتلافية بخروج بعض اعضائها اما بايعاز من الانجليز ان امكن ذلك ، ولما بايعاز من التصرف نفسه كما حدث في سنة ١٩٢٨ . بيد ان مصطفى النحاس ومكرم عبيد رفضا هذه الفكرة وكانا على حق في ذلك استنادا على نصوص ( الميثاق ) الذي عقد في شهر سنة ١٩٣١ ومن أهم قواعده الا يقدم على تأليف الوزارة غير حزب الأغلبية .

ولكن خروج هذه الجماعة التي أطلق عليها في ذلك الوقت حزب السبعة والنصف كان في الحقيقة تطهيرا للقيادة الوطنية أكثر منه انقساماً في صفوفها كما يذكر في أكثر الاحيان ، فقد كانت هذه الجماعة تمثل تطاعات من الرأسمالية النامية في اتجاه الاحتكار من ناحية والقبليية من ناحية أخرى . فخرجها جعل القوى المركزية المسيطرة في الوفد تنتمي الى الطبقة المتوسطة ، الأمر الذي ساعد بالتالي على تقارب قيادة الوفد مع قواعده الجماهيرية (١) . وعلى ذلك فقد كان تضامنا البلاغ مع المنتسبين على الوفد لا يمثل ظاهرة طبيعية في الكفاح الوطني ، ومن هنا لا نرى ان حملة العقاد التي شنّها على البلاغ أثناء عمله بتحرير الجهاد الا من قبيل التأديب لكل من خرج على الخط الوطني الصريح .

(١) راجع ، الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو أصولها التاريخية ص ١٤٩ .

وقد استمر العقاد مرتبطا بالوفد حتى سنة ١٩٣٥ ، وقد استطاع طوال هذه الفترة ان يكون في طليعة كتاب الطلبة الجديدة يجسد أفكارها وولمسفتها ومبادئها ، فهو ثورى في السياسة من أجل الدستور ، وهو في الفكر مدافع الى أقصى حد عن حرية الفكر ، وعن الاتصال بالثقافة الغربية بسون الانفصال عن الماضي الذي يمنح الانسان جنورا واصولا تذكى شعوره القومي وتؤكدده ..

ولكن شتان بين من يخرج على الوفد في مرحلته الاولى ومن يخرج عليه بعد معاهدة ١٩٣٦ ، فالذين خرجوا منه في مرحلته الاولى خرجوا وهو في قمة نضاله الوطني ، وكانت انسلخاتهم تتضمن تفریطا في احد وجهي ثورة ١٩١٩ وهو الوجه الديمقراطي في سبيل تحقيق الوجه الاخر وهو الوجه الوطني ، بينما الذين خرجوا عليه في اواخر عام ١٩٣٥ وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ كانوا يجنحون الى الجماهير الشعبية . لذلك لم يكن غريبا بعد سنة ١٩٣٦ - وبالذات خلال الحرب العالمية الثانية - ان تنسرب الى قيادات الوفد عناصر تنتمى الى كبار الملاك الزراعيين امثال سراج الدين والبدراوى والوكيل . وكان نتيجة تحول الوفد عن اهدافه ان اتسعت الهوة السحيقة بين تسيادته الجديدة وبين القواعد الجماهيرية للوفد ..

وهنا نخلص الى ان العقاد عندما انضم الى الوفد بكل ثقله منذ ثورة ١٩١٩ كان ذلك جنوحا منه الى التقدم الوطني المتصرف الذي يدرك بايمان عميق قيمة التمسك بوجهي فلسفة ثورة ١٩١٩ ( الديمقراطية ، والوطنى ) . وكان خروجه على الوفد عام ١٩٣٥ جنوحا منه ايضا الى التقدم الوطني معتقدا نفس الاعتقاد القديم مدافعا عنه بكل ثقله كذلك .

ويعود العقاد الى صحيفة البلاغ التي سبقته في الخروج على الوفد، ولم تكن محقة في موقفها ، ولكنه عاد اليها ليضفي عليها بمقتالاته السياسية دفاعيا القديم عن وجهي فلسفة ثورة ١٩١٩ ، ومنذ اكتوبر عام ١٩٣٧ شهدت صفحات البلاغ القلم الجبار الذي ابد الوفد بكل جبروته يهاجم الوفد الذي انحرف عن مبادئ ثورة ١٩١٩ بكل جبروته كذلك .

ويعكس العقاد صورة الوفد في مقالات نشرها بالبلاغ يقول في بعضها :

« لبيك سعد في ميدان النهضة الوطنية تصم سنوات ثم افتقل من عالم الحياة الى عالم الخلود فلولا ان الوفد كان هيئة لابد لها من رئيس لما خطر لاحد

من المصريين أن يجعل مصطفى النحاس خليفة لسعد زغلول ولا استحال  
على زملائه أنفسهم أن يتفقوا على اختياره لذلك التمام .

« لو سألت في السنوات الأخيرة ماذا ابقت الزعامة لمصطفى النحاس  
لما علمت لذلك من سبب إلا أنه تكفل بتسهيل الوطنية المصرية فحطها من  
أهون الولوجيات بعد أن كان السر في اختيار سعد والاجماع على اختياره  
أن المصريين قد أرادوا أخطر الرجال لأخطر الأعمال (١) .

ثم يقول في مقال آخر يصور تفريط مصطفى النحاس في الوجه الأول  
لفلسفة ثورة ١٩١٩ ونعني به الوجه الدستوري (٢) .

« ماذا يكون مصر دستورنا إذا استبد مصطفى النحاس وقتلنا له  
لا يستبد فقال : لا : أما أنا فأستبد ويستبد معي أذنابي وأتبعي  
ومن أشياء // وأما أنتم فإن رضيتم ذلك شئكم ، وإن لم ترضوا  
فأغضبوا ما بدا لكم وانظروا كيف يدوم الدستور » .

ثم يكتب مقالا آخر يصور فيه انشقاق الجانحين إلى التقدم الوطني  
تاركين الوفد ليستقطب العناصر التي تنتمي إلى كبار الملاك الزراعيين  
والهوة السحيقة التي اتسعت بين الوفد وقواعده الجماهيرية :

« اليوم ينفضى عن الوفد جميع أبناء الجيل الجديد بغير استثناء،  
نرد واحد لأن الأفراد الفائل الذين يحومون حول الوفد من أبناء هذا  
الجيل لا يولونه حبا ولا اعتقاد ولا غيرة على مبدأ من المبادئ ، ولكنهم  
يولونه لانهم أبناء هذا أو اقرباء ذلك ، فإذا قلنا أن الجيل الجديد كله  
يحارب الوفد بغير استثناء فنلك هي الحقيقة التي لا مبالغة فيها أو هي  
تلك الحقيقة التي تحل على حقائق كثيرة بعيدة الغور متشعبة الأطراف » .

ويصور رأيه في النحاس بعد تحوله عن أهداف الوفد بزعامه سعد  
زغلول يقول : (٣)

« إن صاحب التمام الرفيع أعظم رؤساء الوزارات المصريين ربحسا  
وأقلهم خسارة باشتغاله بالسياسة دون استثناء واحد من أولئك الرؤساء  
في التديم والحديث أو بين الأحياء والاموات .

(١) البلاغ : يوم ١٣ من نوفمبر ١٩٣٧ .

(٢) البلاغ : يوم ٦ من نوفمبر ١٩٣٧ .

(٣) البلاغ : يوم ١٩ من أغسطس ١٩٣٧ .

« فالنحاس باشا كان قاضيا من الدرجة الاولى او الثانية في ايام الثورة الوطنية فاصبح وزيرا بعد بضع سنوات واصبح رئيس وزارة بعد بضع سنوات اخرى ولا نعلم رئيس وزارة ، وثب هذه الوثيقة في سلم الترقية منذ كانت في هذا البلد وزارات ومصطفى النحاس تولى الوزارة اربع مرات ، وليس بين الاحياء من تولاهما أكثر من مرة واحدة ما عدا توفيق نسيم ، ومصطفى النحاس باشا - قد نمتسا في بيت من الطبقة المتوسطة الفقيرة في بلاد الريف ثم وثب من هذا البيت الى اعلى المتامات الحكومية . اما رؤساء الوزارات الاخرون فجميعهم بالاستثناء لم يثبوا هذه الوثيقة ولم يصعدوا هذا الصعود لانهم كانوا ابناء باشوات او سروات ولدوا في بيئة الحكم والشر ، »

« والنحاس باشا قد انفق في شؤنه الخاصة ما لا يقل عن نفقات الوزراء الآخرين ، وانفق في الدعاية السياسية ما لا يقل عما أنفقوه . وعاش في دعة لا تتل عن الدعة التي عاشوا فيها وزاد عليهم بالتصفيق والتهليل والتمجيد والتسجيل اسم التضحية واسم البلاد في ميدان الوطن . »

وفي مقال آخر يتم لنا صورة النحاس يقول (١) :

« أي خطوة من خطواته ليس لها استنها ، التصف والامتانة فيه . وای امر أقدم عليه منذ جرت مفاوضة بين المصريين والانجليز لم تكن العناية منها حب النصب او الاتجاه اليه ، نادى بمشروع ملنر وغضب من نأقديه لانه كان يطمح في دخول الوزارة التي أساس المشروع ، ثم انحنى باللائمة على مشروع ملنر وانقلب عليه لانه يئس من دخول الوزارة الداخليين . »

« وبقي مع سعد لأنه موظف في الوفد يتقاضى شهريا أكبر من مرتب الوظيفة . »

« واستقبل في رفض المعاهدة بين تشمبرلن وثروت لان الرفض طريقته الى رئاسة الوزارة . »

« واستقبل في رفض المعاهدة بين هندرسن ومحمد محمود لان الرفض طريقته مرة اخرى الى رئاسة الوزارة . »

(١) البلاغ : يوم ٣٦ ديسمبر ١٩٣٧ .

ويستخدم العقاد سلاحه العظيم ، سلاح السخرية ، برجال الوفد ،  
وذلك عندما يكتب محمد نجيب الهلالي بجريدة المصرى سلسلة من المقالات  
تحت عنوان « مخالف القط » فينبغى له العقاد مستخدما سلاح السخرية  
في مقال بعنوان :

« واستبسل في قبول المعاهدة الأخيرة لأن القبول طريقته الى رئاسة  
الوزارة » .

مطالب التسطط ومطالب الخطط  
أو جوانب السطط في مخالف التخطط(١)

وهو مقال طويل مسرف في الطول نكتفى منه بهذا القدر الضئيل .  
وأوله كما يلي :

« قالت البيغاء الخضراء وهي نكثت من الهراء ، وتلتقت الى الورا  
( يعنى بالبيغاء هنا نجيب الهلالي ) : عندئذ لقي عليهم الوزير الأكبر  
درسا بل درسا في الرسم والهندسة والهيئة والظك . فلمهم أن الخط  
المنحنى خير من الخط المستقيم ، وأن الزاوية المنفرجة الكبرى أضيقت من  
الزاوية الحادة أو الصغرى . وأن القطع خير من الوصل . وأن أجمل  
الدوائر هي الدائرة المخروطة : أما عرض من غير طول وأما طول من غير  
عرض . ولا بأس من أن تجتدي، الدائرة من سطح مستديرة ، ثم تستدق  
حتى تنتهي الى نقطة . الى آخر ما قالت البيغاء بحرف كلامها ونص  
نظامها . فالتفت اليها الراوى يقول وهو يسأل الله حسن القبول :  
لك الله يا بيغاء من حكيمة رعناء . أنك لا تنسين ما تصبحين فيه  
وتحسين من دوائر وخطوط وزاوية ومخروط . فهل خرجت من هذه الطويلة  
الى حد الرجولة تبسل أن تنكثن الفسولة ؟

قالت للبيغاء : ان قول الحق لم يدع لى صديقا . فهل تركتم  
من الخال طريقا ؟

قال الراوى : بل لعل الباطل - لاقول الحق - هو الذى جنبك  
الأصدقاء ، وأكسبك عداوة الأعداء ، واليك حقيقة الأنبياء :

قالت البيغاء : وما حقيقة الأنبياء ؟

(١) البلاغ : يوم ٧ من فبراير ١٩٦٨ - أنظر أيضا « أمب الثالثة الصحفية في مصر ج ٨  
- ص ٣٢٧ = الدكتور عبد اللطيف حمزة .

قال الراوى : حقيقة الانبياء يا صاحبتى البيغاء هي أنك حمقاء ،  
وان حسبيوك من الانكسار . فقد كنت في وظيفة غير صغيرة ، فاعرضت عنها  
لتصبحي وزيرة . وتلك حمافة منك أيتها البيغاء فيبسا من خلل  
الحساب وما فيها من قبح الرياء .

قالت البيغاء : أيتها الراوى الذى هو للتاريخ حاوى ، ان كان مازعمت  
خلا حساب وتبيحا من رياء ، فلماذا رضى عنى زعيم الزعماء .  
ودخلت من أجله في زمرة الأولياء ؟

قال الراوى : لأن زعيم الزعماء صغير النفس صغير الذكاء . صغير  
الهمة صغير الرجاء . نسي جنابك على الدستور لأنك أسأت الى ( وفدى  
شهور ) ، كل ذنبه انه صديق النقرانى وماهر . وتلك عند الزعيم كبيرة  
الكبائر ، وأفة البواطن والظواهر . وهكذا يكون الجزاء عند زعيم الزعماء  
إذا كان صغير النفس صغير الذكاء .

قالت البيغاء : ثم ماذا من مثل هذا ياهن لا يزال للعقل ملادا  
وللباطل نبذاذا ؟

قال الراوى : الذى هو للعقل ملاد وللباطل نبذاذ : ثم فاتك  
الخدول في المنصب الممول . فملات الأرض والسماء بالخدج والبداء -  
أيتها البيغاء الرعناء . وجعلت تخرجين من قهوة الى قهوة ومن ندوة  
الى ندوة . ولا حديث لك الا الطعن القصود في الزعيم المعبود والمجاهد  
المحسود . حتى انفصل النقرانى من تلك الزعامة ، وقامت على رأسها  
القيامة . فعاد الزعيم كما كان في الابتداء صغير النفس صغير الذكاء . -  
ولجأ الى كيد الأطفال . ودق الكف وأخرج اللسان وحك الأنتف  
وتلقح المقال . وظن أن دخولك الوزارة يغيظ العدا ويدل على الشطارة .  
وما درى أنها نكبة جناها عليك ، ونفعة ساقها اليك . ولا تزالين  
فيها ولم تزالى ، ولو أنفقت في السجع الليالى ، والحديث الخيالى  
والجنون القصرى الهلالى .

( الى آخر المقال )

\* \* \*

رأينا كيف بدأ العقاد حملته على الوفد بعد انفصاله في روز اليوسف  
اليومية ، ولكننا نجد هذه الصحيفة بعد ائتلاف الأحزاب وتشكيل  
الجبهة الوطنية ترفض استمرار العقاد في حملته ، وهنا تفتقر خطة  
الصحيفة وعباس العقاد فيتركها ليواصل حملته في صحيفة أخرى تنتج له  
ذلك ، وقد عمل العقاد بصحيفة البلاغ منذ أكتوبر ١٩٢٧ ، وقيل ان يجرى  
بالبلاغ كان الملك فاروق تد دعا النحاس الى تأليف وزارته الرابعة في أغسطس

١٩٣٧ . وتألقت الوزارة بعد ان انشق على الوفد محمود فهمي النفراسي ومحمد غالب وعلى فهمي ومحمد صفوت ، وكان ذلك تصدعا جديدا في الوفد وبيدات تنسرب الي الوفد عناصر تنتمي الي كبار الملاك الزراعيين ، وبدأ النحاسي - فقد ثقة الجماهير به ويزعامته ، ولذلك سخر العقاد في البلاغ من تلك « الزعامة القدسية » ولم يقل عنفا مثلالاته أثناء وجود مصطفى النحاسي في الحكم ، وكانت حملته على النحاسي سببيا في اسقاط وزارته الراهية . واستمرت هذه الحملة الي ما بعد سقوط الوزارة واليك بعض المنوالنات التي استخدمت في هذه الحملة منها :

- - اصحاب العقول في راحة (١) •
- - شارب البحر ( يربيد النحاس باشا ) (٢) •
- - الزعامة الظاهرة بالاستقلال تستجدي الانجليز التدخل باعادتها الي الحكم • ويستخطها ويشتر نفسها تصريح المستر (البن) ان حكومته تحترم استقلال مصر ولا تتدخل في شؤونها (٣) •
- - القنبلة النحاسية تنفجر على راس النحاس باشا (٤) •
- - النحاس باشا يرفض السلم الذي ارتقى فيه الي غايته ويتنكر لسعد وذكره بعد ان تاجر باسمه ولتخذ من كفته راية له (٦) •
- - جنون النحاس باشا (٥) •
- - اصبح الانجليز يكون حلوا اذا كان النحاس باشا وزيرا • فاذا اقصى عن الحكم فهو اصعب سياسة خادعة (٧) •
- - لنحاس باشا يحرص على الثورة • فان كان عاقلا فحاكموه • وان كان مجنوناً فقتلوه (٨) •
- وما لبث العقاد ان اعتقل بسبب هذه المقالات • ولكنه عاد بعد اربعة ايام من خروجه من المعتقل الي حملته الساخرة باقسي مما كان ، وبقي على

- (١) البلاغ - يوم ٣ من يوليو ١٩٣٧ - راجع الدكتور عبد اللطيف حمزة : ادب القالة الصحفية ج ٨ ص ٣٣١ •
- (٢) البلاغ : يوم ٢٦ من اكتوبر ١٩٣٧ •
- (٣) البلاغ : يوم ٨ من ديسمبر ١٩٣٨ •
- (٤) البلاغ : يوم ٢٦ من يوليو ١٩٣٨ •
- (٥) البلاغ : يوم ٣ من أغسطس ١٩٣٨ •
- (٦) البلاغ : يوم ٢٥ من أغسطس ١٩٣٨ •
- (٧) البلاغ : يوم ١١ من اكتوبر ١٩٣٨ •

هذه الحال حتى سقطت وزارة الوفدة للرابعة في ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٧  
فشيخها العناد بمقاله المشهور :

دالت دولة المهرجين (١)

ومنها قوله :

• كل ما يسقط الوزارات اتقرفته الوزارة النحاسية جهارا نهارا . وصى  
• لا تحسب حسابا للسقوط اعتمادا منها على انها بثلت الثمن للانجليز .  
• وانظر فرحة المناقطين الاخساء يوم يقال ان الوزارة في ازمه . وان  
الانجليز يحمونها من عواشب هذه الازمه . انك لترى اذناهم وانشياعهم  
في الصرعات والاندية يتباثرون ويتعاقبون ويتقبلون النهاى بما يسهون ان  
يشيعون . ولا يخطر لواحد منهم ان يسأل : ازعاهم وطنيه باحسراب  
الاجدييه ؟ ايحمى الانجليز هذه الوزارة لانهم تحدهم ، او لانها تستخدم  
الصرعيين ؟ كل ذلك لا يعنى الاشياح والاشياح ان يسالوه . ولكن يعنيه  
ان تنجى الوزارة . وان تبقى غنائم الوزارة ، وان يهتفوا بوزارة الاستقلال ،  
وعم يرمون كل الايمان حين يهتفون انهم ينتظرون الحماية من دوله  
اجندييه ، ولا يرحبون بشئ، كما يرحبون بتأييد الاحتلال ودوم الاحتلال !!

• لتبق الوزارة في الحكم وليكن بعد ذلك ما يكون . لتتشر البقاء من  
كل طائفه غاضبه متواعدة على حساب الادارة والنظام . لتتشر البقاء من  
الطلبة على حساب التعليم ومستقبل الوطن . لتتشر البقاء من المجرمين  
المتشردين على حساب الحرية والدستور والاعراض والارواح . لتتشر البقاء  
من الصحنيين على حساب خزانة الدولة . لتتشر البقاء من كل نصير تارة  
بالفروض من بنك التسليف ، وتارة بالهبات واشياء الهبات من املاك  
الحكومة ، وتارة بالوساطات والشفاعات ، وتارة بتوظيف الابناء والاخوان  
والاصهار ، وتارة بالعمد والمشايخ ينتخبون ، وتارت كثيرة بكل ثمن  
الا العدل والانصاف والاقبال على مصالح البلاد .

• هكذا يفهم النحاس باشا الدستور ويفهم الاستقلال . وكلاما ليس  
له من مظهر في رايه الاتيامة في المناصب . وانطلاقه بالعريضة والتهرج على  
هواه . فالاحتلال مريب حين يتصبه عن المناصب . وكذلك الدستور لا معنى  
له من حرية الناس ولا من توزيع السلطات ولا من توزيع السلطات ولا من  
اصلاح الشؤون ، ولا من عقوبة اللصوص والمثلسين ، وإنما معناه الوحيد  
ان يحكم مصطفى النحاس ولا يحكم أحد غير مصطفى النحاس . وان يحكم  
دون غيره لا لغرض وطني أو برنامج سياسى ، و لا لاستغلال باهر غير المنفعة

(١) البلاغ : يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٢٨ .

انظر لمكتور حمزة : أدب المقالة لصحفية ج ٨ ص ٢٢٢ .

الفريقية والتهويش المبذول المستهيم . ولكن لفرعنا وتفريغ الحبايب  
عنه وهو ينشئ ريشة ، ويصغر خده ، ويثنيه بمنظره الذي نولا شؤمه  
ونحسه لكان من مضحكات المسارح في ساعات الاجون .

وعؤلاء المصريين الذين استكثروا على احمد فؤاد وتوفيق اسماعيل  
من ينزروا بالسلطان ، وان تجتمع في ايديهم وحدهم اعنة الامور يمسكون  
ببرتكسون حتى يصبح الامل الاعلى عندهم في عرف مصطفى النحاس ان  
يجمعوا بين يديه وتحت ندميه سلطان الزعامة ، وسلطان البرهان ، وسلطان  
الادارة ، وسلطان الجيش يقسم له اليمين . وسلطان التصرف لا يناقشه  
في كثير ولا تليل . تم لا يكتفي ذلك حتى تجتمع بين يديه شرادم من  
المتشردين المتعطلين يرسلهم الى من يسلم من هذه السلطات جميعا ليضربوه  
ورجموه ، وهم في حراسة الشرطة ، وينجو من الحساب والعقاب .

هذا هو الدستور وهذا هو تقسيم السلطات ، وهذه هي حريات المصريين  
التي جاعدها من اجلها ويجاهون . ويبدون من اجلها العالي والرخيص لانهم  
لم يجدوا في اجياهم انسانا في رجاحة مصطفى النحاس ، ورضانة مصطفى  
النحاس : لا النحاس ولا الثورة . وذعب المسكين الى حيث لا رجعة  
هذه الحريات وجميع هذه السلطات وهم تابعون صاغرون !!

الارواح والاموال يبذلها المصريون من اجل مصطفى النحاس . ماله من  
مهزلة كان اولى الضاحكين منها اولئك المهرجون الذين اشفقوا على البلد  
بالامن ان تجرى فيها بحار الدماء ، وتنفجر فيها الحمم والذيران يوم يتخطى  
عن الحكم مصطفى النحاس . لقد نادى المهرجون : النحاس والثورة . فنادى  
النحاس : لا النحاس ولا الثورة . وذعب المسكين الى حيث لا رجعة  
ولا ماتب .

اذ ذاك ولد الدستور من جديد . فما الدستور ان لم يكن احدا يقول  
لكل انسان : هنا مكانكقف لا تتعداه ؟ !

و (تف هذا مكانك ) التي تليت للنحاس وحواشيه يوم اقتيل من الوزارة  
هي مولد الدستور وهي مولد الحرية المصرية من جديد . اما ( اذهب في طريقك  
الى غير مدى ) كما قال له الماجورون والنهجون فهي هي الويال ، وهي هي  
القضاء على ما حضر وما مضى وما ياتي بعد اليوم من جهاد .

( الخ ما جاء بالمقال الذي شغل الصفحة الاولى كلها )  
ويستمر المقاد في خطته ، ثم يفترق مع البلاغ عندما تعود وبعد وفاة  
صاحبها عام ١٩٤١ الى صفوف الوفد ، فيحرر في صحف اخرى كالدستور  
والكتلة والاساس .

## الفصل السادس

### العقائد والاتجاهات الجديدة

لاشك ان الفترة الخطرة على نضال الشعب المصرى عم هذه الفترة الطويلة الحافلة بالخدعة ، ما بين انعكاسه سنة ١٩١٩ الى حين تنهيت القوى الشعبية للخطر الحقيقي الذى يهددهما من منطلق المساومة والاستسلام ، ومن ثم بدأ التآمر النفسى لثورة يوليو ١٩٥٢ .

وهنا يجب ان نسجل لانفصال العقائد عن الوجد وكشفه مساوئه ومساوىء الحزبية ، والقيادات الباغية من ذكريات الثورة التى فقدت كل طاقاتها الثورة واسلمت كل الشعارات التى رفعها الشعب سنة ١٩١٩ الى كبار ملاك الارض الذين كانوا دعامة التنظيمات الحزبية القائمة ، نسجل للعقاد بأنه يكاد يكون الحارس الوحيد على امانى الثورة الحقيقية ، ولم يستسلم للاغراء اذى جذب جماعات كثيرة من المثقفين .

وننظر الى افعال الذى نشره في عام ١٩٣٥ في روز اليوسف اليومية الى أنه التبشير الحقيقي بوجود تحول نضال الشعب ضد هذه الأوضاع الفاسدة والتبشير بزعامة جديدة لها صفات ارتأها العقائد تتفق مع أثبتة التاريخ من بعد .

« الواجب في الزعيم المصرى على ما نعتقد ان لا يرتسح نفسه لوزارة ولا نيابة ، وان يكون « ماندا » لا سياسيا ولا حاكما من حكام الادارة ، وخير لمصر ان يكون شابا في الاربعين وان لا يكون من الموظفين الاتميين .

« وعمل هذا الزعيم ان يجعل الحركة الوطنية حركة الاستقلال لا حركة المنافسة على الوزارات والتطاحن بين الاحزاب . وقد أصبح الوصول الى الاستقلال عن طريق الوزارات امر غير معقول ولا منظور بعد ان تعسر هذا الطلب على وزارة سعد زغلول .»

« فليكن للزعيم المصرى بعد اليوم عمل غير المناصب أو البرامج السياسية، وليكن قيام الوزارات وسقوطها بعد اليوم معلتين على الراى العام الذى يتصل بزعيمه صلة لا تقوم على الترشيح والتنصيب ، ولكنها تقوم على الشعور النزيه الصادق الذى لا ينظر الى غير الاستقلال والحرية كما كان ينظر اليهما المصريون في اوائل النهضة القومية » .

« وهكذا يكشف العقاد الواجهة الديمقراطية الضللة التي استعانت بها  
الفلول المنهزمة من ثورة ١٩١٩ لتخدع بها الشعب عن حقيقة مطلوبة » .

وإذا كانت القيادات الثورية اغفلت اغفالا لا يكاد يكون تاما - مطالب  
التغير الاجتماعي فان تبرير ذلك واضح في طبيعة المرحلة التاريخية التي جعلت  
من طبقة ملاك الاراضي اساسا للأحزاب السياسية التي تصعد لقيادة  
الثورة » .

ويحدثنا الدكتور محمد انيس في كتابه « دراسات في وثائق ثورة  
١٩١٩ » ان « حركة العمال في مصر قد استحدثت ابان ثورة ١٩١٩ بسبب  
تحول جزء من رأس المال المصري من الزراعة الى الصناعة ابان الحرب العالمية  
الأولى ونتيجة لارتفاع تكاليف المعيشة بعد الحرب فشاعت فترة ١٩١٩  
تأليف عدد كبير من النقابات . وكثرت « اقتصاديات اعمال » - أي اضراباتهم  
- كثرة دفعت بعض الصحف الأجنبية الى اتهام الحركة العمالية والحركة  
الوطنية كلها بالبلشفية » .

ولكن قيادة ثورة ١٩١٩ لم تلتفت الى المطالب الاجتماعية للجماهير ،  
ولا الى تحسين أوضاع العمال والفلاحين الذي اتركوا في الثورة بكل قنطهم ..

ويقول عبد الرحمن الرافعي اننا « اذا رجعنا الى زعامة ثورة ١٩١٩ نجد  
انها عملت الناحية الاقتصادية امعالا شاملا » ..

وهذه حقيقة واضحة من دراسة موقف قيادة ثورة ١٩١٩ . فلم يكن  
في بيانات مؤلاء القادة ولا في خططهم السياسية محاولة للتعبير عن مشاكل  
الجماهير العمالية ووضع حلول لها .

ويكشف الأستاذ رجا، النقاش في مقال له بمجلة الهلال عن تردد قياد  
الثورة الى أقصى حد في عقد أي علاقة من هذا النوع ، بل كانت أكثر من ذلك  
رافضة كل الرفض لهذه العلاقة . ومن جهة أخرى حاولت الثورة بكل جهدها  
أن تجذب التنظيمات العمالية الى الرضوخ لمنطق أصحاب رأس المال وثقائهم  
المختلفة ، وكانت تعمل بقوة على اضعاف أي نزعة ثورية اجتماعية في  
العمال . وفشلت قيادة الثورة في أن تجعل من حزب الوفد الذي كان على  
رأس الثورة حزبا للعمال والفلاحين ، وعجزت عن تحديد برنامج اجتماعي

واضح محدد فيه لحة من لمحات الفكر الاجتماعي النابع من تجربة الطبقات الشعبية في مصر ، أو المتأثر بالاحتكاك اللوامى بالقوى الاجتماعية العالمية .

وفي الواقع لقد كان العقاد أول من بذور الفكرة الاشتراكية في مصر ، وبين أصولها النظرية ، وفي كتابه ( الفصول ) الذى نشره عام ١٩٢٢ بحث مستفيض علق فيه على ترجمة فتحي زغلول شفيق سعد زغلول على كتاب جوستاف لوبون الذى يهاجم فيه الاشتراكية . وفي هذا المقال يدافع العقاد عن المذهب الاشتراكى ويبرئه من جميع الزاعم الذى الصقها به الفيلسوف لوبون في كتابه المشهور « سر تطور الأمم » .

ونقتبس من المقال يضع فقرات كتوله :

« فالكتاب بجملته جملة منكرة على المساواة والاشتراكية ، نحيل اليك أن الدكتور لوبون يكتب عن المساواة بقلم شارل الأول أو لويس السادس عشر . وأنه يكتب عن الاشتراكية بايعاز من رتشيلايد أو روكنلر . فتراه ينهى على مبدأ المساواة ، ولكنك لا تعلم منه كيف يكون عدم المساواة . وتراه يتشائم من الاشتراكية . كما يتشائم الناس من نعييب اليوم . لا يطعون لذلك التشائم سببا .

ويتول العقاد :

« . . . على أن دعاء المساواة لم يشطوا في مذهبيهم ، ولا قالوا أن الناس طبعوا على غرار واحد في العقل والفضل . وهل ترى أن دعوتهم الى تساوى الناس في الحقوق أمام القانون تعطل تنازع البقاء بينهم ، وتذهب بمزايا التفاوت بين قادهم وعاجزهم ؟ اليس ت هي أخرى أن تفسح المجال لهذا التنازع ، وترفع العوائق التى يضعها في طريق المنافسة استئثار بعض الناس ببعض الخافع بلا موجب للاستئثار ؟ . . . وكل ما يعنى به الدامى الى المساواة ذلك العامل القثير أنه يكون متساويا مع سائر الناس في الأمن على حياته . وهل في ذلك صغير ؟ ومتى كان مبدأ المساواة لا يمنع انسانا حق التمتع بثمرة تفوقه في المعارف أو الواهب العقلية على سواه فإى ضرر في ذلك . . . »

ويهاجم العقاد كذلك رأى لوبون في الاشتراكية . فيقول :

« .. أما الاشتراكية فهي كما يسرى من استغرات التي نقتناعاً عن شديد الطيرة منها وهو يمثلها تمثيلاً مشوهاً . ويعد إلى سر مدعياً ، غيرضها على القساري؛ في حالة مشومة . ثم يعمم حكمه على مذاعب الاشتراكية بحدائقها . فتارة يحكم بانها مستؤدى بالاهم إلى ازل درك الانحطاط حيث يقول : « نعم لأن يكون الانسان ضليعاً في علم النفس ، ولا في علم الاقتصاد ، لينبى بان العمل بمقتضى مبادئ الاشتراكية يفضى بالالم إلى ازل درك الانحطاط واقسى صور الاستجداد » .

وتارة يعرضها لك كما تتصورها اذعان الجهلاء الواعين . فيسبق إلى ظلك أن هذه الاشتراكية صنف من الافيون استورده ائمة الاشتراكيين من بيكين » .

ويقول العقاد :

« الحقيقة أن نظام مجتمعنا الحاضر مشتمل على نقائص ومثالب لا ينفرد بالمسخط عليها ، وطلب تعديلها الاشتراكية . ومن العلماء من انفسهم من الاشتراكيين ولا يحسبهم الاشتراكيون منهم ، وهم مع هذا يشكون ظلم النظام الحاضر شكوى غلاة الاشتراكية ، ويرون رايهم في بعض الحلول التي يقترحونها - ومن هؤلاء العلماء اتسير او ليفرلوج رجل لا يتهم في هواه ، ولا تفكره ولا شبهة عليه من جانب الاشتراكية ولا من جناب أي حزب اجتماعي آخر ، ولكنه يقترح في فصل كتبه عن وظائف المال أن تهتم الحكومة بشخصية الحائزين للمال كما تهتم بشخصية الحائزين للسلاح لأن المال ربما كان أخطر في يد الشرير من السلاح في يد الفاتل ، وفي رأيه أن الثروات العظيمة خطر على المجتمع ، وأن هذه الثروات تكثر من جراء أنظمة مصطنعة يمكن تعديلها ، وليست هي ما تنقض به طبيعة سير الأمور ، وأنه يجب أن يعاد النظر في قانون التوريث ، وأن يفتتح .. »

ويقول في فصل آخر عن « الإصلاحات الاجتماعية » بعد التساؤل عن علة مصاعبنا الحاضرة في ملكية الأرض :

« ولا يسعني إلا القول بأن عادة السماح للأفراد بحق الملك المطلق على الأرض بحدل من المجابهة هي أساس كثير من هذه المصاعب » .

ويقول العقاد :

« أن الاشتراكية الصحيحة ليست أسطورة من الاساطير ، ولا هي وعد خيالي يبشر الناس بالتعامل في الأقدار والتساكن في المنازل والأزواج .. »

كلا ! فليست المساواة بين الناس من مهمها ، ولكنها انما تدعو الى  
المساواة بين الاجر والعمل ، وتطلب ان يعطى كل عامل ما يستحقه بعمله .  
وان ينفذ المجموع باكثر ما يمحى الانتفاع به من قوى «أورد» .

والذى دعا اليه العقاد عام ١٩٢٢ مذهب من مذاهب الاشتراكية ليس  
من الماركسية فى شىء ، او كما يقول الدكتور لويس عوض (١) ، تريب جدا  
من لديمقراطية فنظير اليه اليوم فنقول انه راديكاليه منظره . وتدقت  
اشتراكية العقاد هذه حتى ثورة ١٩٥٢ اتبع نوع من انواع الاشتراكية  
فى « الراى العام » المصرى الذى ما جنسح قوامه فى يوم من الايام الى  
الاشتراكية الا فى حدودها الراديكالية .

ويعمد دفاع العقاد عن الاشتراكيين فى الدعوة الى مذهبهم على طائفة  
من الحجج لا يجد الاشتراكيون خيرا منها على حد تعبير الدكتور لويس  
عوض .

والحجة الاولى هى ان الاشتراكية ليست فلسفة اجتماعية تهبط على  
الاجتماعات من السماء ، او بتوليد من ادمه بعض المفكرين لحالين الذين  
اولسوا بالتفكير المجرد ويتخيلون مستقبل البشرية بالحجر على السورق ،  
ولكنها نتيجة لارضاغ اجتماعية تائمه بالفيل ولهال دافية فى جسم  
الاجتمع . وفى هذا يقول العقاد :

« واذا كانت الاشتراكية على هذا التقدير عرضا للعلة وليست هى  
العلة نفسها فماذا يجدين ان نحموها ونكتم افواه الداعين اليها وماذا فى  
محوها دن الدوا للانسال والتدهور الذى لا مفر منه ؟؟ الا يكون ذلك  
كمعالجة الجدرى بسورق تشور طفحة من ظاهر البشرة وترك جرتومه تسرى  
فى السدم وترتفع فى باطن الجسم ولا من يلتفت اليها فيعمل عمل الجدرى  
على استئصال شائتها او تخفيف ضررها ؟؟ فان كان ثم دوا فليكن الدوا  
للعلة الاصلية والا فلا معنى للتدح فى الاشتراكية ولا فائدة من اضهاد  
دعاتها » .

والحجة الثانية التى يسوقها العقاد دفاعا عن الاشتراكيين وحقهم  
فى التعبير عن مذهبهم « هى الجبرية التاريخية التى أتت الى ظهور المذهب  
الاشتراكى أو ما يسميه هو « الضرورة » التى تشعر بها الناس فنشأت فيها  
المبادئ الاشتراكية وفى هذا يقول : « وهذه المبادئ والقواعد لا تدحض

(١) مقالات فى النقد والأدب ص ٩٤ .

بالسفسطة ولا تنتفض بالتعويض والحويلة ، لانها نشأت من حاجة ضرورية  
شعر بها الناس وتكلموا فيها قبل أن يعلنها الفلاسفة وأهل النظر (١) .

والمعاد يذهب الى ان المنطق ذاته والبيئة ذاتها غير كافيين لإزالة  
« الحاجة » الى الاشتراكية . وفي هذا يقول : « وكيف تدفع الحاجة الى  
الاشتراكية بالسفسطة والمغالطة او بالمنطق والبيئة وهي كما يقول الدكتور  
« جوستاف لوبون » سر لا يعسرعه الا علماء النفس الواقفون على اسرار  
الحياة ولا تأتي الادلة التي تقنع به من طريق العقل ؟ » .

ويورد المعاد ظهور الميادى، الاشتراكية الى الوضع الاقتصادي الناجم  
عن الثورة الصناعية اولا والى الانتاج الضخم ثانيا ، فيقول : « ومنذ  
أخرج العلم للناس تلك الآلات الضخمة ، أصبح كل صاحب معمل يتمتع  
بتعب الالوف من الصناع الذين يستخدمهم في معمله ، فكان التعب والحرمان  
من نصيب فريق والراحة والربح من نصيب الفريق الاقل ، فتجددت الشكوى  
التقديمية ، وعادت الاشتراكية ، ولكن هل تراها عادت اليوم لتشهد خاتمة  
عذ المدنية وهل لا مفر من هذه الخاتمة بعد عودة هذه الاشتراكية الجديدة ؟

« لا نظن ذلك - لاننا اليوم في مأمن من غارات القرون الاولى ، ولان  
العلم والنظام قد أصبحا في هذه العصور ملكا للانسانية عامة وليسوا  
من خواص امة يذهبها » .

وليس معنى هذا الكلام ان المعاد كان ماركسيا في اشتراكيته ،  
ولكنه يوضح لنا ان الاشتراكية الغابية كانت اقرب الى تفكيره حين قال  
في مقال آخر :

« لقد كانت الاشتراكية الغابية نصب عيني حين كتبت في تعزيز  
الفلسفة الاشتراكية والرد على خصومها قبل أكثر من خمسين سنة . ولا  
تزال الغابية كما بقيت الى اليوم اقرب الى اعتقادي من سائر الجماعات  
ومبادئها تقوم على الاسس الاخلاقية قبل قيامها على الاسس المادية  
الاقتصادية . ووجهتها الكبرى هي بناء المجتمع ارفع المثل العليا في  
الآداب الانسانية والفابيون تطوريون وليسوا بانقلابيين . وعندما أن  
نشر المعرفة وتاليب الانصار من جميع الطبقات والتوسل بالوسائل  
الديمقراطية الى ولاية الحكومة للمرافق العامة أصلح لتحقيق الغرض المقصود

(١) راجع الدكتور لويس عوض : مقالات في النقد والأدب ص ٩٤ .

من الاشتراكية وهو منع الاستغلال والاحتكار والتدسية بين الناس في فرص  
الاعمال والمشاركة في ادارة الاداة الحكومية .

ومفهوم العقاد للاشتراكية واضح مرن مستخرج من طبيعه البيئة  
ذاتها قبل ان يكون نظاما اجباريا . ه لهذه الاشتراكية او لهذه  
الاشتراكيات على الاصح عشرون تطبيقا على الاقل في انحاء العالم لا يتشابه  
بينهما تطبيقان على نحو واحد . اذ كل امة يناسبها نظامها الحكومي  
وظروفها الاقتصادية وعلاقاتها الخارجية التي لا تناسب امة غيرها . ولا  
يزال كل تطبيق من هذه التطبيقات قابلا للتعديل بين عام وأخرى غير  
اصد ممدود .

وشرح العقاد فكرة الاشتراكية الاصلية في العادل والمساواة فيقول :  
« وانما المساواة شرف حين ترتفع بالادنى الى ما هو اعلى منه وحين تعطي  
الرفيع حقه وتأبى عليه أن يجور على حق غيره وحين تكون انصافا للعاجز  
لانها تستنفضه الى القدره وانصافا للثاقل لانها تكافئه على الزيد  
ولا تعاقبه عليها بحرمانه من جرائها . وحين تكون في اعماقها انصافا  
للفطرة السليمة التي فطرت على التفاوت والتنوع من اجرام النضاء الى  
ذرات العناصر في المادة الصماء . وذلك هو انصاف الحق والخير وهو انصاف  
الاسلام ( كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ) .

\* \* \*

ذكرنا ان ثورة ١٩١٩ اعملت مطالب التغيير الاجتماعي وخرج العمال  
والفلاحون من الثورة دون مكاسب ، بل ان اشتراك العمال في الثورة  
واكسابهم اياها ذلك الطابع العنيف الذي لم يكن موضع رضا البورجوازية.  
دفع الحكومات البورجوازية المتعاقبة الى محاربة الحركة العمالية . ولكن  
الطبقة العمالية نمت في مصر باطراد في فترة ما بين الحربين العالميتين من  
ناحية الكم والكيف ولقد كان نمو الطبقة العاملة المصرية امرا طبيعيا  
من ناحية الكم نتيجة ازدهار التجارة والصناعة التدريجي في مصر وقيام  
عدد كبير من المشروعات الصناعية والتجارية . الامر الذي ادى الى زيادة  
عدد الطبقة العاملة وتركيزها في ديد من المناطق . غير انه مما تجسدر  
ملاحظته حول نمط الطبقة العاملة المصرية من ناحية الكيف ، ان قضوية  
التناقض بينها وبين اصحاب رؤوس الاموال لم تكن المسألة الوحيدة التي  
شغلتهن ، بل كان للمسألة الوطنية ورنها الكبير في الحركة العمالية ، لأن  
الكثير من هذه المشروعات الصناعية والتجارية كانت في يد رؤوس الاموال  
الاجنبية ، فكفاح العمال في سبيل تضاياعهم كطبقة ارتبطت اوثق الارتباط  
بكناحهم الوطني . وهذه حقيقة على جانب كبير من الخطورة في تقويم

الحركة العمالية في مصر (١) . وقد كتب العقاد في سنة ١٩٣٥ مقالا يصور فيه تعاطف العمال مع القضية الوطنية ، وهنا يجب ان نذكر ان العقاد نائب عن العمال في مجلس النواب وتحمل مؤنة الدفاع عن حقوقهم فكانوا يجتمعون في بيته ويستشيرونه في جميع شؤونهم ومن شعره يخاطب العمال :

ايها العاملون لديكم اليوم  
ولبيكم غمدا في المجال  
نعم جيئس السلام انتم اذا ما  
جرد اليفى جيشه لاقتيال  
لكم العدة التي ما استطاعت  
امة تسط تركها في نزال

وهذا هو مقال العقاد :  
« مسألة العمال » (٢)

« فرار الوفد في مسألة العمال فرار واجب على الوفد من جهة كما يجب عليه الاهتمام باصلاح القرى وتحسين احوال الفلاح والعناية بما عدا ذلك من شؤون الامة التي تتناول التعليم والحاماة والتشريع والمسائل الصحية وسائر المرافق القومية العامة » .

« وهو من الجهة الاخرى قرار شديد في مراميه نافع في جميع نواحيه ، ليس في شيء منه ما يعترض عليه احد ممن يمينهم الامر او يتفق لهم ابداء الرأي فيه فالشريف عباس حليم يؤيد الصلة بين الوفد وحركة العمال ولا يرى في هذه الصلة خروجا بالحركة عن مبادئها او انحرافا بها عن غايتها ، وقد كان الشريف رئيسا للجنة العمال في المؤتمر الوفدي نجا في تقرير اللجنة : « من اجل ذلك نادى العمال بانهم وفديون قبل ان يكونوا عمالا » من اجل ذلك ابى العمال ان تتقدم مطالبهم الخاصة مطالب الامة العامة ، معتبين في الوقت نفسه اذا ما وسع جهاد الوفد رعاية شؤونهم وسندهم كطائفة من مصلحة الشعب ان تتحرر من كل عسف بل من عزته وكرامته ان تتمتع بجميع المنشآت الاجتماعية التي يجمع بها العمال في

(١) انظر الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز : ثورة ١٩٥٢ وأصولها التاريخية ص ١٥٤ وما بعدها .  
(٢) روز اليوسف اليربوية : يوم ١٦ من فبراير ١٩٣٥ « وكان العقاد مايزال مرتبطا بالوفد » .

جميع البلدان . وكان لرابطة العمال بالوفد أخطر النتائج ، فإذا ما انتصر الوغد تنفس العمال مستنشرين بالخير من اطلاق الحريات فتنشيط جماعاتهم وتقوى روابطهم ويقل الحيف عنهم ، ، وأما اذا عصفت باليسلاد زواجع الانقلابات ومخازنها كان العمال الهدف الاول لبطش القوات المسلحة وما كان العمال في ذلك بمعتمدين ولكنهم كانوا في موقف المدافعين عن النفس والكرامة والحق مننصرين للديمقراطية السمحة ضد اجرام الدكتاتورية الينغيزة الحمقاء .

ومن البداية أن تأييد الصلة بين الوغد والعمال أول ما يقتضيه هذا الموقف الطبيعي المقبول .

\* \* \*

« أما الحكومة المصرية ونعني بها هنا الحكومة علي اطلاقها - فالمنتظر منها والمفروض عليها ان ترحب بكل علاقة تجمع بين حركة العمال ووحدة الامة على اختلاف طبقاتها .

والمنتظر منها والمفروض عليها ان تأبى كل نزعة منفصلة تعزل العمال عن سائر الطبقات وتفردهم وحدهم في مصر كأنهم طائفة لا شأن لها بما يعنى وطنها ولا شأن لوطنها بما يعنىها .

« فلا يخفى على كل من ألم بطرف من حركات العمال في العالم ان هذه الحركات لايسد ان تسير في احدى طريقتين :

فأما ان تسير في طريق العصبية الطائفية « المعروفة في مذهب كارل ماركس والتي شعارها : « اتحدوا يا صغاليك العالم » ولا تمويل لها على الوطن ولا على الطبقات الاجتماعية الاخرى ، ونهايتها في خاتمة المطاف الى الشيوعية وما هو من تبيلها .

وأما ان تسير في طريق الوطنية والتضامن بين الطبقات الاجتماعية ، على علم بانها حركة نائعة للوطن وأن الوطن نافع لها ، وانسه ما من طبقة في الامة غنية كانت او فقيرة ، وكبيرة كانت او صغيرة ، الا وهي جزء من الجزاء الامة يسندما وتسنده ، ويحتاج اليها وتحتاج اليه وعده هي الطرق القديمة التي اختارها الوغد واختارها العمال من البداية ولم يعارضها ولن يعارضها الا الذين يريدون اغتصاب الامة المصرية بجميع طبقاتها وطوائفها ، ويريدون اذلالها في حياتها السياسية وحياتها الاقتصادية وكل مظهر من مظاهر استقلالها .

« فإذا كانت هذه هي الحقيقة التي لا مراء فيها ، وكان لابد للعمال من أن يصبحوا طائفة معزولة على ذلك النمط أو جزءا من الإصاة على اكمل نمط مستطاع .. فإين هي الحكومة الصالحة التي تدفع بالعمال الى الطريق الموجاء وتناى بهم عن الطرق التومية وتستحق بعد ذلك أن تسمى حكومة تعرف ما يجرى حولها وما يجرى في بلادها وتنتظر الى الحاضر والمستقبل نظرة الحكمة والاصلاح والغيرة على جميع الطبقات ؟ »

« ولقد سمعنا صوتا في هذه المسألة من جانب بعض الصحف الاستعمارية اسات الى اصحابها والوعزين اليها من حيث ارادت النفعة لهم على أسلوبها العقيم الذي فضحته الحوادث الكثيرة وعرف المصريون خباياها منذ زمن طويل »

فهذه الصحف تتخوف من اتصال الوفد بحركة العمال وتأبى أن يتم هذا الاتصال على وجه من الوجوه .

فلمماذا ذلك التخوف ؟

ولماذا ذلك الأباء ؟

لا نظنها من الحصافة بحيث تزعم أنها تغار على مصلحة العمال المصريين وتحب انصاتهم من أصحاب الاموال وطلاب المنام والاستغلال فإذا كانت تغضب من الاتصال بين الوفد وحركة العمال فمعنى ذلك يغير جدال ولا خلاف أنها تتربق المنفعة للعمال من وراء اتصالهم به واتصاله بهم وتخشى كل الخشية أن ينالوا حقوقهم بهذه الوسيلة من الشركات الطامعة واصحاب الاموال الجائزين وأنسباهم أو أنهم من الذين تدافع عنهم تلك الصحف وتسمى في تحقيق مطالبهم وتصرف في سبيل ذلك بحقوق العمال وحقوق المصريين أجمعين .

« وعلى هذا النحو قامت الصحف الاستعمارية بدورها العكوس المؤلف في تأييد قرار الوفد واظهار فوائده ووضع المصلحة فيه !

ولا نحسب أن أحدا أحق باستنكارها والسخط عليها من أولئك الذين توليهم وتفضلهم على الوفد وتتمنى لهم أن يقبضوا بأيديهم وحدهم على زمام حركة العمال .

فان من يقرأ الاكاذيب التي نشرتها تلك الصحف خليق أن يسأل : لماذا تخاف الصحف الاستعمارية من الوفد ولا تخاف من غيره ؟ .. اليسوا كهم

ومن يكون في وسع الصحف الاستعمارية أن توحى الجواب عنها كما ابتدأت  
بإيجاز المسؤول ..

وعلى أن الرأي الأول والآخر في مسألة العمال إنما هو للعمال أنفسهم  
العربية ، وإن هذا الرأي المعروف محفوظ لاختفاء فيه من بداية النهضة  
وليس لأحد من الذين يكتبون عنهم في الصحف الإنجليزية أو في الصحف  
الوطنية اليوم .

ومع ذلك لم يكن العقد مجددا في مجال التمر والادب فحسب ، ولكنه  
كان مجددا في السياسة « متعلقا مع القضية الاجتماعية ، وكانت نظرتة  
أقرب ما تكون إلى الاشتراكية الغابية كما سبق القول ..

ولكنه لم يكن يؤيد الماركسية ، وظل يحاربها بلا حواجة باعتبارها  
في طليعة المذاهب الصداقة ، واعتبرا بتعبيره « مذهب نوى العاهات » .

والعقد في النهاية كان الحارس الوحيد على أمانى ثورة ١٩١٩  
الحقيقية ، ولم يجرفه انحراف الأحزاب في تياره ، ووضع بانفصاله عن  
الوفد وكشفه لمساوئه ومساوى الحزبية معالم ثورة ١٩٥٢ من بعيد ..

الباب الثالث  
العقاد أدبيًا

•  
•

•  
•  
•

•  
•  
•

## الفصل الأول

### المقاد ورواد شعراء مدرسة الديوان

- ١ -

المقاد ( ٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١٢ مارس ١٩٦٤ ) شخصية نادرة في تاريخنا الأدبي والفكري الحديث .  
فهو عبقري موهوب ، وأديب مفكر ، وناقد ، وكاتب عصامي ، وامام من أئمة الأدب والشعر في العالم العربي ، كان شاعرا مجددا يجمع بين نسوة الماطلة ، وعمق الفكر ، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر ، من أوائل القرن العشرين ، واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية ، ونقل الصدارة في كل مجال وميدان .

ظهر في سنة ١٩١٣ الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري وفيه مقدمة قيمة بقلم الأستاذ المقاد عن الشعر ومزاياه يقول في مستهلها عن الشعر : « ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتلتها المقول في ساعة كلالها وفنورها ، فلو كان كذلك لما كان هذا الشأن في حياة النفس ، لا بل الشعر حقيقة الحقائق ونب الالباب والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والمقول . وهو ترجمان النفس والناقل الامين عن لسانها » .

وفي عام ١٩١٤ ظهر الجزء الأول من ديوان المازني ، وفيه مقدمة رائمة بقلم المقاد عنوانها « الطبع والتقليد » يقول في أولها : « حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم ان اراد ان يكون شاعرا عصريا الا ان يرجع الى شعر العرب بالتحدي والمعارضة ، فان كانت العرب تصنف الابل والخيام والبقاع ، وصف عو البخار والمعاهد والاعصار ، وان كانوا يشبهون في اشعارهم بدعد ولبنى والرباب ، ذكر اسما من اسماء نساء اليوم . تم يجوز من تشبيهاتهم ، ويغتر مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي ، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصري ، وليس بمقلد قديم ، وهذا حسابان خطأ ، فما أبعد هذا للشعر عن ابتداع ، والخلق به ان يسمى الابتداع التقليدي ، لانه ضرب من صروب التقليد ، فلو ان شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا ان يعارضوه » .

وفي سنة ١٩١٦ ظهر الجزء الأول من ديوان المقاد الذي أسماه في الطلعات التالية « بقطة الصباح » ، وقد امتازت تصانده هذا الديوان بمسا كان يسميه المقاد « الرعدة الضوية » فكانت القصيدة تقوم على موضوع

والحد تتناوله من شتى نواحيه ، في وحدة مسلسلته ، وترابط يكاد يكون منطقيا ، على خلاف ما الفناه في الشعر القديم وفي شعر الشعراء الذين كانوا يتبعون في نظم قصائدهم طرائق القماء ، وقد أعجبتني هذه الطريقة في ديوان شكري وديوان المازني وديوان العقاد ، ولا شك أنهم تأثروا بأدب الغرب في اتباع هذه الطريقة وبخاصة في المعهد الذي ساد فيه الأدب الروماني .

وظهرت الحركة القومية التي قادها المرحوم سعد زغلول ، وكان العقاد في طليعة الكتاب الوفديين المناضلين عن مبادئ الوفد وخطته ، وقد ناصر العقاد بقلمه ، ووقف بالمرصاد لخصومه ، وبرز في الجسد السياسي ، والحملات الحزبية ، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الأدبية ، فظهر في سنة ١٩٢١ الجزء الأول والثاني من كتاب الديوان ، وقد اشترك معه في تحريره الأستاذ المازني ، وهاجم العقاد في كتاب الديوان شعر شوقي موجوما عنيفا ، ونقده نقدا مريرا . . لم يكن دائما الجادى ، بل كان موقفه موقف المدافع الذي يرد الهجوم ، وكان شوقي لا ينفك يغرى به صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل ، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد العقاد أدخل في باب الهجاء والسباب منه في باب النقد الأدبي .

وكان في العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة إحاطته ، وكان العقاد يلتزم القصد في حياته ويتحرى الاعتدال فيعيش في كتيبه ومطالعته ولكنه مع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيا ولكن في غير اسراف ، وكان حريصا على حياته وصحته ووقته ولم يكن بخيلا بماله ، وكان يعتز بلغته ودينه وعروبه ، ومع ذلك كان واسع الاتق انساني النظرة ، يكتب عن غاندى ويشيد به كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق ، ويمجب بالزعيم الباكستاني جناح كما يجيب بمحمد فريد وسعد زغلول ، ويكتب عن عبقرية محمد كما يكتب عن عبقرية المسيح .

وكان أدب العقاد وشعره كذلك سواء ، فيما قدمه من خواطر انسانية أو فيما جعله صورة كذلك لجنمه وبيئته .

وقد استغل هذا المضمون في شعره الوطني والاجتماعي ، فهو عندما أراد أن يدعو مواطنيه الى المزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الواعظ ، ولكنه وقف موقف الاديب المثائر فنصور مجتمعه وكأنه متشائم من الاوضاع التي يراها ، فالمثائمون يمثلون لهم اسمى الوظائف ، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلت علومهم وفشت خستهم ودنايتهم وكثر نفاقهم

وتملقهم وجثوا خاضعين تذللا ، والنشام قد بلغوا أسنى الدرجات فكانهم  
القرود وقد اعتادوا التسلق . فهو الذى يقول فى قصيدة جعل عنوانها  
« زمانسا » (١) :

نشست الجهالة واستفاض المنكر  
فالحق يهيم والضلالة تجهـر  
أنا لفسى زمن كان كيبساره  
ببسوى الكباثر شسانها لا يكبر

كان العقاد مولعا بالتجديد والإبداع والابتكار ، وقد دفعه هذا  
الولع الى الاسهام فى خلق مدرسة شعرية وكذلك مدرسة شعراء الديوان  
التي تعد أساسا للادب الرومانسى فى الادب العربى .

وأهم البواعث عند مانتسه المدرسة فى نظم الشعر ، الحب وصحوق  
المأطفة وجمال الطبيعة وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليد  
مظاهر البطولة وإبراز الخواطر والتساملات ، فهي قد حررت الشاعر من  
ربقة العبودية وأبعده عن التعلق والتكسب .

وكان العقاد يتناول الاغراض الشعرية المتنوعة ، ولكنه كان يبدع  
فى الوصف وفى إبراز عواطف الحب الكاملة فى نفسه ، وفى إبداء خواطره  
الفلسفية التي انتبسيها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التي روضت فكره  
على التعميق فى البحث والامعان فى الملاحظات .

فقد تحدث فى شعره عن الانسان وعن سر وجوده وعن عجزه عن  
معرفة سر الكون الغامض وعن حاجته الى الايمان ، كما عبر عن كثير من  
خوالجه وتاملاته وارتساماته التي كانت مرآة لآرائه فى الحياة ، ومن ذلك  
عـنـولـه :

ما وجدنا من البريئة الا  
خلفا زائفا وجهلا مبيئا (٢)

وغسوله :

انصفت مظلوما فانصف ظالمسا  
فى ذلة المظلوم عذر الظالم

(١) الجزء الاول من ديوانه صفحة ١١١ .

(٢) عن الديوان لأول صفحة ٢٦ .

من يرض عدوانا عليه بضربه  
شبر من العادي عليه الثمانم (١)

وقوله :

إذا صاححت الاطماع فاصبر فانها  
تنام اذا طال الصباح على الذهم  
وتهر الفتى آلامه فيه لذة  
وفي طاعة اللذات شيء من الألم (٢)

والذي يتتبع شعر العقاد يجد فيه طابع التبرم والشكوى ، يظهر ذلك في جل الاعراض التي نظم فيها ، ولقد كان يحاول ان يخفف بالشعر عن نفسه من حين لآخر ، لكنه لم يزد السورد الا عطشا فهو الذي يقول (٣) :

ظلمات ظمان لا صوب الغمام ولا  
عذب المدام ولا الانداه ترويني  
حيران حيران لا نجم السماء ولا  
معالم الارض في الغمام تهديني

وهذه القصيدة تعد بحق من روع تصائد العقاد ، فهي نفثة من نفثاته ، وعصارة حبه ، ومراه وضاعة لنفسه الرقيقة الحزينة التلقية

انه ظمان حيران يتظان ، انه غصان اسوان حزين ، انه يعيش وحيدا في هذه الحياة لا يجد قلبا يسعده ولا خلا يأسوه ، انه يتعنى ان تنتهي حياته وان ينقذه الموت من الوجود لتفنى عبراته واثاته وهكذا نجد العقاد يصور خوالجه وفيها من رنات الاحزان ما يسترق التسلوب ويستجلب المدامع . ولعل هذا القلق من الحياة هو الذي دفعه الي الحذر منها والى التفكير في مصير الطائرئين عليها ، انها مادامت حياته الاما واحزاننا فلماذا يعمل من جديد على ايجاد ابنائه فيها . لهذا آثر حياة الوحدة ، فهو من هذا الجانب شبيه بالمعري الذي كان يقول :

(١) عن ديوانه وحى الأريمن .

(٢) عن الديوان الأول ص ٢٧ .

(٣) الجزء الثاني من ديوان العقاد ص ١٩٤ .

وإذا اردتم بالعنين كرامة  
فالحزن اجمع تركهم في الاظهر

وقد كتب العقاد تصديدا رائعة جعلها حوارا بين المعري وبنه ، الابن يريد ان يخرج الى الوجود ، ان يستمتع بالحياة ، فقد ضاق بالعدم واحب ان يرى مفاصل الطبيعة وان يستلذ بمحاسنها ، انه يتوق الى رؤية الوجوه احسان « ويود ان يرى الورد والازهار والفاة والبحار ، ولكن الاب يشرح لابنه اسباب اعراضه ، فيقول عن الحياة :

شرها يا بني شر تفصيل خيرا يا بني خير قليل (١)

وكان العقاد جعل مائة التصديدا تعبيرا عما يحس به ، لذلك قدمها بتعميق وجيز قال فيه عن المعري انه والد رؤوف صمد أبنا عن الحياة رحمة بهم ، غيالتها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه .

وكان العقاد يقصد من تشاؤمه ان يستغله لاثارة غريزة الخير في الانسان ، فهو اذا صادر الرذيلة فانما يريد بذلك ان ينفر الانسان منها . واذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فانما يريد بذلك ان يخفف من سورة الظلم في النفوس الطاغية عساها ان تشمر بالشكر الذي ترتكبه فتفرق اخلافتها وتعمل للمصلحة الانسانية عامة ، وقد حقق بعض الباحثين ان الادب كلما كان هادفا الى اصلاح المجتمعات فهو ادب ايجابي ثوري ، وان قدم في صورة تشاؤمية .

وقد عاجم العقاد طيلة حياته الشعر الحر ، وثار على الابتذال والعامية والسوتية « وراى الشعر فنا يجب ان ترتفع الافواق الى مستواه ، لا ان ينزل هو الى مستوى الناس ، وكتب في « مجلة الهلال » (١) يقول :

ليس في وسع « المتحررين » ان يحاربوا الشعر القديم بتحريره كما يتولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية ، لأن أوزان الشعر أصيلة عميقة القرار في طبيعة الشعب كما نرى من أوزان الأجمال والواويل وتراتيل الفرح والنواح في كل بيئة من بيئات الحضرة والريف . . . وبعض هؤلاء المتحررين يجهل أو يتجاهل معنى العروض فيقول أنه يزن الشعر بالتفجيلة

(١) الديوان الثاني ص ١٨٤ .

(١) عدد فبراير ١٩٦٢ .

وهي كلمة لا فرق بينها وبين الوفا الكلمات في الأوزان العروضية . إذ ليس في اللغة كلمة يتجرد من أوزان التفاعل بين فاعل وفاعل ومستعمل ومفعول وفاعل ومستعمل ومفاعيل وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال ، وإنما يأتي الوزن من جميع التفعيلات مما ويختلف بين بحر وبحر باختلاف التركيب واختلاف حركات الحروف . ومن قال أن التفعيلة هي « تصميم » البيت فهو كمن يقول أن الحجر الواحد هو « تصميم » المنزل أو الحجر أو النافذة أو الباب ، ولن يقوم بناء فوق وجه الأرض على مثل هذا التصميم .

وقد عجزت هذه الدعوات - قديما وحديثا - عن المساس بتركييب الأغانى الشعبية التى يمكن أن يقال انها تستغنى بانغام الآلات عن الأوزان العروضية ، وعجزت عن المساس بتركييب الزجل وهى مقياس للشعر الذى يمكن أن يشيع في اللغة العامية ، فإذا عجز هذا الشعر المتحرر - كما يقولون - عن الشيعوع في الكلام الدراج فهو أعجز من الشيعوع في اللغة الفصحى ، وهو على هذا أعجز من أن يتهم بالتأثير في عيوب الشعر الحديث .

ولسنا نجرى الأسباب الأخرى جميعا ، من هذا التأثير إلا أننا نستبعد أن نجرد الطبيعة الإنسانية حاسة الشعر في فترة من الزمن . لأن التجرد من هذه الحاسة هو بعبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة . . .

وقد خلف العقاد ثروة كبيرة من المؤلفات في الأدب والنقد والدفاع عن الإسلام وتحليل عيبياته ، ومن أوائل كتبه : مراجعات ومطالعات وسواهما . ومطالعات ، وسواهما .

وقد حارب بعض الشباب العقاد في حياته ، وكتب العقاد يقول (١) :

انه يكتب للخاصة ، ولا يسوءه أن يقرأه العامة . وكان يجب بتوثيق الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وصوفى عبد الله وجاذبية صدى في القصة . . . وأكد العقاد أن الشعر الحديث كافة ليس شعرا على الإطلاق ، إذ تنقصه الموسيقى والوزن ، والشعر وزن قبل كل شيء ، وقال : إن الأبياء وشبابهم يعيشون في عصرى أنا ، عصر العقاد .

( ٢ )

وللعقاد مع شكوى والمأزنى قصة طويلة ، فقد جمعت زمالة العلم والشباب في مدرسة « المعلمين العليا » في القاهرة في أوائل القرن العشرين

(١) عدد المساء الأسبوعي - نوفمبر عام ١٩٦٦ .

بين إبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري ، وكانا طالبين من أبنخ الطلاب في هذه المدرسة ، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة ، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العقاد ، وصار مؤلّا الثلاثة يمثلون فكر أدبيا جديدا دعوا إليه ، وكتبوا حوله ، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله .

في عام ١٩١٣ أصدر شكري الجزء الثاني من ديوانه ، وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات ، وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء ( الثاني ) وأثنى على شاعرية صديقه شكري وعلى موعبته ، وكتب المازني في العام نفسه عدة مقالات نشرها في جريدة عكاظ الأسبوعية المصرية وازن فيها بين حافظ وشكري ، وفضل صديقه شكري على حافظ ، ومن أجل ذلك هاجم حافظ المازني وعاد المازني يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية .

وفي العام نفسه أصدر المازني الجزء الأول من ديوانه « فكتب العقاد مقدمته ، يرحب فيه بالديوان ويرفع من شأن المازني الشاعر واتجاهه الرومانسي الغالب على شعره .

وكان الاتجاه الرومانسي ذاتما في الأدب المصري آنذاك بتأثير المفلوظي وكتاباتته وتأثير ذيوع أدب لا مرتين وهو جو وغيرهم من الشعراء الغربيين في محيط الأجيال المصريين آنذاك ، وتأثير مطران وكتاباتته كذلك .

وأكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة إلى مذهبهم الجديد في الشعر والنقد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالأخيلة والمعاني والصور الغربية . ويكتبون في وحدة التصيد ، ويدعون إلى الأصالة وصدق الشاعر في الماطفة والاحساس والتعبير ، وظهور شخصيته الفنية واستلهاهم الشاعر للطبيعة ، وتنازله لشمى الموضوعات الانسانية ، ويجاريون التقليد وشعر المتلدين وشعر الاناسيات الطارئة .

ومن حيث كان مطران ينادى بالشعر الموضوعي « والجانب الوجداني في الوصف ، كان العقاد وزميله يدعون إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه . وخرجوا بنظراته جديدة أسموها « شعر الوجدان » واتخذ شكري شعارا له على الجزء الأول من ديوانه ، الذي سماه « ضوء الفجر » هذا البيت من شعره :

ألا يا طائر الفردو

س إن الشعر وجدان

ومن نظريه الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة، تبينقت الدعوة الى ان يكون الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر وشخصيته، وان يبعد عن المناسبات، وان يغلب عليه طابع الالم والاذنين وحب الطبيعة وتصويرها، وان تسوده وحدة عضويه كاملة، ويمبر عن تجريبه شعريه عميقة، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال، واتجه العقاد الى شعر الفكرة، واخذ المازني على شعر شوقي ومدرسه تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم واعتبرهم في شعر المناسبات وفي التقليد للقدماء، وصور ذلك في مقدمة كتابه « شعر حافظ » الذي صدر عام ١٩١٥ وتقد فيه حافظاً نقداً لاذعاً، ودعا المازني لذلك الى الرومانسية في كتابه « الشعر : غاياته ووسائله » الذي صدر في عذا العام ( ١٩١٥ ) كذلك .

ويقول المازني : كان شكري اول من اخذ بيدي ، وسدد خطاي ، ودلني على المحجة الواضحة . وكان الجزء الاول من ديوان شكري ، ويوميات العقاد، بداية اقتحام المذهب الجديد في الادب ، وفتاحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، ومذهب شوقي وحافظ واضرابهما كما يقول المازني . . . وعندما يقول وردت زورث : ان الشعر انفعال يستترجمه الشاعر في عدو ، وكان المازني يعود به الى منبئه الاول وهو العاطفة والوجدان . وكان شكري كما يقول العقاد من اوائل من دعا الى وحدة القصيدة ، وجدد في موسيقى الشعر . وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية ، بل كان شكري من اوائل من مهدوا للمذاهب النقدية الحديثة في الادب المصري الحديث . . . ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل في كتابه « رواد الشعر الحديث في مصر » - ص ٤٦ : « ان شاعريته تحتضن الحياة جميعها وتصور الوجود بأسره » . وفي عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الاول من ديوانه ، وسماه في الطبعة الثانية « يقظة الصباح » وقصائده فيه تحتفي بالوحدة العضوية للقصيدة احتفاءً ظاهراً ، والعقاد حريص كل الحرص على شعره على نظرية « الوجدان الشعري » فما هو ذا يقول في الجزء الثاني من ديوانه ص ١٩٤ :

ظمان ظمان ، لا صوب الغمام ولا  
عذب المدام ، ولا الأنداء ترويني

وهكذا صار المضمون الشعري عند هؤلاء الثلاثة لابد وأن يتخذ في الشعر الغنائى الطابع الوجداني سواء استمدته الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية .

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد الى مازليت وماكولي وارنولد وشاستري وأغلب آراء العقاد في النقد تعود الى آراء وليام مازليت ومحاضراته عن الشعراء

الانجليز ، ويشبه العقاد كثيرا في عنفه النقدي ، من ايثار للمذهب الانفسى في النقد الذى كان يؤثره شكرى كذلك .

وخاص الثلاثة معركة الجديد مع شوقى وحافظ والمنطوطى ، ولكن الايام عادت ففرقت بينهم ، ففي عام ١٩١٦ انفصل شكرى عن زميله بعد ان استفحلت الوشائيات بينهم ، وثارت اثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم . فآخذ شكرى يعبث على المازنى انتحاله لبعض الاشعار الانجليزية بعامة ، ربما دون في « الكنز الذهبى » وخاصة « وكتب في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية ، ويتبادلا النقد على صفحات جريدة « النظام » . وكتب شكرى يهاجم المازنى والعقاد - الذى انتصر لصديقه المازنى - معا على صفحات « عكاظ » في مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و ١٩٢٠ .

وفي عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ اصدر العقاد والمازنى جزئين من كتاب جديد سمياه « الديوان » نقد فيه العقاد شوقيا والمنطوطى ، ونقد المازنى فيه حافظا وعبد الرحمن شكرى ، الذى ساء « صنم الالاعيب » ورماه بالشعرودة والجنون .

واطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم من ان الكتاب هو للعقاد والمازنى فقط ، وعلى الرغم من أنه يحمل مجوما على زميليهما شكرى .

وتد احدث كتاب « الديوان » ضجة كبيرة في العالم العربى ، وكان حافظا الظهور كتاب الغربال للشاعر المهجرى نعيمة ، الذى كتب العقاد مقدمته .

ويبوازع من شوقى وشكرى كتب رمزى مفتاح كتابه « رسالة النقد » يهاجم فيه العقاد ويتهمه بالسرقة من شكرى .

ويذكر العقاد في كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى » - الذى كان ينشر « مقالات في صحيفة « الجهاد » القديمة التى كان يصدرها الصحفى المصرى محمد توفيق دياب : ان ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية ، عن طريق الالعب الانجليزى ، وانها استفادت من النقد الانجليزى ، واتخذت عازلت رائدا لها في النقد ، وكان مرجعها الاول كتاب « الكنز الذهبى » الذى كان يحتوى على مختارات من الشعر الانجليزى من شكسبير الى نهاية القرن العشرين .

ويتول المعاد : ان مدرسة الديوان هي اول حركة تجديدية في الشعر الحديث متجاهلا مطران ودعوته التجديدية قبل مدرسة الديوان ، وان كان صوت مطران في الدعوة الى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهوى .

وفي رأى هؤلاء الشعراء الثلاثة اصحاب مدرسة الديوان ان شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر ، وان الشعر اذا كان يشعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب ان نحتفى به « وكان وردزورث الشاعر الانجليزي يقول ، وقد سئل عن شعر شاعر : « انه ليس من الحتم في شيء » ، يريد ان منزلة الشاعر مستمدة من شعره ، فاذا أصبح شعره على لسان الناس ، ولا غنى لهم عنه ، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم العامة ، فهو شاعر قد فرض نفسه على الشعر وعلى الققاد والناس .

ولا ريب ان هؤلاء الشعراء الثلاثة ، على اختلافنا معهم في كثير من آرائهم في النقد ، واحكامهم على الشعر والشعراء ، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم ، وفرضوا شخصيتهم على الادب الحديث والشعر المعاصر فرضاً .

وبناء الله ان يعود الصفاء بينهم فيحل محل العدا والجهاء ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ ، فيتصافون ويعد بعضهم يديه الى البعض الآخر .

ويكتب المعاد والمازني الفصول الطويلة عن شكوى ، اعترافاً بفضل ، واقر المازني باستاذية شكوى له ، ونظم شكوى قصيدته الطويلة « بعد الاخاء والعداء » ، ونشرها في مجلة الرسالة وقال فيها :

حنسوت على الود الذي كان بيننا  
وان صد عنه ما جنيئنا على الود

وهؤلاء الثلاثة هم رواد مدرسة شعراء الديوان المعروفة في ادبنا الحديث ، ومدرسة الديوان من المدارس الشعرية المعاصرة والجديدة ، وهي المدرسة المجددة الابتداعية - الرومانسية - وقد خلفت مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران المحافظة - الكلاسيكية - وتزعمت حركة التجديد في الشعر ، والنحت في الدعوة اليه .

اعلامها الثلاثة : عبد الرحمن شكوى ، وابراهيم المازني ، وعباس المعاد ، قاموا بدور كبير في خدمة نهضتنا الشعرية ، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث . وتسمى « مدرسة شعراء الديوان » نسبة الى هذا

الكتاب النقدي المشهور الذي ألفه لثنان من هذه المدرسة ، وهما : العقاد  
والمازني ، وأصدراه في جزئين وبسطاً فيه دعوتها الجديدة ، ونقداً فيه  
حافظاً وشوقياً والمنطوطي ، كما نقداً زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكري ،  
وتدأ أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر  
والمعالم العربي ، وكان له تأثيره على شوقي والمنطوطي ، وغير من نظرية  
عمود الشعر القديمة ، وعلى الرغم من أن شكري غارق زميليه وترجها وحدها  
في الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول ، وأمامها الذي افتدى به زميله  
وهؤلاء الثلاثة ثقافتهم انجليزية ، ووجهتهم هو الأدب الانجليزي .

وقد احتدم الخلاف بين المازني وشكري ، وإسرافاً في نقد بعضهم لبعض  
فكتب المازني في « الديوان » يهاجم عبد الرحمن شكري في مقال نقدي  
بمنوان « صنم للأعيب » ، وكتب شكري يهاجم في مقدمة الجزء الخامس من  
ديوانه زميله القديم المازني ، كما كتب رمزي مفتاح كتابه المشهور  
« رسائل النقد » يهاجم فيه العقاد ، ويتهمه بالسرقة من شكري .

وقد قرر العقاد في كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان هي أول حركة  
تجديبية في الشعر الحديث ، وأنكر فضل مطران على حركات التجديد  
هذه ، وكانت ثقافة مطران فرنسية ، وذكر العقاد كثيراً أن شوقياً وحافظاً  
تأثرا به وبمدرسة الديوان ، وقد يكون ذلك مبالغة لا غير .

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة إلى الشعر الموضوعي ، كانت مدرسة  
الديوان تدعو إلى الجانب الذاتي أو العفائي ، فشعرهما هو شعر الوجدان الذي  
يمبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ تعبير .

وادخل المازني في تعريف الشعر الماطفة ، والخيال ، واتجه العقاد إلى  
شعر لفكرة ، ودافع عنه في ديوانه « بعد الأعاصير » .

وقد صدر للعقاد في حياته : الجزء الأول من ديوانه ( ١٩١٦ ) - الأريمة  
الاجزاء الأولى من ديوانه ( ١٩٢٨ ) - وحى الريمين هضبة الكروان  
( ١٩٢٣ ) - عابر سبيل ( ١٩٢٧ ) - أعاصير مغرب - بعد الأعاصير  
( ١٩٥٠ ) .

ولقد حمل رواد مدرسة الديوان : العقاد وشكري والمازني لواء الشعر  
بعد شوقي ، وأعلنوا الثورة على الشعر القديم ( الكلاسيكي ) ، وكتبوا أغنف  
الفصول النقدية التي غيرت مسار الشعر العربي المعاصر .

وقد جمعت زمالة العلم والشباب في مدرسة « في القاهرة » في أوائل  
القرن العشرين ، بين إبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري وكاننا

تلميذين في المعلمين العليسا ، ثم تعرف بهما العقاد ، وصاروا مدرسة واحدة - إلى أن انفصل عنهما شكري ، ودب الجفاء بينهم . ونقد شكري والمازني بعضهما بعضا نقدا شديدا .

ويشأ، الله ان يعود الصفا بينهم فيحل محل العدا والجهاء . وكان ذلك عام ١٩٣٤ ، فيتصافحون ويعد بعضهم يديه الى البعض الآخر .

ويكتب العقاد والمازني الفصول الطويلة عن شكري ، اعترافا بفضله ، واقر المازني بامتازية شكري له ، ونظم شكري قصيدته الطويلة « بعد الاخاء والعداء » ونشرها في مجلة « الرسالة » وقال فيها :

جنوت على الود الذي كان بيننا

وان صد عنه ما جنينا على الود

وقد تحدث الشاعر عبد الرحمن شكري في الجزء الثاني من ديوانه عام ١٩١٣ في قصيدته ( نبوة شاعر ) ، ثائرا ناقدا لمذاهب التقليديين في شعرهم ، ولعله كان يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من امثال شوقي وحافظ واصرايهم ٠٠٠ ويوضح شكري مذهبه في الشعر في قصيدته ( شكوى شاعر ) التي نشرها في الجزء الثاني من ديوانه ايضا حيث يقول :

تد طال نظمي للأشعار متقدرا

والقوم في غفلة عنى وعن شائى

قد أولعوا بكبير السن أو رجل

يبنى له الجاه ما يخلو به البانى

ويشرح شكري مذهبه في الشعر في مقدمته الطويلة التي كتبها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه بعنوان ( في الشعر ومذاهبه ) ، التي نادى فيها بوحدة القصيدة ودعا الى حرية التعبير ، وطلاقة الأسلوب ، وتصوير الشعر لنفس الشاعر ، وتعبيره عن وجدانه تعبيرا صادقا مباشرا ، وأعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم ٠٠ وبهذا بدأ شكري دعوته الى التجديد في الشعر المصرى الحديث الذي كان مطران ينادى به ، ويدعو اليه ٠٠ وبدأ شكري بعد ذلك كفاح مدرسة شعراء الديوان في سبيل التحرر الفنى للقصيدة ، وحرية الشاعر في تعبيره ، ومن أجل تطوير أسلوب الشعر وأفكاره وموضوعاته، وقد انضم شكري في شعره بنزعة انسانية عميقة تتجلى في مثل قصائده :  
اليتيم ، غلام مريض ، رشاء عصفور ، ليتنى كنت لها « التي ينسأدى فيها بانسانية الحياة والتفكير والعمل ٠٠ ويسود شعر شكري النزعة التصويرية العميقة ، التي تتجلى في عمق حبه للطبيعة وروعة تصويره لها ، ولتقرأ قصيدة شكري القصيرة « سحر الطبيعة » التي يقول فيها الشاعر :

كؤوس من النور هذى الزمو  
ر أم هسى أخيلة الشاعر  
وليمت بحلم ولكنهما  
أجل من الحلم الباهر  
وما خلقت لفتنوا الخيا  
ل فتنة حسن لدى الخاير  
وما الحياة ونيس الخسو  
د في ماؤها السلسيل المائر

وحيام شكرى بالطبيعة وحبه لها جزء أصيل من كيانه فقد ولد ونشأ  
على شاطئ البحر الابيض المتوسط في بورسعيد في الثاني عشر من أكتوبر  
عام ١٨٨٦ ، وعاش فيها أيام عزله سبعة عشرة عاما من سنة ١٩٣٨ حتى  
عام ١٩٥٥ ، وأصيب فيها بالشلل النصفي في أواخر ١٩٥٣ ، ثم ودعها في  
أكتوبر عام ١٩٥٥ ليميش مع أسرته في الاسكندرية ، حيث الشاطئ والبحر  
والجو الجميل الى أن قضى حياته ، ولفظ انفاسه الأخيرة في منتصف ديسمبر  
عام ١٩٥٨ .

ويؤمن شكرى بالذعرات الانسانية الذبيلة ، ويعد من بين شعراء الديوان  
شاعر الحب والخير والجمال ، الحب الذى يقول فيه شكرى من قصيدته  
« ليتنى كنت إلهاً » :

انا بالخسير قائم واخسى  
ابليس بالشسر قائم والوعيد  
كم سخرنا من خائف غير ندب  
انما الجبن آفة الرعيد  
وطرينا من عابد العمل الجم  
عظيم القسواد غير تعيسد  
انما والحب خالدان كلانسا  
ذو خيال ونشوة وجنود

ومن أجل رسالة الانسانية والحب التى آمن بها شكرى ، ترك شكرى  
زميليه في مدرسة الديوان ، ثم اعتزل الحياة ، وبين الحين والحين كان  
يرسل نغمات يراعه الى مجلتي الرسالة والمقتطف ، وكنا منذ قامت رابطة  
الأدب الحديث نريد أن نזור شكرى في عزله لنعرب له عن اعجاب الجيل

للعاصر به ويشعره ، ولنكبر جهاده في سبيل ايمته وشعبه . وفي سبيل الادب  
الذي اعزه ، والشعر الذي آمن به . . . ولكننا كنا كمن يبحث عن السرب .  
لم نعرف عنوان شكري لنذهب اليه ، ثم ودع الحيساء الوداع الاخير . . .

وكتب نغولا بيرسفا في جريدة المساء عن شكري ( ١٢ اكتوبر ١٨٨٦ -  
١٥ ديسمبر ١٩٥٨ ) يقول :

كانت وصيته الاخيرة . . . المكتوبة بيده اليسرى غير المنطولة :

« لا تدفوني في حجرة تقفل على كالمسجن ، ولكن في قبر يهال عليه  
التراب » .

والحق انه لم يحب القيود . . . فكان متحرر النفس من الرذائل . . . متحرر  
المقل من الخرافات . . . متحرر الشعر من اغلال التنكيل والموضوع . . . منطلق  
الخيال في رحب الفضاء . . . معتزلا بقيود الوطائف . . . مطابيا في عهود الاحتلال  
والانقطاع بتحريير بلاده من ريق الاستعمار والاستغلال . . .

اما السجن المادي فقد جنى على ابيه وعلى أسرته من قبل ، يوم اعتقل  
اعوان الخديوي ، والده - محمد شكري عياد - اناصرته الثورة العرابية ،  
وصداقته لميد الله النديم . . . فنجم عن هذا السجن والتعطل ، واما كايده  
من الضيق والارهاق ، أن خرج ابناؤه غير السءاء العود . . . كما جنى اعوان  
المحتلين على الشعاع في حركة مصطفى كامل عام ١٩٠٦ لا وقف زميل الشعاع  
عبد الحميد بدوي « القاضي بمحكمة العدل الدولية » والتمى على الجماهير  
تصيدة عبد الرحمن شكري الوطنية :

ثباتا فان العسار اصعب محملا

من الذل لا يفضى بنا الذل للعسار

فانتهوا الشعاع بالتحريض على الثورة وفصلوه من مدرسة الحقوق بعد  
ان قضى بها عامين . ويلحق الشعاع بمدرسة المعلمين بالقاهرة . . . ويخرج  
منها عام ١٩٠٩ ، ليرسل في بعثة الى جامعة شيفيلد ، ويعود في خريف ١٩١٢  
ليشتغل بالتعليم مدرسا فناظرا فمفتشا بالتعليم القانوى . . . ولكنه يظل ينظم  
الشعر ، وينشر الابحاث الادبية والتغذية في الصحف والمجلات . . .

وكان ديوانه الاول : « ضوء الفجر » قد ظهر عام ١٩٠٩ . والشاعر  
في الثالثة والعشرين . . . يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ساحات

مشاكلها وتجاريها . ومع ذلك فان الروح الفائر المجرى الذي سطع في تلك  
الباكورة كان باهرا ، فانجبرى صديقه المزمى يتغظه في الصحف .

وفي ١٩١٥ يظهر الجزء الثالث « أنشيد الصبا » ويتلوه كل من الرابع  
والخامس عام ١٩١٦ ، فالسادس عام ١٩١٨ : فالسابع : « ازهار الخريف »  
عام ١٩١٩ ، ثم تشغله هوم المهنة التعليمية والتنقل في البلاد عن جمع  
اشعاره في دواوين أخرى بعد هذا التاريخ ، فيكتفى بنشر شعره وأبحاثه في  
عديد للصحف والمجلات مرردا :

#### التي بشعري في خلق الزمان ولا

ابيت منه على هم ويلبسال !

وقد امكن جمع ما نشره من الشعر بعد عام ١٩١٩ في الجزء الثامن .  
وأما كتبه الشعرية التي تضم فصوله وأبحاثه في الأدب والنقد والدراسات  
النفسية والفلسفية ، فقد طبع منها في حياته خمسة كتب وهي : « الشعراء »  
و « حديث ايليس » و « الاعترافات » وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦ . ثم  
« الصحائف » - ١٩١٨ وقصة « حلاق الجنون » - ١٩١٩ ( بتوقيع ع . ش )  
ولم يطبع منها بعد خمسة أخرى كان قد نشر فصولها فيما بين ١٩١٩  
و ١٩٥٢ في مجلات الرسالة والثقافة والفتن والهلل وغيرها . وهي :  
كتابه « نظرات في النفس والحياة » وقد نشر مسلسلا بمجلة الفتنة فيما  
بين ١٩٤٧ - ١٩٥١ . و « الشعر العباسي و « دراسات نفسية » و « بين  
التقديم والجديد » و « أبحاث ودراسات شتى » . ولم يضع الشاعر أسماء  
لهذه الكتب الأربعة الأخيرة التي تفرقت فصولها في عدد من الصحف والمجلات .  
وهكذا لم ينقطع الشاعر عن نظم الشعر وكتابة الأبحاث حتى عام ١٩٥٢ يوم  
أرغمه الشلل الذي لفق نصفه الأيمن ولازمه الى نهاية حياته على الكف عن  
الانتاج الأدبي وان كان لم ينقطع عن كتابة الرسائل الخاصة بيده اليسرى  
الى أهله وأصدقائه وتلاميذه حتى نهاية حياته .

وما كاد الشاعر يعتمزل وظيفته بوزارة التعليم عام ١٩٢٨ بعد أن مارس  
التعليم نحو ربع قرن حتى رغب في شغابه أن يوفر على النقص بعض  
الجهد ، فأخذ ينشر فصول كتابه « الاعترافات » في الصحف ثم طبعها  
عام ١٩١٦ في كتاب : كما نشر بعض الذكريات عن نشأته وعن التعليم .  
وراح يصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها ناقده في مقدمات دواوينه وفي  
مقالاته التي لم تجمع أو رسائله التي لم تنشر . ويشرح رأيه في الشعر  
ومذاهبه ، والشعراء ومدارسهم ، كما عرف الشعر والشاعر ، وتوالت

الأبناء عن سوء صحة الشاعر ، وحين جدت الدولة في تكريمه مات الشاعر  
العظيم شكري راشد شمراء مدرسة الديوان ، وكانما كان يتمثل ما تاله في  
صدر شبابه وهو في الغربة :

كنت مثل الفيد جرى به من  
روضه والزمان غير زعيم  
حيث وجه النهار جذلان بسا  
م وجه الظلام غير بهيم  
ودواع الى الغنساء كئسار  
من حبيب وموطن وحميم  
انزلوه في منزل مثل بطن الا  
رض جهم السماء جهم الأديم

## الفصل الثاني

### الاعتاد .. وفن المقال الصحفي

- ١ -

يرتبط فن المقال في أدبنا الحديث بتاريخ الصحافة في بلادنا . وهو فن جديد ، نشأ في أدبنا الحديث بتأثير اتصالنا العظمى بأداب الغرب . ويختلف النقاد في تحديد معنى المقالة وخصائصها الفكرية ، وأول ما يصفونها به ، أنها لا تخرج عن كونها تعبيراً عن احساس الكاتب ، وعن آرائه الخاصة في الحياة .

فهذه دائرة المصارف البريطانية تذكر عن المقالة الادبية أنها : تضم مؤلفة ، متوسطة الطول ، وتكون عادة منشورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد ، وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، ولكنها تعالجه - على وجه الخصوص - من ناحية تأثر الكاتب به (١) .

ويصفها أحدهم -وهو الكاتب آرثر بنسن - بأنها تعبير عن احساس شخصي أو اثر في النفس ، أحدثه شيء غريب ، أو جميل ، أو مثير للاهتمام ، أو شائق ، أو يبعث الفكاهة والتسلية .. ثم يسترسل في كلامه ، فيقول : وهكذا تكون المقالة قريبة للصلة بالقصيدة من الشعر الغنائي ! ولكنها تمتاز إلى جانب ذلك بما ينتج من الخربة ، وبتناسع الاسق وبمقدرتها على ان تتناول نواحي يتحاماها الشعر .. ثم يستطرد بنسن ، فيصف لنا كاتب المقالة بأنه شخص يعبر عن الحياة ، وينفذها بأسلوبه الخاص .. انه لا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرخ .. أو الفيلسوف .. أو الشاعر .. أو المتصاوس ولكن في نفسه شيئاً من هذا كله .. انه ليس يعينه ان يكشف نظريات جديدة أو يوجد الصلة بين أجزائها المختلفة . ان طريقتة في العمل أدنى إلى ما يسمى الأسلوب التحليلي : يربط ، ويسجن .. ويفسر الأشياء كما تبدو له .. ثم يدع خياله يرحل في جماها ومزها . والغاية في هذا كله أنه يحس احساساً عميقاً بصفات الأشياء ، ويسجرها ، ويريد أن يلقي عليها كلها نوراً واضحاً رقيقاً ، لعله يستطيع بذلك أن يزيد للناس حياء في الحياة ، وأن يعدهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المفرحة والمجزنة (١) .

(١) محاضرات عن فن المقالة الأدبية - للككتور محمد عوض محمد  
(٢) المصدر السابق ، د . عبد العزيز شرف : فن المقال الصحفي ، دار المعارف ( سلما : كتابك )

وعلى هذا النحو نجد المؤرخ « هـ ب » تشارلتن « أستاذ الأدب في جامعة مانسستر يقول عن المقالة الأدبية : إنها في صميمها تصيدية وجدانية ، صيغت نغماً . لنتسنع لما لا يتسع له الشعر المظلم ! ثم يضيف : إن الأسلوب الجيد في المقالة يجب أن يكون « ذاتياً » لا يفتن على أساس عقلى ، ولا يبسط حقائق موضوعية (١) .

تلك هي - في إجمال - آراء الغربيين في تعريفهم للمقالة الأدبية .

وهذه الآراء - أو الأوصاف - نفسها تصادفها عندما نستعرض ماكتبه عنها بعض المعاصرين من الكتاب العرب كالكتور محمد يوسف نجم فهو يعرف المقالة الأدبية بأنها نظرية محدودة في الطول والموضوع ، تكتب بطريقة عنوية سريعة خالية من التكلف والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقا عن شخصية الكاتب (٢) .

والكتور محمد عوض محمد يذكر فيما يذكره ، في محاضرة من محاضراته أن المقالة الأدبية الموقفة تشعرك وأنت تطالعها أن الكاتب جالس معك يتحدث إليك .. وأنه مائل أمامك في كل عبارة وكل فكرة (٣) .

والعقاد يرى أن من شروط المقالة الحديثة أنها ينبغي أن تكتب على نمط المناجاة ، والأسمار ، وأحاديث الطرق بين الكاتب وقرائه ، وأن يكون فيها لون من ألوان الثرثرة أو الإفصاء بالتجارب الخاصة ، والأذواق الشخصية (٤) .

ونعمات أحمد فؤاد في دراستها لأدب المازني الذي ترى فيه كاتب المقالة الأول . في الأدب العربي الحديث .. تقول في حقيقتها عن المقالة : إنها ليست دراسة .. ولكنها كلام ليس المتصود به التعمق والتركيز ، وهي في مدلولها الحديث ثرثرة بليغة محببة .. يبدأ صاحبها ولا يعرف كيف ينتهي (٥) .

(١) فنون الأدب تأليف « تشارلتن » تعريب الدكتور زكي نجيب محمود .

(٢) أدب المقالة للكتور محمد يوسف نجم .

(٣) محاضرات الككتور عوض .

(٤) فرنسيس جاكسون لستاذ العقاد .

(٥) أدب المازني للكتور نعمات أحمد فؤاد .. ومن الجدير بأن نشير هنا إلى ما تراه الكاتبة من أن المقالة بمدلولها الحديث الذي لا يعترف بالتنظيم والتبويب والنطق نجدها عند الجاحظ فالبيان والتبيين مثلاً بأجزائه الثلاثة مجموعة مقالات تقوم الواحدة منها على فكرة يستطرد منها الجاحظ إلى فكرة أخرى وإن لم يجمعها رابط . والكاتبة تخالف الرأي السائد في أن مولد المقالة إنما كان في الغرب .

أما عن موضوع المقالة الأدبية .. فيمكن القول : ان كل ما يوصف به  
- في كلمة موجزة - موضوع المقالة الأدبية ، هو « اللاحود » ان جاز عدا  
للتعبير ! .

ان كل موضوع بالنسبة للمقالة الأدبية ملائم لها .. أو كما يقول  
الدكتور أحمد أمين : كل شيء في الحياة صالح لأن يكون موضوعا : من الذرة  
الحقيرة إلى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح  
إلى قصر الملك ، ومن الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ، ومن أتبع نتيج إلى  
أجل جميل ، ومن الحياة إلى الموت ، ومن الزهرة الناضرة إلى الزهرة  
الذابلة . ومن كل شيء إلى كل شيء (١) .

والمعروف عند نقاد الأدب الغربي ، أن أول ظهور للمقالة بالصورة  
التي عرفت بها كان في سنة ١٥٨٠ ميلادية حينما ظهرت مجموعة مقالات  
الكاتب الفرنسي الحكيم « مونتين » . ويروى عنه أنه رأى في مدينة  
« بارلي دك » بفرنسا صورة رسمها لنفسه « رينيه » ملك صقلية فسأل  
مونتين نفسه قائلا : لماذا لا يباح لكل إنسان أن يصور نفسه بالقلم على  
هذا النمط كما صور ملك صقلية نفسه بالألوان والخطوط ؟ وقد استطاع  
مونتين أن يري في مقالاته جوانب شتى من شخصيته وأسلوب حياته ،  
حتى قيل عنه « انه أول من قال بوصفه أدبيا ما شعر به بوصفه إنسانا » .

فاول ميزة للمقالة هي انها تعبير عن وجهة النظر الشخصية وقد تطورت  
كتابة المقالة منذ عهد « مونتين » ولكنها مع ذلك لاتزال محتفظة بابرز  
مميزاتها وهي تناول الموضوعات من وجهة النظر الشخصية . وقد أصبحت  
هذه العلاقة الأكيدة بين الكاتب والمقال الذي يكتبه هي السمة الدالة والملائمة  
التي تميزها من سائر ضروب الكتابة الفكرية .

وتمتاز المقالة في العصر الحاضر بالإيجاز . ولكنها لم تكن كذلك في  
مختلف مراحل تقدمها . فقد جاء وقت كانت المقالة تستغرق عشرات  
الصفحات ، وقد كان « ماکولى » و « كارلايل » من أندر كتاب المقالة في  
الأدب الانجليزي خلال القرن التاسع عشر ، ولكن مقالاتهما كانت طويلة  
ضافية ، أقرب إلى أن تكون بحثا شاملا مع احتفاظها بالمميزات الأصلية  
للمقالة ، والمقالة بطبيعتها لا تحاول - نصرت أو طولت - استيفاء الحقائق  
جميعها أو حشد المعلومات الغزيرة ، وإنما يختار كاتب المقال جوانب من  
الموضوع الذي يحطره ، ويعرضها للبحث والنظر ، ويسلط عليها أضواء

(١) فيض الخاطر - جزء أول - للدكتور أحمد أمين .

نكرة ، ويلونها بلون شخصيته ، وهو في هذا العرض يكتشف عن مدى قدرته الفنية ، لأن عليه ان يتحرى اظهار النواحي التي تثير الاهتمام بموضوعه ويغفل للتفاصيل المملة ، ولا يستلزم هذا البراعة وحسن الثنائى في اختيار الموضوعات فحسب ، بل يستلزم كذلك القدرة على لفتنا. المواد المناسبة وإنما الفكرة ، وتحديد الهدف ، ولا بد من ان يبرز كاتب المقالة الجيد لجادة الاستهلال وبراعة القاطع .

الغاية الأساسية للمقالة هي الاضاح . فاذا انحرفت المقالة عن هذا الهدف الرئيسي ، أصبحت غايتها اعطاء دروس في الأخلاق ، أو عظات أدبية ، أو رسم صورة تأمليه ، أو سرد قصة عاطفيه . أو أي لون آخر من ألوان الأدب ، والمقالة بطبيعتها تقدم لك الكاتب كما تقدم لك الموضوع الذي يكتبه يوحى من شعره وفكره والحالة النفسية المستولية عليه .

واستجابة الكاتب للحالة النفسية الغالبة عليه وصياغتها ، قد يكون باعثها نثره بمادة من امادات ، أو كراميته لتقليد من التقليد ، أو ارتياحه لشحو طائر مفرد ، أو اعجابه بصفه تستوجب الاعجاب ، أو تأثره بوعكة طارئة ، أو تسجيل خاطرة عابرة ، فالحالة التي تحدثها أمثال هذه الأمور هي موضوع المقالة ولب لبابها .

وما دامت المقالة تتناول موضوعها يعبر عن عقل الانسان وشخصيته ، فلا بد أن تكون حرة طليقة غير خاضعة لدعوة من الدعوات . أو محبذة لبدأ من المبادئ ، أو مسخرة من أجل عقيدة من العقائد ، أو مذهب من المذاهب . حالة الكاتب ولما فكرته ، لا بد من اجادة تصميم المقالة ومراعاة الانسجام بين الفكرة وأسلوب الأداء ، والمقالة في العادة تقوم على فكرة رئيسية ، وعلى الكاتب أن يختار اللفظ الملائم الذي لا يبعده عن الهدف المقصود ، فالوحدة والتماسك والتسدرج في الانتقال من خاطرة الى خاطرة أخرى من الخواطر التي تتجمع حول موضوع المقال ، من الزم ما يلزم في أدب المقالة ، والمقالة قبل كل شيء عمل فني يستدعي لفتانه والتبريز فيه افتقار الوعنة بالممارسة والتجربة ، فلتنتق حينئذ في كاتب المقال الصفات العقلية بالمزايا الشخصية لأنها - أي المقالة - تميز عن وجهة نظر خاصة .

وهناك تجارب بين التطورات التي حدثت في كتابة المقالة والأحوال التي لاحظت بكتابتها ، فهي مثل سائر فروع الأدب ، تتأثر بالبيئة وتعص على أن تلائم بين طيبة فنها وبين التيارات الفكرية ، والاتجاهات النفسية، والأحوال الغالبة ، وربما كانت الصحافة أقوى المؤثرات في كتابة النفسية ، الحديثة ، فالصحافة تتحرى خدمة عدد ضخم من القراء مختلفي المساربات

والادواق ومتفاوتى بالقدرة على الفهم والتقدير ، ولما كان الدّأب يكتب  
المقال ليتمتع القارى ، لذلك اصبح لزأما عليه ان يراعى احوال لقراء  
الاجتماعية وهدى ما يملكون من الوقت ، فمن لقراء من يحاولون قراءة المقال  
وعم في احدى مركبات الترام او السكك الحديدية في طريفهم الى مقار  
اعمالهم التي تستأتر بوقتهم وجهدهم ، ومنهم من يعدد الى قراءة المقال بعد  
عودته من عمله متعبا ، عذا فضلا عن تفاوت المستويات الثقافية ومعايير  
التقييم والتقدير .

والمقالة في الادب العربي ليست من فنون الادب المجهولة ، كانت  
تديما تعرف باسم الرسالة ، وليس المقصود الرسائل الديوانية او الرسائل  
التي تتبادل بين الكتاب ، وانما المقصود الرسالة التي كانت تدور حول  
موضوع يختاره الكاتب ، مثل رسائل الجاحظ وابن المقفع وابن شهيد  
وغريم من كتاب العرب ، ولكن المقالة في الادب العربي الحديث مختلفة  
بطبيعه لحال عما كان يعرف تديما بالرسالة ، فقد تأثر كتاب المقالة الحديثة  
باتجاهات المساندة في الادب لغربية ، وفي الحق أن تاريخ المقالة العربية  
الحديثة متصل اتصالا وثيقا بتاريخ الصحافة في الشرق الأوسط ، ومعنى ذلك  
انه يرجع الى عهد غزو نابليون بونابارت للشرق ووجود المطابع الحديثة  
وانشاء الصحف ، وهذه العلاقة الاكيدة بين تاريخ الصحافة في الشرق  
الأوسط وكتابة المقالة ، جعل ظهور المقالة الأدبية مقترنا ومعاصرا لظهور  
المقالة الصحفية ، وقد ظلت الجرائد فترة طويلة محتفظة بطريقة المقال  
الافتتاحي ، وكان يدور في الغالب حول الموقف السياسي وما يعرض فيه  
من الاحوال والتقلبات والاصلاح الاجتماعي بوجه عام ، ومحاولته ايجاد  
وعى قومي ، وحينما تألفت في مصر الأحزاب السياسية ، رأى زعماء الأحزاب  
أن يكون لكل حزب جريدة تعبر عن وجهة نظره وتؤيد مبادئه ، وكان يراعى  
في كتابة المقال الافتتاحي المبادئ الأساسية التي تالف من اجلها الحزب .

وقد ظهر المقال الأدبي الى جانب المقال لصحفي ، فالمقال الصحفي  
يتناول المسائل القائمة والتضاي المارضة من الناحية السياسية ، والمقال  
الأدبي يعرض لمسائل الادب والفن والتاريخ والاجتماع ، وبضرورة الحال  
كانت المقالة الأدبية أقرب الى طبيعة المقالة وفيها الاصيل من المقالة  
الصحفية ، وقد وجد بين كتابنا من استطاع الاجادة في النوعين مثل عباس  
محمود العقاد ، فقد اشتهر في مقالاته السياسية ، بحملاته الشمواء على  
خصومه السياسيين والدكتور حسين هيكل امتازت مقالاته الصحفية بالفقه  
القانوني والتأثر بالمذاهب السياسية والاجتماعية الحديثة ، والدكتور طه  
حسين كانت مقالاته الصحفية تظهر فيها ذخائر اطلاعه على الادب العربي  
والتاريخ الاسلامي .

واشتهر بعض الكتاب بإجادة المقالة الصحفية دون أن تكون لهم مشاركة ماثورة في كتابة المقالة الأدبية ، ومن هؤلاء الكاتب الصحفي التقدير عبد القادر حمزة ، وقد كان في مقالاته الصحفية ، من اتسار الكسب على انفجار عن ارته السياسية ، واحمد حافظ عوض ، وكان يمزج مقالاته الصحفية بالكتابة اللطيفة والسخرية اللاذعة ، والدكتور محمود عزمي ، وكانت تبدو من خلال مقالاته الصحفية ثقافته الاقتصادية وإطلاعه على تيارات السياسة الغربية ، ومن اقدر كتاب المقالة الأدبية الخالصة ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران والانساهي وعبد العزيز البشري ، ولابد من توفير شرط مهم في كاتب المقالة الصحفية وكاتب المقالة الأدبية على السواء ، وهو أن يعرف الكاتب كيف يكتب ، وأن يكون عزيز العلم ، واسع الاطلاع ، متنوع الثقافة ، مع توفيق القريحة ، ونفاذ البصيرة ، ودقة الملاحظة ، ورهافة الذوق ، حتى يعرف كيف يخلب الناري ، ويستحوط به دون أن يتركب الشطط ويعتسف للطريق ، وكلما كان الكاتب موفور الحظ من ثقافته الأدبية جات مقالاته مل كمة النسج شائنة العرض قوية التفكير متماسكة المنطق .

والقالة الصحفية أو الأدبية معرض لعقائق الأحاسيس وشريف الخواطر ويمكن أن تكون مرآة جيدة الصقل تمكس صورة الكاتب وظلال العصر الذي يعيش فيه والبيئة الاجتماعية والسياسية التي تحتويه (١) .

وإذا حاولنا دراسة المقالة عند أديب معاصر كالمعاد فاننا نلاحظ أنه لم يمن كثيرا باللون الأديبي للصف من المقالة لاسيما في طور ادبه الأخير ، وإنما كان يلبس مقالاته في العلم والاجتماع ثوب الأدب الشائق ، ومع هذا فان ما كتبه مما يقع تحت هذا الضرب من المقالة كان يضمه في الغالب فكرة لاجتماعية أو إنسانية سامية ، ففي مقال له في « الهلال » ( نيسان ١٩٥٠ ) عن « زهرة الربيع » يقول في خاتمته « ولعلنا لا نتضمن لهذه الأرض المضطربة أمنية هي اسلم لها واكرم عليها من أن تتسع فيها رقعة الزهر ولو جارت على رقعة المصانع والمعامل والكاكين » أو مقالة الذي نشره في الهلال « ( عدد تشرين الأول ١٩٤٧ ) بعنوان « حديث مع عروان الرشيد » ضمنه أكثر من متعة أدبية عابرة ورأيا خاصا في حياة العرب السياسية من ورجوه .

وهو على كل لون تتجلى فيه الحلاوة في السرد ، والتماسك بين اجزاء الموضوع ، والفكرة المكتملة بنفسها ، فلو توقفت عند فقرة معينة انتهت

(١) راجع مجلة المقالة عدد رجب ١٣٨٥ ، من مقال لطى أدم ، د- عبد العزيز شرف : فن التحرير الاعلامي ، القاهرة ( مجلة للكتاب ) ١٩٧٨ .

عندما مطالعتك ثم عدت لما يليها بعد انقطاع عن القراءة لما احسست انها  
دخيلة على البحث ، وانما هي في موضعها عنى قدرها الملائم ذات صورة  
منفصلة متصلة في آن واحد .

اما « التنكيل » في مقالة العقاد الادبية فغنى عن الوصف : بيان صاف  
منين ، وسبك جلي ، جيد مفروض ، وطلاقة بفساحة ، ولفسة وضاحة  
لا تموزها الصحة ولا البراعة ، ولا الفكرة الصائبة التي انهكت درسا  
وتمحيصا ومعالجة .

فالمقالة لدى العقاد هي مزيج من الأدب والعلم والاجتماع معا ، وان كانت  
الصيغة الطاغية عليها هي صيغة الادب اسلوبا ولغة وشكلا ، ولكنها ذات  
موضوعات ليست ادبية خالصة في الغالب ، وهكذا . والحديث عن ادب  
المقالة عند العقاد هو حديث عن المقالة الادبية والعلمية والاجتماعية مجتمعة .  
ومقالاته التي كان يولي نشرها في « اخبار اليوم » نموذج صالح لذلك ، وقد  
يكون المقاد على حق في هذا الجمع اذ هو فهم المقالة كفهم الكاتب « دوجلاس  
ميد » لها ، حيث يقول في كتابه « القراءة الجيدة » عن المقالة : « هي نزعة  
حافلة بالهواجت كاتبها القائد وقارئها الجندى فيها ، يجول الكاتب بين النقد  
اللاذخ او البحث في الجمال او التاريخ ، وتلك ميزة في نظري امانة العقاد  
الجامعة ، وأول ما يلتفت انتباهك في مقالات العقاد تلك الاستهلاات البراعة  
العنيفة التي تصور من شخصية العقاد كثيرا من المالم ، فخص من أول وعلة  
أنك قد أخذت وانصرفت لتنتج ما يكتب صاحب هذه البداية التعمية بحق ،  
يقول الأديب « مادوس » في كتابه « المقالة وكتابتها » : « اما بداية المقالة  
فغنى غاية من الأهمية والبراعة والتأثير » . . . . . وعذا بالضببط ما أشرنا اليه  
كسمة بارزة في مقالة العقاد .

والمادة في مقالة العقاد ميسرة تحس أن كاتبها قد ألم بدقائقها  
واكب عليها درسا وتمحيصا وترتيبيا ، ثم هي مسكوبة بنظام واحكام  
بعد أن جازت في مخيلة الكاتب أطوارا عديدة من التصميم ، وهذا بالضبط  
ما ذهب اليه الدكتور اسحق موسى الحسيني حين قال في ادب المقالة من  
أن كاتب المقالة لا يد من أن يقيم لها صورة مصغرة تحتوي على كل  
دقائقها وأفكارها والا فهي ضرب من التائق اللفظي لا طائل تحتها ولا غناء،  
فيه ، الا بضع أفكار تانتت بكذ الذهن ، فتبعثرت في ثنايا الالفاظ بعشرة  
تقبضة من الدر في كيس من الرمل .

ولا تموز العقاد الحقائق في مقالته أبدا ، وإنما هو يحسدها لك  
حسدا مسلحا بعناد البلاغة النفاذة ، وهكذا فهو أندر على الانتاع والتأثير

دون أن يجهد لهذا . وهي مادة قوامها لديه العمق بل التعميق أحيانا حتى  
ليهييم القاري، في شبه مهامه من الانتكار والأراء الشائكة وهي ليست في  
الغالب الا جسدا لا منزل فيه ولا دعابة ، لا قليلا ، او منزل في جسد ان شئت.  
ولكنه مصيب بكلا الأمرين أو بدونهما فيما يفيقه من تأرثه من متعة وابتهاج  
بما يدخله أحيانا من روح تلطيف ولذعات فمسا تحس فيما تحس فيما  
تقرأ له بسام وان كنت تحس أحيانا بتعب ، نفوس في اجزاء بعض الأراء التي  
يعرضها ، أو حين تضطر لقرائما من جديد مثنى وربما ثلاث . وهي مقالة  
هادئة متزنة ولكنها قوية صلبة فيها كثير من السنف المكبوت ، أو الجبروت  
المتظامن على الاصح أما ثقة العقاد فيها بنفسه فتداني الاعتداد على الدوام .  
لهذا كان عامل شخصيته فيما يكتب بارزا أجلى بروز فما تخطى أسلوبه  
حوسك بين ركاب من أساليب سواء وأثرهم . ولعل من آثار هذا الاعتداد  
انه واحد من نفر ضئيل من الكتاب لا يستعمل ضمير المتكلم الا جمعا على  
الدوام ، وقد يشتت تلفه فيكتب بضمير المتكلم المفرد سهوا ، فيمسود  
مستدركا يستأنف بضمير المتكلم للجمع .

ان روح النقد والتمالي والكبرياء والامناع والقسرة على النتائج هي من  
أهم مقومات المقالة عند العقاد .

## - ٢ -

والعقاد الكاتب تسنده أصالة كبيرة وثقافة واسعة وخبرة وتجربة  
للحياة ، ويعد أكبر كاتب عربي معاصر كما يقول شووي ضيف(١) ، وكتابات  
تشجع فيها روح فلسفية توبية ، وتحدث الناس عن عبقرياته طويلا (٢) ،  
وقد شغل العقاد الناقد الكثير من الدراسات والدارسين (٣) ، والدراسات  
الادبية عند العقاد متنوعة ، ومنها دراسته عن « ابن الرومي » وقد استخدم  
مذهب التحليل النفسي فيها في فهم حياة الشاعر ، وكذلك دراسته الاصلية  
عن التنبي في كتابه « مطلمات » .

وقد عاش العقاد يرفض التسمر الحر ، ويدافع عن العربية .

ويقول عثمان أمين (٤) فيه : العقاد أديب وفيلسوف ومن المفكرين  
المعروفين ، وكتاباته تزود المكتبة العربية ب ذخيرة رائعة من مختلف

(١) مع العقاد - سلسلة أقرأ - أشواقى ضيف - عدد ٢٥٩ .

(٢) راجع في مجلة الأزهر عام ١٣٨٦ مقالات لنعمة فؤاد عن عبقريات العقاد الإسلامية .  
(٣) راجع كتاب عبد الحمى دياب الضخم « لعقاد ناقدًا » وهي رسالة نال بها الماجستير  
من دار العلوم وكان يكتب فيها حياة العقاد .

(٤) راجع ص ١٣ وما بعدها من كتاب نظرات في فكر العقاد لعثمان أمين .

الثقافات ، وأدبه يتميز بالاصالة والاحتفال بالتجربة والمعاناة ، والتعبير الجميل عن الشعور الصادق والأدب ما هو الا محاولة للفهم بتجربة شاملة، وتفكير الأديب ما هو الا جزء من الحياة ونوع من الأبوّة .

والمعقاد باحث معتد برأيه وناقض نافذ البصيرة ، وجدلي بارع الحجة ، والمعقاد يرفض المحاكاة ، والفن عنده مراتب بحسب وفرة نصيبه من الحرية والإبداع والبهمة عن المحاكاة (١) .

والمعقاد يربط الجمال بالحرية ، وكان رأى ثلثي الشعراء الانجليزي للكبير ، وقد توسع المعقاد في معنى الحرية ، فلم يقتصر على فهمها بالمعنى الارادي البشري ، بل جعلها تنتمس لبعض الأشياء الطبيعية المألوفة ، فالجمال والحرية عنده وجهان لحقيقة واحدة ، ويربط الجمال بالحياة أيضاً من خلال وسيط مهم هو الحرية .

والمعقاد مع ما بلغه من النزلة العالية في النشر الأدبي ، ومع ما أحدثه من التطور في الأسلوب ، هو شاعر ، وشاعرية المعقاد يمثلها ديوانه بأجزائه الاربعة ، التي سماها : يقظة الصباح ووعج الظهيرة وأتساح الاصيل وأنسجان الليل ، وقد أعاد نشر هذه الدواوين عام ١٩٢٨ م .

ثم نشر للمعقاد ديوانه : وحى الاربعة وعديّة الكروان عام ١٩٢٣ ، وفي عام ١٩٣٧ نشر ديوانه عابر سبيل ، وفي عام ١٩٤٢ نشر ديوانه « أعاصير مغرب » وكان قد نيف على الخمسين من عمره ، وفي عام ١٩٥٠ نشر ديوانه « بعد الأعاصير » وهذه كلها ثروة شعرية أصيلة تعقل جانب تجديديا واضحا في شعرنا المعاصر .

(١) مجلة القافلة - رمضان ١٣٨٥ هـ - عن مقال نذكرنا إبراهيم .

## الفصل الثالث

### المقائد ومدرسة شعراء الديوان

#### كيف نشأت هذه المدرسة :

مدرسة الديوان من المدارس الشعرية الجديدة بعد مدرسة البارودي وشوقي وحافظ ومطران ، تزعمت حركة التجديد في الشعر ، والحث في الدعوى اليه .

اعلامها الثلاثة شكوى والمزاني والمقاد قاموا بدور كبير في خدمة نهضتها الشعرية ، وفي نشر حركة التجديد في الشعر العربي الحديث . وتسمى مدرسة شعراء الديوان نسبة الى هذا الكتاب المقتدى المشهور ، الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة ، وهما المقاد والمزاني ، وأصدره في جزئين ، وبسطا فيه دعوتهما للجديدة ، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنفلوطي ، كما نقدا زميلهما الثالث وهو عبد الرحمن شكوى ، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير ضجة كبيرة في الجو الأدبي والشعري في مصر والعالم العربي ، وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي ، وغير من نظرية عمود الشعر القديمة ، وعلى الرغم من أن عبد الرحمن شكوى فارق زميليه وتركهما وحدهما في الميدان إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول ، وإمامها الذي انتدبت به « ومؤلاء الثلاثة ثقافتهم انجليزية ووجهتهم هو الأدب الانجليزي » .

وقد لحتدم الخلاف بين المزاني وشكوى ، وأسرفا في نقد بعضهما لبعض « فكتب المزاني في كتاب « الديوان » نفسه يهاجم عبد الرحمن شكوى في مقال نقدي بعنوان « صنم الألاعيب » ، وكتب شكوى يهاجم في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه زميله التقديم المزاني ، كما كتب رمزي مفتاح كتابه المشهور « رسائل النقد » يهاجم فيه المقاد ويتهمة بالسرقة من شكوى ،

وقد ذكر المقاد في كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » أن ثقافة مدرسة شعراء الديوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية ، عن طريق الأدب الانجليزي ، وأنها استفادت من النقد الانجليزي فوق استفادتها من الشعر وكل فنون الأدب الأخرى ، وأنها اتخذت هازلت اماما لها في النقد ، وكان مرجعها الأول مجموعة « الكنز الذهبي » وهي مختارات مشهورة من الشعر الانجليزي من عهد شكسبير الى أوائل القرن العشرين .

وذكر المقاد كثيرا أن شويتيا وحافظا تأثرا بمدرسة الديوان ، وهو في ذلك مد مسرف في الغلاة والأدعاء .  
ج

وتقد كثر المقاد في كتبه ومقالاته في حياته أن مدرسة الديوان هي أول مدرسة تجديدية .

ومن حيث كان مطران يترجم حركة الدعوة إلى الشعر الموضوعي في الأدب الحديث ، كانت مدرسة شعراء الديوان تدعو إلى الجانب الذاتي أو الغنائي منه ، فشعرها هو شعر الوجدان الذي يعبر عن ذات الشاعر وشخصيته أبلغ التعبير ، واتخذ شكراً شعرا له على الجزء الأول من ديوانه الذي سماه ضوء الفجر ، وهو اسم رومانسي ، هذا البيت من شعره :

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد إلى شعر الفكرة ودافع عنه في ديوانه « بعد الأعاصير » ونقد مندور المقاد في شعره في كتابه « الميزان الجديد » ، ( ١ ) ، ونقده الرافعي في كتابه « على السفود » ودواوين المقاد هي : ديوانه ( الجزء الأول ١٩١٦ ) ، الأريمة الأجزاء الأولى من ديوانه ( ١٩٢٨ ) ، وحى الأريهين ، هدية الكروان ( ١٩٣٣ ) ، عابر سبيل ( ١٩٣٧ ) ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ( ١٩٥٠ ) .

لقد حمل المقاد وشكراً والمازني لواء الثورة ضد الشعر الكلاسيكي والشعر القديم ، وحالوا عدم زعماء الشعر العربي المعاصر ، وكتبوا أعنف الفصول النقدية التي حفظها تاريخنا الأدبي وثائق ذات قيمة كبيرة في تاريخنا الفكري والشعري المعاصر .

ولفتحت عن رواد مدرسة الديوان « واحدا واحدا » ، لتتعرف إليهم وإلى أفكارهم في التجديد .

## عيد الرحمن شكري رائد مدرسة الديوان

كان شكري ( ١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨ ) من رواد المدرسة الحديثة في الشعر العربي ، وهي المدرسة التي خلفت المدرسة القديمة التي تمثلت في شوقي وحافظ وأصراهما ، والتي ورثت بلاغة البارودي ومذهبه ، والتي تفتت امتداداتها حتى اليوم ممثلة في شعراء كثيرين لا يؤثرون بالشعر العمودي المجدد شيئاً .

وكان شكري من أشهر هؤلاء الرواد ، وأكثرهم دعوة الى التجديد ، وحرصاً عليه ، وإيماناً به . . . ولداته وزملاؤه في الدعوة الى التجديد والجديد : خليل مطران ، وأحمد زكي أبو شادي ، وعبد القادر المازني ، والمعاد .

وقد تأثر الدكتور أبو شادي ومدرسته بمطران . وعدوه رائد الشعر الجديد وإمامه ، تأثر كثيرون بشكري وعدوه عميدهم ورائدهم ، ومن أوائل من تأثر بشعره وشاعريته عبد القادر المازني زميل شكري في مدرسة المطميين العليا ، والذي كتب الكثير في شتى المناسبات عن استاذية شكري وإمامته ، ومما قاله المازني عنه : كان شكري أول من أخذ بيدي ، وسدد خطاي ، ودلني على المحجة الواضحة ، ويقول كذلك : « كان الجزء الأول من ديوان شكري ، ويومييات المعاد ، بداية افتتاح المذهب الجديد في الأدب ، وفتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقي وحافظ وأصراهما ، وبعد وفاة شكري كتب المعاد بنوه بالمعينة وسعة اطلاعه ، وتمتد مواهبه ، وإن كان لم يعترف باستاذيته ، ولم يجعل نفسه عائلة على أحد في المذهب الجديد في الشعر .

وقد تعارف شكري والمازني والمعاد من عهد طويل ، عرف المازني شكري في دار المطميين العليا ، ثم تعرف بالمعاد ، وعرف به شكري ، وجمعت ثلاثتهم روابط الأدب وصلات الشعر ، والدعوة الى المذهب الجديد فيه ، وتمت المعاد الجزء الثاني من ديوان شكري عام ١٩١٣ ، وأثنى على شاعريته وموهبته . وكتب المازني عام ١٩١٣ مقالات نشرها في جريدة عكاظ الاسبوعية يوازن بين شكري وحافظ ويفضل شكري عليه . . . وقد استطاع الوثاسة فيما بعد أن يفرقوا بين هؤلاء الثلاثة ، فأخذ المازني ينقد شكري .

وكتب شكري عام ١٩١٦ في الجزء الخامس من ديوانه ينقد المازني ويمعيب عليه سرقاته الشعرية من الشعر الغربي . وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام . ونقد شكري المازني والمعاد على صفحات عكاظ في مقالات نشرها

عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ونقد المازني شكري في كتاب الديوان الذي ظهر عام ١٩٢١ وسماه صنم الالاعيب ، ورماء بالشعوذة والجنون ، ولم يعد الصفاء بين الشعراء الا عام ١٩٣٤ ، حيث كتب المازني من جديد ينوه بشكري ، ويفر باستاذيته ، وظل طول حياته بعد ذلك وفيما له .

وكان أبو شادي أكثر الناس حبا لشكري وتقديرا له ، وانصافا لواعبه ، وكتب عنه الكثير من الآراء النقدية ، التي ضمنتها كتابي « رائد الشعر الحديث » وكذلك كان شعراء مدرسة أبولو ، ممن عدوا شكري ينيوفا من ينادي الشعر الحديث في مصر والعالم العربي .

وشكري يتمثل تجديده في ديوانه الذي ظهر الجزء الأول منه « صوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، وأعيد طبعه عام ١٩١٤ ، ثم الجزء الثاني منه « لآلى الأفكار » عام ١٩١٣ ، والثالث « أناشيد الصبا » عام ١٩١٥ ، والرابع « زهر الربيع » ، والخامس « خطرات » عام ١٩١٦ ، والسادس « الأفنان » عام ١٩١٨ والسابع « أزهار الخريف » عام ١٩١٩ . ثم أعيد طبع الديوان في مجلد واحد عام ١٩٦٠ بعد وفاة شكري في طبعة ضخمة على نفقة الاستاذ عبد العزيز مخيون وبقتديم الأستاذ نوتولا يوسف ، وأضيف الي الأجزاء السبعة ، جزء ثامن ، جمع فيه شعره منذ عام ١٩١٩ حتى وفاة الشاعر .

كما يتمثل كذلك في كتبه المطبوعة : الثمرات ، والاعترافات ، وحديث ليليس ، التي ظهرت عام ١٩١٦ ، والصحائف وتد طبع عام ١٩١٨ ، والحلاق المجنون ، وقد نشر عام ١٩١٩ ، وفي كتبه المخطوطة التي نشرت فصولها في الصحف والجلات ولم تطبع في كتاب بعد ، والكثير منها وثائق حية لحياة شكري الانسانية والفنية .

وكان شكري كما يقول العقاد من أوائل من دعا الي وحدة القصيدة ، ونظم من الشعر المرسل ، وعدد صور القافية ، وجدد في بحور الشعر ، وألف القصة الشعرية الماطفية والاجتماعية والتاريخية . ولم يحفل بشعر المناسبات ، وليس في ديوانه الكثير منه شيء .

وشعره الغنائى الوجدانى المعبر عن ذات الشاعر وعاطفته مثل للتجديد في الشعر المعاصر .

وكان شكري كذلك من أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الأدب العربي . وسار على المذهب النفسى ، وطبقته في دراساته للشعراء القدامى والمعاصرين .

وتصانده : في سبيل الجامعة ، ومصرى عربى ، والتأليف ، ورثاء مصطفى كامل . وهي مما تضمنه الجزء الأول من ديوانه ، وكذلك تصانده : التجدد والتغير ، وليتني كنت لها . وأنحجاب ، والحرية والإيمان بالحياة ، التي تضمنها الجزء الثاني من ديوانه ، وكذلك تصانده \* صوت النسبذير وهي من أعز تصانده التي احتوى عليها الجزء الثالث ، وكذلك تصانده : نجى النجوم وليلة الحسن \* والجلال المنتظر ، وخميلة الحب ، وعيش الأدياء ، وشفوة العيش ، والأمال الذأوية ، وقد تضمنها الجزء الخامس من ديوانه ، وتصانده : أبو الهول ، وعزم خوفو ، والمثل الأعلى ، والفصول ، وهي من عيون تصانده في الجزء السادس ، وتصانده آية الحسن ، والتشال ، وياوضى البسمات ، والوت وهي من تصانده الجزء السابع . وتصانده : الطفل ونحو الفجر ، وسر الحياة ، وصونك \* وشفق الغروب - وهي مما تضمنه الجزء الثامن ، وغيرها من تصانده \* كل هذه التصانده صور حية ناطقة بتجديد شكرى ، ومذهبه الجديد في الشعر ، كما يتمثل في تصانده « خميلة الحب » الثانية التي تأثر فيها بابن الفارض . وكان شعره من أوائل ما قرأه شكرى من دواوين الشعراء القدماء ، وكان في مقدمة من قرأ لهم : ابن الفارض والبارودى والمنتبى والشريف الرضى والمعري وابن الرومى ، كما قرأ لشعراء الغرب مختارات من شعرهم تمثلت في كتاب « الكنز الذمى » ، وكان يدرس بالمعلمين العليا . ويقول شكرى في مطلع قصيدته « خميلة الحب » :

تمهل رعاك الله أفضى لبياتنى  
وأتلو على تلك الرياض تحيقتى  
فانى تعلمت الهوى في ظلالها  
وفيهما رأيت الحسن أول رؤية

وشعره في الطبيعة تأثر فيه شكرى بحياته وبيئته وشعراء الغرب ، وبالطبيعة الإنجليزية التي سحر بها أيام دراسته في إنجلترا ، ويقول من تصانده له :

تم فان الدهر غفلائن      وقضاء الخس وسنان  
رق ليل أنت راقده      فكسان الليلى ولهسان  
إن جسرما أن تنام      ما لهذا الجرم غفران

ومن أشهر تصانده : ظالى ما أعدك ، وهي في الجزء الثالث من ديوانه ، ويقول في مطلعها :

ظالى ما أعدك      فاقض إن الحكم لك

وقصيدته شكوى شاعر ، ونبوءة شاعر ، وهما في الجزء الثاني من ديوانه ومطلع الأولى :

قد طال نظمي للأشعار مقتدرا والغوم في غفلة عنى وعن شائى  
وفي الثانية يقول :

أئن خائفى الذكر الجليل وملنى مسامح تومى أو غلبت على أمرى  
سبروى عظامى شاعر بدموعه وينثر أزهار الربيع على تبرى

وفي ديوانه كثير من القصائد التى تحدثت عنها ، وعن شعره وشاعريته ، وعن مذهبه الجديد في الشعر »

هذا هو شكوى الشاعر الكبير المجدد الراحل ، الذى فقدها في الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ ، والذي كان ميلاده في بورسعيد الخالدة في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ م .

عاش شكوى اثنتين وسبعين سنة قضى منها أيام نشأته الأولى في مدينة بورسعيد حتى نال الابتدائية من إحدى مدارسها عام ١٩٠٠ ، ثم عاش في الاسكندرية بعد ذلك أربع سنوات هي أيام تعليمه الثانوى في مدرسة رأس التين الثانوية ، ثم سافر الى القاهرة والتحق بالحقوق الى أن فصل منها عام ١٩٠٦ ، لاشتراكه في المظاهرات الوطنية ، ونظمه الشعر في التنديد بالاحتلال ، فاضطر الى الالتحاق بالمعلمين العليا (١) ، حيث تخرج منها عام ١٩٠٩ ، وأوفد في بعثة دراسية الى إنجلترا لتقسوته ، فسافر اليها وأقام فيها ثلاث سنوات حتى انتهى من دراسته عام ١٩١٢ وعاد الى وطنه مدرسا في مدرسة رأس التين الثانوية ، ثم في المدرسة العباسية ، ورتى بعد ذلك عام ١٩٣٤ ناظرا بالمدراس الثانوية ، وعمل مفتشا في التعليم

(١) في عهد النفوذ الغربى في مصر أريد للأزهر العزلة عن المجتمع فأنشئت دار العلوم عام ١٨٧١ ، ثم أنشئت مدرسة المعلمين العليا عام ١٨٨٠ لتفويض بالتعليم وإيجاد مدرسين للعلوم والرياضة والآداب وقد ظلت مدرسة المعلمين العليا قائمة حتى بدأ الغاؤها بالتدريج منذ عام ١٩٢٨ لاحتلال معهد التربية محلها ، وكان مقر المعلمين العليا في حارة العصبلى بى درب الجينة بالقرب من ميدان المعتبة في اليمنى الذى تشمله الآن محكمة ونيابة المرسكى . ثم نقلت عام ١٨٨٨ الى المدرسة التوفيقية - قصر النزهة الذى شاده محمد سعيد باشا والى مصر عام ١٨٥٥ . ثم نقلت عام ١٩٠٦ الى درب الجمائيز ( مكان المدرسة الخديوية الآن ) وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، ثم خفت الى عامين ، وكان من أساتذة اللغة العربية بها : حسن الطويل وضيف وأبو النصر ( ص ١٣ و ١٤ للكتاب الذمى لمدرسة المعلمين العليا مطبوع عام ١٩٣٥ ) .

الثانوى بعد ذلك ما بين عام ١٩٣٥ و ١٩٣٨ ، الى ان اعتزل الخدمة وانسحب  
للتفرغ لنفسه وللشعر .

وعاد الى العزلة في مدينته الاولى بورسعيد ، فاقام فيها سبعة  
عشر عاما ، ما بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٥٥ ، وكان تسد بصيب بالشلل النصفي  
في يناير عام ١٩٥٢ ، وفي عام ١٩٥٥ . فنقل الى الاسكندرية حتى استأثرت  
ببه رحمه الله .

ويقول المازنى عن شكرى ويده صكته به : « كنا طالبين في مدرسة  
المعلمين العليا وكانت صلتى به وثيقة . . وكان كل منا يخلط صاحبه  
بنفسه ، ولكننى لم اكن يومئذ الا مبتدئا على حين كان هو تسد انتهى  
الى مذهب معين في الأدب ، ورأى حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه . ومن  
اللؤم الذى اتجاف بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من اخذ بيدي ، وسدد  
خطاى ، وولنى على الحجة الواضحة ، واننى لولا عونه المستمر لكان الارجح  
أن أضل أتخط أعواما أخرى ، ولكن من المحتمل جدا أن أضل طريق الهدى

ويذكر صديقه العقاد - عام ١٩٥٩ - بعضا من تلك الذكريات فيقول:  
« عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة . فلم أعرف قبيله ولا بعده  
أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية ، وأدب  
اللغة الانجليزية ، وما يترجم اليها من اللغات الأخرى . ولا أنكر أننى  
حدثته عن كتاب قرأته الا وجدت منه علما به وأحاطة بخبر ما فيه ،  
وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت اليها . ولا سيما  
كتب القصة والتاريخ ، وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة .  
قوى الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن  
تهيأت له ملكة النقد على أنامها . لانه يطع على الكثير ويميز منسه  
ما يستحسنه وما يباه . فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة  
والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره في الجلسات  
الطوال . »

لقد كان شكرى أحد الشعراء المصريين من دعاة مذهب التجديد  
في مصر « نبيغ في الشعر صغيرا ، ونظم في الموضوعات الجديدة محتذيا  
شعراء الأفرنج . ألف كتابا في أدب الشعر نم عن اطلاعه الواسع في هذا  
النياب ، وله سبعة دواوين فيها تصانف عامرة بالمعاني المستحدثة والأفكار  
المصرية . كما أن له كتابات تدل على فكر ينزع الى التحرر من ريقه  
التقليد في الأدب والاجتماع والأخلاق ، وهو أحد الأركان الكبيرة في  
حركة التجديد الأدبى في مصر : أبى شادى والعقاد والمازنى وشكرى ، ومن

بإعمالين على نقل الأدب الغربي إلى الغربيين بالترجمة والحذو حذو ديباء  
لغرب في الفكر والأسلوب .

ويقول مندور عنه : أنه شاعر التأملات النفسية والاستبطان الذاتي .  
وقد تحدث عنه وعن شعره الدكتور محمد مندور في كتابه « الشعر  
المصري بعد شوقي (١) » .

ويتناول تيبه الدكتور احمد زكي أبو شادي وفي مطران .

كان مطران بعد أن تشرّب كلا من الأدبين العربي والأوروبي اسمعت  
تبخاراته العذب في المقعد الأخير من القرن الماضي أحياناً لا عهد لهم بها  
من قبل ، وقد دار ابتكاره حول التناول الفني للطبيعة البشرية في صورها  
المتعددة ، ومن بينها نفسه في حالاتها المختلفة ، مراعيًا وحدة  
القصيدة غير متعصب تطويع اللغة للمعاني والأخيلة الشعرية ، مرفقًا  
شعره بالرومانطيقية الفرنسية اللطيفة ، وألقًا بجرائمه ومواهبه  
للفن مدرسة متحررة نمت رويدًا رويدًا ، وأثر في أدباء كثيرين من التنبان  
في ذلك الحين : كاحمد شوقي ، ومصطفى نجيب ، واسماعيل صدقي ،  
واستمر تأثيره بصور شتى جيلًا بعد جيل ، كما تفرعت على تعاليمه  
مدارس شعرية متحررة منوعة ، منها مدرسة شكري التي انتسب إليها  
المازني والمقاد ، ولكن البسوس الشاسع بين الأستاذ وتلميذه ، وإن أثر  
شكري التوازي بعد أن أصدر سبعة من دواوينه العامة القوية الحبوية .

وقال فيه المقاد : « إن شعر شكري لا ينحدر انحدار السسيل في  
شدة وصخب وانصاف ، ولكنه يفيض انبساط الجحر في عمق وسعة  
وسكون » .

ولقد عنى شكري بالجانب الفكري التأمل في شعره ، ويتجديد خلفه الرواد له  
من أمثال المعري وابن الرومي وملتون وبوب ، وبالمزاوجة بين هذه التأملات  
الفكرية النفسية ، والتأثرات الوجدانية ، والانطباعات الصوفية والذاتية  
والطبيعية ، وقد شجعتهم المهمة وثبات مطران الرومانطيقية قبل عهده  
بمعدتين . . . . . ولكن شكري عب عن الأدب الانجليزي بدل أن يجب من الأدب  
الفرنسي الذي استهوى مطران في صباه دون أن تستهويه الآداب الأخرى .

كذلك نجد شكري الرائد المحلق في الشعر المرسل ، ونفاثسه في  
هذا المجال فرائد بأقنية وفخر للشعر العربي « ولا تقل عنها عظمة معانيه

(١) ج ٦٦ - ٨٦ المرجع - الطبعة الأولى .

انه شاعر عبقري لا يقف دون التعبير عن شعوره وحيال الكون كله شيء .

ويقول شكري : ان وظيفة الشاعر في الابانة عن الصلات التي تربط  
اعضاء الوجود ومظاهره ، والشعر يرجع الى طبيعة التأليف  
بين الحقائق ، ومن اجل ذلك ينبغي ان يكون الشاعر بعيد النظره  
عبر اخذ عواء المظاهر ماخذ نور الحق ، فيميز بين معاني الحياة  
التي تعرفها العامة واعل لغفله وبين معاني الحياة التي يوحى اليه  
بها الابد ، وكل شاعر عبقري خليق بان يدعي مقتديا ، ليس هو  
الذي يرمي مجاعل : ابد يعين الصفت فيكتشف عنها غطاء السلام  
وكل شيء في الوجود تصبئة من تصائد الله والشاعر ابلغ تصانده .

الشاعر هو الذي لا يعيش مثل أكثر الناس مقبورا في الأحوال التي  
تحوطه ، هو الذي اذا عاش كان له من شاعريته وقاء من عده تفتي  
المظاهر ، فاذا مات كانت الشهرة زهرة على قبره ، فاذا لم تسعده شهرة  
هبطت روح الطبيعة على قبره . تظله جناحها ، وتفرخ فوقه ابناءها  
الشعراء ، تلك الأرواح التي تستند الوحي من عظامه وتسقيه من دموع  
الرحمة والحب والحنان .

وليس للشاعر الكبير من يني بصغيرات الامور ، ولكنه الذي يخلق  
فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه ، ثم ينظر في أعماق الزمن أخذا  
بأطراف ما مضى وما يستقبل ، فيجى شعره اديبا مثل نظرته ، وهو  
الذي يلج الى صميم النفس فينزع عنها غطاءها ، وهو الذي اذا كسفت  
بأشعاره في خلق الابد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة  
الشاعر . لقد كان بالأمس نديم الملوك وحلية في بيوت الامراء ، ولكنه  
اليوم رسول الطبيعة ترسله مزودا بالفتنات العذاب ، كي يصقل  
بها النفوس ويحركها ويزيدها نورا ونارا ، فاعظم الشعراء في عظم  
احساسه بالحياة ، وفي صدق المسيرة الذي هو سبب احساسه بالحياة ،  
واذا رايت شاعرا ياخذ الحفر ماخذ الجليل من الامور ، ويحسب  
الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة ، فاعلم انه ضئيل الشعر ، فان  
ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ، ولا يعلم ان حوادث النفس على  
صحتها اجل الحوادث .

سئل وديزورث الشاعر الانجليزي عن شعر شاعر فقال : انه ليس  
من الحتم في شيء ، فكانه يقول ان اجل الشعر ما يخاله المرء قطع من  
التقضا : ابد من حدوثها ، فاذا اردت ان تميز بين جلالة الشعر وحقارته  
فخذ ديوانا وتسراه ، فاذا رأيت ان شعره جزء من الطبيعة مثل النجم

او السماء او البحر فاعلم انه خير الشعر . واما اذا رايت اكثره صنعة كاذبة فاعلم انه شر الشعر ، فالشعر ما بالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر ايصاحا للكلمات النفس .

الشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم ، فاصوله ثلاثة متزاوجة . فمن كان ضئيل الخيال اتى شعره ضئيل الشأن . ومن كان ضعيف العواطف اتى شعره ميتا لا حياة له . فان حياة الشعر في الايانة عن حركات تلك العواطف وقوته مستخرجة من قوتها . وجباله من جلالها . ومن كان سقيم الذوق اتى شعره كالجنين ناقص الخلقسة ، غير ان بعض الناس يحسب ان سلامة الذوق في وصف الكلمات كأنما الشعر عنده جليلة وعميقة بيلا طائل معنى أو كأنما هو ظنين الذباب . ولا يكون الشعر سائرا الا اذا كان عند الشاعر مقدرة على التاليف بين اللفظ والمعنى . ولست اعجب من احد عجبى من الادياء الذين ينظمون الشعر في مواضع تطلب منهم الكتابة فيها فينظمون من اجل ارضاء من سألهم ذلك ، كأنما الشاعر آلة وزن . ولكن الشاعر هو الذى لا ينظم حتى تنويه تلك النوبة التى تدفعه الى قول الشعر بالرغم منه في الامر الذى تنهيا له نفسه .

لقد اصبح الشعر عندنا كلمات ميتة ليس تحتها طائل معنى ، يحسب الناس انه اذا اخذ في النحو والصرف والمروض كفاية ، واصاب من طرف الشعر غاية ، فقد اجاده ، وانما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشوية ، وكما ان العاطفة تنطق الشاعر كذلك قد تحرسه شحتها . ومن اجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها شعرا ، وانما نعنى الذكرى التى نعبد العاطفة والتفكير الذى يجيها ، وليس شعر العاطفة بابا جديدا من ابواب الشعر كما ظن بعض الناس ، فانه يشمل كل ابواب الشعر وبعض الناس يقسم الشعر الى ابواب منفردة فيقول : باب الحكم و باب الغزل و باب الوصف . الخ .

ولكن للنفس اذا غاضت بالشعر اخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة في التصيدة الواحدة ، فان منزلة اقسام الشعر في النفس كمنزلة الحساني من العقل ، فليس بكل معنى منها حجرة من العقل منفردة بل تتزاوج وتتوالد فيه ، فلا رأى لمن يريد ان يجعل كل عاطفة من عواطف النفس في قصص وحدها .

ويقول شكري : لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرهما ، لولا للشعر انتقنا جمال الحياة ، وكل حى شاعر بمقدار ما

يحس الجمال في الانسجام والاخلاق والاعمال التي يتشدها ، والعالم عائدان :  
عالم الجمال وعالم القبح ، وكل منهما منزه بأخيه منعدم فيه ، والشاعر  
رسول الجمال يسعى في تحقيق عالمه ، وانما الخير ضرب من الجمال .  
والشر ضرب من القبح ، والشاعر يعرف ان الشر محتوم ولكنه يعرف ان  
من الحتم ايضا لطوح الى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم ، ومن  
اجل ذلك كان كل شاعر كماليا سواء اعرف أم لم يعرف ، وهو اذا نبذ  
عقيدة افتتان الجمال والخير انما ينيدها شوقا اليها كما يهجر المحب  
عشيقته من هجرها اياه ، وانما الحياة أو الحق كالميزان لا يعتدل  
اعلاه الا اذا استوى جانباه .

ومن اجل ذلك صار للشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره  
جانب الذين لا يعرفون قرض الشعر ومنزلته في الحياة ، كما يعدل من  
نقيض نقيضه وهذا أساس الحياة ، الا ترى كيف عدل عيسى عليه السلام  
روح الاثرة في دولة الرومان وكيف أن رفض شوبنهاور للحياة يعدل تنديس  
تنتهه اياها وتنديس كل ما تغرى به ، ومنزلة السعادة في الحياة كمنزلة  
للشعر من الشعر ، والذين يسعون في نصرة الخير واستخلاص السعادة  
التي فيما دون الجمال يأخذون نثر الحوادث فيجملونه لوزاننا وانما ما .

ومن اجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه  
في مداواة قبح الحياة ولو لم يكن في ذرعه من الكافحة كي يستخلص من  
الحياة جمالها الا التغنى بما يلهي المكافحين ويبلغ لهم بمقال الجمال  
المنشود ، ولا ريب ان شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه وان الشعر ضرب متغايرة .

وذلك لا ينفي ما ذكرناه . هذا شكسبير ما ترك جانبا من جوانب  
النفوس وهو من رعب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ، ولكنك لا تجد  
فيه تزيينا للباطل الا على لسان اهلهم وصفا لهم كما أنك لا تجد فيه  
وعظ من لا يرى الا جانبه من الحق ، وانما نريد بذكر ما ذكرنا ان الرغبة  
في الشعر من اجل انه شعر لا من اجل مقصد خلقي حقيق ، اذا عني  
الراغب ان الشاعر ينبغي أن لا يتجاوز اصول فننه التي يهيئ بها لذات  
الفنسون كي يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات ، وأما اذا  
قيل ان الشعر لهو ساعة فهذا قول من اللغو .

ويمثل شعر شكسبير تصديقه « بعد الاخاء والعداء » ومنها :  
حنوت على الود الذي كان بيننا وان صد عنه ما جنينا على الود  
حنوت ونو أنى حنوت وما حننا ولو أنه يبغى ملاكي من الحقد  
ولا اكذب الناس قلبي كتاليه له آنة ميل عن النصف والتصد  
كلانا جنى شرا فساد لخالننا محالا حكي ذكرى الشباب على بعد  
فيطايب ذكراه ويا بعد عهده وأين تقديم الود من حاضر الصد؟

مضى حيث يمضى عابراً بعد  
من الأهل والأصحاب والذخر والولد  
مضى حيث يمضى كل رأى ومذهب  
له أجل كالنساس ظمن بلا عور  
إذا أنا أنسيت الإساءة من أخ ذكرت له مني إساءة ذى عمد  
فياليت أنى قد غفرت جناه ونبوته حتى يصد عن الصد  
ويذكر لى صبرى على الضيم والأذى  
فيأسى على ما كان منه من الكيد  
وتكسبني منه الندامة الفسة وإن كان لى من تيل كالحجر الصلد  
أعيش بصفو منه يوماً فان جنى على اثره غدرًا نخرت له ودى  
والذكر نفسى منه عند انصرافها شمائل تستدعى المغيظ إلى الحمد  
أبعد بلائى المعيش أبغى مبراً وكيفونسى لى كما الضد للضد  
يروثك حسن الفجر والنجم فى الدجى  
وأحسن منها للبشرى فى وجهه صاحب  
حليتك منه ما استترى ولم يبد  
فياليت لى دنيا أبيع حطامها بـود أخ لو يشتري اللود بالنقد  
إذا الحب لم يخلص من البغض والأذى  
فكيف خلاص اللود من عنت الحقد ؟  
وخلاننا مثل الجوارح أيهم فقننا فيبعض النفس فى ذلك الفتد  
فمن لى يعود الدهر للسود والصبى  
اليفين ما كانا كما النسد للند  
إذا انفلت السهم الطليق فما له ولو أنه سهم الذميرى من رد  
ويمجز هذا الدهر عن نقض فعله إلا وهو الدهر المصرى ذو الأيد  
وقد كتبها اثر الصلح الذى تم بينه وبين المازنى  
ومن تجارب شكرى فى الشعر المرسل قصائده :

١ - كلمات العواطف وهى منشورة فى ديوانه ص ٧٠ - ط ١٣٢٧ -  
١٩٠٩ م .

٢ - قصيدته « الجنة الخراب » وهى فى الجزء الثانى من ديوانه  
( ص ٢/١٠١ ) وهى شبيهة بقصيدة « البيوت » الارض الخراب

٣ - قصيدته « عتاب الملك حجر لابنه امرى القيس » ص ١٠٢ ج ٢ .

٤ - قصيدته واقعة أبى سير .

٥ - قصيدته فابلجون والساحر المصرى - ١٠٦ ج ٢ ديوان شكرى .

## عباس محمود العقاد :

عباس محمود العقاد (٢٨ يونيو ١٨٨٩ - ١٢ مارس ١٩٦٤) فيلسوف المدرسة . وهو عبقري موهوب : واديب مفكر يوناني زكي ، وكاتب عصامي ، وإمام مشهور من أئمة الأدب والشعر في العالم العربي ، كان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة وعمق الفكرة ، ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر من أوائل القرن العشرين ، واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية ، وسال الصدارة في كل مجال وميدان .

ظهر في سنة ١٩١٢ الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري وفيه مقدمة قيمة بقلم العقاد عن الشعر ومزاياه يقول في مستهلها عن الشعر : « ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح ففتلقاه العقول في سائح كلالها وفقورها ، فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة النفس ، لا بل الشعر حقيقة الخائف ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والعتول . وهو ترجمان النفس والنائل الأمين عن لسانها »

وفي عام ١٩١٤ ظهر الجزء الأول من ديوان الازني ، وفيه مقدمة رائعة بقلم العقاد عنوانها « الطبع والتقليد » يقول في أولها : « حسب بعض الشعراء اليوم انه ليس علي احدهم ان أراد أن يكون شاعرا عصريا الا أن يرجع الي شعر العرب بالتحدي والمعارضة ، فان كانت العرب تصف الابل والخياه والبقاع ، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار ، وان كانوا يشجبون في أشعارهم بدعد ولبنى والزياب ، ذكر اسما من أسماء نساء اليوم ، ثم يحور تشبيهاتهم ، ويغير مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي ، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصري ، وليس بمفلس تديم ، وهذا حساب خطأ ، فما أبعد هذا الشسر عن الابتداع ، والاشلق به ان يسمى الابتداع التقليدي ، لانه ضرب من ضروب التقليد فلولا أن شاعرا سبق هؤلاء الشعراء لما استطاعوا أن يمارسوه . »

وفي سنة ١٩١٦ وكان قد ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد الذي اسماه في الطبقات التالية « بينظلة الصباح » ، وقد امتازت قصائد هذا الديوان بما كان يسميه العقاد « الوحدة العضوية » فكانت القصيدة تقوم على موضوع واحد تتناوله من شتى نواحيه ، في وحدة سلسلة ، وترابط يكاد يكون منطلقا ، عي

خلاف ما الفناه في الشعر القديم وفي شعر الشعراء الذين كانوا يتبعون في نظم قصائدهم طرائق القدماء ، وقد أعجبتني هذه الطريقة في ديوان شكري وديوان المازني وديوان العقاد ، ولا شك أنهم تأثروا بأدب الغرب في اتباع هذه الطريقة ، وبخاصة في العهد الذي ساد فيه الأدب الرومانسي .

وظهرت الحركة القومية التي قادها المرحوم سعد زغلول ، وكان العقاد في طليعة الكتاب المؤيدين المناضين عن مبادئ الوفد وخطته ، وقد ناصره العقاد بقلمه ، ووقف بائراصا لخصومه ، وبرز في الجدل السياسي ، والمحاملات الحزبية ، ولم يحل ذلك دون بذله الجهود الادبية ، فظهر في سنة ١٩٢١ الجزء الأول والثاني من كتاب الحيوان ، وقد اشترك معه في تحريره الأستاذ المازني ، وعاجم العقاد في كتاب الحيوان شعر شوقي هجوميا ننيفا ، ونقده نقدا مريرا ، على أنه لم يكن دائما الياذي ، بل كان موقفه موقفاً اذائع الذي يرد الهجوم ، وكان شوقي لا ينفك يقرى به صاحب جريدة عكاظ الشيخ مهيم قنديل ، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد أحفل في باب الهجاء والسباب منه في باب النقد الأدبي .

وكان في العقاد حدس الشاعر ورهافة حسه ودقة ملاحظة العالم وتدرته عن التحليل والتعليل وعمق الفيلسوف ونفاذ نظراته وسعة إحاطته ، وكان العقاد يأنزم القصد في حياته ويتحرى الاعتدال ، فيعيش في كنبه ومطالعته ، ولكنه ومع ذلك لا ينسى نصيبه من الدنيا ولكن في غير اسراف ، وكان حريصاً على حياته وصحته ووقته ولم يكن بخيلاً بماله ، وكان يمتز بلغته ودينه وعرويته ، ومع ذلك كان واسع الأفق انساني النظرة ، يكتب عن غاندي ويشيد به كما يكتب عن عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق ، ويمجج بالزعيم الباكستاني جناح كما يججج بمحمد فريد وسعد زغلول ، ويكتب عن عبقريته محمد كما يكتب عن عبقريته المسيح .

وكان يؤمن بالحياة والعظمة والبطولة ، ويشسك في الذين يتقصون مواقف الابطال ويستفهمون احلامهم ، ويحيطون بواقعهم بالريب ، او يردونها الى التماس الصلحة الشخصية وطلب الجسد الذاتي .

وكان ادب العقاد وشعره كذلك سواء فيما قدمه من خواطر انسانيه او فيما جعله صورة كذلك لمجتمعه وبيئته .

وقد استغل هذا في شعره الوطني والاجتماعي ، فهو عندما اراد ان يدعو مواطنيه الى العزة والصمود والاستقامة والكرامة لم يقف موقف الراضع ، ولكنه وقف موقف الأديب الثائر فصور مجتمعه وكأنه متسانم من الأوضاع التي يراها ، فالمؤمنون التملقون يتولون أسمى الوظائف ، وأعيان الدولة جماعة ضمعت نفوسهم وتلت علومهم وفتت حسنتهم وبناتهم وكتر نفاقهم

وتملتهم وجثوا خاضعين تذلسلا ، وللثام قد بلغوا اسمى الدرجات فكانهم  
القرود قد اعتادوا التسلق ، فهو الذي يقول في تصيدة جبل عنوانها  
« زماننا » (١) .

نشأت الجهالة واستفاض المنكر فالحق يهمس والصلالة تجهر  
والصدق يسرى في الظلام ملثما ويسير في الصبح الرياء فيسفر  
تا لفي زمن كان كبحساره بيسرى الكيانه شأنها لا يكبر  
من كل ذي وجه لو أن صفاته تندی لكان من الضيحة يتطر  
بئس الزمان لقد حسبت هواه دنسا وان بحساره لا تظهر  
وكان كسل الطيبات يردھا فیه الى شر الامور مدير  
سبق للثام الى ذراه ففتقوا ان القرود لياتسلق أخبسر  
ما نيل فيسه مطلب الا له نمس من المررض الوئير مدير  
ويقدر ما بجل امرؤ من قسدره يجزى فأكبر من تراه الاصغر

كان العقاد مولما بالتجديد والابداع والابتكار ، وقد دفعه هذا النوع  
الى الاسهام في خلق مدرسة شعرية جديدة ، هي مدرسة شعراء الديوان التي  
تعد أساسا للأدب الرومانسي في الأدب العربي الحديث .

وأهم البواعث عند رواد هذه المدرسة في نظم الشعر ، الحب وصدق الماطفة  
وجمال الطبيعة وتحبيب القيم المعنوية والاعتزاز بالنفس وتخليد مظاهر البطولة  
وابراز الخواطر والتأملات ، فهي قد حررت الشاعر من ريشة العسودية  
وأبعده عن التعلق والتكسب .

وكان العقاد يتناول الأغراض الشعرية المتنوعة ، ولكنه كان يبدع  
في الوصف وفي إبراز عواطف الحب الكامنة في النفس ، وفي ابداء خواطره  
الفلسفية التي اقتبسها من تجاربه ومن ثقافته الواسعة التي روضت فكره  
على التعمق في البحث والامعان في الملاحظات .

فقد تحدث في شعره عن الانسان وعن سر وجوده وعن عجزه عن معرفة  
سر الكون الغامض وعن حاجته الى الايمان ، كما عبر عن كثير من خواجه  
وتأملاته وارتساماته التي كانت مرآة لأرائه في الحياة ومن ذلك قوله (١)  
ما وجدنا من البرية الا خلفا زائفا وجهلا مبيها  
حشرات لاتعرف الخير والشر وفيهيا الهلاك لنعارفيا

(١) الجزء الأول من ديوانه - ص ١١١ .  
(١) ديوان وحى الأرمين .

وقوله :

أنصحت مظلوما فأنصف ظالما  
من يرض عدوانا عليه يضيره  
في ذلة المظلوم عذر الظالم  
شر من العادي عليه الغانم (١)

وتسوله :

إذا ساحت الإطماع فاصبر فانها  
وتقهر الفتى آلامه فيسه لذة  
تنام إذا طال الصباح على النهيم  
وفي طاعة اللذات شي من الألم (٢)

والذي يتتبع شعر العقاد يجد فيه طابع التبريم والشكوى ، يظهر ذلك في جل الأغراض التي نظم فيها ، ولقد كان يحاول أن يخفف بالأسمر عن نفسه من حين لآخر ، لكنه لم يزد الورد الا عطشا ، فهو الذي يقول (٣) :

ظلمات ظمآن لا صوب العمام  
عذب المدام ولا الأنداء ترويني  
وعاته القصيدة تعد بحق من أجمل قصائد العقاد « فهي نفثة من نفثاته ، وعصارة نفسه ، و امرأة وضاعة لروحه الرقيقة الحزينة للطفلة (٤) »

انه ظمآن حيران يقظان ، انه غصان اسوان حزين ، يستعمل الشعر للتخفيف عن آلامه وأحزانه ، ولكن الشعر لا يطفى أواره كما لا تطفى الدموع أحزان المحبين ، انه يعيش وحيدا في هذه الحياة لا يجد قلبا يسمعه ولا خلا يأسوه ، انه يتمنى أن تنتهي حياته وأن يمحو الموت من الوجود لتنتهي حسرته وأثاته ، وهكذا نجد العقاد يصور خوالجه وفيها من رنات الاحزان ما يسترق القلوب ويستجلب الدامع ، ولعل هذا الفلق من الحياة هو الذي دفعه الى الحذر منها والى التفكير في مصير الطارئ عليها ، انها ما دامت حياة آلام وأحزان ، فلماذا يعمل من جديد على إيجاد أبناء له فيها ، لهذا أثر حياة الوحدة « فهو من هذا الجانب شبيه بالمعري الذي كان يقول :

وإذا اردتم بالبنين كرامة  
فالحزم أجمع تركهم في الاضهر

وقد كتب العقاد قصيدة رائعة جعلها حوارا بين المعري وابنه ، الأبن يريد أن يخرج الى الوجود وأن يستمتع بالحياة ، فقد ضاق بالعدم ، وأحب أن يرى صفات الطبيعة ، وأن يستلذ بمحاسنها ، انه يتوق الى رؤية الوجوه الحسان ، ويود أن يرى الورود والازهار والفلاة والبحار ، ولكن الاب يشرح لابنه أسباب اعراضه ، فيقول عن الحياة (١) :

(٢) عن العميون الأول ص ٢٧ .

(٣) الجزء الثاني من ديوان العقاد ص ١٩٤ .

(٤) نوة بها التذاد جميعا .

(١) ديوان الثاني صفحة ١٨٤ .

شرها يا بني شر ثقيل خيرا يا بني خير قليل  
اطلها يابني اهل حقود  
قف بباب الحياة لا تحلنها واعتصم يابني ما اسلمت منها  
سوف التاك - فانتظر - بالوصيد

وكان المقاد جعل هاته التصيدة تعبيرا عما يحس به ، لذلك قدمها بتعليق.  
وجيز ، قال فيه عن المعرى انه رؤوف ، صد ابناؤه عن الحياة رحمة بهم ، فيالها  
من رحمة لايعرفها له ابناؤه .

وكان المقاد يقصد من تشاؤمه ان يستغله لاشارة غريزة الحرير في  
الانسان ، فهو اذا صور الرذيلة فانما يريد بذلك ان ينفر الانسان منها ،  
واذا تضايق من معاملة البشر بعضهم لبعض فانما يريد بذلك ان يخفف من  
سورة الظلم في النفوس الطاغية عساها ان تشعر بالشر الذي تركه متروك  
اخلاقتها وتعمل للمصلحة الانسانية عامة ، وقد حقق بعض الباحثين ان الادب  
كلما كان هادفا الى اصلاح المجتمعات فهو ادب ملتزم ، وان عدم في  
صورة تشاؤمية .

وقد هاجم المقاد طيلة حياته الشعر الحر ، وثار على الابتذال والعامية  
والسوتية ، وراى الشعر فنا يجب ان ترتفع الازواق الى مستواه ، لا ان  
ينزل هو الى مستوى الناس ، وكتب في « مجلة الهلال » (١) بقول .

ليس في وسع « المتحررين » ان يحاربوا الشعر القديم بتحريره كما  
يقولون من الوزن والقافية واللوازم الموسيقية ، لان اوزان الشعر اصيلة  
عميقة الفرار في طيبة الشعب ، كما نرى من اوزان الازجال والمواويل وترانيل  
الفرح والنواح في كل بيئة من بيئات الحضرة والريف . . . وبعض هؤلاء  
المتحررين يهل او يتجاهل معنى العروض فيقول : انه يزن الشعر بالتفعيلة  
وهي كلمة لا فرق بينها وبين الؤف الكلمات في الأوزان العروضية ، اذ ليس  
في اللغة كلمة تتجرد من اوزان التفاعيل بين فعل وفاعل ومفعول وفاعلاتن  
ومستعملن ومفاعيلن وغيرها وغيرها من مركبات الفعل والاستفعال ، وانما  
ياتى الوزن من جمع التفعيلات معا ويختلف بين بحر وبحر باختلاف  
التركيب واختلاف حركات الحروف . ومن قال ان التفعيلة هي « تصميم »  
البيت فهو كمن يقول ان الحجر الواحد هو « تصميم » المنزل او الحجر او  
النافذة او الباب ، وان يقوم ببناء فوق وجه الأرض على مثل هذا التصميم .

(١) ٥٥٢ جويلية ١٩٦٢ .

وقد عجزت هذه الدعوات - تديماً وحديثاً - عن المساس بتركيب الأغاني  
الشعرية التي يمكن أن يقال أنها تستغنى باتهام الآلات عن الأوزان العروضية ،  
وعجزت عن المساس بتركيب الزجل وهي مقياس للشعر الذي يمكن أن يشجع  
في اللغة المامية ، فإذا عجز هذا الشعر المتحرر - كما يقولون - عن الشبوح  
في الكلام الدارج فهو أعجز من الشبوح في اللغة الفصحى ، وهو على هذا  
أعجز من أن يتهم بالتأثير في هبوط الشعر الحديث .

ولسنا نبرئ الأسباب الأخرى جميعاً ، من هذا التأثير إلا أننا نستبعد  
أن نجرد الطبيعة الإنسانية من حاسة الشعر في فترة من الزمن ، لأن التجرد  
من هذه الحاسة هو عبارة أخرى مرادف للتجرد من بواعث الحياة . . . وقد  
تتوى هذه البواعث أو تضمف ، قد تصح أو تفسد ، قد تحسن أو تقبح ،  
ولكنها لا تموت كل الموت في وقت من الأوقات .

وقد خلف المقاد ثروة كبيرة من المؤلفات في الأدب والنقد والندفاح عن  
الإسلام وتحليل عيدياته ، وكتابه « ابن الرومي » مشهور ، ومن أوائل  
كتبه : مراجعات ومطالعات ، وسواهما .

وقد حارب بعض الشباب المقاد في حياته ، وكتب المقاد يقول ( ١ ) :  
انه يكتب للخاصة ، ولا يسوءه أن يقرأه العامة ، وكان يجب بتوفيق  
الحكيم ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وصوفي عبد الله وجاذبية صدقي  
في القصة . . . وأكد المقاد أن الشعر الحديث كلمة ليس شعراً على الإطلاق ،  
لذ تنقصه الموسيقى والوزن ، والشعر وزن قبل كل شيء ، وقال : ان الأدباء  
وشبابهم يعمشون في عصرى أنا ، عصر المقاد .

(١) عدد المساء الأسبوعي - نوفمبر عام ١٩٦٦ .

#### المازني وحوار المدرسة مع خصومها :

في المعلمين العليسا اتصل المازني ١٩ أغسطس ١٨٩٠ - ١٠ أغسطس ١٩٤٩ بزميله الشاعر « عبد الرحمن شكري » ووثقت الزمالة الصلة بينهما، واجتمعا ومعهما العقاد على حب الادب الانجليزي ، وقرأوا للشعراء الانجليز وخاصة مجموعة « الكنز الذهبي » التي تم اختيارها وجمعها « بلجريف » أستاذ الشعر باكسفورد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالاخيلة والمعاني والصور الغريبة ؛ ويكتبون في وحدة القصيدة ، ويدعون الى الاصاله وصدق الشاعر في العاطفة والاحساس ، وفي التعبير كذلك ، والى ظهور شخصيته الفنية ، واستلهاهم الشاعر للطبيعية ؛ وتناولوه لثنتي الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد والزييف والافتعال والتكلف وشعر المناسبات الطارئة .

وصدر الجزء الاول من ديوان شكري عام ١٩٠٩ ، والديوان الاول للمازني عام ١٩١٣ ، والاول للعقاد عام ١٩١٦ ، من حيث ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ ، وديوان انداء الفجر لابي شادي عام ١٩٠٩ .

وحدثت بين مدرسة الديوان ومدرسة شوقي وحافظ معارك نقدية ، ظهر فيها عام ١٩١٥ كتاب للمازني في نقد شعر حافظ ، عنوانه « شعر حافظ » ، وعلن شكري بعد ذلك انفصاله عن زميله ، وشارت الخصومة بين ثلاثتهم ، وأخذ شكري يميل على المازني انتحاله لبعض الاسعار الانجليزية ، مما دون في « الكنز الذهبي » مما احفظ صدر المازني عليه .

وفي عام ١٩٢١ اصدر المازني والعقاد كتاب « الديوان » في جزئين يفتقدان فيه احمد شوقي وحافظ ابراهيم ، ونقد المازني فيه المنظومى ، كما نقد شكري بعد ان مححه في مقدمة كتاب لشمر حافظ ،

ويؤمن اصحاب مدرسة الديوان بان الشعر يجب ان يكون تعبيراً عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية ، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه ، واسباس الحكم بموعية شاعر عند شعراء مدرسة الديوان هو ظهور شخصية والشعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية ، وعند مطران النزعة الموضوعية - الشاعر في شعره وصدقته في الاحساس والتعبير .

وشكري في الحقيقة هو الذى الهب احساب المازني الفني وذل على مناحي التجديد . ولكن المازني هو بطول الحوار والمبارك الادبية والنقدية مع خصوم مدرسة شعراء الديوان .

وقد بدأ المازني حياته الادبية شاعرا يتأثر بالشعراء الانجليز وبالشعراء العرب وبخاصة ابن الرومي والمتنبي والشريف ومهيار .

ويأخذ المازني على شعراء المدرسة المحافظة تفكك الوحدة الموضوعية والعضوية في قصائدهم ، ولسرافهم في شعر المناسبات وتقليدهم للتقدماء ، ويصور ذلك في مقدمة كتابه « شعر حافظ » الصادر عام ١٩١٥ ، ونقد فيه حافظا . ويدعو الى رومانسية الموضوع ورمزية التعبير الشعري ، والى الصدق في الاحساس والاداء، في كتابه « الشعر غاياته ووسائله » الصادر عام ١٩١٥ أيضا .

وللمازني من القصص الكثير ، وله في فن المقالة الكثير أيضا ، وهو من طليعة الكتاب المحدثين ، وأجاد المازني في ادب الترجمة اجادة كبيرة .

جمعت زمالة العلم والشباب في مدرسة « المعلمين العليا » في القاهرة في أوائل القرن العشرين بين ابراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري وكانا طالبين من أتبع الطلاب في هذه المدرسة « وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة ، ثم ألفت الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين العتاد، وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون نكرا أدبيا جديدا دعوا إليه . وكتبوا حوله : ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله .

وكان هؤلاء الثلاثة مثالا رائعا للفكر المصري في أوائل القرن العشرين فهم يمثلون النزعات الجديدة في الشعر في ذلك الحين ، وهم يتراءون للشعراء الرومانسيين الانجليز من أمثال : ورد زورت ، وبيرون ، وكينيس وغيرهم . ويتأثرون بهم في مناهم الرومانسي . وكانت بأيدي الشباب في مصر آنذاك وفي عهد سطوة الاحتلال الانجليزي وتشديده تبيضته على التعليم في ذلك العهد مجموعة شعرية مشهورة ، اسمها مجموعة « الكنز الذهبي » اختارها وجمعها مشرف انجليزي في وزارة المعارف المصرية حينئذ اسمه « فرانسيس بالجريف » وكان استاذ الشعر في جامعة أكسفورد ، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع ، وقرأها شكري والمازني وتأثرا بطايعها ، وكان العتاد آنذاك صحافيا صغيرا يكتب مقالاته وتصانفه في جريدة الدستور التي كان يصدرها الكاتب المعروف محمد فريد وجدي ، وفي فرعها من الصحف . وجمعت النزعة الأدبية بين العتاد وشكري والمازني احبابا واصدقاء ودعاة الى الجديد .

وفي عام ١٩١٣ اصدر شكري الجزء الثاني من ديوانه . وكان قد مضى على صدور الجزء الأول منه أربع سنوات . وكتب العتاد مقدمة هذا الجزء ( الثاني ) وأثنى على شاعرية صديقه شكري وعلى موهبته ، وكتب المازني في العام نفسه عدة مقالات نشرها في جريدة عكاظ الاسبوعية المصرية وازن فيها بين حافظ وشكري ، وفضل صديقه شكري على حافظ ، وعن أجل ذلك هاجم حافظ المازني ، وعاد المازني يكتب عن أخطأ حافظ الشعرية .

وفي العام نفسه اصدر المازني الجزء الأول من ديوانه ، فكتب العتاد مقدمته ، يرحب فيه بالديوان ورفع من شأن المازني الشاعر واتجاهه الرومانسي الغالب على شعره .

وكان الاتجاه الرومانسي دائما في الأدب المصري آنذاك بتأثير المنطوقى وكتابات وبتأثير ديوج أدب لاهرتين وهو جو وغيرهم من الشعراء الغربيين في محيط الأدباء المصريين آنذاك ، وبتأثير مطران وكتابات كذلك .

- ٢ -

واكثر الثلاثة آنذاك من الدعوة الى مذهبهم الجديد في الشعر والنقد ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالاخيلة والماني والصور الغريبة ، ويكتنون في وحدة التصيد ، ويدعون الى الأصالة وصح الشعر في العاطفة والاحساس والتعبير ، وظهور شخصيته الفنية واستلهاهم الشاعر للطبيعة ، وتناوله لشتى الموضوعات الانسانية ، ويجاربون التقليد وشعر المناسبات الطارئة .

ومن حيث كان مطران ينادى بالشعر الموضوعي ، والجانب الوجداني في الوصف ، كان العقاد وزميله يدعون الى الجانب الذاتي أو الغنائي منه . وخرجوا بنظرية جديدة أسموها « شعر الوجدان » واتخذ شكوى شعرا له على الجزء الأول من ديوانه ، الذي سماه « ضوء الفجر » هذا البيت من شعره :

الا يا طمائر الفردو س ان الشـعر وجدان

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة الى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته ، وأن يبعد عن المناسبات ، وأن يغلب عليه طابع الألم والأندى وحس الطبيعة وتصويرها ، وأن تسوده وحدة عضوية كاملة ، ويعبر عن تجربة شعرية عميقة ، وأدخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الى شعر الفكرة ، وأخذ المازني على شعر شوقي ومدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في قصائدهم وأغراقهم في شعر المناسبات ، وفي التقليد للقدماء ، وصور ذلك في مقدمة كتابه « شعر حافظ » الذي صدر عام ١٩١٥ ونقد فيه حافظا نقدا لاذعا ، ودعا المازني لذلك الى الرومانسية في كتابه « الشعر : غايته ووسائله » الذي صدر عام ( ١٩١٥ ) كذلك .

ويقول المازني : كان شكوى أول من أخذ ببدي ، وسدد خطاى ، ودلنى على المحجة الواضحة ، وكان الجزء الأول من ديوان شكوى ، ويوميات العقاد بداية اقتحام المذهب الجديد في الأدب ، وفتاحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقي وحافظ واضرابهما كما يقول المازني . وعندما يقول وزدورث ان الشعر انفعال يستترجمه الشاعر في هوى ، كان المازني يعود

- ٣٠٧ -

به الى منبئة الأول وهو العاطفة والوجدان . وكان شكري كما يقول العقاد من أوائل من دعا الى وحدة التصيدية ، وجدد في موسيقى الشعر ، ألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية ، بل كان شكري من أوائل من مهدوا للمذاهب النقدية الحديثة في الادب المصري الحديث . . . ويقول فيه الدكتور مختار الوكيل في كتابه « رواد الشعر الحديث في مصر » - ص ٤٦ : « ان شاعريته تحتضن الحياة جيمها وتصور الوجود بأسره » . وفي عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الأول من ديوانه ، وسماه في الطبعة التالية « يتظلم الصباح » وتصانفه فيه تحتفى بالوحدة العضوية للتصيدية لحتفاء ، ظاهرا « والعقاد حريص كل الحرص في شعره على نظرية « الوجدان الشعرى » فها هو ذا يقول في الجزء الثاني من ديوانه ص ١٩٤ :

ظمآن ظمآن ، لاصوب الغمام ولا

عذب السدام ، ولا الانداه ترويبى

وهكذا صار المضمون الشعرى عند هؤلاء الثلاثة لابد وان يتخذ في الشعر الغنائى الطابع الوجدانى سواء استمدته الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية .

ويرجع هؤلاء الثلاثة في النقد الى هازليت وماكولى وأرنولد وشاسنرى وأغلب آراء العقاد في النقد تعود الى آراء وليام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الانجليز ، ويشبهه العقاد كثيرا في عنفه النقدي ، مع ايثار للمذهب النفسى في النقد الذى كان يؤثره شكري كذلك .

- ٣ -

وخاص الثلاثة معركة الجدد مع شوقى وحافظ والمنطوطى ، ولكن الأيام عابت ففرقت بينهم ، ففي عام ١٩١٦ انفصل شكري عن زميليه بمسد أن استنطحت الوشائيات بينهم ، وثارث لثر ذلك الخصومة بين ثلاثتهم ، فأخذ شكري يعيب على المازنى انتحاله لبعض الأشعار الانجليزية بعامة « ومما دون في « الكنز الذهبى » بخاصة « وكتب في مقدمة الجزء الخامس من ديوانه يندد بهذه السرقات الشعرية ، وتبادلا النقد على صفحات جريدة « النظام » وكتب شكري يهاجم المازنى والعقاد - الذى انتصر لصديقته المازنى - معا على صفحات « عكاظ » في مقالات نشرها عامى ١٩١٩ و ١٩٢٠ .

وفي عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ أصدر العقاد والمازنى جزئين من كتاب جديد سميها « الديوان » نقدا فيه العقاد شوقيا والمنطوطى ، ونقد المازنى فيه حافظا

- ٣٠٨ -

وعبد الرحمن شكري ، الذي سماه « صنم الأعياب » ورماه بالتمسوة  
وتلجوز .

وأطلق اسم مدرسة شعراء الديوان على هؤلاء الثلاثة الشعراء على الرغم  
من أن الكتاب هو للمقاد والمزني فقط ، وعلى الرغم من أنه يحمل مجوما  
على زميليهما شكري .

وقد أحدث كتاب « الديوان » ضجة كبيرة في العالم العربي ، وكان حافظا  
لظهور كتاب الغربال للشاعر المهجري نعيمة ، الذي كتب المقاد مقدمته .

وجوازع من خصوم المقاد كتب رمزي مفتاح كتابه « رسائل النقد  
يهاجم فيه المقاد ويتهمه بالسرقة من شكري .

ويذكر المقاد في كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » -  
الذي كان ينشر ، مقالات في صحيفة « الجهاد » القبية التي كان يصدرها  
الصحفي المصري محمد توفيق ديساب ، وكان المقاد يتولى تحرير الجانب  
الأدبي فيها : إن ثقافة مدرسة شعراء الديوان تتناول كل الثقافات العالمية ، عن  
طريق الأدب الإنجليزي ، ولها استفادات من النقد الإنجليزي ، واتخذت هازلت  
رائدا لها في النقد ، وكان مرجعها الأول كتاب « الكنز الذهبي » الذي كان  
يحتوي على مختارات من الشعر الإنجليزي من شكسبير إلى نهاية القرن  
العشرين .

ويقول المقاد : إن مدرسة الديوان هي أول حركة تجديدية في الشعر  
الحديث « متجاهلا مطران ودعوته للتجديدية قبل مدرسة الديوان ، وإن  
كان صوت مطران في الدعوة إلى التجديد قبل مدرسة الديوان غير جهوري .

وفي رأي هؤلاء الشعراء الثلاثة أصحاب مدرسة الديوان ، أن شخصية  
الشاعر هي كل شيء في الشعر ، وأن الشعر إذا كان يشعره بعظمته وقوته  
فهو النموذج الذي يجب أن نتقى به ، وكان وردزورث الشاعر الإنجليزي  
يقول ، وقد سئل عن شعر شاعر : « انه ليس من الحظ في شيء ! ، يريد  
أن منزلة الشاعر مستمدة من شعره ، فإذا أصبح شعره على لسان الناس ،  
ولا غنى لهم عنه ، ويتمثلون به في مختلف جوانب حياتهم العامة ، فهو شاعر  
قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقد والناس .

ولا ريب أن هؤلاء الشعراء الثلاثة ، على اختلافنا معهم في كثير من آرائهم في النقد ، وأحكامهم على الشعر الشعراء ، قد فرضوا شعرهم على الحياة من حولهم ، وفرضوا وشخصيتهم على الأدب الحديث والشعر المعاصر فرضاً .

ويشاء الله أن يعود الصفا، بينهم فيحل حل العدا، والجفاء ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ ، فيتضاضون ويمد بعضهم يديه الى البعض الآخر .

ويكتب العقاد والمازني الفصول الطويلة عن شكري ، اعترافاً بفضلهم . وأثر المازني باستاذية شكري له ، ونظم شكري قصيدته الطويلة « بعد الاخاء والعداء » ، ونشرها في مجلة الرسالة ونال فيها :

حنوت على السود الذي كان بيننا

وان صد عنه ماجنيئنا على الود

وفي العاشر من أغسطس ١٩٤٩ توفي المازني .

وفي الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفي شكري .

وفي التاسع من مارس ١٩٦٤ توفي العقاد .

- ٤ -

ويقول شكري :

لئن خانني الذكر الجليل وملني

مسامح قومي أو غلبت على أمري

سعيوى عظامى شاعر دموعه

وينشر أزمصار الربيع على تبوى

إذا جننى للليل البهيم أطاف بي

خيالا له يبرى على صفحة البدر

يجى مجى النوم من حيث لا أرى

ويبسمنى ما قد قرضت له شعري

فياساكننا في الغيب هذى نبوتى

فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى

- ٣١٠ -

أتيج لهم صناد إلى الذهيلة التي  
شربت بها ريا يبيل جوى صدرى  
فساموه أن يسعى على منهج عفا  
تقبهما كما يسعى القيد في الاسر

ويهدد الأبيات القليلة عدا ، الكبيرة مغزى وموضوعا تحدث الشاعر  
عبد الرحمن شكرى في الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٣ في تصيدته نبوة  
شاعر ، متنبهاً تافراً ، نائداً الخاطب التقليديين في شعرهم ، ولعله كان  
يقصد بهذا مدرسة الكلاسيكيين من أمثال شوقي وحافظ وأصراهم - ويوضح  
شكرى مذهبه في الشعر في تصيدته « شكوى شاعر » التي نشرها في الجزء  
الثانى من ديوانه أيضاً حيث يقول :

تد طال نظى للأشعار مقتدرا  
والقوم في غفلة عنى وعن شامى  
عد أولعوا بكبير السن أو رجل  
يبنى له الجاه ما يفلو به البانى  
ولو سفلت الى حيث الفريض لفسا  
بين الأثافي وربيع المنزل الفانى  
ولو سفلت فقلت الشعر في خبير  
من السياسة في زور وبهتان  
ولو سفلت فقلت الشعر مبتذلا  
في وصف مخترع أو ذم أزمان  
لقليل نعم لعمري أنت من رجل  
جم الحاسن من صدق وتبيان  
وهما الشعر تصوير وتذكرة  
ومتعة وخيال غير خوان  
وانما الشعر مرآة لغانية  
هى الحياة فمن سوء واحسان  
وانما الشعر احساس بما خفتت  
له القلوب كاتدار وحسدان

تألوا أتيت بشعر كله بسوع  
فقلت نعم لمعري قولة الشاسنى  
من كل معنى يروع لفهم طائله  
معنى من الجبان في لفظ من الجان

ويشرح شكرى مذهبه في الشعر في مقدمته الطويلة التي كتبها مقدمه للجزء الخامس من ديوانه بعنوان « في الشعر ومذاهبه » ، التي نادى فيها بوحدة القصيدة ، ودعا الى حرية التعبير ، وطلانة الاسلوب . وتصوير الشعر لنفس الشاعر ، وتعبيره عن وجدنه تعبيرا صادقا مباشرا . واعلن الثورة على التقليديين ومذاهبهم . . . . . ويبدأ بدا شكرى دعوته الى التجديد في الشعر المصرى الحديث الذي كان مطران ينادى به . ويدعو اليه . . . . . وبدأ شكرى بعد ذلك كفتاح مدرسة شعراء الديوان في سبيل التحرر الفنى للقصيدة . وحرية الشاعر في تعبيره . ومن أجل تطوير أسلوب الشعر وأفكاره وموضوعاته . . . . . وقد اتسم شكرى في شعره بنزعة انسانية عميقة تتجلى في مثل قصائده : اليتيم ، وعلام مريض ، وراثا عصفور ، وليتني كنت لها . . . . . ينادى فيها بانسانية الحياة والتفكير والعمل . ويسود شعر شكرى النزعة التصويرية العميقة . التي تتجلى في عمق حبه للطبيعة وروعة تصويره لها ، ولنفرا قصيدة شكرى القصيرة « سحر الطبيعة » التي يقول فيها الشاعر :

كؤوس من النور عذى الزهو	ر أم هي أخيلة الشاعر
وليس بجسلم ولكنها	أجل من الحلم الباهر.
وما خلقت لفنون الخيا	ل فتنة حسن لدى الخابر
وماء الحياة ونبح الخو	د في مائها الملسل المائر
وعشب قشيب وظل ظليل	ادنيا أرى أم منى الساحر ؟
ومما يزيد رواء للزهور	أدى العيش والقدر الجائر
لتد خفت أن تنطوى مثلما	يزول الخيال عن الناظر
ماسلمت نفسى لسحر الخيال	لأخلد في حسنها الزاهر
وغيت عن الحس حس الوجود	كانسى روح لدى العساير
كأننى نقلت الى جنسية	نات عن سسطا القدر الدائر

وايمان شكرى بالطبيعة وجه لها جزء أصيل من كيانه ، فقد ولد ونشأ على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في بور سعيد في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وعاش فيها أيام عزلته سبعة عشر عام من سنة ١٩٢٨ حتى

عام ١٩٥٥ ، وأصيب فيها بالشلل النصفي في أواخر عام ١٩٥٢ ، ثم ودعها في أكتوبر عام ١٩٥٥ ليعيش مع أسرته في الإسكندرية حيث الشاطئ والبحر والجو الجميل الى أن قضى حياته ، ولفظ أنفاسه الأخيرة في منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨ .

ويؤمن شكري بالفناعات الإنسانية الفخيلة ، ويعد من بين شعراء الديوان شاعر الحب والخير والجمال ، الحب الذي يقول فيه شكري من قصيدته « ليتنى كنت لها » .

أنا بالخسر قائم وأحسى	ابليس بالشر قائم والوعيد
كم سخرنا من خائف غير ندب	انما الجبن آفة الرعديد
أنا والحب خالداً كالنا	ذو خيال ونشوة وجنود

ومن أجل رسالة الإنسانية والحب التي آمن بها شكري ، ترك شكري زميليه في مدرسة الديوان ، ثم اعتزل الحياة . . . وبين الحين والحين كان يرسل نفاثات براعه الى مجلتي الرسالة والتقطف ، وكنا منذ قامت رابطة الأدب الحديث نريد أن نزور شكري في عزلة ، لنعرب له عن إعجاب الجيل المعاصر به وبشعره ، ولتكبير جهاده في سبيل أمته وشعبه ، وفي سبيل الأدب الذي أعزه ، والشعر الذي آمن به . . . ولكننا كنا كمن يبحث عن السراب ، لم نعرف عنوان شكري لنذهب إليه ، ثم ودع الحياة الوداع الأخير قبل أن نزوره .

وكتب نقولا يوسف في جريدة المساء عن شكري ( ١٢ أكتوبر ١٩٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨ ) يقول :

كانت وصيته الأخيرة . . . المكتوبة بيده اليسرى غير المشلولة :  
« لا تحفوني في حجرة تقفل على كالسجن ، ولكن في قبر يهال عليه القراب » . . .

والحق أنه لم يحب القيسود . . . فكان متحرر النفس من الرذائل . . . متحرر العقل من الخرافات . . . متحرر الشعر من أغلال الشكل والموضوع . . . منطلق الخيال في رحب الفضاء . . . معتزلاً بقيود الوظائف . . . مطالباً في عهود الاحتلال والاتطاع بتحرير بلاده من ربة الاستعمار والاستغلال .

أما السجن المادي فقد جنى على أبيه وعلى أسرته من قبل يوم اعتقال أعوان الخديو ، والده - محمد شكري عياد - المناصرة القوية العربية

وصداقته لمجد الله القديم .. فنجم عن هذا السجن وهذا التعتل . وعمما  
كأبده من الضيق والارهاق ، أن خرج أبناؤه غير أشده العود .. كما جنى  
أعران المختلين على الشاعر في حركة مصطفى كامل عام ١٩٠٦ لا وقف  
زميل الشاعر عبد الحميد بدوى « القاضي بمحكمة العدل الدولية » ولقى على  
الجماهير تصيدة عبد الرحمن شكري الوطنية :

ثباتا فان العار أصعب محملا من الذل لا يفرض بنا الذل للعار

فانتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة وفصلوه من مدرسة الحقوق بعد  
أن قضى بها عامين . ويلتحق الشاعر بمدرسة المعلمين بالقاهرة .. ويتخرج  
منها عام ١٩٠٩ ليرسل في بعثة الى جامعة شيفيلد ، ويعود في خريف ١٩١٢  
ليشتغل بالتعليم مدرسا فناظر فمفتشا بالتعليم الثانوي .. ولكنه يظل  
ينظم الشعر وينشر الأبحاث الأدبية والنقدية في الصحف والمجلات .

وكان ديوانه الأول : « ضوء النجم » قد ظهر عام ١٩٠٩ - والشاعر في  
الثالثة والعشرين .. يقف على عتية الحياة « ولم يقتحم بعد مساحات  
مشاكلها وتجاربها . ومع ذلك فإن الروح الثائر المجرى الذي سطع في تلك  
الباكورة كان باهرا . فانتري صديقه المازني يقرظه في الصحف .

وفي ١٩١٥ يظهر الجزء الثالث « أناشيد الصبا » ويتلوه كل من الرابع  
والخامس عام ١٩١٦ فالسادس عام ١٩١٨ ، فالسابع : « أزهار الخريف »  
عام ١٩١٩ ثم تشغله عموم المهنة التعليمية والتنقل في البلاد عن جميع  
أشعاره في دواوين أخرى بعد هذا التاريخ ، فيكتفى بنشر شعره وأبحاثه في  
عديد للصحف والمجلات مرددا :

التي يشعري في حلق الزمان ولا

أبيت منه على هم وبلبال !

وقد أمكن جمع مانشر من الشعر من الشعر بعد عام ١٩١٩ في الجزء  
الثامن .

وأماكتبه النظرية التي تضم فصوله وأبحاثه في الأدب والنقد والدراسات  
النفسية والفلسفية « فقد طبع منها في حياته خمسة كتب وهي : « الثورات »  
و « حديث إبليس » و « الاعترافات » وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦ .. ثم  
« الصحائف » - ١٩١٨ وقصة « الحلاق الجنون » - ١٩١٩ ( بتوقيع ح )  
ولم يطبع منها بعد خمسة أخرى كان قد نشر فصولها فيما بين ١٩١٩  
و ١٩٥٢ في مجلات الرسالة والثقافة والتتظف والهلال وغيرها .. وهي :

كتابه « نظرات في النفس والحياة » وقد نشره مسلسلًا بمجلة المقتطفة فيما بين ١٩٤٧ - ١٩٥١ و « الشعر العباسي » و « دراسات نفسية » و « بين القديم والحديث » و « ابحاث ودراسات شني » ولم يضع الشاعر أسماء لهذه الكتب الايامه الاخيره التي تعرفت فصولها في عدد من الصحف والمجلات ٠٠ وهكذا لم ينقطع الشاعر عن نظم الشعر وكتابته الابحاث حتى عام ١٩٥٢ يوم ارغمه السبل الذي افلج نصفه الاين ولازمه الى نهايه حياته على الخف عن الانتاج الادبي وان كان لم ينقطع عن كتابته الرسائل الخاصه بيده اليسرى الى اعله واصدقائه وتلاميذ حتى نهايه حياته ٠ وماخاد الشاعر يمتزل وظيفته بوزارة التعليم عام ١٩٢٨ بعد ان مارس التعليم نحو ربع قرن حتى رغب في شيايه أن يوفر على التقاد بعض الجهد ، فأخذ ينشر فصول كتابه « الاعترافات » في الصحف تم طبعها عام ١٩١٦ في كتاب ٠ كما نشر بعض الذكريات عن نشأته وعن التعليم ٠٠ وراح يصحح بعض الأخطاء التي وقع فيها ناتدره في مقدمات دواوينه وفي مقالاته التي لم تجمع أو رسائله التي لم تنتشر ٠٠ ويشرح رايه في الشعر ومذاهبه ، والشعراء وحققتهم ٠ كما عرف لهم الشعر وأشاعر نظما ، وتوالت الأنبياء عن سوء صحة الشاعر ، وحين جدت الدولة في تكريمه مات الشاعر العظيم ، وكأنما كان يتقبل ما قاله في صدر شبابيه وهو في الغربة :

كنت مثل الفريد جي، به من	روضه والزمان غير دميم
حيث وجه الفهار جذلان بسا	م ووجه الظلام غير بجم
ودواع الى الغنساء كئسار	من حبيب وموطن وحميم
انزلوه في منزل مثل بطن الأ	رض جهم السماء، جهم الاديم
مقضى عيشه غريبيا عن الأهل	تليل العزاء جسم الهموم
الهورى والحياة واليباس والحزن	وريب من الحياة خصومي

## الفصل الرابع

### بناء القصيدة عند العقاد

- ١ -

يرتكز الأساس الفلسفي لبناء القصيدة عند العقاد على عمود الشعر ، وقد أقام للعقاد نظرية كاملة لهذا العمود الشعري . .

وجاء العقاد فأقام أساسا فلسفيا جديدا لبناء القصيدة يرتكز على عمود جديد للشعر . . وذلك ما نحاول شرحه في هذه الدراسة الموجزة . . متوخين الجانب النقدي وحده في هذا البحث ، تاركين الجانب التطبيقي على شعر العقاد لغيرنا من الدارسين .

ولتسد كان المقدم ر حـمـه الله ( ١٨٨٩ ) ( ١ ) - ١٢ مارس ١٩٦٤ ) رائدا من رواد الأدب والنقد والشعر ، وكان كذلك أكبر شعراء مدرسة الديوان أثرا وتأثيرا في أجيال متعاقبة من أبناء النهضة ، وكان موهبة نادرة وعبقرية قلما تتكرر في أزمنة ملاحقة ، وكان العقاد عصاميا في كل شيء حتى في الثقافة والأدب ، عاش عصره كاملا وكان يقول : « لنا على المسابقتين مزية ندين بها للمصر » ولا نلوم المسابقتين على خلو عصرهم منها ، وننص موازينهم من جراء فقدها ، ( ٢ ) .

وفي العقاد حدس للشاعر ، ورهافة حسه ، ودفقة ملاحظة الناقد ، وقد برته على التحليل والتعليل ، وعمق الفكر ونفاذ نظراته ، وسمة لحاظته ، وكان واسع الأفق ، إنساني النظرة ، للبطولة عنده تقديرها ووزنها .

والعقاد الأديب تسنده أصالة قوية ، وثقافة واسعة ، وخبرة بالحياة

(١) من ذكرياتي في صحبة العقاد لطاهر الجبلاوي - ص ١٥

(٢) ص ١٤١ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي للعقاد .

وطول تمرس بها . ويعد أكبر كاتب عربي معاصر (١) ، ويتحدث الكاتبون عن عبقرياته طويلا (٢) ، وقد شغل النقاد والدارسين (٣) . وأدبه يتميز بالأصالة وصدق التجربة ، وطول المأناة ، وبالتعبير الجميل عن الشعور الصادق .

• وقد آمن بالأدب ، ورسالة الأدب ، ونذر نفسه لإبلاغ هذه الرسالة طول حياته ، وآمن بالحرية كقيمة تشر بها رسالة الأديب (٤) .

• ويتول عنه محمود تيمور : انه خير من ينطبق عليه ذلك الوصف الدقيق الذي أوجزه ابن الميديد في توليه عن الجاحظ : « كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا » (٥) .

• وعاش العقاد معتزا بلغته وعرويته ودينه أيما اعتزاز ، والدين عنده ليس عن وراثته فحسب ، بل عن شعور وتامل وتفكير طويل (٦) . وكان كل شيء يهون عنده إذا رضى عقله الكبير ، وإرتاح ضميره الحي ، وأطمأن شعوره المرهف (٧) .

• ولقد قامت مدرسة الديوان في الربع الأول من القرن العشرين ، وترجمت حركة التجديد في الشعر « وروادها هم : عباس محمود العقاد ، وعبد الرحمن شكري ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وكانت ثقافة هؤلاء الرواد الانجليزية ووجهتهم هو الأدب الانجليزي » .

• وتسمى المدرسة بهذا الاسم نسبة إلى كتاب الديوان القسدي المشهور ، الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة « هما : العقاد ، والمازني ، وأصدراه عام ١٩٢١ في جزئين ، وبسطة فيه دعوتها الجديدة ، ونقدا فيه حافظا وشوقيا والمنغلوطي « كما نقدا فيه زميلهما الثالث عبد الرحمن شكري ، وقد أحدث هذا الكتاب الصغير في حجمه الكبير في روحه ضجة أدبية كبرى ، وجدد في نظرية في نظرية عهد الشعر القديم » .

(١) ٥٧ مع العقاد للدكتور شوقي ضيف - سلسلة أترا العدد ٢٥٩ .

(٢) نعمات تولد في مجلة الأزهر عام ١٩٨٦ هـ من مقال لها عن المعقريات .

(٣) ١٢ نظرات في فكر العقاد للدكتور عثمان أمين ، والعقاد ناقدًا للكاتب عبد الحى ديباب

(٤) ١٦ نصول من الندد عند العقاد - لمحمد خليفة التونسي - نشر مكتبة الخانكي .

(٥) ٣٢-٣٧ من مقال لمحمود تيمور نشر في الهلال عدد ابريل ١٩٦٧ .

(٦) مقدمة كتاب ( أنا ) للعقاد - بقلم طاهر الطناحي .

(٧) إبلاغ عدد ١٩٢٧/٩ من مقال لإبراهيم عبد القادر المازني .

ويكرر العقاد في كتبه ومقالاته أن مدرسة الديوان أول حركة تجديدية في الشعر الحديث ، وينكر أن يكون مطران هو أول الدعاة الي الذهب الجديد . ويمد ظهور هذه المدرسة - في رأبي - بداية حقيقية للأدب المعاصر .

ومن حيث كان مطران يتزعم الدعوة الي الشعر الموضوعي في ادبنا الحديث ، كانت مدرسة شعراء الديوان تدعو الي الجانب الذاتي أو الغنائي منه ، فشعرها هو شعر الوجدان الذي يجبر عن شخصية الشاعر وذاته أبلغ تعبير ، واتخذ شكري شعارا له هذا البيت من شعره :

الا يا طلائر الفـردو س أن الشعر وجدان

وادخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الي شعر الفكرة ، ودافع عنه في ديوانه « بعد الأعاصير » الصادر عام ١٩٥٠ .

ولقد حمل هؤلاء الثلاثة لواء الثورة علي الشعر والأدب الكلاسيكي وأعلامهما في مصر ، وكتبوا أمثع الفصول النقدية التي حفظها تاريخنا الأدبي وشائق ذات قيمة كبيرة في تاريخنا الشعري المعاصر .

ولقد ظهر ديوان مطران عام ١٩٠٨ ، والجزء الأول من ديوان شكري عام ١٩٠٩ ، وديوان أنداء الفجر للدكتور أحمد زكي أبو شادي في العام نفسه . كما ظهر الديوان الأول للمازني ( ١٩ أغسطس ١٨٩٠ - ١٠ من أغسطس ١٩٤٩ ) عام ١٩١٣ ، وفي العام نفسه صدر الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري ، وفي عام ١٩١٦ ظهر الجزء الأول من ديوان العقاد ، وكل هذه الديوانين تمثل جوانب الذهب الجديد في الشعر .

وقد أتبل العقاد وزميلاه علي الأدب الإنجليزي ، وقرأوا للشعراء الانجليز ، وبخاصة شعراء « مجموعة الكنز الذهبي » التي اختارها وجمعها فرانسيس بالجريف أستاذ الشعر باكسفورد وكان يعمل موجها ومفتشاً للتعليم في وزارة المعارف المصرية ، وبدأ الثلاثة يطمعون شعرهم بالأخيلة والمآني والصور الغربية ، ويكتبون في وحدة التصديده ، ويدعون الي الذاتية والاصالة وظهور شخصية الشاعر ، واستلهاهم الطبيعة ، ويتناولون شتى الموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد والتكلف والافتعال وشعر المناسبات الطارئة ، وبهذا بدأ المسار الجديد لمعود الشعر كما دعا اليه العقاد ومدرسته التي تعد أساسا للرومانسية في شعرنا الحديث . ويقول المازني :

كان ديوان شكري كما كانت يوميات العقاد بداية اقتحام الذهب الجديد

في الأدب للميدان<sup>١٤</sup> وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقي وحافظ وأصراحيهما (١) .

ويقر المازني بأن شكري هو الذي هداه الى الطريق السوي في الشعر ، ولولاه لاتبه بشعره الاتجاه القديم (٢) .

وقد كتب العقاد مقدمة الجزء الثاني من ديوان شكري . وبسط فيها أصول المذهب الجديد الذي يدعون اليه . وكتب المازني في العام نفسه عدة مقالات في جريدة « عكاظ » الأسبوعية وازن فيها بين حافظ وشكري ، وفضل صديقه شكري على حافظ . ونشر المازني عام ١٩١٥ كتابا في نقد حافظ عنوانه « شعر حافظ » ، وشرح شكري مذهبه في الشعر في مقدمته التي كتبها للجزء الخامس من ديوانه بعنوان « في الشعر ومذاهبه » .

ولئن كان العقاد أكثر الفلاحة دعوة الى هذا المذهب . الذي خط طريق الرومانسية في شعرنا الحديث ، ونفذ العقاد عن طريقه الى تحويل مسار عمود الشعر العربي ، والى صورة شعرية عربية جديدة (٣) . ولقد خص شوقي بحملة نقدية شديدة في كتاب الحيوان ، وأكد فساد المنهج الشعري الكلاسيكي الذي يرتكز على عمود الشعر القديم دون تجديد .

وإذا كان شكري قد اعتزل المدرسة بعد فقد المازني له ، وكف المازني كذلك عن متابعة نشاطه فيها بعد « الديوان » ، فإن العقاد هو الذي حمل الراية الى النهاية ، وكان « ثباته في الميدان وهو يؤدي رسالة مدرسة الحيوان هو الذي جعله صاحب رسالة في الأدب والحياة » (٤) .

ويعتبر شكري في رأي البعض هو رأس هذه المدرسة الجديدة في الشعر الحديث (٥) ، ومنهم أبو شادي ومنصور والسحرتي<sup>١٥</sup> . وفي رأي الآخرين أن العقاد هو رائد العقاد هو رائد هذه المدرسة (٦) .

(١) من مقال المازني نشر في اخبار اليوم عدد ١٩٤٧/١٠/٢٥ .  
(٢) ٢٤٤/١ في الأدب الحديث لعمر السنوسي - وذلك عن مقال نشر في عدد ٥ ابريل من جريدة السياسة بعنوان « التجديد في الادب » - راجع ص ١٠ ج ٢ من كتاب الأدب العربي الحديث ومدارسه لكاتب هذا البحث .  
(٣) ٥ و ٦ مع العقاد للكاتب شوقي ضيف .  
(٤) البلاغ عدد ١٩٢٧/٩/٤ من مقال المازني .  
(٥) راجع ٢١٧ الأدب العربي الحديث ومدارسه ( الطبعة الأولى ) ، ٢٣٥/١ دراسات أدبية لعمر السنوسي .  
(٦) راجع : محمد خليفة التومسي في « فصول من النقد عند العقاد » ، العوضي الوكيل في كتابه « العقاد والتجديد في الشعر » ، ص ٢٦ و ٣٠ ، وعبد الحمي نياب في كتابه « العقاد ناتدا » ص ١٣٥ ، وسواهم .

ويعول المازني في مقال له : غير زمن كان شكري فيه محور النزاع بين التقديم والجديد ، وذلك انه كان في طليعة المجددين ، اذا هو لم يكن الطليعة ، والسابق الى هذا الفصل . ومن اللؤم الذي اتجاف بنفسى عنه ان انكر انه اول من اخذ بيدي ، وسد خطاي « ودلني على الحجة الواضحة (١) » .

وفي مقدمته العقاد للجزء الأول من ديوان المازني يحمل العقاد على الشعراء الذين يهيئون بالممارسة والتقليد للخدمة .

وفي مقدمته التي كتبها للجزء الثاني من ديوان شكري يقول : « ان الشعر حقيقته الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم ، من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والمعقول » وهو ترجمان النفس ، والتأقل الامين عن لسانها .

ومن نظرية الشعر الوجداني عند هؤلاء الثلاثة انبثقت الدعوة الى ان يكون الشعر تعبيراً عن ذات الشاعر وتخصيبه ، وان يبعد عن المناسبات ، وان يفلح عليه طابع الألم والغربة والأنين والحنين وحب الطبيعة واليهام بالريف والقرية ، وان تسود التصيدة وحدة عضوية كاملة ، وتمير عن تجربة شعرية عميقة ، ومرجع الثلاثة في آرائهم النقدية الى هازليت وماكولي وشاسترى وأرنولد .

وفي رأي هؤلاء الرواد ان شخصية الشاعر هي كل شيء في الشعر ، وان الشعر اذا استعرك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب ان تحتمى به .  
ومن كل هذه الآراء بدأ اتجاه هؤلاء الرواد وفي مقدمتهم العقاد الى تغيير صورة عمود الشعر القديمة .

- ٢ -

ونستردل الى عمود القصيدة أو الى عمود الشعر في رأي قدماء النقاد ، فنقول :

عمود الشعر اصطاح جديد ظهر في العصر العباسي وتردد منذ القرن الثالث الهجري ، وفي القرن الرابع ذاع وتداولته الألسنة .

وكان الأدهي (٣٧١ هـ) صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » من أشهر النقاد الذين احتلوا في النقد بالعمود الشعري ، ورجعوا اليه وحكموه في مشكلات النقد وقضايا الشعر . يقول الأدهي في « الموازنة » : سئل الباحث

(١) جريدة السياسة عدد ١٩٣٠/٤/٥ من مقال بمنوان « التجديد في الأديب »

- ٣٢٠ -

عن نفسه وعن أبي تمام ، فقال : كان أغوص على المعاني منى . وأنا أقوم  
بعمود الشعر (١) .

والعمود الشعري في أبسط صورته : كل التقاليد الفنية الموروثة التي ألزمها  
القلماء في شعرهم ، في الأفكار والمعاني والموسيقى الشعرية والألفاظ والأساليب  
والصور والأغراض . فهذه التقاليد هي عمود الشعر الذي حتم الكثير من النقاد  
التزامه والسير على منواله ، وسموا ما جاء على خطه من تصانيد الشعر تصانيد  
عمودية .

وتدحرص النقاد على الاحتكام إلى عمود الشعر ، وعلى التزامه .

ويقول الرزومي : ( - ٤٢١ هـ ) في مقدمة شرحه على «حماسة أبي تمام» :  
كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة  
في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتثامها ، على تخير  
من لخيذ الوزن ، ومناسبة المستمار منه للمستمار له ، ومشاركة اللفظ للمعنى ،  
وشدة اقتضائهما للقافية ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر (٢) .

وتعد تصنيده الملققات أروع صورة للتصديده العمودية . وفي العصر  
العباسي حاول بعض الشعراء كمسلم وأبي تمام وسواهم الخروج على العمود  
الشعري قليلا ما ، فاكثروا من البديع ، وطلبوا الصنعة ، وبالفعل في المعاني ،  
وأفراطا في الاستعارات والمجازات وأعرقوا في المبالغة ، وأبعثوا في التشبيه ،  
وتعقبهم النقاد ، وقامت المارك حول تجديدهم وخروجهم على عمود الشعر .

وإذا كان هذا هو رأى القدامى ، في عمود التصديده ، فإن المحدثين والمعاصرين  
خرجوا بالتصديده إلى أبواب واسعة من التجديد ، وأمعنوا في تغيير شكلها  
ومضمونها لمعانا شديدا ، وطلبوا باسم الحرية الفنية والتجديد المصرية  
ما بعد خارجا على كل تقليد والتزام ، وعلى كل موروثات التصديده العربية ،  
واختل عمود الشعر وميزاته في أيديهم ، وأصبح الفن عندهم بعيدا عن ماضيه ،  
وعن كل التقييم الفنية التي حرص الكلاسيكيون والمحافظةون عليها .

وتحى مدرسة الديوان ، وفي مقدمتها العقاد ، فتحارب باسم التجديد كل  
المقومات الفنية القديمة للتصديده العربية ، ويقول العقاد (٣) : إن الشعر  
يقاس بمقاييس ثلاثة :

(١) الموازنة طبع دار المعارف .

(٢) ص ٩ شرح الرزومي على الحماسة .

(٣) النقد العربي الحديث ومذاهبه ، ونصول في الأدب والنقد ، وهما للكاتبة  
هذا البحث .

أولها : أن الشعر قيمه اساسية ميل ان يكون قيمة لفظية أو صناعية  
فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى اذا ترجم الى جميع اللغات .

وثانيها : أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ، فالتعابير التي لا يعبر عن  
نفسه صانع ، وليس ذا شخصية أدبية .

وثالثها : أن القصيدة بنية حية وليست اجزاء متناثرة يجمعها الوزن  
والقافية .

وقد حارب العقاد الشعر الجاملي وعابه في كتبه الاولى ومن بينها  
« مراجعات » ، كما اشهد في كتاب « الديوان » في نقد شوقي .

وكرر انه يرفض ان يجزر على الشاعر حتى لا يفسج شعره الا على  
منوال السابقين القدامى (١) ، ورأى ان المحك الذي لا يخطئ في نقد الشعر هو  
ارجاعه الى مصدره : فان كان لا يرجع الى مصدر أعقق من الحواس ذلك هو  
شعر القشور والطلاء ، وان كنت تلمح وراء الحواس شعورا حيا ووجدانا تعود  
اليه المحسوسات ، كما تعود الأغنية الى الدم ، ونفحات الزعر الى عنصر  
الطر ، ذلك شعر الطبع القوي ، والحقيقة الجوهرية . وهناك ما هو أحر  
من شعر القشور والطلاء وهو شعر لحواس الضاللة ، والمدارك الزائفة (٢) .

ودعا العقاد الى التجديد في المضمون ، ولم يبال بتجديد الشكل (٣) ،  
وقال : ان التجديد ليس باختيار الموضوع الجديد ، بل بالمضمون الجديد(٤) .

ورأى أن عصرية الشاعر ليس الممول فيها على وصفه للاختراعات المصرية،  
بل الممول فيها على كيفية الوصف ووجهة النظر(٥) ، والمصرية هي أن يترجم  
الشاعر عن زمنه .

(١) لبيد - ص ٤٠ نصول من النقد عند العقاد - محمد خليفة التونسي - نشر مكتبة  
الخانجي .

(٢) راجع ص ١٣ مع العقاد للكاتب شوقي ضيف .

(٣) ١٣٩ النقد والنقاد المعاصرون - الدكتور محمد مندور - يقول الدكتور مندور ايضا .  
لا يتحقق التجديد المطلوب باختيار موضوع جديد ، بل يحقق بالمضمون الجديد  
لخ ( ١٣٩ النقد والنقاد المعاصرون ) .

(٤) ٢٣٠ نصول من النقد عند العقاد .

(٥) ٢٩٨ و ٣٠٣ مطالعات للعقاد ، ومقدمة العقاد للجزء الأول من ديوان المازني

ونستبين من كلامه عن المتنبي كيف أخذ العقاد يصحح مسار العمود الشعري ، فهو يقول عن هذا الشاعر الكبير : المتنبي فنان على طريقته التي تتناسب من الفن ، فقد ظفر من المعاني بجمال السلامة والبساطة وراء الصحة والقوة ، وتناسب المتانة والكفاية . أما جمال الزينة والرشاقة ، ومحاسن النظرية والأناقسة فليس له منها نصيب وانسرد(١) .

ودافع عن موسيقى الوزن والقافية في القصيدة دفاعا حاراً ، وبعد أن أجاز في مطلع حياته الشعر المرسل المطلق من القافية ، حيث كان يكرر أن التزام القافية . في غير الشعر الغنائي لا مبرر له (٢) ، عساذ يؤكد ضرورة التزام القافية ، ويرى أن الفاعما كل الالغاء يفسد الشعر العربي ، إذ لا تدعوا إليه الحاجة (٣) . ويلتزم العقاد الوزن في القصيدة الغنائية ، ويجيز تغيير البحر من فصل إلى فصل في الملاحم والقصائد المطولة(٤) .

ويقول : ان اوزان الشعر أصيلة عميقة القرار في طبيعة الشعر (٥) ورأى أن القيود في الفن والشعر جزء من كيانهما ، فمن خلال القيود الفنية تفسر عبقرية الشاعر وموهبته الأصيلة . والمثل الفرنسي يقول : « لا يحيا الفن بغير قيود » . وفي ذلك يقول العقاد : لا معنى للفن اذا خلا من تدره خاصة تتجلى فيها الملكة المطبوعة (٦) . ويقول : ان هدم الفن الجميل الذي امتازت به لغة العرب لا يصدر الا عن عجز أو اصرار على الهدم (٧) .

ونوه العقاد بالشعر المطبوع الاصيل(٨) ، ورفض شعر القشور والطلا(٩) ، وقال : ان الشعر الصحيح هو ما يقوله الشاعر الممتاز بالعاطفة والنظرة الى الحياة (١٠) ، والشاعر هو من يشعر بجوهر الاشياء ، والشعر الجيد (١١)

- 
- (١) ١٧٤ - ١٧٩ مطالعات في الكتب والحياة طبعة التامرة ١٩٢٤ .  
(٢) راجع ٢٩٥ - ٢٩٧ مطالعات ، ومقدمة لعقاد للجزء الأول من ديوان المازني .  
(٣) ١٠٧ اثنتان مجتمعات للعقاد - طبع القاهرة ١٩٦٣ .  
(٤) ٤١ و ٤٢ دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية للعقاد - نشر مكتبة غريب .  
(٥) راجع مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٦٢ من مقال للعقاد .  
(٦) مهرجان الشعر الرابع - من كلمة للعقاد .  
(٧) ٣٦ للغة لشاعرة للعقاد - طبع القاهرة ١٩٦٠ .  
(٨) ٣١٢ مطالعات .  
(٩) ٢٩ الديوان - فصول من النقد عند العقاد .  
(١٠) ١/١٢٤ ساعات بين الكتب .  
(١١) فصول من النقد عند العقاد .

هو ما كان مصحوباً بالطبيعية الحية والاحساس البالغ (١) ، وهو الشعر الذى يرينا ما فى الدنيا وما فى نفس الانسان ، وتعرف فيه الطبيعة على لونها صادق (٢) ، وليس الشاعر هو من يأتى برائع المجازات (٣) ، وانما هو من تتوفر فيه مزية الطبيعة الفنية التى تجعل من الشاعر جزءاً من حياته (٤) . . . ويمثل فكرة العقاد فى الشعر ما قاله هو فيه :

الحب والشعر دينى والحياة معا  
دين لمعرك لا تنقيبه اديان

والشعر السنة تنضى الحياة بها  
الى الحياة بما يطويه كتصان

لولا القريض لكانت وهى فانتنة  
خرساء ليس لها بانفسول تبيان

ما دام فى السكون ركن للحياة يرى  
ففى صحائفه - لاشك - ديوان (٥)

ومن هذا المنطلق سار العقاد بنظرية الشعر وبالعمود الشعرى فى مسار جديد . . .

- ٣ -

وأول ركن فى بناء التصديعة عند العقاد هو ظهور شخصية الشاعر ، ومن أجل ذلك حارب التقليد (٦) والتسلد عنده من ينمى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة (٧) ، ويقول (٨) : أن الشاعر هو المحرر من اسار التقليد وهو الذى يدرك الدنيا كلها فى صورة تختلف كثيراً أو تليلاً عن سائر الصور ، وهذا هو ما يعنيه بفلسفة الشاعر .

(١) ص ٧ ابن الرومى للعقاد - مطبعة مصر .

(٢) ١٦٠ شعرا مصر وبيئاتهم فى الجيل ١٩ الماضى للعقاد - الطبعة الثالثة ١٩٦٥ .

(٣) ١٠٥ خلاصة اليومية - ١٩١٢ .

(٤) ٤ و ٥ ابن الرومى - وحول ذلك يقول منجور : أن جودة لشعر تتمثل فى خلاص الشاعر لنفسه وصور عما يجده منها راجح ٥٦ - ٦٥ الشعر المصرى بعد شوقى - الحلقة الأولى .

(٥) ديوان العقاد .

(٦) ٩٢/١ فصول من النقد عند العقاد .

(٧) ١٦٥ فصول من النقد عند العقاد .

(٨) ٣١٠ ابن الرومى

- ٣٢٤ -

وتحدث عن حافظ فقال : انه يجيبه منه جلاله في شعره (١) ، وعندما  
تحدث عن المتنبي (٢) قال : ان له مذهباً خاصاً في الحياة \*

ويرى في شوقي انه ارتفع بشعر الصنعة وهبط بشعر الشخصية (٣) \*

ومن ثم اعجب بابن الرومي وبالمتنبي لقوة شخصيتهما في شعرهما ،  
والترجمة لنفس الشاعر ومشاعره هو مظهر شخصيته في شعره ، والتفاوت  
في التمييز علامة الشخصية والطبع ، والا فلن نحصل من الشعراء الا على  
نسخ معادة مكرورة (٤) ، فالتفاوت في الاساليب عنده دليل على استقلال  
الشخصية وظهورها (٥) ، ومن هنا كان اعجابه بابن الرومي كثيراً \*

ان ظهور شخصية الشاعر في شعره احد مقومات القصيدة عن شعراء  
مدرسة الجيوان عامة ، وعند العقاد خاصة ، الذي دعا مع زملائه الى الجانب  
الذاتي أو الغنائي من الشعر ، وخرجوا بنظرية جديدة سموها « شمسعر  
الوجدان » ، وورد ذلك الى الرومانسية التي لفت هؤلاء الرواد حولها ، يدعون  
اليها ، ويبشرون بها في الأدب والشعر والنقد ، فشخصية الشاعر هي كل شيء  
في الشعر ، والشعر اذا كان يشترك بعظمته وقوته فهو النموذج الذي يجب  
أن تحتمى به ، وكان ورد زورت الشاعر الانجليزي يقول عندما سئل عن شعر  
شاعر : انه ليس من الحتم في شيء (٦) يريد أن منزلة الشاعر مستمدة من  
شعره ، فاذا أصبح شعره على السنة الناس ، ولا غنى لهم عنه ، فهو شاعر  
قد فرض نفسه على الشعر وعلى النقاد والناس \*

- ٤ -

#### الوحدة العضوية للقصيدة :

ومن مقومات القصيدة عند العقاد ومدرسته ، الوحدة العضوية وفي ذلك  
يقول :

- (١) ٢١٨ فصول من النقد عند العقاد \*
- (٢) الرجوع نفسه ، وراجع رايه في المتنبي في كتاب « مطالعات في الكتب والحياة »
- (٣) ١٥٦ شعراء مصر - للعقاد \*
- (٤) راجع ٩٨ - ١٠٠ على الاثر للعقاد - طبع دار الفكر العربي - القاهرة :
- ص ١٤٤ - ١٧٣ \*
- (٥) مطالعات \*
- (٦) ٢/٤٧ الأدب العربي الحديث ومدارسه - الاطبعة الثانية \*

- ٣٢٥ -

التقصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تاماً يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصور بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع ، أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة (١) .

ويقول أيضاً : ان القصيدة الشعرية كالجسم الحي يتوهم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يعني عنه غيره في موضعه (٢) .

ويقول : أصبحت القصيدة شيئاً يقبل الاسم والعنوان ، وكانت قبلاً لا تعرف الا انها نظمت في تهنئة زيد ، أو رثاء فلان(٣) .

ومن ثم عاب بعض قاصد شوقي بالنفك وفقدان الوحدة المعنوية (٤) ، ويؤكد ان القصيدة وحدة الشعر (٥) .

وباشتراط الوحدة العضوية في القصيدة يبطل تعدد الأغراض فيها عنده ، وتنتفي المتزمات في مطالعها سواء كانت مقدمات طلبية أم مقدمات عزائية أم خمرية ، والمقدمة الطللية جعلها ابن قنينة ( - ٢٧٦ هـ ) جزءاً من البناء الفني للقصيدة ، وكأنها عنده جزء من عمود الشعر ، وباشتراط المقاد للوحدة تصبح القصيدة الغنائية عضوية ، أي ذات بنية حية تنمو من داخلها في انساق تام نحو نهايتها (٦) وتصير بنية حية تامة الخلق والتكوين (٧) .

ويؤكد شكري أنه ينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء، فرد كامل ، لا من حيث هي أبيات مستقلة (٨) .

وكذلك سار المازني على اعتبار القصيدة كلا واحداً ، وعملاً فنياً واحداً ، وبنية حية مترابطة الأجزاء والأفكار والاحاسيس (٩) .

(١) ٨٠ نصول من النقد عند العتاد .

(٢) ٨٠ نصول من النقد عند العتاد .

(٣) مجلة الرسالة لعدد ٢٠٩ السنة ١٣ الصفحة ٢١٣ .

(٤) ٨١ نصول من النقد عند العتاد .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) ص ٣٨٣ الأدب البارز للدكتور محمد غنيمي هلال .

(٧) في النقد الأدبي للدكتور شوقي ضيف .

(٨) مقدمة أجزاء الخاميس من ديوان شكري بعنوان « في الشعر ومذاهبه » ، ٧٩ - ٨٠ .

محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الأولى - لتدور .

(٩) ص ٩٠ النقد العربي الحديث ومذاهبه لصاحب هذا البحث .

ويرى مصطفى السحرتي (١) انه بالوحدة العضوية نرى دكاء الشاعر وبراعته في التوفيق بين الصور والأشكال والظلال والألوان ، وحذقه في إيقاظ الحياة في الفاظه وأساليبه وأفكاره وأخيلته .

ويرى العقاد أن شكراً أسبق المتقدمين إلى توحيد بنى القصيدة كما أنه استيقم إلى التصريف في القافية على أنواع من التصريف القبول (٢) . بينما يقول محمد خليفة التونسي : ان العقاد أول من نادى بيننا بوحدة العمل الأدبي (٣) .

ولا شك أن الوحدة العضوية كانت صيحة من صيحات الرومانتيين في الدعوة إلى التجديد . فان القصيدة عديم نصبح كل صورة من صورها بمثابة عضو حي في بنيتها الفنية ، وهو ما يسمى عندهم عضوية الصورة الشعرية ، فالقصيدة الغنائية عديم وحدة تشبه وحدة المسرحية العضوية . وأول من قرر ذلك لسنج الألماني ( ١٨٢٩ - ١٨٧١ ) وهو رومانتيكي في فكرته عذ على الرغم من كلاسيكيته في بعض آرائه ، لاخرى . وقد أعجب برأيه جوته ، وهو من أعلام المدرسة الرومانسية في ألمانيا ويقرر هذا المبدأ الفني أيضا أوسكار وايلد ، فالقصيدة الغنائية عنده ذات وحدة عضوية حية نامية (٤) .

وعلى أساس الوحدة العضوية يقوم النقد الحديث الذي ينظر إلى القصيدة جملة باعتبارها عملاً فنياً واحداً ، من حيث كان النقد العربي القديم في أغلبه يعول على البيت الواحد من القصيدة وينتقي عليه في عملية النقد . على أن بعض النقاد العرب امتدوا إلى هذه الوحدة وقرروا ، فالحاتمي ( - ٣٨٨ هـ ) يقول : مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وبأينه في صحة التركيب ، غادر الجسم إذا عاده تتخون محاسنه ، وقد وجدت حذاق المتكلمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون في مثل هذه الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة في تناسب صدورهما وأعجازهما ، وانتظام نسبهما بمدحها ، كالرسالة البليغة . رلخطبة الموجزة ، لا يفصل جزء منها عن جزء (٥) .

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، والنقد من خلال تجاربي .

(٢) راجع ص ٢٠٢ - ٢٠٥ حياة نظم للمتاد - مطبعة الاستقلال .

(٣) ٢٩ فصول من النقد عند العقاد .

(٤) ص ٩٠ النقد العربي الحديث ومداهبه .

(٥) ١٦/٣ زهر الآداب تحقيق الدكتور زكي مبارك .

ومن تَبيل الحاتمي دعا ابن طباطبایا (٣٢١هـ) إليها ، فهو يقول : يلتزم الشاعر منهج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم ، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه ووصلة لطينة ، فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماعة ، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف الفياق والنوق بالطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلا به ، وممتزجا معه (١) .

ويرى مندور أن الوحدة العضوية غير متصورة في الشعر الغنائي ، إنما تتصور في الشعر الموضوعي : كفن المسرحية ، وفن القصة ، وأما الشعر الغنائي فمن العسير مطالبة الشاعر بمثل تلك الوحدة التي لا تقبل تقديما ولا تأخيرا في نسق بيانتها (٢) .

وقد أجاز الرمزيون لأنفسهم الانتقال في قصائدهم من فكرة إلى أخرى على أساس الاحساس والشعور الذاتي « مع ضعف الرابطة المنطقية بين الفكرتين ، وأن حرصوا مع ذلك على الوحدة العضوية في مجموع القصيدة ، وهذا الانتقال إنما قصدوا به إشارة عنصر المفاجأة ، والرغبة في تقوية جانب الإحساء (٣) .

إن الوحدة العضوية للقصيدة التي دعا إليها العقاد ورواد مدرستي الديوان وأبو لو قد غيرت بناء القصيدة تغييرا كاملا ، حيث ذهب منها الاستطراد والحشو والتفكك والاضطراب والانتقال من موضوع إلى آخر ، ومن غرض إلى غرض ، وخلت من انتصاب المعاني وتنافضها ، ومضى منها اضطراب المواطف والمشاعر النفسية ، وأصبحت عملا فنيا عاملا مرتبط الأجزاء ، ملتحم المشاعر والمواطف متناسق الدلالات والإشارات ، وأصبحت القصيدة كأنها تمثال نابض الحياة .

ومن ثم حارب العقاد وزملاؤه شعر المناسبات ، لأنه غالبا لا يكون تعبيراً عن أعماق نفس الشاعر ، ولا صدى لانفعال عميق بفكرة التصيد ، وفي الكثير يأتي شعر المناسبات مفكك الأجزاء مضطرب الأفكار .

(١) ٦ و ٧ عبار لشعر ابن طباطبایا .  
(٢) راجع ١١٣ - ١١٧ لنقد ولنفاد المعاصرون للمكتور محمد مندور .  
(٣) ٩١ الفقه العربي الحديث ومذاهبه لصاحب هذا البحث .

التجربة الشعرية :

يقول العقاد : أن المحك الذي لا يخطئ في نقد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره ، فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس فذلك هو شعر الفشور والطلاء ، وإن كنت تلمح وراء الحواس شعورا حيا « ووجدانا تعود إليه الحسوسات ، كما تعود الأغنية إلى الدم ، ونفحات الزهر إلى عنصر العطر فذلك شعر الطبع (١) » .

نهو يدعو إلى أن تكون القصيدة مماناة شخصية عاشها الشاعر ، ولا تحتمل لثرا للتقليد ، والشاعر عنده هو من يشمر بجوه الأشياء (٢) .

ويقرر العقاد (٣) أن التجربة لا تعرف نموذجا واحدا متقفا عليه بقدر ما تعنى أن يصف الشاعر ما يجبهه أو يستحسنه أو يراه .

ويرى العقاد أن التجربة هي تجربة الشاعر وحده ، وليست تجربة أحد سواه ، وهي انفعاله وأحاسسه هو « ومن ثم تكون التجربة مفردة ، وينتهي عنها التقليد » .

ويتسول : انه لا كذب في الفن مادامت المطابقة صحيحة بينه وبين الشعور الذي يصدر عنه (٤) ، والشاعر حينما يبنذ التقليد يتيح بنفسه أن ينقل أينما أحسسه بالشئ القويم الموجود بين جميع الناس ، فإذا بنا كأنما نحسه أول مرة ، لما أودع فيه من شعور ، وما أضفاه عليه من طرافة وجدة (٥) .

ويرى (٦) أن إحساسنا بالشئ هو الذي يخلق فيه اللذة ، ويبعث فيه الروح ، ويجعله معنى شعريا تهتز له النفس .

(١) ٣٩ - ٤٠ فصول من النقد عند العقاد .

(٢) ص ٣٩ المرجع السابق .

(٣) ص ١٠٠ على الأثر للعقاد - طبعة دار الفكر العربي .

(٤) ٣٨٥ حياة تلم للعقاد .

(٥) ١٦٨ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي - للعقاد .

(٦) ١٧١ فصول من النقد عند العقاد .

وفي تقديمه للجزء الثاني من ديوان شكري الذي صدر عام ١٩١٣ يقول : في هذه الصفحات نظرة المتدبر ، وسجدة العابد . ولحظة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة العاصب . . ودعمة الحزين ، وابتسامة السخر . وبشاشة الرضا ، وعموسة السخط ، وفنور الياس وحرارة الرجا .

وفي هذا تأكيد لما يشتمل عليه هذا الشعر من تجربة شعرية عميقة ، وعاطفة قوية صادقة ، والمعاطفة الازم شيء للحياة الانسانية (١) .

وهذه التجربة صارت عند العقاد وشعراء مدرسة لديوان ثم شعراء مدرسة أبولو أحد القومات الفنية لبناء القصيدة الحديثة ، وميزة من ميزات القصيدة المعاصرة ، وركنا من أركان العمود الشعري الجديد . وبسببها حارب العقاد شعر المناسبات الطارئة ، ورأى انه يضل طريقه الى الاحساس والشعور ، وأنه لا يمت بصلة الى مشاعر الشاعر ونفسه . وعن نم حارب التقليد (٢) والتزييف . ورأى ان اليهرج لا بلاغة ولا جمال فيه (٣) لانه بعيد عن اعماق نفس الشاعر واحاسيسه .

- ٦ -

انصورة الشعرية :

والصورة الشعرية هي أحد مفومات البناء الفني الجديد للقصيدة الشعرية .

وتتكون الصورة من : المعاني والأفكار والمشاعر بما تشتمل عليه من لفظ وأسلوب وروابط ، ومجازات وخيال وموسيقى ، بشرط أن تنقل مشاعر الشاعر وعواطفه نقلا حيا تسويا مؤثرا .

فالخيال هو الملكة التي يستطيع بها الشاعر تأليف صورة وهذه الملكة تتحكم في الاحساسات السابقة التي لا حصر لها ، والتي تنقل محبوسة في مخيلة الشاعر ، ثم تعيد بناءها من جديد . وكان الكلاسيكيون يعتمدون على العقل ويحذرون من الخيال ويحتقرونه بعكس الرومانسيين الذين اهتموا بالخيال ، لأنهم يلوثون بالعوطف والمشاعر أكثر مما يلوثون

(١) فصول من النقد عند العقاد .

(٢) فصول من النقد عند العقاد .

(٣) فصول من النقد عند العقاد .

- ٣٣٠ -

بالعمل . وكذلك عنى البرناسيون به لثمايتهم بالصور الشعرية وصياغتها ،  
وياالوضوحية في هذه الصور ، فدعوا الى الوصف الموضوعى والصور المرئية  
التي يطلق عليها اسم الخيال التصويرى . أما الرمزيون فيرون البد : في  
رموزهم من الاشياء المادية الى التعبير عن اثرها العميق في النفس عن طريق  
الايحاء بالرمز الخوط بالحس ، وعلى الشاعر في رانهم ان يلجأ الى الوسائل  
التي تغنى اللغة الوجدانية ، كى يقوى على التعبير عما يصعب عليه التعبير  
عنه .

ويؤكد العقاد ان في الشعر نسيبنا غير الافاض والماتى الذهنية وهو  
الصور الخيالية . وما تنظرى عليه من نداعى الشمور(١) .

ويقول ان الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام . والشاعر هو  
كل عارف بالاساليب توليدما بهذه الوسطة ، فهو يستخدم الافاض  
والتوالب والاستعارات التي تبعث تساوا في نفس القارىء ما يقوم بخاطر  
انشاع من الصور الذهنية(٢) .

ويرى ان الصور الخيالية هي الاصل في جمال الاساليب (٣) .

ويؤكد ان الفكر والخيال والعاطفة كلها ضرورية للشعر مع اختلاف في  
النسب .

وللموسيقى عنده شأن كبير ، حتى لنراه وهو يتحدث عن حافظ يقول :  
وتعجبنى منه موسيقية في شعره ، يوقع لك النغم ثم يتركك تغنى على  
ليسلاك (٤) . .

ويرى في انتظام القافية متعة موسيقية تخف اليها الاذان (٥) .

ويؤكد ان الاسلوب هو صورة الشاعر نفسه (٦) .

(١) فصول من النقد عند العقاد - والخيال عند العقاد هو ناسج الصور ، ويخالع  
الاجسام على المعانى النفسية ، وهو سلطان مترعب في عرش النفس يخلق الحلل على

كل ساحة تمثل بين يديه (٣٠٧ مطالبات) .

(٢) فصول من النقد عند العقاد .

(٣) راجع ٢٥٢ - ٢٥٨ المرجع السابق .

(٤) فصول من النقد .

(٥) فصول من النقد .

(٦) ابن الرومى .

والمعاني في الصورة الشعرية هي عنده الجوهري والليباب الذي تحتويه  
للفاظها (١) .

ولا بد ان تكون المعاني هي معاني الشاعر وحده ، وان يكون صادقا في  
التعبير عنها فليست البلاغة في الحروف والكلمات ، بل فيما توحى به الألفاظ  
والمعاني مما من صور خيالية وما ينطويان عليه من خواطر حية متساوية (٢) .

ويؤثر العقاد الشعرية التي تنسج كما يسبك الحديد انذاب في  
الأتون المتقد ، لا التي ترسل ارسالا ، كما يفيض الماء من البندوب الجياش (٣)  
وكان عاردي كما يقول نافقوه .

وفي القديم فان بعض النقاد في جرير والفرزدق : جرير يغرف من بحر ،  
والفرزدق ينحت من صخر ، وعلى هذا يكون شعر الذي نحت من صخر  
أولى بالايثار عند العقاد .

وإذا كان أسلوب الصياغة الشعرية بمثابة الجسم في الفصيدة ، فان  
التجربة هي الروح ، فالصورة الشعرية التي هي وليدة الخيال وسيلة فنية  
لنقل تجربة اشاعر ، والرمز والابحار وتداعي الصور واطلاق المعاني الثانوية  
وتأثيرات الموسيقى والحركة في الصورة ، كل ذلك مما يساعد على نشاط  
الخيال .

ومن حيث المعاني في الصورة الشعرية فقد حارب العقاد الاحالة - فساد  
المعنى - كما حارب التزييف والضمنة التي عرفها بأنها ضعف التعبير عن  
نفس الشاعر ووجدانه ، ورنح من شأن الطبع الذي هو عنده فتوة الشاعر  
في التعبير عن نفسه ومشاعره ووجداناته ونوازعه وذاته .

وبعد فهذه كلها هي صورة لأراء العقاد النقدية في بناء التصديده  
الشعرية .

أعرضها في ايجاز شديد ، لتكون مقدمة لفهم شاعرية العقاد وشعره .

- ٧ -

وكان للعقاد مدرسة في السودان (٤) ، كان هناك تتبع فتق لكل ما يقول  
وبخاصة من الوجوه الشبابة في هذه الفترة التي كانت تعمل على تخطي

(١) ٣٩ فصول من النقد عند العقاد .

(٢) راجع ٩٠ وما بعدها من كتاب مراجعات للعقاد .

(٣) ٢٧١ فصول من النقد عند العقاد .

(٤) ص ١٦٣ العقاد وقضية الشعر - من دراسة للمكتوب عبيد بدوي .

الأدب التقليدي والمحافظة إلى أفاق أخرى ، والتي كانت لها في الغالب صلات قوية بالأدب الإنجليزي ، والتي كانت نستوحيها الدعوة إلى أن تكون الذات الفردية أساسا للتشعر !

والدور الهام الذي قام به « حمزة الملك طنبلي » معروف ، وكيف أن هذا الدور كان منظور فيه بعمق إلى كتابات العقاد ، وإلى جعل الذات محور الشعر . كما رأينا هذا فيما كتبه محمد عشري صديق ، ومعاوية محمد نسور ، وفي الاتجاه العام لتيار مجلة « الفجر » ، ونحن حين نحاول التجول في حقل الأدب في السودان في هذه الفترة المبكرة بصفة خاصة نجد أن دور العقاد كان مشاهدا وملموسا ولا خلاف عليه . فإذا وقفنا مثلا عند « يوسف التني » وجدنا أنه كان يذكر دائما أنه نتاج لمدرسة الديوان (١) ، وديوانه المسمى « ديوان التني يشهد بهذا ، ونحن حين نتتبع أفكاره وآراءه في مجلة « الفجر » بصفة خاصة نجد أن عليها صيغة عتاقية ، فهو مثلا يذكرنا برأى العقاد في « الشعر القومي » حين يأخذ الشاعر التني في مقال له على الاستاذ أحمد حسن الزيات أنه لم يسعد لأن علي محمود طه سمي ديوانه ( الملاح التائه ) ولم يسمه « احلام النخيل » أو « مناجاة الصحراء » مما يتفق وطبيعة مصر . . . كيف جاز عندهم أن يتأثر الشاعر المصري بهذه الصحراء التي تلابس جسمه ثم ينكرون عليه أن يتأثر بوساطة ثقافته الإنجليزية التي قد تهت له أن يفهم الاخلاق الإنجليزية أو بلاد اليونان أو إيطاليا أو سويسرا أكثر مما يتخون جمال صحراء مصر التي ليس ببعيد أنه لم يرها (٢) .

.. وقد كان من الواكبين لهذا التيار « الأمين علي مدني » الذي كان من أقواله المتعددة في مناصرة اتجاه العقاد : نحن في حاجة إلى كاتب كالعقاد في فصوله ، ولسنا في حاجة إلى كاتب كمعبد الحميد الكاتب .

.. وما أكثر ما حض « محمد أحمد المحجوب » السودانيين علي قراءة كتب العقاد ، ولنتأمل قوله « .. وما من كتاب أو شخصية تطفر بتحليل العقاد لها إلا إذا كانت مما يلفت النظر ، ومما يفرض للناس بقراءة ذلك الكتاب أو دراسة تلك الشخصية ، فالعقاد كان مرشدا لنا في بيسداه تلك الحياة الشائكة ، ونحن حين نتتبع بعض نقده نجده قريبا من مفاعيم العقاد (٣) .

(١) الشعر الحديث في السودان . د . عبد بندي ص ٦٤٥ .

(٢) مجلة الفجر (١٦ يوليو ١٩٢٤) .

(٣) انظر مثلا كتابه « نحو الغد » .

وله في رثائه قصيدة مشجيه مملها :

عيسر الشعر آب قبيل أوائل

رائد الفكر عيسري زمانه

٠٠ اما « محمد محمد علي » فكان من الذين فمظوا تماما آراء مدرسة الديوان ، وجعلوها منطلقا لهم . فقد كان في كل معاركه الأدبية متكئا على آراء هذه المدرسة ، ولنتأمل قوله « ٠٠ احب ان اؤكد اني لا اعتبر فوميعة الأدب في الموضوعات وحدها » ولا في الاسلوب والطريقة فحسب ، بل القومية سدى تتمثل في نوع الشعور ولون النظرة الى الأشياء (١) ، وحملته القاسية على الخوض في الشعر « التجاني يوسف بشر » منظور فيها الي راي العقاد في هذه القضية بالاضافة الي رايه في ابعاد الشعر عن الحياة المعاملة الخاصة منظور فيها الي بعض آراء العقاد ، ثم انه هو المائل : ٠٠ كتب العقاد تعلم التاريخ؛ الصبر على القراءة ، والتأمل والفحص الي اعمق الأشياء . والنظر الي المجتمع والى خبايا النفس من ابواب كثيرة ، ومن المعروف انه في الفترات التي أتاهما في القاهرة كان من المترددين على ندوة العقاد في بيته .

وله في رثائه قصيدة مؤثرة جاء فيها :

لهفي على منزل شسعت جوانبي

بالمعلم والفن ٠٠ لا بالتبخر والماس

لهفي على مجلس كنا نطوف به

كانه حرم أو قدس اقتداس

لهفي على نبسة الجبار طائفة

تتسم النور صدقا بين جلاس

كانما طسوع الله النجوم له

فقاده زمرا من غير أمراس

وتد جاء في مقدمة ديوان « نار المجاذيب » لمحمد المهدي المخبوب - وله في العقاد قصيدة طويلة قالها في حفل تكريم العقاد بالمسودان - قوله :  
أذكر أول التحاقني بالوظيفة ، أن رئيسي في الديوان ، رأني أختلس النظر الي ديوان العقاد ، وكنت خيائه في أحد ادراجي . وعيس ويسر ٠٠ وقال في اشفاق واستخفاف : شعر ؟ « يابني الشعر ما يستقيش فيه » ! واعترف

(١) محاولات في النقد ص ١٨٧ .

هنا أننى لم انتفع بنصيحة نط ، وما انتهت نفسى عن غيرها ، وليس لها منى زاجر . . . ومثل هذه الآراء مبنوتة عند الرواد من أديباء السودان وشعرائه ، ومنها نرى أن العقاد له دور فى توجيه الأدب فى السودان خاصة . . . . . وإذا كان العقاد يحس نحو السودانين بنوع من الرحم ، فإن هذا الاحساس كان موجودا عند السودانين ، والإنسان السودانى يعيل الى الصراحة والانتصار فى كل ما يتناول من أشياء والى البعد عن التسيب العاطفى ، والميوعة اللفظية ، والكثير من السودانين لا ينسى زورة العقاد للسودان فى ظرف عصيب ، وأنه خصه دون بلدان العالم العربى . . . . . والعالم ! . . . ثم أنه لم يغلغ على نفسه الأيوب فى السودان ، وإنما حاضر وأذاع ونشر واستجاب للدعوات التى قدمت إليه ، وترك باب الدار التى يتيم فيها مفتوحا لكل القادمين ، حيث كانت الوفود لا تنتهى من تحيته ، والاستماع إليه . وقد عبر عن أثر هذه الزيارة فى نفسه فى قصيدة من شعره :

وكان لدرسة الديوان كذلك صداها فى الأدب العربية ، فى كل مكان من انقطار العروبة ، وذاعت آراؤها فى بناء القصيدة ، وفى التجديد فيها ، وفى الدعوة الى الرومانسية ونقد الكلاسيكية على كل لسان ، وأصبحت مبادئ جديدة فى تيار التجديد فى الشعر المعاصر . . .

## الفصل الخامس

### صور من شعر العقاد

#### جزء التحدى

سألتني كيف كنت وكيف صرت      وقدولتي ما صنعت وما صنعتت  
تحدثت على الحوادث بعد لاي (١)      وهأنذا كأنني ما تسدرت

\* \* \*

أخاف وكان لى تلب تسرير      فهأنذا إذا صفر النذير (٢)  
أتوق الى غد لتترك عيني      وأرجم من يغار بمن يغير

\* \* \*

وكانت لى سلالم ارتقيها      فرادى لا ابالي ما يليها  
فعدت مئيبا عجلا كأنى      اخو العشرين مرتقيا سنيها

\* \* \*

وكنت من السامة لا ابالي ٠٠٠      أذم الناس ام حمدوا فمالي  
فهأنذا اسائل ما عساها      ستسمع في من قيسل وقال

\* \* \*

وكنت مزئت حتى بالجمال      وحتى بالفنسون وبالمالي  
فما لى اليوم لا أرضى بحال      وكنت الأمس أرضى كل حال ؟

\* \* \*

أعود الى الحياة فتلك عندي      موموم المستعيد المستعد

#### الحب الفاسك

فرغت من الحب الذى يعقب الشكوى      فحبي من النعمى ٠٠ وليس من البلوى  
بذلت له ناسرى ثلاثين حجة      فلا نار بعد اليوم ٠٠ اليوم للحلوى!

(١) الأذى : البطء والجهد .  
(٢) النذير : ابوقى للاعلان عن الغارات .

ومحضته ماء للشباب فما ارتوى  
رضيت بما أعطى وحسبه ارتضى  
فلا زال في عتبه ضحكك بلا بكاء  
فهل في خريف العمر يطعم أن يبرى  
بما أنا ممطيه على غير ما يهوى  
ووصلا بلا صجر ، وهجرا إلى سلوى

#### زهرة ديسمبر

خل ايار (١) ونوارا لسه  
خير نوارى الذى أهديك  
عيد ميلادك من بستانه  
هات يا كانون زهرا كلما  
ربما اعجب توما . ربما  
زهرا في شهر كانون (١) نسا  
يا ربما في الشتاء ابتسما  
سقط الزهر تعالى وسما

#### من تقليد « نشيد الأناشيد »

أجل تلك خيايما  
فهل تدرين ماذا  
ك الذى يدعى مزايما ؟  
وهاتيك خطايما

\* \* \*

لما فيها من العيب سنسناه ونسناها  
وللحسن الذى فيها سنحى الان ذكراها  
\* \* \*

سأحصى لك ما يعجب منها ، وهو كالشمس  
كما أحصيت ما يفضى بعد السمي والندس  
\* \* \*

ثنايما . ثنايما  
وعيناما ، ويا للقلب ،  
كم تسببه عيناما ؟  
ومل ذقت ثنايما ؟  
\* \* \*

وتلك الوجنة الخمرية السكران رائهيا  
أق الجننة يا رضوا ن تفاح يحاكيها ؟  
\* \* \*

(١) أيار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك القامة الهيفا ، زانتها زواياها  
إذا ما جبار دفاها أنام الجبور نهداها

\* \* \*

وتلك النسمة الحلو ة في ثوب الأناسي  
هي السروح الفراشة في النور السماوي !

\* \* \*

دعيها تفسد الخمس ين إفساد ابن عشرينا  
وحاشا . بل هي الأكس ير باسم الحب يحيينا

\* \* \*

وعندي من حيا (١) الش مر إكسيري وترياتي  
ومل كالشمس في الدن يا ربيع دائم باق !

#### الكذبيني

الكذبيني مسرة أو فاكذبيني مرتسين  
ألف الف من اعاجيبك في غش ومسين  
لن تبيد الفارق الخا لد يا مسرة عينسي  
والسماوات التي بينك في اللسب وبيني

\* \* \*

الكذبيني والكذبيني كلما شئت الكذبيني  
أنا في مسرة ونسر منه مهما تسابيني  
انقصيها . أي ضير ؟ درهمما أو درهمين !!

#### تقويم العمام

تقويم هذا العمام من لحظاته الأولى لديك  
تسومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتك  
من يوم مطلعته السي رجماه موتسوف عليك

\* \* \*

(١) الحيا : سورة الخمر .

وإذا انتهت أيامه ولكل عام منتهاه  
فطيك أنت وداعه .. وترجيبين بما تلاحه  
ويحى إذا دار المسدى ورعيت وحدى ملتناه ا

هي قبلة ضمت عسرى عام كسابقة مآلا  
ومنى الخواطر في غسد عام كسابقة مآلا  
لا تعجلن به فمسا أسمى الحياة على العجالي

\* \* \*

لا . لا فهذا يومنا وغد ، ويمد غد ، خفاء  
أنا مفض عيني ومس تدع إلى حسدى الرجاء  
فإذا سمعت حسده فدعيه يمضى حيث شاء

#### وعام شان

تشرى . ما أنا شاعر دلت بروجك والهبوى  
يا عام وحدى ملتقك يخطبو وتتبعه خطاك  
وحمدت وجهك متبلا ومضى ، فلم أنم قفك

\* \* \*

مذى فتاتي هذه ا هي في يدبيع قوامها  
هي لا خلاف ولا اثبتناه هي في الصبا ، هي في حلاه  
هي في غوايتها وآ ه من غوايتها وآه

\* \* \*

ضمي ثبيرك يا بنيسة وابعتى منه الامل  
لا بالمهود الى مسدى عام ، ولكن بالغبيل  
ان سماعفتنى لبيسة فدعى العهود الى اجمل

\* \* \*

عام تفتح بالرجاء وبالرجاء ختمتبه  
ودعت ذلك المسام في مربي كما استقبلته  
قولى ، وقسد ولى ، أنى شرح الوفاة تضصيته ؟

\* \* \*

لا تخدعيني يا بنبيسة  
خننا وخنتت ولا آتسو  
ذميت خيانتنا مما

ذميت خيانتنا كما  
لا ذمة تبقتي ولا

انظر ألسنت ترى قمتنا  
في جلمسة الأمس التي  
فكانها ما فارتقت

وإذا سألت وربما  
ماذا تتسول مودعي  
حيرتني يا عام فاستم

ما كنت عندي أيها  
لكن سويجات مضت  
غفرت ذنوبك كلها

حسبي من الدنيا الذي  
حسبي قليلا عطاءها  
ان عباد يوم غد كاه

#### وعام ثالث !

... والثالث الوصول آت  
رحبت منه بمقبيل  
ما كان يكرثنا (١) شقنا

(١) يهمننا ويشمل بالننا .

رضنا الفرام رياضة لا  
لا جامحا تلقينا ولا  
أنعم بذلك مركبا  
فارس المصى فاذعنا  
تعبا يثن من السوى (١)

\* \* \*

ما للفرام يسومنا  
إنا لفتنموجهنس  
لسنا على يده يججو  
بنعيمه وشقائه  
مه اغتنام سمامه  
د لنا بمحض سخائه

\* \* \*

ما شيب من نثار طبخ  
أو صب من غيث غمس  
أو زف من ريح وهبنا  
نا فوئها حلوى الهوى  
نا نيه آلام الجوى  
ما الشسراع كما استوى

\* \* \*

أعلا بمسام ثالث  
بل خامس فيما عهد  
ما ضاقت الدنيا وفي  
يتلوه عام رابع  
ت وسانس أو سابع  
جنبيك قلب واسح

\* \* \*

قلب تفتتح بعد ما  
أو قل تشقق بالجر  
ما حيلة الاعوام في  
استمى بيباب واحد  
اح نلم يضق بالسواد  
غير الزمان الفاسد

\* \* \*

يا قلب إنك تعد أرد  
عام سعيد ! إى ور  
هيك اعتزلت سروره  
ت فابن ويحك ما تريد ؟  
بك .. قل إذن عام سعيد !  
أتراه ينقص أو يزيد ؟

(١) التور

بهد سنة

سنة مرت ولا كل السنين  
بين صيف من مولانا وشتاء  
وربيع حنسا عام انسا  
والضحى والليل حينما بعد حين

\* \* \*

سنة كان لها نجم فريد  
غمر الشمس وغطى القمر  
ومشى في حسنه منتصرا  
كل برج تحتها برج سعيد

\* \* \*

إن يكن لى في سناء رقيب  
فالذى أرصده لم يرصدوه  
والذى انتسده لم ينتسده  
والذى هاموا به عندى هب

\* \* \*

سنة مرت على روض الفرام  
انبتت فيه فنون الشجر  
من رياحين وغرس مفر  
وسل الأرواح ما أركى الطعام !

\* \* \*

يومها الأول وافى ودنا  
فانمس أيامك في ساعاته  
واجمع الصاقي من لذاته  
جرعة ، اطرب عليها زما

\* \* \*

جرعة ججع فيها سكر عام  
إن شربنا ما فقد تشربنا  
أو سكبنا ما فقد تسكبنا  
في الهوى روحين في كأس وثام

\* \* \*

هات لي الذكري وتزب لي العيان  
فهما يا صاحبي بين يدي  
حضرا الساعة يا صاح لى  
ربة الذكري وتكراها تروان

\* \* \*

هات لي الذكري أراها وترانى  
غضة طموسة في راحتي  
حوة مسولة في شفتي  
جنبة تنببت في كل اوان

\* \* \*

جنتسى لا حيلة تخرجنى  
ابدا منها ولا احياؤها  
لا ولا ايليسى او حواؤها  
انا فيها خالد كالزمن

انا منها وهي منى في الضمير  
فاذا غارتها بالنظر  
لم يفارقتها ضميرى عمري  
وله الحصة من مس السعير

سنة كان لها نجم فريد  
هات منها ايها النجم وهات  
سنة ثانية بل سنوت  
ولنا منك مزيد المستزيد

انت يا نجم معيد ما تشاء  
لا السماوات ولا داراتها  
غنية عنك ولا اوقاتها  
انت ميقات وشمس وسما

انت تخبئها سما زلفا (١)  
تنسج الوقت لنا مفردين

(١) الزلف : التتعم والتترب .

### المرأة والخداع

خل السلام فليس يثنيها ،  
هو سترها ، وطلاء زينتها ،  
وسلاحها فيما تكيد به  
وهو انتقام الضعف ينتزعا  
أنت الملولم إذا أردت لها  
خذنها ! ولا تخلص لها أبدا  
حب الخداع طيبة فيها  
وربماضة للنفس تحبها  
من يصطفها أو يعادها  
من طول ذل بات يشقتها  
ما لم يسرده قضاء بارها  
تخلص لي أعلى غواليها

### رواية

ما غرني إتناعها ،  
هاذا تخسبي، طفلة  
بل غرني علم الطبا  
أو ليس علمها بالحيا  
إني أشاهد كيف يف  
أو كيف يسرى في النفس  
أو كيف ينفض بمد طمو  
أو كيف يروض بمد ما  
دعني فتلك رواية  
ألى الوجيز رقاها  
وأنا العليم ، وقد علم  
كل ولا امتاعها  
رقت ورق قناعها  
ع ، وللفوس طباها  
ة يهون فيه صراعها  
طم في القلوب رضاعها  
س الواعيات خداعها  
ل سببانه دفاعها (١)  
خفت السراج شماعها  
شانت وشاق سماعها  
إن قيل أين رقاها ؟  
ت ، متى يكون وداعها

(١) الدفاع : قوة الموج وكل مدفوع .

## خاتمة الكتاب

هذا هو كتابنا ه عباس محمود انقاد بين الصحافة والأدب ، بأبوابه الثلاثة ، وفصوله الخمسة عشر ، والذي تحدثنا فيه عن العقاد صحفيا ومجددا وأديبا وناقدا وشاعرا ، والبناء فيه بصورة واضحة عن عصر العقاد ، وحياته من خلال عصره ، وإسهامه الكبير في شتى النواحي السياسية والوطنية والاجتماعية والصحفية والأدبية طيلة حياته .

والعقاد كان من أكبر المؤثرات في حياته الفكرية والسياسية والوطنية والصحفية أمران :

الأول : انتمائه الى مدرسة الأفغانى والامام محمد عيده . وثيها : سعد زغول وحافظ ابراهيم شاعر النيل ، ومصطفى صادق الرافى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وغيرهم . . . وقد كتب عن الأفغانى ومحمد عيده أروع الفصول والمؤلفات ، ومن المصيب أنه تنقد حافظا والمنفلوطى في كتاب الديوان ، ووتعت بينه وبين الرافى أعنف المارك التقديية . . . وهذا يدل على إخلاص العقاد لمذهبه الأديبى قتل لإخلاصه للأشخاص . . . وهذا الانتقام ، يفسر لنا وتوقف العقاد بجوار سعد زغول منذ كان وزيراً للمعارف المصرية حتى وفاته عام ١٩٢٧ ، وتأليفه لكتابه الضخم عنه بعد وفاته .

الثانى : انتمائه الى مدرسة سعد زغول السياسية الوطنية ، أى الى الوفد ، طيلة أيام سعد ، ونالجزء الأول من سنى رئاسة خليفة سعد زغول باشا وهو زعيم الأمة مصطفى النحاس باشا ، حتى اذا ما وجد أن هناك تيارات وعناورات تحدث في الوفد ضده وضد كرامته ، ويديرها له سكرتير الوفد لتنفصل نهائيا عنه ، وانضم الى الأحزاب المعارضة للوفد ، وهى أحزاب القصر والمعارضة ، وكتب أعنف الفصول في هجاء الوفد وزعيمه .

والعقاد مخلص في كل ذلك لمبدئه وفكره وآرائه وشخصيته ، بل مخلص لكرامته أولا وأخيرا .

ومع أن لطفى السيد كان من مدرسة الأفغانى ومحمد عيده الا أنه انضم الى حزب الأعيان والباشوات فأنتدته ذلك التسمية المريضة التي تمتع بها سعد زغول ورفاقه ، وهذا مما جعل العقاد لا يمكث في الجريدة ، ومما جعله يبتعد عن الطريق الذى سلكه لطفى السيد ان قليلا وإن كثيرا . . .

والمؤثر الأكبر في حياته الأدبية هو تعرفه الى زميليه شكري والمزني ، وانضمامه في أول الأمر اليهما ، وظهورهم جميعا مدرسة واحدة في الأدب والشعر والنقد ، تتأثر دعوة الرومانسية ، كما كتب عنها أعلامها ونقادها في الأدب الانجليزي ، وكان ذلك سر وثوقه ضد الكلاسيكية وأعلام شعرائها وأدبائها في عصره : كشوتى والنفلوطى وسواهما ٠٠ ومع أن العقاد والمزني بدأ حياتيهما متأثرين بشكري ، ونهج لهما شكري الطريق ، الا انهما سرعان ما اردا الطريق وحدهما وسارا فيه بخطى واسعة مستقلين عن شكري .

ان العقاد تاريخى حتى مؤثر في حياتنا الاسلامية والفكرية والأدبية في حياته وبعد وفاته على السواء . ونحن أى جيلنا المعاصر الذى يحيا اليوم مدينون له ولا ريب ، بأفدح الديون ، وقد مات العقاد عام ١٩٦٤ ، ولكن ذكره غينا حية خالدة لا تموت أبدا .

ومن أجل ما أسداه العقاد لنهضتنا الاسلامية والفكرية والأدبية والصحفية كان هذا الكتاب ، الذى درسنا فيه كل ما يتعلق بالعقاد صحفيا وأدبيا وشاعرا ٠٠٠ وبالله التوفيق .

#### المؤلفان

مصادر الكتاب

- ١ -

- عباس محمود العقاد  
١٩٢٦ ( سعد زغلول سيرة وتحيه )  
١٩٦٢ رجال عرفتهم  
١٩٦٢ محمد عبيد - اعلام العرب -  
١٩١٢ خلاصة اليومية  
١٩١٥ الشذور  
١٩٢٢ الفصول  
١٩٢٤ مطالعات في الكتب والحياة  
١٩٢٥ مرجمات في الآداب والفنون  
١٩٢٧ ساعات بين الكتب  
١٩٤٧ يسألونك  
١٩٥٢ بين الكتب والناس  
١٦٥٢ على الانس  
١٩٢١ الديوان في النقد والادب  
١٩٢٨ الحكم المطلق في القرن العشرين  
١٩٢٨ اليد الثورية في مصر  
١٩٣٧ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي  
١٩٤٠ هتلر في اليمين  
١٩٤٠ النازية والاديان  
١٩٤٥ في بيتسى  
١٩٤٨ عقائد المفكرين في القرن العشرين  
١٩٥٠ فلاسفة الحكم في العصر الحديث  
١٩٥٢ ١١ يوليو وضرب الاسكندرية  
١٩٥٥ مطلع النور: طوابع اليمعة المحمدية  
١٩٥٥ الشيوعية والانسانية  
١٩٥٥ الصهيونية العالمية  
١٩٥٧ الاسلام والاستعمار

- ٣٤٧ -

- ١٩٥٠ : اعلام الصحافة المصرية : ابراهيم عبيده (دكتور)  
١٩٥٥ : جريدة الاحرام :  
١٩٥١ : تطور الصحافة المصرية :  
روز اليوسف سيرة وصحيفة :  
١٩٥٨ : زعماء الاصلاح في العصر الحديث : احمد أمين  
١٩٥٨ : معالم تاريخ الصحافة المصرية : احمد حسين الصاوي (دكتور)  
محاضرات لم تنشر القاهها على طلبة  
تسمم الصحافة بجامعة القاهرة :  
١٩٤٤ : قاسم امين - اعلام الاسلام : احمد خساكي  
١٩٣٦ : مذكراتي في تصفقرن - الجزء الثاني : احمد شفيق  
١٩٣٥ : الاسلام والتجديد :  
وترجمة عباس محمود العقاد :  
١٩٥٠ : مذكراتي - دار الهلال : اسماعيل صدقي  
١٩٦٢ : الصحافة السياسية : أنسور الجندى  
نزعات التجديد في الادب العربي :  
١٩٥٧ : المعاصر :  
التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر : بلنست  
ترجمة البلاغ ط ١ :  
العقاد سيرة وتحية : جلال المشري  
( مقالة العقاد الفيلسوف ) :  
١٩٥٧ : مذهب صحافتنا بين الامس واليوم : حلال الدين الحمامصي  
١٩٥٧ : معركة نزاهة الحكم :  
احمد لطفي السيد - اعلام العرب : حسين غوزي النجار (دكتور)  
رسالة الدكتوراه عن الجريدة :  
الصحافة - رسالة استعداد - : خليل صابات (دكتور)  
علم - فن - ط ٢ : ١٩٦٨  
تاريخ الطباعة في الشرق العربي ط ٢ : ١٩٦٧  
الصحافة حرفة ورسالة : ١٩٥٨ : سلامة موسى  
مع العقاد : شوقي ضيف (دكتور)  
دراسات في الادب العربي المعاصر :

- الدكتور السيد رجب حراز : ثورة ٢٣ وأصولها التاريخية  
 عبد الرحمن الزلفي : مصطفى كمال باعث الحركة الوطنية  
 : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية  
 : ثورة ١٩١٩ جزآن  
 : في اعتصاب الثورة  
 عبد الرحمن صحتي : العقاد - دراسة وتحية  
 ( مقالة العقاد كما عرفته )  
 عبد الحى دياب : عباس العقاد (دراسة ماجستير)  
 عبد اللطيف حمزة (دكتور) : أدب القالة الصحفية في مصر (الجزء)  
 : الدخول في فن التحرير الصحفي ط ٣ ١٩٦٥  
 : مستقبل الصحافة جا - الادب الصحفي  
 عبد الفتاح الديدي : عبقرية العقاد ١٩٦٦  
 عبد العزيز شرف (دكتور) : لطفي السيد فيلسوف ايظظ امة ١٩٥٨  
 : المعاد دراسة وتحية  
 ( مقالة العقاد ناثرًا )  
 عبده بدوي : الشعر الحديث في السودان ١٩٦٥  
 لويس عوض (دكتور) : في الادب والنقد ١٩٦٥  
 : دراسات غربية وعربية ١٩٦٦  
 فاطمة اليوسف : ذكريات  
 محمد طاهر الجبلاوي : في صحبة العقاد ١٩٦٦  
 : ذكريات في صحبة العقاد ١٩٦٧  
 محمد خليفة التونسي : العقاد دراسة وتحية ( مقالة العقاد  
 بين أوليائه وأعدائه )  
 محمد زكي عبد القادر : محنة الدستور  
 محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عده  
 : ٣ أجزاء ط المنار ١٣٥٠ -  
 محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية  
 : مذكرات في السياسة المصرية -  
 جزآن ٥١ - ١٩٥٣  
 محمد مندور (دكتور) : محاضرات عن ابراهيم المازني  
 : بمعهد الدراسات العربية المانية  
 محمد انيس (دكتور) : وثائق ثورة ١٩١٩

مصطفى عبد الكافي السخري :  
الشعر المعاصر - على ضوء النقد الحديث المقتطف ١٩٤٨ .

محمد عبد انعم خفاجي :

- رائد الشعر الحديث - جزآن ١٩٥٥ .
- دراسات في الحديث ومدارسه - جزآن ١٩٧٥ .
- صور من الأدب الحديث - ٤ أجزاء - مكتبة الأنجلو ١٩٥٨ .
- الأدب العربي الحديث - ٤ أجزاء - مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٥ .

- ٣ -

#### مقالات في صحف ومجلات

- ١٩٦٣ مجلة آخر ساعة
- ١٩٦٣ الاخبار ( يوميات )
- مجلة الهلال - عدد خاص عن العقاد
- مجلة الكتاب
- مجلة الكاتب المصري

- ٤ -

#### الصحف والمجلات

روز اليوسف اليومية	الامالي	الجريدة
كوكب الشرق	المقتطف	المؤيد
المؤيد الجديد	البلاغ	الدستور
الضياء	الجهاد	البيسان
الدستور	الكتلة	مصر الفتاة
السياسة الاسبوعية	البلاغ الاسبوعي	الاساس
	الاخبار ( امين الرافعي )	السياسة

- ٣٥٠ -

فهرست

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم
١٦٨ - ٧	الباب الأول : العقاد والصحافة
٣٧ - ٩	الفصل الأول : صورة الصحافة في مطلع القرن العشرين
١٠٦ - ٣٩	الفصل الثاني : العقاد يحترف الصحافة
٤١	ميلاد صحفي
٧٢	بين التقليد والتجديد
٧٥	التعليم واللغة العربية
٨٥	بعد تعطيل الدستور
١٠١	في المؤيد
١٢٢ - ١٠٧	الفصل الثالث : في الحرب المالية الأولى :
١٠٧	الحماية
١١٥	صحيفة الأمانى
١٦٨ - ١٢٣	الفصل الرابع : ثورة ١٩١٩
١٢٣	تصادف العقاد مع الوفد
١٣١	في البلاغ
١٤٤	بين السياسة والبلاغ
١٥٠	بين الأخبار والبلاغ
١٦٩	الباب الثاني : العقاد والتيارات السياسية والاجتماعية
١٩٠ - ١٧١	الفصل الأول : العقاد والفضايا الاجتماعية
١٩٦ - ١٩١	الفصل الثاني : اتجاهات جديدة
٢١١ - ١٩٧	الفصل الثالث : صحيفة جديدة
٢٣٨ - ٢١٢	الفصل الرابع : بين العقاد والوفد
٢٤٧ - ٢٣٩	الفصل الخامس : العودة الى البلاغ

٢٤٨	الفصل السادس: العقاد والانتاجات الجديدة
٢٤٤ - ٢٥٩	الباب الثالث : العقاد أدبياً
٢٦١	الفصل الأول : العقاد ورواد شعراء مدرسة الديوان
٢٧٧	الفصل الثاني : العقاد وفن المقال الصحفي
٢٨٦	الفصل الثالث : العقاد ومدرسة شعراء الديوان
٢٨٨	شكري رائد مدرسة الديوان
٢٩٨	العقاد فيلسوف المدرسة
٣٠٤	المآزني وحوار المدرسة مع خصومها
٣٠٦	بين شكري والعقاد والمآزني
٣٣٤ - ٣٦٦	الفصل الرابع : بناء القصيدة عند العقاد
٣١٦	الأساس الفلسفي لنظريتهم في بناء القصيدة
٣٢٠	عمود الشعر ومدرسة الديوان
٣٢٤	شخصية الشاعر
٣٢٥	الوحدة العضوية
٣٢٩	التجربة الشعرية
٣٣٠	للمسورة الشعرية
٣٤٣ - ٣٣٦	الفصل الخامس: صور من شعر العقاد
٣٤٥	الخاتمة
٣٤٧	مصادر الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٥/٤٢٠١  
٩٧٧ - ٠٥ - ٠٣١٠ - X